

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القري
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

الحمد لله (الصدارة) (السلامة) (السلامة)
و بعد افتد قام (السلامة) (السلامة)
حسب (السلامة) (السلامة)

الحمد لله (السلامة) (السلامة)
الحمد لله (السلامة) (السلامة)
الحمد لله (السلامة) (السلامة)



الأمم النوى

وأشهره في الحديث وعلمونه

عن مقدم في مرحله والنقص للوئي، الما جستير،
أحمد الطالب

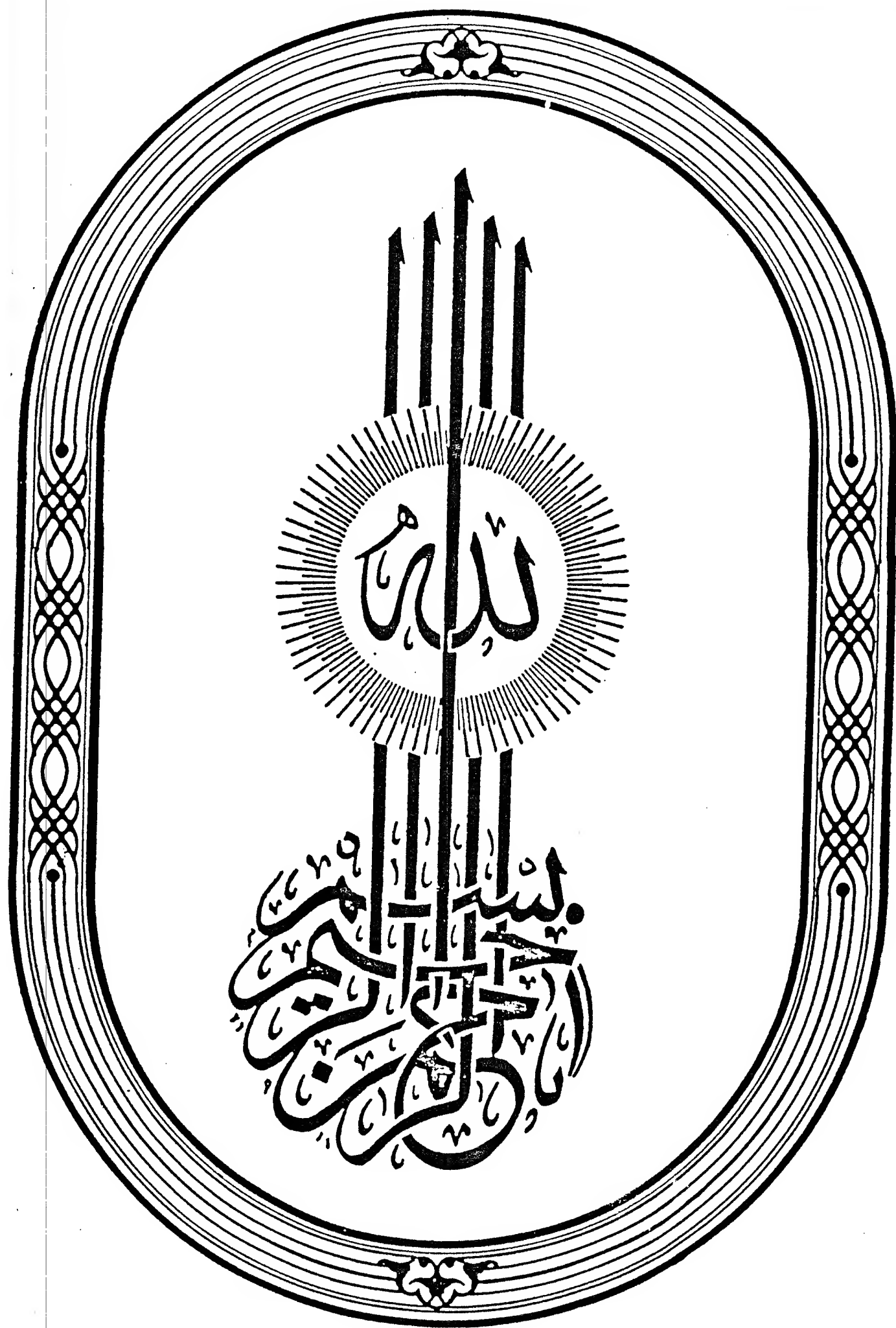
أحمد عبد العزيز قاسم الحداد

• بإشراف الدكتور • ٢٢٨٠

عبد العزيز بن عبد الله الشارح

١٤٠٩ هـ





الأهـداء

إلى من ربا في صغيري... وعاش في كبري... ومخز في بالعم ثم طفلا...
وفهم في البهر يافعا... وإلى من عجز في الأندلس ثم انجهر في فتح...
إلى والدك الحبيب الخوف .

لا هدى بكورة ثم لم تترنا في الحياة ثم ولدت في الدنيا ثم طفلا...
فلنتكبرك
فهم

هَذَا

أَنَا نَأْنِدُكَ عَلَيْنَا

فَاذْكُرْ وَلَوْ عَرَفْنَا لَعَلَّ شَيْئًا

شكر وتقدير

إن شكر المحسن واجب شرعا وعقلا ، وأن الذى له مطلق الاحسان هو الملك الديان ، وأن شكره لا يقتصر على اللسان بل بها وبالجنان والأركان ، فله ذلك منى مادمت حيا . وأن المشكور بعده تعالى ، هم أولوا الاحسان من بنى الانسان ، وأن المحسنين اللّٰه لكثيرون ، وأن أولى من تجدر الإشارة اليه في مثل هذا المقام هم الذين كانت لهم على أياد بيضاء في انجاز هذا البحث ، وعلى رأسهم المحسن الكبير الذى يحصر اللسان عن استيفاء شكره ، ويكُلُّ اليراع عن حصر فضله ، ذلك هو الوالد الفاضل الشيخ الكامل الدكتور / عبد العزيز ابن عبد الله الحميدى حفظه الله تعالى وأبقاه ذخرا للعلم وأهله ، فإنته والحق واجب البيان ، ما فتىء يتلقاني منذ اللحظة الأولى من الاشراف برحب الصدر ، وكرم الخلق ، وطلق المحيا ، بحيث أعطاني الصورة الواضحة عن الأخلاق النبوية التي نراها في شمائله — عليه الصلاة والسلام — ، ولقد أفدت من خلقه الكريم ، كما أفدت من علمه العظيم . فلقد أفادني مِمَّا علَّمه الله بما يصح أن يقال : إن هذه الرسالة إلا ثمرة جهده المتواصل معي : توجيها ، وقراءة ، وتصحيحا ، وأيم الله لقد بذل معي في إعدادة ما في وسعه مع كثرة علائقه العلمية ، والعائلية ، وأحواله الصحية . فله من الله أجر المحسنين ، ومنى جزيل الشكر وخالص الدعاء ودائمه .

ولئن كان لشيخى المذكور هذا الشكر على ذلك الاحسان ، فإن لغيره ممن كان لهم الفضل بعد الله في إنجاز هذا البحث ، مثل ذلك من الشكر وجميل العرفان . وأخص بالذكر القائمين على هذه الجامعة المباركة ولا سيما مديريها الكريم ، ثم القائمين على كلية الشريعة الذين كان على أيديهم اقرار هذا البحث واعنى

(ب)

بهم فضيلة عميدها وأعضاء مجلسها الأفاضل ، ثم لكلية الدعوة وأصول الدين التي احتضنت قسم الكتاب والسنة فيما بعد وأصبحت المشرفة على هذا البحث وأمثاله ، وأخص بالذكر منهم عميدها السابق شيخه الماجد عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ، ثم عميدها اللاحق الدكتور / علي بن نفيح العلياني ، وأعضاء مجلسها ، ولا سيما أعضاء قسم الكتاب والسنة برئاسة فضيلة العلامة الشيخ الدكتور / منصور بن عون العبدلي ، الذي أفادني في هذا البحث وغيره بما أعجز عن ايفاء شكره ، ولكن أضرع إلى الله أن يوفيه ذلك ، ثم إلى رئيسه اللاحق فضيلة الدكتور / أسامة بن عبد الله خياط ، وشيخه الأفاضل ، ثم لشيخه الفاضل الذي كانت اللبنة الأولى من هذه الرسالة من صنع يده وهو الدكتور / عبد المجيد محمود ، الذي كان موجهها لي إبان اعداد خطة الرسالة . ثم لسائر المحسنين ، إلى افادة أو اشارة أو توجيهها أو نصحا ، من شيوخ وزملاء .

ثم إلى الأخ العزيز الحبيب أحمد بن عبد الله المغربي ، الذي أعانني بكل جهده في المقابلة والتصحيح والفهارس . ثم إلى الأخ العزيز سيد بدوي يوسف الذي بذل معي جهدا لا ينسى في طباعة هذا البحث وصبر على مراجعتي له وتلقيه تلك المراجعات بالرحب وسعة الصدر . فلم يبق لي جميعا جزيل الشكر وأطيبه وصالح الدعاء وأدومه .

والله يجزي المحسنين

(ج)

بسم الله الرحمن الرحيم

"المقدمة"

الحمد لله المتفرد بالجلال والكمال ، المنزه عن الشبيه والمثال ، المحمود
على كل حال في الغدو والآصال ، المان على خليقته بنعم الایجاد والأفضال ،
فله الشكر على مننه المتوالية بلا انفصال ، على مر الأيام و الليال .

أحمده وهو أ هل الحمد والثناء ، وأشكره على توالي النعماء ،
وأستعينه على ما أبتغيه من خدمة العلماء ، وأستهديه في كل مهمة ترجى ، وكل
عويصة كأداء ، فهو المعين والهادي الى سواء السبيل .

وأصلى وأسلم على البشير النذير ، الداعي الى الله باذنه والسراج الضير ،
سيدنا محمد المعصوم من كل نقص وتقصير ، الحاث على التبشير والتيسير ، صلوات
الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيهم الى يوم المصير .

أما بعد ، فإن أولى ما صرفت فيه نفائس الأوقات ، وأولى ما أنفقت فيه العيون
الغاليات ، العلم الشريف الذي لا يطمح اليه إلا أولو الهمم العاليات ، ولا يستلذ
متاعه إلا ذوو الأنفس الزاكيات ، ولا يسهر على تحصيله إلا الموفقون من أهل
العنايات .

وإن أجّل أنواعه الكثيرات ، وأفضل فنونه العاليات ، علم الكتاب والسنة ،
الذي به تشرف كل أمة وتفرج كل مدلهمة ، وهو مشرب كل الأئمة ، فهو أولى
ما شمر لادراكه الموفقون ، وأفضل ما اشتغل به الطالبون ، وأجمع العلوم لمن
أراد حيازة الفنون .

وهو الضهل العذب الذي معينه لا ينضب ، وثمرته لا تستصعب ، وغوره
لا يدرك ولو نبيل منه كل مطلب ، وبحسب امرئ أن يبذل فيه قصارى جهده
مع صفاء القريحة وسلامة المشرب ، وهو الحال الذي كان عليه أئمة السلف

الصالح من كل مذهب ، الذين وفقهم الله لخدمة هذا الدين ، ومكثهم من علومه أيما تمكين ، ووهبهم من علمه ما يميزون به الحق وينفعون به المؤمنين ، وخلدوا ذلك في كتبهم الكثيرة ، ومؤلفاتهم الشهيرة ، وعلى أفواه ذوى البصيرة وحفظ لهم المولى الكريم ، ذلك العمل العظيم ، بأيدي الطالبين ، على مر السنين ، فأتت جهودهم ثمارها ، وأشرقت على المؤمنين أنوارها ، اذ بها فقهوا في الدين ، ومنها استفادوا وأفادوا الآخرون .

فكان حقهم علينا عظيما ، وثوابهم ————— هم أن شاء الله جسيما ، وأن من حقهم علينا ، أن يشاع للناس ذكرهم ، وأن يبرهن على خدمتهم للدين بذكر مآثرهم ، وأن تجمع ما تفرق من تلك المآثر ، في بطون الدفاتر ، في كتاب واحد ، ليستفيد منها الطالب ، ويرعوى عندها الناقد .

وكان هذا الحق ذمة في أعناق القادرين على تأديته ، ويحمد الله قد أدى كامل الحق أو بعضه لبعض أولئك الأعلام في القديم أو الحديث ، وبقي حق البعض الآخر منتظرا من يؤديه ، وأن من لم يؤد له حقه على النحو المطلوب ، الامام الهمام ، شيخ الاسلام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - رحمه الله - وأسكنه فسيح الجنان وحشرنا معه تحت لواء سيد عدنان صلى عليه الملك الديان .

فإن هذا الامام ، له علينا الحق والفضل ، اذ لا يمتري في خدمته للدين اثنان ، ولا ينتطح في فضله غزان ، فكم خدم الدين بلسانه وقلمه ، وكما أحيا سننا أماتها أهل زمانه ، فاستحق بأن يلقب بمحيي الدين ، وأن هذا لمعلوم للمنصفين ، ومع ذلك فلم يوفق أحد من الباحثين لتأدية حقه فيسقط التبعة عن الآخرين ، فاختلج في صدرى أن أقوم بهذا الواجب تذكرة لنفسى ولغيرى من أبناء جنسى ، فاستخرت الله واستشرت أهل الاختصاص ، فانشرح له صدرى وقوى عزيمتى عليه —————

المستشارون ، غير أنني - والحق يقال - كنت أتشكك في مقدرتي على القيام بهذا الواجب ، لما أعلمه في نفسي من القصور ، ثم قبلته ، على حدّ قول المثل : (مكره أخاك لا بطل) ، بدافع الأمل والرجاء في المولى الكريم الفتح أن يعينني ويسدّد مسعاى لأنجازه ، فلم يخيب رجائي ولله الحمد ، ولا ريب فإنّ الله تعالى عند ظنّ عبده به كما جاء ذلك في الحديث القدسي .^(١)
فكان هذا هو السبب الأول لاختيار هذا الموضوع .

أما السبب الثاني ، فهو ما أعلمه ويعلمه كل طالب علم عن جهود هذا الامام لخدمة السنة النبوية المطهرة على وجه الاجمال ، غير أنك اذا ما سألت أحدا عنها ، لا يكاد يبين عن معرفته بها إلاّ فيما هو مشهور كشرح مسلم ، ورياض الصالحين ، والتقريب . غير عالم بما له من مؤلفات أخرى فيها ، واجتهادات عظيمة في معاني متونها وعلومها ورجالها ، كما ستري ذلك ان شاء الله ، حتى لقد سمعت من يعارض في جعله من أهل هذا الشأن ، ولا عتب عليه في ذلك لعدم استقراره لخدمته للسنة المطهرة ، فأحببت أن أرفع النقاب عن مخدّرات تلك الجهود بهذا المجهود .

أما السبب الثالث ، فهو إبراز سيرة هذا الرجل الفذة ، فيما يعد في الأزمان المتأخرة ، رجاء أن تعود تلك السيرة علينا وعلى أجيالنا القادمة بالنفع العميم ، في الجِدِّ والاجتهاد في طلب العلم ، وفي الزهد والورع ، والجرأة على الجهر بالحق . فإن سير الصالحين تفيد السامعين أكثر من أي شيء سواها .

فلهذه الثلاثة الأسباب المجتمعة ، أقدمت على هذا الموضوع مستعينا

(١) من حديث أبي هريرة ، عند البخاري في التوحيد ١٤٨/٩ .

بالحمد تعالى ، سائرا في اعداده على وفق خطة مرسومة ، تتكون من قسمين
ومقدمة وخاتمة .

المقدمة ، وتتضمن ما يأتي :

- أ - السبب الباعث على اختيار الموضوع .
- ب - بيان خطة البحث .
- ج - بيان منهجي فيه .

القسم الأول في التعريف بالامام النووي وعصره ، وبيئته .

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول ، التعريف بعصره وبيئته ، وفيه ثلاثة مباحث :

الأول : في بيان الحالة السياسية .

الثاني : في بيان الحالة الاجتماعية .

الثالث : في بيان الحالة العلمية .

الفصل الثاني ، في بيان نشأة الامام النووي . وفيه مبحثان :

الأول : في بيان اسمه ونسبه ، وكنيته ولقبه .

الثاني : في بيان أسرته ومولده ونشأته .

الفصل الثالث ، في بيان العوامل التي كونت شخصيته ، وهي نوعان :

النوع الأول ، عوامل عادية . وهي ثمانية :

- ١ - رحلته في طلب العلم .
- ٢ - حلوله بالمدرسة الرواحية .
- ٣ - اجتهاده في الطلب .
- ٤ - كثرة دروسه وسماعاته .
- ٥ - قوة حفظه وكثرة مطالعته .

(ز)

٦ - جلالة شيوخه وغايتهم به •

٧ - توفر الكتب لديه •

٨ - اشتغاله بالتدريس •

النوع الثاني ، عوامل غير عادية ، وهي أربعة :

١ - زهده •

٢ - ورعه •

٣ - تقواه •

٤ - تواضعه •

الفصل الرابع ، في جوانب أخرى من ترجمته ، وفيه أربعة مباحث :

الأول : نصحه وارشاده •

الثاني : مكانته بين أهل العلم وشأنهم عليه •

الثالث : وفاته •

الرابع : مراثيه •

الفصل الخامس ، في آثاره العلمية ، وفيه مبحثان :

الأول : في ذكر تلاميذه وترجمة المبرزين منهم •

الثاني : في ذكر مؤلفاته في الفنون المتفرقة ، للتعريف بها ،

والإشارة إلى مناهجه فيها ، وذكر من خدمها •

وقسمتها إلى خمسة فنون :

- كتب حدیثیة •

- كتب فقهیة •

- كتب تربویة •

- كتب تاریخیة •

- كتب لغویة •

(ح)

فعرّفت في هذا المبحث بالكتب في الفنون الأربعة الأخيرة ،

ببيان مواضعها ، وأسباب تأليفها ، ومن غنى بخدمتها . وأرجأت

الحديث عن الكتب في الفن الأول الى القسم الثاني .

القسم الثاني ، آثار الامام النووي في الحديث وعلومه .

وفيه فصلان :

الفصل الأول ، في بيان أثره في علم الحديث رواية ، وفيه مبحث واحد ،

في بيان مؤلفاته في هذا العلم .

الفصل الثاني ، في أثره في علم الحديث دراية ، وفيه خمسة مباحث :

الأول : في بيان مؤلفاته في هذا العلم .

الثاني : في بيان اجتهاداته في علوم الحديث وموازنتهم

بآراء المحدثين الآخرين ، وفي بيان زياداته فيه على

ابن الصلاح .

الثالث : في اجتهاداته في فقه الحديث .

الرابع : في كلامه في نقد الرجال ، ونقد المتن .

الخامس : في ذكر نماذج من أحكامه على الأحاديث صحة ، وحسناً ،

وضعفا .

الخاتمة ، وتتضمن تلخيص الرسالة بإيجاز .

منهج البحث :

ثم طفقت في اعداده مستعينا بالله ومستلهما منه السداد والرشاد ، ناهجا في اعداده منهاجا متبعا في التصنيف ، وهو الرجوع الى المصادر القديمة التي غنيت بالموضوع ، فجمعت ما استطعت جمعه من تراجمه المفردة ، أو كتب التراجم الأخرى التي غنيت به ، فنقحت ترجمته وهذبتها بما يتلائم مع الأهداف التربوية في تنشئة الأجيال . وعزوت مقتطفات تلك الترجمة الى مواطنها ، ولما فرغت من الترجمة الشاملة والمركزة ، أخذت في ذكر آثاره العلمية ، فترجمت لأبرز تلاميذه ، ثم ذكرت مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة . أما المطبوعة والمخطوطة التي عثرت عليها ، فإن ذكرى لها كان مضمنا توثيق نسبتها اليه ، ثم بيان سبب تأليفها ، ثم ذكر مناهجه فيها ، ثم ذكر رعاية العلماء بها ، وقد أخذ هذا المبحث حيزا كبيرا من الرسالة ، غير أن الفائدة منه كبيرة ، والالتزام قضى بذلك .

أما مؤلفاته الحديثية ، فإن الحاجة الى تفصيل القول فيها وبسطه كانت داعية لمقتضى التخصص ، فاضافة الى التعريف بها وتوثيق عزوها وبيان سبب تأليفها ، وذكر مناهجه فيها ، فأنى درستها ، وبينت مالها وما عليها ، بحيث أغنت تلك الدراسة عن التطلع الى الزيادة لمن كان من أهل العناية ، وعصمته الهداية .

أما آثاره الحديثية الأخرى ، وهي الجوانب العلمية الموروثة عنه ، من ترجيحات وتصويبات واختيارات ، وجرح وتعديل ، وتصحيح وتضعيف ، فأنى قد أوليتها العناية الفائقة والجهد الكامل استقراء وجمعا ودراسة ، فاجتهاداته في علوم الحديث جمعتها من كتابيه التقريب والارشاد ، أو غيرهما ، غير أنني حرصت على جعل التقريب مرجعا أساسيا فيها لذيوه وانتشاره ،

فجمعت نحواً من عشرين مسألة في هذا الفن ، ثم درستها دراسةً موازنةً بكتب
الفن الأخرى وتحقيقات أصحابها .

وفعلت نحو ذلك في اجتهاداته في فقه الحديث التي كان مرجعها
الأساسي هو شرح مسلم ، غير أنني أوجزت دراسة هذا الجانب لكثرتة وشيوعه ،
فلقد جمعت من شرح مسلم وحده ما ينيف عن مائة اجتهاد ، ولم آت منها إلا بنحو
الخمس ، خشية الإطالة ، وحرصت أن يكون المأثري به صورة عن باقيه .

أما كلامه في الجرح والتعديل ، فاني استقرأت مؤلفاته الحديثية
وخرجت منها بنتيجة نقدية أوضحت عدّ الذهبي والسخاوي له ناقداً ، وواظمت
في هذا الجانب كلامه بكلام المشهورين في النقد والمتخصصين فيه .

أما أحكامه على الأحاديث ، فاني اقتطعت نماذج من أحكامه على
الأحاديث صحة وحسن وضعفاً ، ثم درستها وبينت مدى مطابقة تلك الدراسة لأحكامه .
والتزمت في كل رسالتي هذه بعزو الأقوال إلى أصحابها والاقتباسات
إلى مواطنها ، لما في ذلك من بركة العلم وأمانته ، فقد قالوا : من بركة العلم
عزوه لقائله ، وقال الشاعر :

أنص الحديث إلى أهله فإن الأمانة في نصه

كما التزمت بتخريج الأحاديث الواردة في متن الرسالة من كتب السنة
المشرفة ولا سيما البخاري ومسلم وبقية السنن الأربع .

والتزمت — ان كان الحديث في غير الصحيحين — أن أبين حكمه بذكر
حكم من سبق إلى ذلك من أهل الحديث المعتمدين ، الذين يعول على مثلهم
في تلك الأحكام .

كما التزمت بحزب و الآيات الواردة في المتن بذكر السورة ورقم الآية ،
كما انني ترجمت لطائفة كبيرة من الأعلام في بداية الرسالة ، ثم أمسكت

(ك)

عن ذلك لما بدا لي تضخم الرسالة وخشيق النقد ، ولأن كتب التراجم متداولة
فيسهل الرجوع الى معرفة من يراد ترجمته .

ثم أعددت فهرس للآيات والأحاديث والآثار والأشعار والأعلام ،
والمواضيع والأبحاث .

وقد أمدني الله في ذلك كله بعونه وتوفيقه ، فله جزيل الحمد والشكر .
غير أنني أقول أن ما بين الدفتين من هذه الرسالة هو جهد العقل ،
وعمل طالب يخضع للنقاش والأخذ والرد ، ألا أنني قد توخيت الصواب ،
وما ألوت جهدا ولا ادخرت وسعا ، فان كنت قد وفقت ، فذلك ما أرجو
ولله الحمد والفضل ، وان كنت قد أخفقت ، فذلك شأن البشر الذين يوءخذ
من كلامهم ويرد ، وليست العصمة إلا لمن عصمه الله من أنبياء ورسل
— عليهم وعلى نبينا صلوات الله وسلامه — ، كما أعلن لكل من يقع نظره على
هذه الرسالة من أهل العلم ، اذا رأوا عيبا أو زللا ، أن يهدوه الى مشكورين
ومأجورين ومتقبلا بعين الاعتبار ، ورحم الله امرأ أهدى الى عيوبي ، وأتمثل
للجميع بقول الشاعر :

وان تجد عيبا فسد الخلا فجل من لا عيب فيه وعلا

والله أسأل لي ولشيوخي وأحبائي التوفيق والهداية والعناية والسداد .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

القسم الأول

في التعريف بالإمام النجاشي وعصره وبلدته
وفي خمسة فصول.

الفصل الأول

التعريفُ بعصره وبيئته
وفيه ثلاثة مباحث

الأولُ في بيان الحالة السياسية

الثاني في بيان الحالة الاجتماعية

الثالث في بيان الحالة العلمية

الحالة السياسية للقرن السابع الهجرى :

يعتبر القرن السابع الهجرى من الناحية السياسية مكملاً للسياسة التي كان يمر بها العالم الاسلامي في القرنين الخامس والسادس. لأن العالم الاسلامي في هذه القرون كان قد استهدف من قبل أعداء دعوته وعقيدته ، المليبيين الحاقدين ، والمغول العابثين ، وذلك لما راوا أن الفرصة قد أتاحت لهم بانشغال المسلمين بأسباب الفرقة بينهم المتمثلة بالنزاعات المسلحة ، واختلاف الكلمة ، وتعدد الدويلات ، منذ أن بدأ ضعف الدولة العباسية في مطلع العصر العباسي الثاني سنة ٢٣٢ هـ حيث فقدت الخلافة العباسية سيطرتها على الدولة وأصبح الحكم بأيدي قوى أخرى كان لها النفوذ ، ولم يكن للخليفة إلا الرسوم اللهم إلا أن يكون في عاصمة الخلافة بغداد ، ومراعاة العالم الاسلامي في هذا العصر بمراحل يطول ذكرها .^(١)

ولما كان حال الخلافة ما ذكر ، تجرأ العدو المترص بهذه الأمة الدوائر ، وكان مبدأ ذلك التجروء هو عام ٤٩٠ هـ حينما شن الصليبيون حملتهم الاولى على البلاد الاسلامية التي كان يحكمها ان ذاك السلاجقة

(١) هذه المراحل هي العصور التي اعتاد المؤرخون تقسيم العصر العباسي الثاني اليها وهي :

- ١ - عصر نفوذ الأتراك من سنة ٢٣٢ - الى ٣٢٤ هـ .
- ٢ - عصر إمارة الأمراء من ٣٢٤ - ٣٣٤ هـ .
- ٣ - عصر بني بويه من ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ .
- ٤ - العصر السلجوقي من ٤٤٧ - ٦٥٦ هـ ، انظر مطلع العصر العباسي الثاني ، للدكتورة / نادية حسني صقر ص ٤٦ - ٤٧ ، ط الاولى ١٤٠٣ هـ جدة دار الشروق .

(١)

فهاجموا مدينة " نيقية " التي كانت تعتبر آنذاك مركز حكم الأمير السلجوقي " قليج أرسلان " فاحتلوها ثم واصلوا زحفهم نحو الشام ، تسقط بأيديهم البلاد الإسلامية واحدة تلو الأخرى ، فاحتلوا انطاكية ^(٢) ، ومدينة المعرة ^(٣) ثم بيت المقدس ^(٤) ، ثم لم يبقوا عند ذلك الحد ، بل تمادوا في طغيانهم يحميهم ، وفي عدوانهم يشمرون ، فأخذوا يزحفون نحو بلاد الشام ، فاستولوا على بيروت وصيدا وطرابلس وصور وغيرها ، ثم طمعوا في حلب ودمشق ، فأخذوا يعدون العدة لذلك حتى كان عام ٥٢٣ هـ ، حاصروا دمشق تمهيدا للاستيلاء عليها ، لولا لطف الله تعالى بالمسلمين بولاية الاتابك عماد الدين زنكي ^(٥) على بعض بلاد الشام ^(٦) من قبل السلطان السلجوقي محمود البرسقي ، ابتداء من عام ٥٢٠ هـ ، وما أن أخذ منصبه حتى طفق يعد نفسه لمواجهة الصليبيين الذين توسعوا في بلاد الاسلام وكثروا جيوشهم وعظم قوتهم ، فعمل أولا على توحيد البلاد الإسلامية المتفككة ، تحت امرته ، فلقى الترحيب من بعض البلاد ، واحتاج أحيانا الى اخضاع بلاد أخرى بالقوة ، فلما تمكن من توحيد صفوف

(١) نيقية : مدينة من أعمال اسطنبول على البر الشرقي ، معجم البلدان ٣٣٣/٥ .

(٢) انطاكية : هي قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من أعيان

البلاد وأمهااتها ، بينها وبين حلب يوم وليلة ، انظر معجم البلدان ٢٦٦/١ .

(٣) مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص من حلب وحماة ، وتسمى

معرة النعمان . معجم البلدان ١٥٦/٥ .

(٤) انظر شذرات الذهب ٣٩٦/٣ ، ٣٩٧ .

(٥) ولي الموصل وحلب ، وحماة وحمص وعلبك والرها والمعرّة ، وكان

فارسا شجاعا ميمون النقية شديد البأس ، توفي سنة ٤١٠ هـ شهيدا

على يد بعض غلمانه وهونائهم . أ هـ ، شذرات ١٢٨/٤ .

(٦) هي الموصل وأعمالها ، الكامل لابن الاثير ٦٤٣/١٠ .

المسلمين وتجهيز قوة اسلامية كبيرة ، تقف في وجه الزحف الصليبي ، بل وتستخلص منه بلاد الاسلام الذي سهل عليه أخذها واحدة تلو الأخرى وهي متفككة^(١) ، كما كان حال عماد الدين يمكنه من ذلك ، أخذ في انقاذ مدينة حلب التي كانت تتوقع هجوم الصليبيين عليها ، عشية أوضاعها ، فاتجه بقوته نحوها مستوليا على ما مر من البلاد ، حتى اذا ما وصل ، تلقاه أهلها بالترحيب والاستبشار^(٢) ، فلما أمن عليها اتجه نحو دمشق ، وأوقع نكايات بالفة في الصليبيين في طريقه اليها ، لكنه لم يفلح في الاستيلاء عليها لقوة صاحبها جمال الدين ، وأبنائه من بعده ، الذين كانوا يتحالفون لمواجهة عماد الدين ، مع الصليبيين أعداء المسلمين أجمعين ، مما حال بينه وبين الاستيلاء عليها حتى مضى الى سبيله شهيدا سنة ٥٤١ هـ بعد أن أبلى بلاء حسنا في صفوف الغزاة الصليبيين في عدة مواطن ، وأخذ من أيديهم كثيرا من بلاد الاسلام التي استولوا عليها ، وعاشوا فيها الفساد ، فقام بأمر المملكة من بعده ولده نور الدين زنكي الذي حقق الله على يده النصر المؤزر والخير العميم للمسلمين .

(٤)
فأخذ دمشق صلحا اشفاقا على دماء المسلمين سنة ٤٤٥ هـ ، بعد أن رد الله الغزاة الصليبيين في حملتهم الثانية خائبين خاسرين ، بعد أن اتحدت صفوف المسلمين من أهل دمشق واخوانهم من الموصل وحلب ،

(١) انظر جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ، د / فايد حماد محمد

عاشور ص ١٢٩ - ١٨٤ .

(٢) الكامل لابن الأثير ١٠ / ٦٥٠ ط دار صادر بيروت سنة ١٣٨٦ هـ .

والروستين ١ / ٣٠ ، ط دار الجيل ، بيروت .

(٣) ستاتي ترجمته ص ٢٩

(٤) الروستين ١ / ٧٠ ، والكواكب الدرية ص ١٣٥ .

اللتين كانتا بيد سيف الدين زنكي^(١) ، وشقيقه نور الدين زنكي^(٢) ، ثم
واصل نور الدين - رحمه الله - جهاده ضد الصليبيين ، مظفرا مسددا .
وتمكن من ادخال مصر تحت ولايته بعد أن كانت مهددة باستيلاء
الافرنج الصليبيين عليها وذلك عام ٥٦٤ هـ^(٣) ، وقضى بذلك على الفاطميين
بمصر ووحد بين مصر والشام ، فقوى جند المسلمين واشتد ساعده بذلك
على الاعداء ، لاتقوم لهم قائمة الاقمعها ، وغزاهم في غردارهم ،
واستمر حاله على ذلك حتى أدركه الأجل سنة ٥٦٩ هـ ، فلما مات طمعت
الفرنج في البلاد لولا أن الله قبض للمسلمين بعد نور الدين الملك الناصر
صلاح الدين ، الذي جعله الله عليهم سوط عذاب ، منذ أن برز الى
الحياة السياسية ، ولا سيما بعد أن اعتلى على عرش السلطنة بعد عمه
أسد الدين شيركوه عام ٥٦٤ هـ ، ثم على عرش المملكة بعد نور الدين
سنة ٥٧٠ هـ^(٤) الى أن لقي ربه سنة ٥٨٩ هـ ، فأنزل بهم العذاب الأليم
وردهم على أعقابهم خائبين في جل المعارك التي خاضها معهم ، سيما معركة
حطين سنة ٥٨٣ هـ التي أعز الله بها الاسلام والمسلمين ، وأذل^(٥)
اعداء الدين الصليبيين الحاقدين ، وما تلا هذه المعركة من استرداد

-
- (١) سيف الدين زنكي كان فيه دين وخير وشجاعة واقدام ، توفي في
جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ وقد نيف على الأربعين ، شذرات ١٣٩/٤ .
(٢) انظر جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ص ٢١٣ - ٢١٨ .
(٣) الكواكب الدرية ص ١٧٧ ، والكامل ٣٣٩/١١ .
(٤) الروضتين ٢٣٦/١ .
(٥) حطين : موضع بين طبرية وعكا بينه وبين طبرية فرسخان . أ هـ ،
معجم البلدان ٢٧٤/٢ .

بلاد المسلمين التي كانت قد تدنس بالافرنج الخاسرين ، كطبريا (١) ،
وعكا (٢) ، ويافا (٣) ، الى ما بعد بيروت ، ثم فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ (٤)
وكان النصر المؤزر حليفه ، وتأيد الله يصحبه ، حتى وافاه الأجل سنة
٥٨٩ هـ ، ولما لحق بره تبارك وتعالى ، وتقاسم ملكه من بعده أبناءه ،
واختلفت كلمتهم على الملك ، طمعت الأعداء في التشفى من المسلمين
لولا أن الله جلت قدرته تداركهم بلطفه على يد الملك العادل سيف الدين
ت سنة ٦١٥ هـ الذي استطاع أن يوحد كلمة المسلمين تحت إمرته للقاء

-
- (١) طبرية ، بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية ، وتقع
في طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها ، وهى من أعمال
الأردن أ هـ ، معجم البلدان ١٧/٤ .
- (٢) عكا ، اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن ، قال ياقوت:
وهى من أحسن بلاد الساحل في أيامنا هذه ، وهى مدينة حصينة ،
وفتح على يد معاوية - رضى الله عنه - . معجم البلدان ١٤٤/٤ .
- (٣) يافا ، مدينة على ساحل بحر الشام ، من أعمال فلسطين ، افتتحها
صلاح الدين عند فتحه الساحل في سنة ٥٨٣ هـ ، معجم
البلدان ٤٢٦/٥ .
- (٤) الروضتين ٩٢/٢ ، وانظر الأعلام ٢٣٠/٧ ، وانظر النواادر
السلطانية لابن شداد ص ٢٨٩ .
- (٥) هو أبوبكر محمد بن الأمير نجم الدين أيوب ، نشأ في خدمة
نور الدين مع أبيه ، فلما ولى أخوه صلاح الدين ، كان يستشير
ويعتمد عليه لرأيه وعقله ودهائه ، ولم يكن أحد يتقدم عليه
عنده ، فلما مات صلاح الدين استولى على الممالك وجمع به شمل
بني أيوب الذى كاد أن يذهب لتفرقهم بعد صلاح الدين أ هـ
شذرات الذهب ٦٥/٥ ، والجواهر الثمين ص ٢٣٢ .

(١) الصليبيين في حملتهم الخامسة ضد المسلمين ، فبسط سلطته على بلاد الشام ومصر واليمن ، ثم قاوم العدو المشترك الذي كان قد وصل وأخذ بيروت ، وهاجم المسلمين في صور وصيدا وغيرهما ، وذلك في عام ٥٩٣ هـ ، وانتصر عليهم في معركة كبرى قرب غزة ، ثم احتل يافا ، ثم عقد مهادنة بينه وبين الصليبيين لمدة ثلاث سنوات ، ثم جدد الصلح عام ٦٠١ هـ لمدة ست سنوات ، ثم جددّه بعد انتهائه الى عام ٦١٤ هـ ، كل ذلك يفعله لما يراه من المصلحة العامة للمسلمين ، لتفوق الصليبيين عددا وعتادا ، وحتى يتهيأوا لمنازلتهم ، فاحتاج الى فترة كافية من الأمن والاستقرار ، تمكنه من تحصين دولته والعمل على حمايتها من الافرنج الغازين .

غير أن الصليبيين ما فتئوا في هذه الفترات يجمعون جموعهم ، ويعدون عدتهم ، لشن حملة كبرى على بلاد المسلمين ، فما كادت تنتهي سنة الهدنة ، حتى جهزوا أنفسهم لذلك ، لكنهم حولوا وجهتهم في هذه المرة عن الشام الى مصر ، التي أصبحت عاصمة دولته ، فاتجه الافرنج نحو دمياط ، واستولوا عليها بعد معارك ضارية في شعبان سنة ٦١٦ هـ ، ووضعوا السيف في أهلها قتلا وأسرا (٢) ، ولم تزل بأيديهم حتى

(١) الأخبار السنية في الحروب الصليبية ص ٢١٧ ط مصر ١٣١٧ هـ ،
والحملة الصليبية الخامسة د / محمود سعيد عمران ص ٧٩ ،
ط مصر سنة ١٩٧٨ م .

وكان الصليبيون قد جهزوا له الحملة الرابعة في بداية حكمه ، غير أنها انحرفت عن هدفها الاصيل الى اخوانهم البيزنطيين ، واحتلوا مملكتهم وتوقفوا على اثرها ، انظر الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص ١٠٢ ، والحملة الصليبية ص ١٤٧ .

(٢) الحملة الصليبية الخامسة ص ٣١٨ .

استقذها الملك الكامل^(١) سنة ٦١٨ هـ بعد موت أبيه بعد أن أحبط
مؤامرتهم وردهم على أعقابهم مكرهين خائبين .^(٢)

وكانت دمشق في هذه الفترة بيد الملك المعظم عيسى بن الملك
العاقل^(٣) من حين وفاة والده سنة ٦١٥ هـ وهو عون لأخيه الكامل فسي
مواجهة الافرنج ، كما كانت ديار الجزيرة ، وأرمينية ، وغيرها بيد أخيه
الملك الأشرف ، الذي كان ردءاً له في هذه المعركة كذلك^(٤) ، غير أن هذا
الوفاق لم يستمر بل سرعان ما تشتت الآراء التي تطمع الأعداء ، وذلك
عندما مات أخوه الملك المعظم صاحب دمشق سنة ٦٢٥ هـ ، وأخذ

(١) هو الملك الكامل محمد بن العادل أبو بكر بن أيوب ، ولده أبوه مصر
في حياته ، فظل عليها تحت جناحه عشرين سنة ، وبعد وفاة
أبيه سنة ٦١٥ هـ استقر ملكه عليها فمكث عشرين سنة أخرى ،
وكان صحيح الاسلام معظماً للسنة وأهلها ، محباً لمجالسة
العلماء ، وكان حازماً في أموره لا يضع الشيء إلا في موضعه ،
وتوفي سنة ٦٣٥ هـ بقلعة دمشق . شذرات الذهب ١٢٢ / ٥ ،
والجوهر الثمين ص ٢٣٥ .

(٢) التاريخ الاسلامي د / ابراهيم الشريقي ص ٢٠١ ط ١٣٩١ هـ ،
الكامل لابن الاثير ٣٣٠ / ١٢ ، وانظر الحروب الصليبية في المشرق
والمغرب ، لمحمد العروسي المطوى ص ١٠٧ ط بيروت ١٩٨٢ م .

(٣) هو عيسى بن محمد ، الملقب بالملك العادل ، أبو بكر بن أيوب سلطان
الشام ، وكان من علماء الملوك ، حنفي المذهب ، فقيهاً أدبياً له
مصنفات ، منها شرح الجامع الكبير للشيباني في عدة مجلدات ،
والسهم المصيب في الرد على الخطيب ، وكتاب في العروض ، وديوان
شعره ، وكان وافر الحرمة فارساً ، شجاعاً ، ولم يكن يركب بالموكب
السلطانية ازدراءاً لها ، توفي عام ٦٢٤ هـ ١٠ هـ ، شذرات ١١٥ / ٥ ،
الأعلام ١٠٧ / ٥ .

(٤) الكامل ٣٢٧ / ٢

بزماء الملك فيها ابنه الناصر داود بن المعظم ^(١) ، يقول ابن كثير عمن
 هذا الحال في حوادث سنة ٦٢٦ هـ ^(٢) : استهلكت هذه السنة وملوك بني
 أيوب مفترقون مختلفون قد صاروا أحزابا وفرقا ، وقد اجتمع ملوكهم إلى
 الكامل محمد صاحب مصر ، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف ، قال : فقامت
 نفوس الفرنج لعنهم الله بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر ، ويموت
 المعظم واختلاف من بعده من الملوك ، فطلبوا من المسلمين أن يردوا
 إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ منهم ، قال : فوقعت المصالحة
 بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده ، وتبقى بأيديهم
 بقية البلاد ، قال : فتسلموا القدس الشريف ، وكان المعظم قد هدم
 أسواره ، قال : فعظم ذلك على المسلمين جدا وحصل وهن شديد ،
 وإرجاف عظيم ، فإننا لله وإننا إليه راجعون . أ هـ

ثم إن الكامل انتزع دمشق من ابن أخيه الناصر داود ، بعد
 أن ضيق على أهلها ، فقطع الأنهار ، ونهبت الحواصل ، وغلت الأسعار ،
 وسلمها لأخيه الأشرف ^(٣) ، كما أخذ حماه من صلاح الدين وسلمها
 لأخيه الأكبر الملك المظفر . ^(٤)

(١) هو الملك الناصر داود بن المعظم بن العادل ، ملك دمشق
 بعد أبيه ، ثم أخذها منه عمه الأشرف ، فتحول إلى الكرك ،
 فملكها إحدى عشرة سنة ، وكان حنفيا فاضلا مناظرا ذكيا ،
 جوادا ، شاعرا ، وتوفي رحمه الله بظاهر دمشق سنة ٦٥٦ هـ ،
 شذرات الذهب ٢٢٥/٥ .

(٢) البداية والنهاية ١٢٤/١٣ .

(٣) الكامل ٤٨٦/١٢ ، ودول الاسلام ١٣٣/٢ ، وذيل
 الروضتين ص ١٥٤ ، ومراة الجنان ٥٤/٤ .

غير أن بيت المقدس لم تدم طويلا بأيدي الصليبيين ، ذلك أن
 ما أقدم عليه الملك الكامل من تسليمها إليهم ، إنما كان سياسة منه
 اقتضاها الحال الذي كان يمر به داخليا وخارجيا ^(١) ، فلما سنحت الفرصة
 لاستردادها لم يتوان المسلمون في ذلك ، وذلك عندما ولي الملك ، الملك
 الصالح أيوب ^(٢) ، بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٣٧ هـ ، فاستعاد بيت
 المقدس سنة ٦٣٧ هـ ^(٣) ، ومهما كانت دوافع هذا الاسترداد ، فإن
 بيت المقدس عادت إلى سلطة المسلمين نهائيا ، ولم يقدر جيش مسيحي
 أن يقترب منه إلى أن جاءت الحرب العالمية الأولى ^(٤) ، فقد حاول
 الصليبيون استردادها في حملتهم السابعة العظيمة الخاسرة فلم يفلحوا
 ولم ينجحوا ، وقتلت أبطالهم وأسروا ملكهم فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة ^(٥) ،
 وصدق الله إذ يقول : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ ^(٦) .

-
- (١) انظر الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص ١١٤ .
 - (٢) هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن
 أبي بكر ، العادل ، بن أيوب ، ولد ونشأ بالقاهرة وولي الملك بعد
 خلع أخيه العادل ، وضبط الدولة بحزم ، وكان شجاعا مهييما ،
 غفيا ، صموتا ، وعمر كثيرا ، وتوفي سنة ٦٤٧ هـ . الاعلام ٣٨/٢ ،
 والجواهر الثمين ص ٢٤٢ ، والشذرات ٢٣٧/٥ .
 - (٣) انظر الحركة الصليبية ٩٩٥/٢ ، والتاريخ الاسلامي ص ٢٠٣ ،
 والحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص ١١٧ ، وانظر المختصر
 في أخبار البشر لابن كثير ١٦٥/٣ .
 - (٤) الحركة الصليبية ٩٩٨/٢ .
 - (٥) انظر الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص ١١٧ - ١٢٢ .
 - (٦) سورة الروم آية ٤٧ .

غير أن هذا الفتح المبين ، لم يكن له أثر كبير في قلوب ملوك
 الأيوبيين آنذاك ، لما كانوا عليه من التمزق والاختلاف والحروب التي
 كانت تصل بهم الى درجة التحالف مع عدو المسلمين أجمعين ، الصليبيين
 الحاقدين على اخوانهم في الدين والنسب ^(١) ، حتى تجرأ ذلك العدو على
 مواصلة حملاته على بلاد الاسلام ، فشن حملته السابعة على مصر
 سنة ٦٤٧ هـ لقصد الاستيلاء عليها حتى يهون بعد ذلك أخذ القدس
 الشريف ، وما شاء من بلاد الاسلام ، غير أنه لم يفلح كما تقدمت
 الإشارة اليه .

وفي أثناء هذه الحملة توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب
 سنة ٦٤٧ هـ ، الذي يعتبر آخر ملوك الدولة الأيوبية ومن أعظمها ،
 إذ لم يل بعده المملكة من هذه السلالة الابنه " توران شاه " ، الذي لم
 يلبث في المملكة الا نحو شهرين ثم لحق بأبيه شهيدا على يد مماليكه
 الذين أخذوا المملكة بعده ابتداء من عام ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ ، وكان
 حكمهم على مصر والشام وغيرها من البلاد الاسلامية بعد أن احتفظت
 الشام ببقايا الأيوبيين فترة من الزمن بعد مقتل الملك الاعظم توران شاه ،
 حاولت فيها استرداد سلطتها على مصر من مماليكهم ، فلم يفلحوا ، حتى
 كان عام ٦٥٨ هـ دخلت دخولا فعليا تحت إمرة المماليك واصبحت ولاية
 من ولايات دولتهم . ^(٢)

(١) انظر المختصر في أخبار البشر ١٧٢/٣ .

(٢) انظر دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ص ١٨ - ١٩ ، وولاية

دمشق في عهد المماليك ص ٩ .



غير أن الوضع السياسي لم يتغير بتغير هذه الدولة ، فان الوصف الذي مرت به الدولة الأيوبية ، مرت بعثله دولة المماليك أو قريبا منـه .
فلئن كان الأيوبيون قد ذاقوا الأمرين في الحروب الصليبية التي أقضت مضاجع المسلمين قرنين كاملين ، وكان معظمها في الدولة الأيوبية .
فان المماليك قد ذاقوا أمر من ذلك من أشرس عدو في التاريخ للإسلام والمسلمين ، بل وللعالم كله ، ذلك العدو ، هم المغول العابثون ، الذين جاسوا خلال الديار في كثير من البلاد ، وعاثوا في الأرض الفساد ،
فأنصب عليهم ربك سوط عذاب ^(١) على أيدي المماليك - غنى الله عنهم - .

فإن المماليك ماكادوا يثبتون أقدامهم على عرش مملكتهم ، حتى شعروا بالخطر العظيم الذي بات يهدد أمنهم وأمن المسلمين ، وذلك حينما قدمت جحافل الجيش المغولي بقيادة ملكهم هولاكو إلى بغداد سنة ٦٥٦ هـ واستحلها ، وقضى على الخلافة العباسية ، وسفك دماء المسلمين ، وهتك أعراضهم بما لا يطاق وصفه ^(٢) .

ثم اتجه نحو الشام سنة ٦٥٧ هـ ، بعد أن تحالف مع الصليبيين ضد المسلمين ، فدخلوا حلب وفعّلوا فيها نحو ما فعلوا في بغداد من القتل والتهتك والدمار ^(٣) .

وبعد أن استحلت بيضة حلب ، اتجه المغول العابثون نحو دمشق ، ليفعلوا فيها نحو ما فعلوا في سابقتيها بغداد وحلب ، ولكن الله ^(٤) سلمهم .

(١) سورة الفجر آية ١٣ .

(٢) انظر البداية والنهاية ٢٠٠ / ١٣ ، والشذرات ٢٢٠ / ٥ ، ومراة

الجنان ١٣٧ / ٤ ونحوها .

(٣) انظر مؤرخ المغول الكبير ص ٤٩ ، والمختصر في أخبار البشر ٢٠٠ / ٣ .

(٤) سورة الأنفال آية ٤٣ .

حيث سارع أهالي دمشق من وجهاء وأعيان الى هولاكو ، وقدموا له الهدايا والتُخفَ ، وسلموه مفاتيح المدينة ، وأظهروا له الانقياد والطاعة ، فدخل المغول المدينة دون إراقة دمآء ، « وكفى الله المؤمنين القتال » (١) ، الا ما كان من قلعة دمشق التي أبى أهلها إلا المقاومة ، فقاوموا فترة وجيزة ، ثم استسلموا (٢) ، وعلى إثر هذا الاكتصاح الغاشم بمعاونة الصليبيين ، " سنحت الفرصة للصليبيين بالتشفى والانتقام من المسلمين ، فنظموا مواكب عامة كانوا ينشدون فيها الأناشيد ، ويحملون الصلبان ، ويجبرون المسلمين على أن يقوموا احتراماً لها ، ومن أبى تعرض للسب والاهانة وبلغ بهم التحدى أقصاه ، فدقوا النواقيس ، وتظاهروا بالخرق في نهار رمضان ، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات ، كما صبوه على أبواب المساجد ، فأراد المسلمون أن يستنصفوا عند طاغيتهم ، فقابلهم بالاهانة والضرب وتشجيع المسيحيين بزيارة كنائسهم وتعظيم رجالهم " (٣) .

ثم لم يكتف هذا العايب بما فعل في العراق والشام ، إضافة الى ما سبق له في سائر البلاد ، بل أمر قائده (كيتوبوقا) بتحرير ريش من الصليبيين ، أن يغزو أرض مصر ، الذي انتقلت اليها دولة المسلمين وعاصمتهم بعد سقوط بغداد ودمشق ، فاتجه ذلك بجيشه المكون من عشرة آلاف مقاتل في عام ٦٥٨ هـ ، وقفل هولاكو راجعاً الى عاصمة دولته ايران لتدبير شؤنه في عاصمته ، واكتفى بتمهيد الطريق لقائده " كيتوبوقا " .

(١) سورة الاحزاب آية ٢٥ .

(٢) مؤرخ المغول الكبير ص ٥٠ ، والمختصر في أخبار البشر ٢٠٣/٣ ،
والبداية والنهاية ٢١٩/٣ ، وذيل الروضتين ص ٢٠٨ .

(٣) مؤرخ المغول الكبير ص ٥٠ .

للفوز ، فأرسل رسالة الى الملك المظفر " قطز " ^(١) ، يتهدده ان لم يسلم البلاد طائعا ، بنحو ما فعل في بغداد وحلب وغيرها من الأرض ، غير أن ذلك لم يحرك ساكنا عند الملك المظفر ، بل قتل رساله ، واستعد للقاءه ، ثم سار بجيشه بقيادة الظاهر بيبرس البندقدارى ^(٢) ، فالتقى الجمعان عند عين جالوت في الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٦٥٨ هـ ، حيث دارت الحرب رحاها ، بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين من مغول ونصارى ، وهناك حق نصر الله للمؤمنين ، وأخذ الله الكافرين بأيدي المؤمنين أخذ عزيز مقتدر ، ان لم ينبج من سيوف المسلمين أحد من

(١) هو قطز بن عبد الله المعزى ، ثالث ملوك الترك المماليك ، ولى سلطنة مصر بعد خلع المنصور بن المعز سنة ٦٥٢ هـ ، فأعز الله به الاسلام والمسلمين ، حيث كسر التتار كسرة جبر بها الاسلام وذلك في عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ، واستعاد منهم الشام ، وكان بطلا شجاعا حازما ، مواظبا على الصلاة ، وتوفى شهيدا على يد الظاهر بيبرس عند عودته الى مصر بعد وقعت عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ . ذيل الروضتين ص ٢١٠ ، وشذرات الذهب ٥/٢٩٣ ، والأعلام ٥/٢٠١ .

(٢) هو الملك الظاهر بيبرس العلائى البندقدارى ، كان مملوكا للأمير علاء الدين ايدكين البندقدارى ، فأعتقه ، وكان أول منصب شاغرتولاه ، قيادته لعسكر الملك المظفر قطز ، وذاع صيته بعد وقعت عين جالوت ، حيث أبلى بلاء حسنا ، وهزم التتار ، فوعده قطز بمكافأة على بلاءه ، ولم يف بها ، فقتله الظاهر واعتلى عرش السلطنة مكانه سنة ٦٥٨ هـ بعد عودته من فلسطين ، فأيد الله به الاسلام ، حيث كانت له الفتوحات العظيمة ، وتوفى - رحمه الله - سنة ٦٢٦ هـ وهو بدمشق . الشذرات ٥/٣٥٠ ، والأعلام ٢/٢٩٦ .

النصارى والمغول الأ من ولى الأديار ، وطرده الى وكره ، حتى قائد المغول
 " كيتوبوقا " ، فإنه أُسر وقتل بين يدي الملك الظاهر شرقية (١) .

وهكذا نصر الله جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، بعد أن كانت
 القلوب قد يئست من النصر على هذه الأمة العابثة ، لاستيلائهم على معظم
 البلاد الاسلامية ، ولأنهم ما قصدوا اقليما الا فتحوه ، ولا عسكرا الا هزموه ،
 الى أن كانت هذه الموقعة ، موقعة عين جالوت ، التي أعز الله فيها
 الأسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، وصدق الله اذ يقول :
 ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ (٢)
 وما أحسن قول القائل : (٣)

غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركي يجود بنفسه
 بالشام أهلكتهم وبدد شملهم ولكل شيء آفة من جنسه
 فلما انجلى غبار هذه المعركة بالنصر المؤزر ، دخل الملك المظفر
 بلاد الشام دمشق ، وحلب ، وغيرها دخول الظافر من غير منازع ولا منافس ،
 بل دخلها في أبهة عظيمة ، فرح به الناس فرحاً شديداً ، ودعوا له
 دعاء كثيراً (٤) .

ثم جعل عليها ولاته ، ففوض نيابة السلطنة بدمشق الى الأمير
 علم الدين سنجر الحلبي ، وفوض نيابة السلطنة بحلب الى الملك السعيد

(١) انظر مؤرخ المغول الكبير ص ٥٣ - ٥٦ ، والمختصر في أخبار

البشر ٢٠٥/٣ ، والبداية والنهاية ٢٢٠/١٣ .

(٢) سورة الروم آية ٤٧ .

(٣) هو أبو شامة المؤرخ ، انظر نذير الروضتين ص ٦٠٨ .

(٤) البداية والنهاية ٢٢٢/٣ .

ابن بدر الدين لولو صاحب الموصل ^(١) ، واتجه بعد ذلك الى مصر عاصمة دولته ، فلم يكتب له الوصول اليها ، بل أدركته منيته شهيدا في الطريق على يد قائد جيشه الظاهر بيبرس ، لما لم يكافئه على انتصاره الساحق على التتار بولايته حلب حسب ما كان قد وعده بها ، وكان ذلك في ذى القعدة من سنة ٦٥٨ هـ ، وبذلك اعتلى بيبرس البندقدارى عرش السلطنة بمصر ، وتلقب بالملك الظاهر ، واستمر فيها الى أن توفى سنة ٦٧٦ هـ ^(٢) ، بعد أن أحيا الخلافة العباسية التي كان قد قوضها الطاغية هولاء ، وذلك لأجل تثبيت عرشه ، واكتساب الصبغة الشرعية في ولايته على المسلمين ، فاستدعى الامام المنتصر بالله أحمد بن الامام الظاهر بالله محمد بن الامام الناصر ، وعقد مجلسا لاثبات نسبه ، حضره القضاة والعلماء والأمراء وسائر أرباب الدولة ، وبايعه بالخلافة على كتاب الله وسنة رسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وأخذ أموال الله بحقوقها ، وصرفها في مستحقها ، ثم أخذ له البيعة من الناس على اختلاف طبقاتهم ، فأقر الخليفة العباسي بعد ذلك الظاهر بيبرس بالسلطنة ، وألبسه خلعة السلطنة ، وهى جبة بنفسجية اللون وعمامة سوداء ، وطوق من ذهب ، وسيف ، وكان ذلك سنة ٦٥٩ هـ ^(٣) ، فلما وطد السلطان الظاهر نفسه بالولاية على الشام

(١) المختصر في أخبار البشر ٢٠٧/٣ .

(٢) البداية والنهاية ٢٢٢/١٣ ، والروض الزاهر في سيرة الملك

الظاهر ص ٧٠ .

(٣) الروض الزاهر ص ٩٩ ، والبداية والنهاية ٢٣١/١٣ ، والظاهر

بيبرس حياته وعصره ص ٦٥ ، والجوهر الثمين ص ١٨٠ .

ومصر وغيرهما من بلاد الاسلام من الخليفة الشرعي ، أخذ حينئذ يواصل
 الجهاد ضد الصليبيين والمغول ، ففي سنة ٦٥٩ هـ أخذ الشوك ،^(١)
 ثم صالح ملك الكرك لما طلب منه ذلك .^(٢)

وفي عام ٦٦١ هـ ، فتح مدينة عكا التي كانت بأيدي الصليبيين ، ثم
 الكرك^(٣) لما لم يف ملكها بشروط الصلح .^(٤)

وفي سنة ٦٦٣ هـ فتح قيسارية^(٥) من أيديهم ، حينما لم يجد
 التتار الذين كان قد خرج لهم ، فلم يرجع من غير جهاد .^(٦)

وفي عام ٦٦٤ هـ ، خلص حصص^(٧) من حملة الافرنج ، وهاجم صفد^(٨)

(١) الشوك ، قطعة حصينة في أطراف الشام بين عمّان وأيلة قرب الكرك ،

معجم البلدان ٣/٣٧٠ .

(٢) الروض الزاهر ص ١٢١ .

(٣) الكرك ، اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام نواحي البلقاء ،

معجم البلدان ٣/٤٥٣ .

(٤) الروض الزاهر ص ١٥٨ - ١٦٦ .

(٥) قيسارية ، بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين ،

بينها وبين طبرية ثلاثة أيام ١٠ هـ ، معجم البلدان ٤/٤٢١ .

(٦) الروض الزاهر ص ٢٣٠ ، والبداية والنهاية ١٣/٢٤٤ .

(٧) حصص ، بلد مشهور كبير ، بين دمشق وحلب في نصف الطريق ،

معجم البلدان ٢/٣٠٢ .

(٨) صفد ، مدينة في جبال عامله المطلّة على حصص بالشام ، وهي من

جبال لبنان . معجم البلدان ٣/٤١٢ .

واستخلصها من أيدي الصليبيين ، وأنزل بهم السيف قتلا ، بعد أن
(١) خفروا الشرط الذي يخرجون به سالمين من غير حمل سلاح ولا آلة حرب .

ثم طلب منه سنة ٦٦٥ هـ هدنة مع بقايا الصليبيين في بيسروت ،
(٢) فعهدها مع ملكة بيروت لمدة عشرين سنين ، استغلها لمواصلة جهاده في
البلاد التي هي أكثر أهمية ، ففي سنة ٦٦٦ هـ استولى على مدينة يافا ،
(٣) ثم حصن شقيف أرزون (٤) ، ثم اتجه نحو انطاكية في نفس السنة ،
وكان سقوطها على الصليبيين كارثة كبرى ، لكونها كانت أكبر إمارة صليبية في
الشام ، وكانت سندا قويا للحروب التي شنت على المسلمين .
(٦)

وهكذا لم تفرهمة السلطان الظاهر الحربية عن مناوأة الصليبيين ،
فكان يستولى على معاقلمهم الواحد بعد الآخر ، رغم ما كان يصل اليهم من
المدد من أوربا ، حتى تم له تحقيق الكثير من رغباته ومآربه فيهم ، نصرا للدين
واعزازا للمؤمنين .

ولم ينخدع في ذلك عن العدو والدود للبشرية عامة ، وللمسلمين خاصة ،
وهم المغول ، الذين نسوا ما حل بهم في موقعة عين جالوت (٧) ، فبدءوا

-
- (١) الروض الزاهر ص ٢٦٠ ، والمختصر في أخبار البشر ٣/٤ .
 - (٢) قيام دولة المماليك في مصر والشام ص ٢٣٨ ، والروض الزاهر ص ٢٢٣ .
 - (٣) المختصر في أخبار البشر ٤/٤ ، والروض الزاهر ص ٢٩٢ .
 - (٤) الروض الزاهر ص ٢٩٥ .
 - (٥) شقيف أرزون ، قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب بانياس
من أرض دمشق .
 - (٦) المختصر ٤/٤ .
 - (٧) عين جالوت ، بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين ، أه
معجم البلدان ١٢٢/٤ .

في سنة ٦٦٣ هـ يغيرون على البيرة ^(١) وحاصروها ونصبوا عليهم ~~سـ~~
المجانيق ، فجهز لهم جيشا لمحاربتهم ، فلما علم التتار بذلك ولوا ^{سـ} هاريسين ،
تاركين وراءهم عددهم وأثقالهم طعمة سائغة للمسلمين ^(٢) ، وهكذا
﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ﴾ ^(٣) على يد السلطان الظاهر ،
فلم تقم لهم قائمة ، ولا تمت لهم كلمة ^(٤) ، الى أن لقي الظاهر بيبرس ^{سـ}
سنة ٦٧٦ هـ ، وكذا بعد وفاته حين تعاقب خلفاؤه على الملك بعده
ابنه الملك السعيد ^(٥) سنة ٦٧٨ هـ ، ثم الملك المنصور قلاوون الصالح ^(٦)
سنة ٦٧٨ هـ الذي تربع على عرش السلطنة ، وسار على نهج الظاهر من
اعزاز الدين ، وكبح جماح أعداء الدين ، وأعداء المسلمين ، الى أن وفاه
الأجل سنة ٦٨٩ هـ ^(٧)

-
- (١) البيرة بلد بين حلب والثغور الرومية ، وهي قلعة حصينة ،
معجم البلدان ٥٢٦/١ .
(٢) الروض الزاهر ص ٤٠٥ .
(٣) سورة المائدة آية ٦٤ .
(٤) انظر المختصر في أخبار البشر ٢٠٩/٣ ، ٩/٤ ، ١٤ ، ٤٨ .
(٥) هو الملك السعيد محمد بركة خان ، ابن الملك الظاهر بيبرس ،
استقل بالسلطة بعد وفاة أبيه ولم يدم طويلا في السلطنة لسوء
تصرفه ، بل خلع ونفى الى الكرك بعد سنتين من ولايته ، وبها
مات سنة ٦٧٨ هـ ، الشذرات ٣٦٢/٥ ، والجواهر الثمين ص ٢٨٦ .
(٦) تولى المملكة بعد خلع العادل سلامش بن السلطان الملك الظاهر ،
الذي ولي السلطنة بعد خلع أخيه ، فاستمر خمسة أشهر ، ثم
خلعه قلاوون الصالح واستقل بالملك مكانه ، وكان له مواقف
مشهودة في نصرة الاسلام والمسلمين ، حيث كسر التتار على
حمص ، وغزا الفرنج غير مرة ، وتوفي سنة ٦٨٩ هـ . الجواهر
الثمين ص ٢٩٥ ، والشذرات ٤٠٩/٥ .
(٧) انظر البداية والنهاية ٢١٨/١٣ - ٣١٢ .

الحالة الاجتماعية :

إن الحديث عن الحالة الاجتماعية لأي بلد ، وفي أي زمان ،
يعني الحديث عن سكان المجتمع من حيث الفوارق الحياتية والمعتقدات
الدينية .

وحيث إن الحديث الآن عن الحالة الاجتماعية للبلاد الشامية في
القرن السابع الهجري ، فانه يلزمني أن أقول :

إن الحديث عن المجتمع الشامي في القرن السابع الهجري ذو طرفين :

الأول : عن تقسيم ساكنيه .

الثاني : عن ديانتهم .

أما الطرف الأول : فإن الحديث عنه يقتضي أن يكون من خلال طبقات

الساكين ، إذ أنهم كانوا ذوي طبقات متفاوتة ، وهي :

• طبقة الحكام

• العلماء

• العمال ذوي المهن المختلفة — من زراع وتجار وصناع .

أما طبقة الحكام ، من ملوك وسلاطين وأمراء ، فقد كانوا جميعاً

في القرون التي مضى الحديث عنها حكاماً مسلمين ، يطبقون تعاليم
الاسلام ، قولاً وسلوكاً ، فلا ترى أحداً منهم حاد عن الاسلام في نفسه
ولا في رعيته ، فقد كانت شعائر الدين قائمة ، وكلمة الحق عالية ، أيا كان
صاحبها ، كما أن استمرار الجهاد مدة تلك القرون لم يشغلهم

عن احياء الدين وتعاليمه ، حتى غدت الشام مصدر اشعاع
العلم في القرن السادس والسابع ، فكلم من عالم نبغ ، وكلم من كتاب ألف ،
بعد أن كاد يختفى خلال القرنين الخامس والسادس ، وإذا ما أردت^(١)

(١) كما ستأتي الإشارة إليه ص ٥٤

البراهين على ذلك ، فلا يعوزني أن أقول: إن على القارئ أن يرجع الى تراجم الذين تعاقبوا على الحكم في تلك الحقبة ، وهم عماد الدين زنكي ، ونور الدين زنكي ، صلاح الدين الأيوبي ، والعاقل سيف الدين ، فإنه سيرى الأمثلة على ذلك كثيرة ، ولا يمنعني من ذكرها الا خشية الإطالة ، لذلك فأنني سأقتصر للتدليل على ذلك بصور من القرن السابع نفسه ، الذي استهل في ظل الدولة الأيوبية ، وأقل في ظل دولة المماليك ، وأبرز من حكم فيه منهم ، هم — الملك العادل ٥٨٩ — ٦١٥ هـ ، والملك الأشرف موسى بن الملك العادل ٦٢٦ — ٦٣٥ هـ ، والملك الصالح أيوب ٦٣٥ — ٦٤٣ هـ .

ومن المماليك — الظاهر بيبرس ٦٥٩ — ٦٧٦ هـ .

أما الملك العادل ، فقد كان كما قال أبو شامة ^(١) : دينا متصفا ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، طهر جميع ولايته من الخمر^(٢) ، والخواري^(٣) ، والقمار ، والمخانيث ، والمكوس ، والمظالم^(٤) . قال : وكان الحاصل من هذه الجهات ، بدمشق على الخصوص ، مائة ألف دينار ، فأبطل الجميع لله تعالى . قال : وأقام رجالا على أعقاب قاسيون ، وجبل الثلج ، وحوالي دمشق بالجامكية والجرارية يحرمون أحدا يدخل دمشق بفسك ، قال : فكان أهل الفساد يتحيلون ويجعلون زقاق الخمر في الطبول ، ويدخلون بها الى دمشق ، فمنع من ذلك . قال : ولقد فعل العادل في غلاء مصر ما لم يفعل غيره ، كان يخرج بالليل بنفسه ، ومعه الأموال يفرقها على أرباب البيوت والمساكين ، ولولا له مات الناس

(١) ذيل الروضتين ص ١١١ .
 (٢) القمار ، كل لعب فيه مراهنة . المعجم الوسيط ٧٥٨/٢ .
 (٣) هم الذين أخلاقهم كأخلاق النساء في الحركات والهيئات والكلام ، القسم الثاني من تهذيب الاسماء واللغات ص ١٠٠ .
 (٤) الماكسة ، المناقصة ، والمكوس ، هي الأموال التي تأخذها الظلمة من أموال الناس . القسم الثاني من تهذيب الأسماء واللغات ص ١٤١ .

كلهم ، قال : وكان اذا مرض أو تشوش مزاجه ، خلع جميع ما عليه وباعه ، حتى فرسه ، وتصدق به . أ هـ

ومن آثاره العلمية ، بناؤه المدرسة العادلية الكبرى ، قال في المدارس ^(١) : بناها بناءً متقناً محكماً لانظير له في بناء المدارس .

وأما الملك الأشرف ، فقد كانت البلد في عهده كما قال ابن كثير : ^(٢) في غاية الأمن والعدل ، وكثرة الصدقات والخيرات . قال : وكانت القلعة لا تغلق في ليالي رمضان كلها ، وصحون الحلوى خارجة منها الى الجامع والخوانق والربط ^{سُـ} والصالحية ، والى الصالحين والفقراء والروءساء وغيرهم ، قال : وكان أكثر جلوسه بمسجد أبي الدرداء الذي جدده وزخرفه بالقلعة . قال : وكان ميمون النقيية ، ماكرت له راية قط ، وقد استدعى الزبيدي من بغداد حتى سمع هو والناس عليه صحيح البخاري وغيره . قال : وكان له ميل الى الحديث وأهله .

وكان حين تسلم البلد قد وجد الناس قد اشتغلوا بعلم الأوائل في أيام الملك الناصر داود ، فنادى الملك الأشرف بالبلدان ، أن لا يشتغل الناس بذلك ، وأن يشتغلوا بعلم التفسير والحديث والفقه .

ومن مآثره الكثيرة ، دار الحديث الأشرفية ^(٣) التي تعاقب على مشيختها الكثير من الحفاظ المحدثين .

(١) ٣٦١/١ .

(٢) في البداية والنهاية ١٤٨/١٣ ، وانظر مرآة الزمان ٧١٤/٢ .

(٣) انظر المدارس ١٩/١ .

أما الملك الظاهر بيبرس ، فكان كما يقول صاحب " المناقب السريه
المنتزعة من السيرة الظاهرية " : ^(١) كان الملك الظاهر قد ملك فأسجح ، وسعى
في ذات الله فأنجح ، وقام بأعباء السلطنة أيما قيام ، وسهر في إقامة منار
الاسلام والناس نيام ، وأعمل الركاب في قطع شوكة عدو الله من الفرنج
والتتار ، وجاء النصر فكانما كانا على ميعاد . ١٠ هـ

وكان أحسن مَثَلٍ للحاكم العادل ، يجلس بنفسه للمظالم فيقضي بين
الناس بالعدل ، ويرد الحقوق الى أصحابها ، ويضرب على أيدي العابثين
بالنظام والأمن ، ولو كانوا من خاصته .

كما كان يعطف على الفقراء والمعوزين ، كما ظهر جليا عندما اشتدت المجاعة بالناس سنة ٦٦٢ هـ ، وعدمت الأقوات ، وضع الفقراء من الجوع ، فأحصاهم وكلف كل أمير بالانفاق على عدد معين ، وتولى هو بنفسه الانفاق على خمسمائة فقير ، وشمل عطفه حتى ذوى العاهات ، فإنه نقلهم الى مدينة الفيوم ، وأفرد لهم بلدة تغل عليهم ما يكفيهم . (٢)

فهذا أنموذج لأبرز من حكم في هذا القرن ، وانظر كذلك ترجمة
الملك الأشرف موسى بن العادل . (٣)

فهذه هي حالة الولاية مع الرعية، في إقامة الشرع الخفيف .
ولاريب في صلاح المجتمع ونزاهته اذا كان ولائه على نحو ما ذكر ،
لان الناس على دين ملوكهم ^(٤) ، كما قيل ، ومعلوم أن الملك الصالح في نفسه

(١) انظر الظاهر ببيرس وحضارة مصر في عصره ص ١٢١ .

(٢) " " " " " " ص ١٧٢ ، وانظر السلوك

للمقريزي / القسم الثاني ٥٠٧ - ٥٠٨ ، ٥٥٣ و ذيل مرآة

• الجنان ٥٥٦/٣

(٣) في الشذرات ٥٥٣/٣ .

(٤) انظر المقاصد الحسنة ص ٤٤١ •

المحب لرعيته ، يحمي مجتمعه ورعيته من كل نقص خلقي ، ويحرص على أن يوفر لهم كل كمال حسي ومعنوي .

أما طبقة العلماء :

فانهم كانوا يمثلون نسبة كبيرة في ذلك القرن بالموازنة بين نسبهم في القرون والبلدان الأخرى ، وذلك لما تعاقب على بلاد الشام من حكام يحبون العلم ويكرمون أهله ، ويساهمون في تنمية الحياة العلمية ، بيناء المدارس ، واعطاء الجرايات للعلماء والطلاب ، حتى نشأ من البلد ثلثة من حملة العلم ، ووفد إليها من خارجها ثلثة أخرى طمعا في احسان ولاية الشام لهم ، وفرارا بأرواحهم من وجه الحملات المغولية والصليبية ، شرقا وغربا ، وكانت دمشق البلد التي لاتصل إليها الأطماع ، لحرص ولايتها على صونها من أيدي العابثين ، فكانوا يخرجون لملاقات الأعداء بعيدا عن دمشق حتى تبقى البلد آمنة بما فيها من نساء وأطفال ، فكانت هي البلد الذي يلقي فيها العلماء عصا التسيار ، فازدادت بذلك تقدما وازدهارا ، وانتشرت حركة العلم في التعليم والمؤلفات في مختلف الفنون الدينية والدنيوية .

وكان العلماء يشعرون بعزة العلم وهيئته على الحكام فمن دونهم ، فلا يضعهم من القول بالحق على ما هو معلوم لديهم ، جور سلطان ولا تقلب الحدثان ، بل الحق شعارهم والعلم قائدهم .

(١) كما حدث للامام النووي مع السلطان الظاهر في سبب الحوطة وغيرها .
وكما كان للعز بن عبد السلام مع الصالح اسماعيل في تسليمه صفد والمشقيف الى الافرنج ، ومع الظاهر في أمر الممالك (٢) ، حتى أن الظاهر

(١) ستأتي الاشارة اليها ص ١٦٨

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣ / ٢٣٥ ، وستأتي الاشارة اليها في

قال عند موت العز : ما استقر ملكي الا الآن . (١)

وكانت كلمة العلماء مسموعة عند الولاة والعامه ، لعلم الجميع بصدق قول العلماء ، ولكون الشرع الحنيف بغيتهم ، اليه يحتكمون وعنده يقفون .
وبلغ بالولاة الحرص على اتباع الشرع المطهر وحمل الناس على السير بموجبه ، أن نصب الظاهر بيبرس أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ، ليتولى كل قاض الحكم بمقتضى مذهبه . (٢)

أما طبقة أفراد الشعب :

فهم السواد الأعظم في البلاد على اختلاف أجناسهم وميولهم .
وقد علمت أن بلاد الاسلام ولاسيما بلاد الشام والعراق ظلت تصارع قوى العدوان منذ القرن الخامس ، وكان من نتائج تلك المصارعة كثرة الأرقاء ، الذين يقتسمهم المسلمون عقيب الانتصار ، ومعلوم أن هؤلاء ، يحملون عاداتهم وتقاليدهم الأعجمية ، المستلزمة لأن تخرج الى بلاد الاسلام العربية ، فتؤثر في المجتمع ان عاجلا أو آجلا .

غير أن التأثير قد لايس مكانة المجتمع الدينية ، اذا كان حسب الاسلام والرضا به دينا وسلوكا لدى كل من الحكام والرعية ، وذلك ما يوقف التأثير ان حمل ما ينافي أخلاق الاسلام وهديه .

وهذا ما حصل بالفعل في القرن السابع ، وقبله الخامس والسادس ، فلم يحدث في المجتمع المسلم مع كثرة الأرقاء من مغول وفرنجة ، ما يندس أخلاق المجتمع المسلم ، بل كانت تعاليم الاسلام ومبادئه وأخلاقه تطبق حتى من قبل هؤلاء الأرقاء بحكم اسلامهم ، إن اعتنقوه ، أو بحكم السلطان ،

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٨٤/٥ .

(٢) انظر البداية والنهاية ٢٤٥/١٣ .

والمجتمع الغيور .

فالمفول مثلا ، رضوا بحكم الاسلام دينا وحكما ، التزاما وسلوكا ، وتركوا " الياس " الذي وضعه لهم ملكهم جنكزخان كدستور لهم ، الا فيما لا بد لهم منه فيما بينهم لمقتضى العرف السابق ، والاختلاط فيما بينهم ، فانهم في هذا كانوا يلجئون الى الاحتكام^(١) اليه ، وكانوا مع ذلك ملزمين بعدم المجاهرة بما هو من عاداتهم مناقض للاسلام ومبادئه ، والافرنج أيضا ملزمون بذلك ، فلا يجرون على المجاهرة بما تنصه الشريعة الاسلامية ، وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في مجتمعاتهم الخاصة بهم ، اللهم الا حينما كانوا يشعرون بنظر أقوامهم ، ولكن سرعان ما كان ينقلب ظفرهم الى هزيمة ، فتخبو نارههم ، وتنكسر شوكتهم .

فلذلك لم يحدث تأثير كبير على المجتمع الشامي في عاداته وتقاليده ، المتوارثة في ظل الاسلام ، بل ظل حالهم كأن لم يدخل بينهم مؤثر ، ومجتمعهم على اختلاف طبقاته وطبائعه ، كما هو عليه ، فالتجار ظلت تجارتهم متواصلة تصدرا وإيرادا ، لم تعقبهم التقلبات السياسية ، ولا الهجمات الصليبية عن كسب الأرزاق ونفع المسلمين .

كما أن الصناع لم ينثن عزمهم عن مواصلة صناعاتهم المألوفة وابتكار الجديد فيها ، تغيير السياسة ، ولا عوامل الحروب .

كما أن الزراع مشغولون بواجبهم في أراضيهم اصلاحا وحصادا واصدارا ، لا يعرفون من الحياة الاجتماعية الا ذلك .

وكان الولاة يعلمون مدى حاجة الناس الى مثل هذه الطوائف التي

(١) انظر خطط المقرئى ٢٢٢/١ .

لا تستقيم حياة المجتمع الا بهم ، فكانوا يبادرون الى رفع الظلم عنهم ،
الذي قد يحصل من نوابهم ، ويتقبلون شكاياتهم ، ويعملون في مصالحهم .^(١)

أما الحديث عن الطرف الثاني من هذه الحالة ، وهو الحديث عن ديانة
هذا المجتمع . فهو أيضا مقسم بحسب ديانة أهله الى أقسام .

ذلك أن المجتمع الشامي كان ينقسم من حيث الدين الى قسمين
أساسيين هما : المسلمون ، والذميون من أهل الكتاب ، وتحت كل قسم من
هذين طوائف .

أما المسلمون ، فقد كانوا ينقسمون الى سنيين وشيعة ، كما هو
الحال الآن ، ولكن كان أهل السنة هم الغالبية العظمى للسكان ، ويدهم
السلطة ، وعلى كاهلهم يقام لواء الحرب والسلام .

وأما الشيعة ، فقد كانوا فرقا كثيرة ، ولكن عددهم بمجموع فرقهم
كان قليلا ، ولم يكن مقبولا عند السلاطين والأمراء وعلماء الشريعة والمسلمين
السنين ، حتى أن شيخ الاسلام بن تيمية^(٢) أفتى بكفر بعض فرق الشيعة
كالجبرية والاسماعيلية واعتبرهم فئات غير اسلامية .

وأما أهل الذمة ، فهم قسمان ، يهود ، ونصارى ، وكان لكل طائفة

(١) هذه معلومات مكتسبة من خلال دراسة الكتب التي غيت بهذا الشأن
منها ما تقدم ذكرها ومنها ما ستأتي الإشارة اليها .

(٢) هو الامام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، بن تيمية ، الملقب
بتقى الدين ، ولد سنة ٦٦١ هـ في حران ، وتحول به أبوه الى
دمشق وسها تعلم ونيغ واشتهر ، برع في العلم والتفسير ، وأفتى
ودرس وهو دون العشرين ، بلغت تصانيفه نحو من أربعة
آلاف كراسة وقد طبع منها الكثير .

منهم رئيس تنتخبه فرقة ثم يعينه السلطان أو نائبه ، فيقيموا بينهم —
شراعتهم .

وهناك قسم ثالث ، وهم الذين لا دين لهم ، وهم المغول / الذين بقوا
في الشام أرقاء ، إثر الهجمات التي كانوا يحملونها على بلاد الشام ،
ثم يضع المسلمون عليهم أيديهم رقا وأسرا ،

فكانت هذه الطائفة قليلة في المجتمع الشامي وغير مؤثرة ، لما علمت
من حملهم على عدم منافحة المسلمين في الشريعة والعقيدة ، وكانوا يلجئون
الى تشريعهم الوضعي الذي وضعه لهم كنجز خان .

وكانت هذه الفئات الغير اسلامية تتمتع بحماية السلطان من
أى ضيم يصل اليهم في شئونهم الذاتية والمالية ، بمقتضى شريعة الاسلام في
معاملة أهل الذمة . (١)

فهذا مجمل القول عن الحياة الاجتماعية للبلاد الشامية في عصر
الامام النووي — رحمه الله تعالى — ، ومعلوم أن هذا الموضوع وسابقه ولاحقه
انما هو بحث تمهيدى لما من أجله كان البحث ، فلا يفتقر الى مزيد بيان
ولا كثرة إحالات ، بل بحسب القارئ إشارة موجزة الى مثل هذه الأحوال ،
لتكون بمثابة الانارة على الجوانب العلمية للشخصية المتحدثة عنها ،
والافليس هو معنيا بالحديث عن هذه الحالات ، والله الهادى الى سواء
السبيل .

=== وأذى في الله وحبس ومات وهو محبوس بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ

— رحمه الله تعالى — ، شذرات الذهب ٦ / ٨٠ ، والاعلام ١ / ١٤٤ .

(١) انظر (دمشق في عصر المماليك والعثمانيين) د / أكرم حسن

العلمي ص ٧٧ — ٨٩ .

الحالة العلمية :

أما عن الحالة العلمية في بلاد الشام في القرن السابع ، فقد كانت حياة راقية مزدهرة بالعلم والعلماء ، حتى بلغت أوج عزها .

وذلك على خلاف ما تجرى به العادة في البلاد التي تمر بحالة سياسية عصيبة ، كما مرت به بلاد الشام في القرن السابع .

فقد كان المتوقع كما هو مألوف ، أن تفسد الحالة العلمية أو تضعف ، لما يجرى في البلاد من تقلبات سياسية تكون مآثرها حروب أهلية ، وحروب خارجية ، صليبية ومغولية ، بحيث يستدعي هذا الحال أن تضعف الروح العلمية لانشغال الناس بتلك الخطوب استعدادا وخوضا .

غير أن الذي حصل في هذه البلاد هو عكس ذلك تماما ، فقد ازدهر العلم في القرن السابع ازدهارا لم يكن قبله ولا بعده مثله ، بحيث بلغت دور القرآن في دمشق وحدها في هذه الفترة سبع دور ، وبلغت دور الحديث ست عشرة دارا ، وثلاث دور للقرآن والحديث معا ، ومائة وثلاثون مدرسة دينية ، وثلاث مدارس للطب .

وكانت هذه المدارس مقسمة الى مدارس للشافعية [٦٣] ، وأخرى للحنفية [٥٢] ، وغيرها للحنابلة [١١] ، وبعضها للمالكية [٤] .^(١)

وقد وصف ابو الفضل بن منقذ الكثاني هذه المدارس بقوله :

ومدارس لم تأنها في مشكل الا وجدت فتى يحل المشكلا
ما أمها مرء مكابد حيرة وخصاصة الا اهتدى وتمولا

(١) انظر في ذلك الدارس في أخبار المدارس للنعماني بمجلديه الأول والثاني ، وخطط الشام ٦٨/٦ - ١٣١ .

وبها وقوف لا يزال مغلبها يستنقذ الأسرى ويغنى العبيلا
ومعاشرتهم وتأخذوا الصنائع مكسبا وأفاضل حفظوا العلوم تجميلا (١)

وانذا ما أردت الوقوف على نماذج من تلك المدارس والدور ، ومن أولئك الأعلام ، فإني سأوقفك عليها بذكر بعض المشاهير ، وأحيلك الى (الدارس في أخبار المدارس) للنعيمي ، وعلى (خطط الشام) لمحمد كرد علي ، إن أردت الاستزادة .

فمن دور الحديث :

- (١) دار الحديث النورية : التي بناها الملك العادل نور الدين (٢) زنكي
ت سنة ٥٦٩ هـ . وهو أول من بنى دارا للحديث بدمشق .
وتولى مشيختها الحفاظ الكبار (٤) .

(١) خطط الشام ٢٠/٦ .

(٢) هو محمد بن زنكي بن أقسنقر ، ولد سنة ٥١١ هـ ، وكان أبوه ملكا على حلب من قبل السلاجقة ، فلما مات ولي ملكها بعده ، واستقل بالملك ، ثم أخذ دمشق فملكها عشرين سنة ، وفتح فتوحات كثيرة من أيدي الأفرنج ، بلغت نيفا وخمسين مدينة وحصنا ، وكان ملكا عادلا كثير الصدقات ، زاهدا عابدا متمسكا بالشرعة ، مائلا الى أهل الخير ، يجاهد في سبيل الله تعالى ، يسأل الله أن يحشره في بطون السباع وحواصل الطير ، فمات شهيدا بعلة الخوانيق سنة ٥٦٩ هـ - رحمه الله تعالى - . الشذرات ٤/٢٢٨ ، والجوهر الثمين ص ٢٢١ ، والأعلام ١٢٠/٢ .

(٣) انظر الدارس ٩٩/١ - ١١٣ .

(٤) من أراد الوقوف على تراجم هؤلاء ، فليرجع الى الدارس للنعيمي ونحوها من كتب التراجم ، وانما لم أترجم لهم لكثرتهم ولقلة الفائدة من ذلك هنا .

- كالحافظ (بن عساكر) سنة ٥٢١ هـ
- والقاسم بن عساكر سنة ٦٠٠ هـ
- وزين الأمّاء بن عساكر سنة ٦٢٢ هـ
- وتاج الدين بن عساكر سنة ٦٦٠ هـ
- وزين الدين خالد بن يوسف النابلسي شيخ النوى سنة ٦٦٣ هـ
- وتاج الدين الفزاري الفركاح سنة ٦٩٠ هـ
- والجمال بن الصابوني سنة ٦٨٠ هـ
- ومجد الدين بن المهتار سنة ٦٨٥ هـ
- وفخر الدين الحنبلي سنة ٦٨٨ هـ
- وشرف الدين بن نعمة المقدسي سنة ٦٩٤ هـ
- وتقى الدين بن رافع سنة ٧١٨ هـ
- وعلم الدين البرزالي سنة ٧٣٩ هـ
- والحافظ المزي سنة ٧٤٢ هـ وغيرهم

(١) (٢) دار الحديث الفاضلية : التي بناها الأديب القاضي الفاضل سنة ٥٩٦ هـ .
وتولى مشيختها :

- التقى اليلداني سنة ٦٥٥ هـ
- والنجم أخو البدر مفضل سنة ٦٥٧ هـ
- والتقى بن رافع سنة ٧١٨ هـ
- وشمس الدين الموصللي سنة ٧٤٤ هـ

(٣) دار الحديث الأشرفية : التي أسسها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن

العادل سنة ٦٣٥ هـ وهى أشهر دور الحديث ^(١) ، وتعاقب على مشيختها كبار الحفاظ .

- كالحافظ ابن الصلاح سنة ٦٤٣ هـ .
- والعماد الحرستاني سنة ٦٦٢ هـ .
- والشهاب أبو شامة سنة ٦٦٥ هـ .
- ومحيى الدين النووى سنة ٦٧٦ هـ .
- وزين الدين الفارقي سنة ٧٠٣ هـ .
- والصدر بن الوكيل سنة ٧١٦ هـ .
- والكمال بن الزملكاني سنة ٦١٧ هـ .
- وكمال الدين الشريشي سنة ٧١٨ هـ .
- والجمال المـزى سنة ٧٤٢ هـ .
- والتقى السبكي سنة ٧٥٦ هـ . على هذا الترتيب .
- ثم وليها جماعة لم يعلم ترتيبهم .

- منهم الحافظ ابن كثير سنة ٧٧٤ هـ .
- وتاج الدين السبكي سنة ٧٧١ هـ .
- وسهاء الدين السبكي سنة ٧٧٧ هـ .
- وولى الدين السبكي سنة ٧٨٥ هـ .
- وزين الدين القرشي المـلحي سنة ٧٩٢ هـ .
- وشمس الدين القيسي سنة ٧٤٢ هـ .
- وعلاء الدين بن الصيرفي سنة ٧٤٤ هـ .
- وفتح الدين الفارقي سنة ٧٦٣ هـ .
- والمجد بن الاسفراييني سنة ٦٤٨ هـ .

(١) انظر الدارس ١٩/١ - ٤٧ .

- ومجد الدين بن المهتار ت سنة ٦٨٥ هـ
- وسيف الدين الحريري ت سنة ٧٤٢ هـ

(٤) دار الحديث الأشرفية البرانية : التي بناها الملك الأشرف ، السابق ذكره .
والتي ولي مشيختها :

- جمال الدين المقدسي ت سنة ٦٢٩ هـ
- وشمس الدين بن الكمال ت سنة ٦٨٨ هـ
- وشرف الدين بن قدامة ت سنة ٦٩٥ هـ
- وتقى الدين سليمان بن حمزة ت سنة ٧١٥ هـ
- وعز الدين محمد المقدسي ت سنة ٧٣١ هـ
- وبدر الدين الحسن بن حمزة ت سنة ٧٧٠ هـ

(٥) دار الحديث الناصرية : التي أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن
الملك العزيز سنة ٦٥٤ هـ ، والمتوفي سنة ٦٥٦ هـ .
والتي ولي مشيختها :

- كمال الدين بن الشريشي ت سنة ٧١٨ هـ
- وولده جمال الدين بن الشريشي ت سنة ٧٢٩ هـ
- وحسام الدين القرمي ت سنة ٧٤٦ هـ
- وشرف الدين الفزاري ت سنة ٧٠٥ هـ
- ونجم الدين بن قوام ت سنة ٧٤٦ هـ
- وجمال الدين محمد بن أحمد بن الشريشي ت سنة ٦٨٥ هـ
- وتقى الدين المقصاتي ت سنة ٧١٣ هـ

(١) انظر الدارس ٤٧/١ - ٥٥

(٢) " " ١١٥/١ - ١٢٢

(٦) دار الحديث الدوادية : التي وقفها علم الدين سنجي — دار الدوا دار
ت سنة ٦٩٩ هـ . (١) والتي ولي مشيختها :

• علاء الدين بن العطار تلميذ النووي ت سنة ٧٠٤ هـ .

• ونور الدين بن قوام ت سنة ٧٦٥ هـ .

(٧) دار الحديث السامرية : التي وقفها سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد
البغدادى السامرى ت سنة ٦٩٦ هـ . (٢)

والتي ولي مشيختها :

• شهاب الدين ابن القوام ت سنة ٨٢٥ هـ .

(٣) دار الحديث السكرية . (٨)

التي ولي مشيختها :

• شهاب الدين بن تيمية ت سنة ٦٨٢ هـ .

• وتقى الدين بن تيمية ت سنة ٧٢٨ هـ .

• وشمس الدين الذهبي ت سنة ٧٤٨ هـ .

• والصدر المالكي ت سنة ٧٤٩ هـ .

(٤) دار الحديث القوصية : التي وقفها شهاب الدين القوصي ت سنة ٦٥٣ هـ . (٩)

والتي ولي مشيختها :

• علاء الدين بن العطار ت سنة ٧٠٤ هـ .

• والتقى بن رافع ت سنة ٧١٨ هـ .

(١) انظر الدارس ٦٤/١ - ٧١ .

(٢) " " ٧٢/١ - ٧٤ .

(٣) قال النميمي : لم أقف لواقفها على ترجمة ٧٤/١ .

(٤) انظر الدارس ٩٧/١ - ٩٨ .

(١) (١٠) دار الحديث النفيسية : التي وقفها النفيس بن صدقة ت سنة ٦٩٦ هـ .

والتي ولي مشيختها :

• علاء الدين الكندي ت سنة ٧١٦ هـ .

• وعلم الدين البرزالي ت سنة ٧٣٩ هـ .

فهذه أشهر دور الحديث في دمشق فقط ، التي كانت في القرن

السابع الهجري .

وهناك دور أخرى غيرها ، ولا شك أن صورة الحياة العلمية تتضح من

خلال هذا السرد لبعض الدور ولبعض مدرسيها ، بأنها حياة علمية

راقية ، كان لها أثرها الكبير في حفظ الاسلام ونفع المسلمين .

ولم تقتصر هذه الدور على العناية بعلم الحديث

فحسب ، بل قد كانت العناية بعلم الفقه والعربية وسائر العلوم تضاهي

العناية بالحديث الشريف ، ولقد سبق القول عن عدد المدارس التي غنيت

بهذه الفنون ، وسأوقفك الآن على بعض هذه المدارس وبعض مدرسيها

ليُصَدَّقَ الْخَبَرُ الْخَبَرُ .

مدارس الشافعية :

لقد كان للشافعية سبع وخمسون مدرسة في دمشق ، يدرس فيها الفقهاء الشافعي وغيره من علوم الآلة ، والعربية . يدرس فيها من كان شافعي المذهب ، ومن أشهر تلك المدارس :

(١) المدرسة الأتابكية ، أنشأتها أخت نور الدين أرسلان سنة ٦٤٠ هـ .

ودرس بها زمرة من مشاهير الشافعية مثل :

- تاج الدين الاسكندري الشحروري سنة ٦٦٣ هـ .
- وصفي الدين الهندي سنة ٧١٥ هـ .
- ونجم الدين بن صرصري سنة ٧٢٣ هـ .
- وجمال الدين سليمان بن عمر الزرعي الشافعي سنة ٧٣٤ هـ .
- ومحبي الدين بن جهبيل سنة ٧٤٠ هـ .
- وتقي الدين السبكي سنة ٧٤٠ هـ وغيرهم .

(٢) المدرسة الاقبالية : أنشأها جمال الدولة اقبال خادم نور الدين سنة ٦٠٣ هـ .

ورتب فيها خمسة وعشرين فقيها لهم المعاشات في كل شهر ، والطعام في كل يوم ، والحلوى في أوقات المواسم ، والفواكه في زمانها . (٢)

وكان ممن ولى التدريس فيها :

- شمس الدين بن سني الدولة سنة ٦٣٥ هـ .
- ثم ابنه صدر الدين بن سني الدولة سنة ٦٥٨ هـ .
- ثم ابنه نجم الدين بن سني الدولة سنة ٦٨٠ هـ .
- ثم بدر الدين بن خلكان سنة

(١) انظر الدارس ١٣٠ / ١ - ١٥٠ ، وخطط الشام ٧٦ / ٦ .

(٢) " " ١٥٩ / ١ - ١٦٦ .

ثم شمس الدين بن خلكان ت

ثم محيى الدين النورى نيابة عن شمس الدين بن خلكان الى آخر سنة ٦٦٩ هـ .

ثم تولاه تاج الدين المراغي المعروف بابن الجواب ت سنة ٦٩٣ هـ .

ثم درس بها علاء الدين القونوى ت سنة ٧٢٩ هـ .

وناب عنه عند سفره شهاب الدين بن المجد ت سنة ٧٣٨ هـ .

ودرس بها أيضا عماد الدين الحسيني ت سنة ٧٢٨ هـ .

وبدر الدين بن الشريشي ت سنة ٧٢٠ هـ ، وغيرهم .

(١) المدرسة الأمينية : قيل انها أول مدرسة للشافعية بنيت في دمشق .

بناها أتابك العساكر بدمشق أمين الدولة كمشتكيني ت سنة ٥٤١ هـ ، وأول

من درس بها ، جمال الاسلام أبو الحسن بن المسلم ت سنة ٥٣٣ هـ .

ثم درس بها بعده ولده أبو بكر محمد بن على بن المسلم ت سنة ٥٦٤ هـ .

ثم ولده شرف الدين السلمي ت سنة ٦٠٢ هـ .

ومن ولى التدريس بها أيضا :

• صائن الدين الدمياطي ت سنة ٦١٣ هـ .

• وجمال الدين المصرى ت سنة ٦٢٣ هـ .

• وشمس الدين بن عبد الكافي الربيعي الصيقلّي ت سنة ٦٤٩ هـ .

• وقطب الدين بن أبي عصرون ت سنة ٦٢٥ هـ .

• ونجم الدين بن سنى الدولة ت سنة ٦٨٠ هـ .

• وعلاء الدين بن الزملكاني ت سنة ٦٩٠ هـ .

• وشمس الدين بن خلكان ت سنة ٦٨١ هـ .

• وكمال الدين الزملكان ت سنة ٧٢٧ هـ .

- وإمام الدين القزويني ت سنة ٦٩٩ هـ
- وجلال الدين القزويني ت سنة ٧٣٩ هـ
- وجمال الدين بن القلانسي ت سنة ٧٣١ هـ
- وعلاء الدين بن القلانسي ت سنة ٧٣٦ هـ وغيرهم

(١) (٤) - المدرسة البادرانية : أنشأها نجم الدين البادراني ت سنة ٦٥٥ هـ .
 ووقف عليها أوقافا حسنة دارة ، وجعل بها خزانة كتب نافعة ،
 ودرس بها ، ثم درس بها من بعده :

- ابنه جمال الدين البادراني ت سنة ٦٧٧ هـ
- ثم كمال الدين سلار بن الحسن بلاربلي ، شيخ النووي ، ت سنة ٦٧٠ هـ
- ثم عز الدين أبو حفص عمر بن أسعد الأربلي ، شيخ النووي أيضا ت سنة ٦٧٥ هـ
- ثم برهان الدين بن الفركاح ت سنة ٧٢٨ هـ
- وكمال الدين بن الشيرازي ت سنة ٧٣٦ هـ
- وشرف الدين بن الشريشي ت سنة ٧٩٥ هـ وغيرهم

وحسبك بهذا القدر دلالة على نمو الحركة العلمية في دمشق
 في القرن السابع ، بعد أن علمت بأن مجموع المؤسسات التعليمية من دور
 قرآن ، ودور حديث ، ومدارس دينية وعلمية . بلغت ١٥٩ مؤسسة .
 مع أن التعليم لم يقتصر نشره على المدارس والدور ، بل لقد كانت المساجد
 والخوانق ، مراكز أخرى من مراكز نشر العلم ، وهي من حيث الكثرة ،
 تضاهي أو تفوق عدد تلك المدارس والدور .

وغالبا ما كان يلحق بالمدارس خزائن كتب ، تضم ما قدر على تحصيله
 من أنفس الكتب وأمهات المراجع ، فالمدرسة الرواحية التي كان يأوي فيها

النوى كان فيها خزانة كتب كبيرة ، وكذا دار الحديث الأشرفية .
(١) والمدرسة الحسامية ، نقل لها واقفها كافور الحسامي الكتب الكثيرة .

وهكذا كل مدرسة من مدارس الشام لم تكن تخلو في تلك الحقبة من
خزانة كتب ، وافية بغرض الأساتيد والتلاميذ ، ولا سيما المدرسة العمرية ،
والعروية ، والناصرية ، والعدلية ، والأشرفية . (٢)

وقد أحسن منشئوا تلك المدارس صنعا في توفير الكتب العلمية
لطلاب العلم حتى توءتى مدارسهم ثمارها المرجوة .

ولقد أثمرت بالفعل ، كما يتضح ذلك من الرجوع الى كتب التاريخ
والتراجم لبلاد الشام في القرن السابع ، فقد بلغ مجموع علماء الشام
آنذاك [٣٥] عالما ، وكان غالبهم يعيش في دمشق ، ٥٤ منهم ألفوا في
الموضوعات الدينية ، بحيث بلغت مجموع مؤلفاتهم [٥٩٣] كتابا ، بما يشكل
نسبة ٦٥% من مجموع ما ألف (٣) ، وسأذكر لك طائفة من مؤلفات هذا
القرن لتعلم حظ بلاد الشام من هذه المؤلفات في القرن السابع .

(١) انظر شذرات الذهب ١٠٩/٥ .

(٢) انظر خطط الشام لمحمد كرد علي ١٩٠ / ٦ .

(٣) انظر دمشق في عصر المماليك ص ١٢٥ - ٢٢١ .

فمن تلك الكتب في علم التوحيد :

أشراط الساعة ، لأبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي

ت سنة ٦٠٠ هـ .

وصفة الجنة ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي

ت سنة ٦٤٣ هـ ، وكذا وصف النار ، وكلام الأموات ، والفرق الإسلامية

لابن أبي الدّم ت سنة ٦٥٢ هـ ، والضوء الساري الى معرفة البساري

لأبي شامة ت سنة ٦٦٥ هـ ، والباعث على انكار البدع والحوادث ، له أيضا ،

والدليل الواضح اقتفاء نهج السلف الصالح ، لأبي الحسن علي بن محمد

ابن وضاح الحنبلي ت سنة ٦٢٢ هـ ، وكتاب الرد على أهل اللاحاد ، له

أيضا .

وفي علم التفسير والقراءات .

التفسير الكبير للفخر الرازي ت سنة ٦٠٦ هـ .

تفسير القرآن ، ومتشابه القرآن ، لأبي البقاء العكبري ت سنة ٦١٦ هـ .

التفسير الكبير للفخر بن تيمية ت سنة ٦٢٢ هـ ، وشرح الشاطبية ، وجمال

القراء ، وتاج القراء ، وتفسير الى سورة الكهف ، لعلم الدين السخاوي

ت سنة ٦٤٣ هـ .

والبيان ، لأبي محمد المعافي بن اسماعيل ت سنة ٦٣٠ هـ .

وشرح الشاطبية ، للامام شعله محمد بن أحمد الموصلي الحنبلي ت سنة ٦٥٦ هـ .

وشرح الشاطبية ، لأبي شامة ت سنة ٦٦٥ هـ .

وبلغة المستفيد في القراءات العشر ، لشمس الدين الوجوهي البغدادي

ت سنة ٦٢٢ هـ .

وجامع العلوم في تفسير كتاب الله الحي القيوم ، لنور الدين عبد الرحمن بن عمر

البصري ت سنة ٦٨٤ هـ .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للقاضي البيضاوي ت سنة ٦٨٥ هـ .
المصباح في علم التفسير ، لأبي محمد عبد العزيز بن أحمد الدميري ت سنة ٦٩٩ هـ .
وفي علم الحديث :

— عمدة الأحكام من كلام خير الأنام ، للحافظ أبي محمد عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسي ت سنة ٦٠٠ هـ .

— وجامع الاصول ، والنهية في غريب الحديث ، لأبي السعادات بن الأثير ، ت سنة ٦٠٦ هـ .

— والاربعون المتباينة الاسناد والبلاد ، للحافظ الرهاوي ت سنة ٦١٢ هـ .
— ودلائل الأحكام من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ، لابن شداد الأسدي ت سنة ٦٣٢ هـ .

— وعلوم الحديث ، وصيانة صحيح مسلم ، للحافظ بن الصلاح ت سنة ٦٤٣ هـ .
— والأحاديث المختارة ، وفضائل الأعمال ، وفضائل الشام ، وأفراد الصحيح ، وغرائب الصحيح ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ت سنة ٦٤٣ هـ .

— والقمر المضير في المسند الكبير ، وكنز الأنام في السنن والأحكام ، للحافظ ابن هبة الله البغدادي ت سنة ٦٤٣ هـ .

— واصلاح خلل صحيح البخاري ، لعلي بن يوسف القفطي ت سنة ٦٤٦ هـ .
— وأطراف أحاديث التفسير مرتباً على السور ، والأحكام الكبرى ، والمنتقى من أحاديث الأحكام ، للمجد بن تيمية ت سنة ٦٥٢ هـ .

- والترغيب والترهيب ، ومختصر صحيح مسلم ، ومختصر سنن أبي داود ،
للحافظ عبد العظيم المنذرى ت سنة ٦٠٦ هـ .
- ورياض الصالحين ، والأربعين النووية ، والأذكار ، وشرح مسلم ،
للإمام النووي ت سنة ٦٢٦ هـ .

وفي علم اللغة :

- اعراب القرآن ، واعراب الحديث ، لأبي البقاء العكبرى ت سنة ٦١٦ هـ .
- وشرح مقامات الحريري ، للموفق أبي محمد عبد اللطيف البغدادي
ت سنة ٦٢٩ هـ .
- الألفية لابن معطي ت سنة ٦٢٨ هـ ، وشرح المفصل للزمخشري ، لعلم
الدين السخاوى ت سنة ٦٤٣ هـ .
- الكافية ، لابن الحاجب ت سنة ٦٤٦ هـ ، والشافية له أيضا .
- وتسهيل الفوائد ، والكافية الشافية ، والخلاصة ، وإكمال الاعلام بثلاث
الكلام ، ولامية الأفعال ، لجمال الدين بن مالك ت سنة ٦٧٢ هـ .
- تهذيب الأسماء واللغات ، وتحرير التبيين ، للإمام
النووى ت سنة ٦٧٦ هـ .
- والمصباح في المعاني والبيان ، وشرح غريب تصريف ابن الحاجب ، وشرح
الخلاصة ، وشرح اللامية ، للبدر أبي عبد الله محمد بن جمال الدين
ابن مالك ت سنة ٦٨٦ هـ .

وفي الأدب والمعاجم :

- المثل السائر ، لضياء الدين بن الأثير ت سنة ٦٣٦ هـ .

- ومعجم البلدان ، ومعجم الشعراء ، وارشاد الألباء الى معرفة الأدباء لياقوت الحموى ت سنة ٦٢٦ هـ .
- وأدب الحماسة ، لأبي الحجاج يوسف بن محمد الأنصارى ت سنة ٦٥٣ هـ .
- وفي علم الفقه وأصوله :
- الفروق في المسائل الفقهية ، لأبي اسحاق ابراهيم بن عبد الواحد المقدسي ت سنة ٦١٤ هـ .
- المستوعب في الفقه الحنبلي ، لأبي عبد الله محمد بن سكينه ت سنة ٦١٦ هـ .
- المغني شرح الخرقي ، والفروق والبيان في الفرائض ، وروضة الناظر لموفق الدين عبد الله بن محمد بن قدامة ت سنة ٦٢٠ هـ .
- شرح التتبيه ، لابن يونس أحمد بن موسى الموصلي ت سنة ٦٢٢ هـ .
- مختصر الأمام للشافعي ، للجمال المصري ت سنة ٦١٣ هـ .
- والكامل ، لأبي محمد المعافي بن اسماعيل ت سنة ٦٣٠ هـ .
- والأحكام في أصول الأحكام ، وأبكار الأفكار للسيف الأمدى ، ت سنة ٦٣١ هـ .
- والموجز الباهر ، وملجأ الأحكام في الأقضية ، لابن شداد الأسدي الشافعي الحلبي ت سنة ٦٣٢ هـ .
- وشرح مشكل الوسيط ، وأدب القاضي ، لابن أبي الدم ت سنة ٦٤٢ هـ .
- وأدب المفتي والمستفتي ، والفتاوى ، ونكت على المذهب ، لأبن عمرو ابن الصلاح ت سنة ٦٤٣ هـ .
- والمحرر في فروع الحنابلة ، ومنتهى الغاية شرح الهداية ، للمجد بن تيمية ت سنة ٦٥٢ هـ .

- وقواعد الأحكام ، لسلطان العلماء العز بن عبد السلام ت سنة ٦٦٠ هـ .
- ومختصر البحر للروپاني ، للكمال سلاار الأربلي ت سنة ٦٧٠ هـ .
- والمجموع شرح المذهب ، والروضة ، والتحقيق ، والنفاسك ، والمنهاج
مختصر المحرر للرافعي ، للإمام النورى ت سنة ٦٧٦ هـ .
- وشرح المذهب ، لأسماعيل الحضرمي ت سنة ٦٧٨ هـ .
- والحاوى ، والكافي ، والواضح ، لنور الدين عبد الرحمن بن عمر البصرى
الحنبللي ت سنة ٦٨٥ هـ .
- وشرح التبيه ، والقرى لمقاصد أم القرى ، للمحب الطبرى ت سنة ٦٩٤ هـ .
- والوافي ، وصفة المفتي والمستفتي ، لنجم الدين أحمد بن حمدان الحراني
الحنبللي ت سنة ٦٩٥ هـ .
- وفي علم السير والتاريخ والتراجم :
- الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي
ت سنة ٦٠٠ هـ .
- المبدأ والمآل في التاريخ والدول ، لياقوت الحموى ت سنة ٦٢٦ هـ .
- ذيل الاكمال لابن ماكولا ، والتقيد بمعرفة رواة السنن والمسانيد ، للحافظ
ابن نقطة ت سنة ٦٢٩ هـ .
- وسيرة صلاح الدين ، لابن شداد ت سنة ٦٣٢ هـ .
- والكمال ، وأسد الغابة في تراجم الصحابة ، واللباب مختصر الأنساب ،
لعز الدين على بن محمد بن الأثير ت سنة ٦٣٩ هـ .
- ومناقب أصحاب الحديث ، والرواة عن البخارى ، ودلائل النبوة ،
والهجرة الى أرض الحبشة ، لأبي عبد الله بن عبد الواحد المقدسي
ت سنة ٦٤٣ هـ .

— وتاريخ بغداد ، والدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، ونزهة الورى في أخبار أم القرى ، وجنة الناظرين في معرفة التابعين ، والكمال في معرفة الرجال ، وذيل تاريخ الخطيب ، وذيل على كتاب ابن ماكولا ، والمتفق والمفترق ، والمؤتلف والمختلف ، للحافظ ابن هبة الله البغدادى
ت سنة ٦٤٣ هـ .

— ومراة الزمان ، ومناقب أبي حنيفة ، لسبط بن الجوزى ت سنة ٦٥٤ هـ .
— والتكملة لوفيات النقلة ، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى
ت سنة ٦٥٦ هـ .

— وفضائل الأئمة الأربعة ، للإمام شعله محمد بن أحمد الموصلى ت سنة ٦٥٦ هـ .
— وتاريخ حلب ، لابن العديم ت سنة ٦٦٠ هـ .
— والروضتين في أخبار الدولتين ، وذيل الروضتين ، ومختصر تاريخ دمشق ،
لأبي شامة ت سنة ٦٦٥ هـ .

— ووفيات الأعيان وأنباء الزمان ، لأحمد بن محمد بن خلكان ت سنة ٦٨١ هـ .
— والرياض النضرة في فضائل العشرة ، وذخائر العقبي في مناقب ذوى القربى ،
والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للمحب الطبرى ت سنة ٦٩٤ هـ .

وفي الطب :

— قانون الحكماء وفردوس الندماء ، والفريض المطلوب في تدبير الماكول
والمشروب ، للحاكم الفاضل بن دقيق الشيباني ت سنة ٦٣٥ هـ .
— والشامل لابن النفيسي القرشي ت سنة ٦٨٦ هـ .

فهذه مجموعة كبيرة من المؤلفات التي وقفت عليها لعلماء هذا القرن ، ولا ريب بأن ما لم أقف عليها ، أو لم تنقل إلينا ، هي أكثر من ذلك بكثير ، وهي وإن لم تتمحض لعلماء الشام ، إلا أنه كان لعلماء الشام النصيب الوافر منها ، وقد عمت النهضة العلمية في ذلك القرن البلاد الإسلامية كلها ، ولا سيما بلاد الشام .

ولئن بحثت عن عوامل هذا الازدهار ، فستراه يرجع إلى عاملين لاثالث لهما :
الأول : هم الولاة المصلحون ، الذين تعاقبوا على تلك البلاد ابتداءً بنور الدين زنكي سنة ٥٦٩ هـ ، وختاماً بالظاهر بيبرس سنة ٦٢٦ هـ .

فلقد أخذ نور الدين - رحمه الله - مقاليد الحكم في البلاد الشامية عام ٥٤١ هـ ، وكان نور العلم قد خفت في بلاد الشام ، حتى أن البلاد كانت قد خلت من العلم وأهله ^(١) ، فلما نظر لحال البلاد من هذه الناحية ، ساء ذلك ، لأنه كان قد نشأ على الخير والصلاح ، وقراءة القرآن ، والعبادة في حضن والده السلطان عماد الدين زنكي ^(٢) . فقام - رحمه الله - عندئذ إلى جانب الواجب السياسي ، بالواجب الديني ، فنصر السنة ، وقمع البدعة وأهل التشيع والرفض ، وبنى المدارس بحلب وحمص ودمشق وعلبك ، والجوامع والمساجد ، وبنى أول دار للحديث بدمشق ، ووقف كتباً كثيرة ثمينة ^(٣) . وكان يحب العلماء والصلحاء وكاتبهم وأخذ عنهم ، وتشبه بالعلماء الأخيار ^(٤) .

(١) الأعلام بالتوبيخ ص ١٣٨ ، والكواكب الدرية في السيرة النورية ص ٣٥ .

(٢) الكواكب الدرية ص ١٥ .

(٣) الكواكب الدرية ص ١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٥٣٢/٢٠ ، وخطط الشام لمحمد كرد علي ٦٨/٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٣٣/٢٠ - ٥٣٤ .

ثم سار على نهجه هذا الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي
ت سنة ٥٨٩ هـ ، ومن تلاه من الملوك الأيوبيين ، ثم الظاهر بيبرس
ت سنة ٦٢٦ هـ ، من المماليك ، .

أما العامل الثاني : فهو ما حدث للعالم الاسلامي من نكبة سقوط بغداد
سنة ٦٥٦ هـ ، التي أودت بحياة العلماء واتلاف الكتب ، الحال الذي حمل
من بقي منهم على الهجرة من العاصمة العباسية الى مكان يأمنون فيه على
أنفسهم ، وكانت دمشق هي المكان الذي تلقى فيه عصا التسيار ، لما فيها
من الرعاية الفائقة بالعلم والعلماء ، من قبل ولائها الأيوبيين ، ولما فيها
من مدارس كثيرة يلجئون اليها لنشر علمهم وتعويض المسلمين ما فقدوه في
بغداد من الكتب الكثيرة . (١)

فهذان العاملان لهما الفضل - بعد الله تعالى - في احياء الحياة
العلمية في البلاد الشامية ، ومعلوم أن هذه العوامل قد لا تؤثر اذا لم
يكن المجتمع متقبلاً لها بقناعة ورضى ، ان أنه سيحجم عن الاستفادة من تلك
المنشآت العلمية لكونه غير مكترث بها ولا هو مجبور في المساهمة في ذلك .
لكن الواقع أن المجتمع ان ذاك ، كان على جانب من التدين والغنى
وحب الخير الكثير (٢) ، فلذلك علّ ونهل من هذه المدارس ، واستفاد
وأفاد ، وأصبح أبناؤه نجوماً للعباد ، والحمد لله على التوفيق والسداد ،
ونسأله أن يمن على المسلمين الى ذلك الحال بمعاد .

هذا ، وقد حرصت في تجلية هذه الحالة بأكثر ما ذكر ، حيث
قمت بتراجم غالب الأعلام الواردة في القسم الأول من هذه الرسالة ،

(١) انظر خطط الشام ٤٣/٤ ، ودمشق في عصر المماليك ص ١٨٤ .

(٢) خطط الشام ٦٩/٦ .

لا يبرز هذه الحالة ، وانك اذا وقفت عليها ، فسترى أكثر المحدثين
 وغيرهم من العلماء هم من الذين عاشوا في هذا القرن أو القرنين الخامس
 والسادس ، الذي كان هذا القرن امتدادا لهما ، من نواحيه السياسية
 والعلمية ، والاجتماعية .

الفصل الثاني

في بيان نشأة الامام
النووي

وفي مبحثان :

الأول في بيان : **أحمد ونسبه وكنيته ولقبه**

الثاني في بيان : **أسرته ومولده ونشأته**

هو يحيى بن شرف بن مري^(١) بن حسن بن حسين^(٢) بن محمد^(٣) بن جمعه
ابن حزام الحزامي الحوراني أبو زكريا محيي الدين ، الدمشقي الشافعي^(٤) .

- (١) بضم الميم وكسر الراء المهملة كما وجد مضبوطا بخطه ، الفتوحات الوهبية ص ٣ .
(٢) أورد اليونيني هذين العلمين معرفين هكذا (الحسن بن الحسين) ، ذيل
مرآة الزمان ٢٨٣/٣ .
(٣) جاء في المرجع السابق (محمد) مكررا ولعله سبق قلم لكونه لم يوجد في غيره .
(٤) أفرد ترجمته بالتأليف جماعة منهم تلميذه ابن العطار في كتاب أفرد له لذلك
وأسماءه (تحفة الطالبين) وهو مخطوط ويقوم الدكتور فؤاد عبد المنعم ،
بتحقيقه . واستوعبها السخاوي في جزء أفرد له لترجمة النووي مع زيادة جملة
ميزها بقوله : " قلت : وفي آخره (اهـ) فجاءت ترجمة حافلة تقع في ست
وسبعين صفحة من القطع المتوسط ونشرته جمعية النشر والتأليف الأزهرية
وطبعته بمطبعتها بعناية محمود حسن ربيع ، غير أنها طبعة لا تخلو من
السقط والتحريف ، وترك بياضات كثيرة لم يهتد الى اصلاحها .
ومنها الشيخ محمد بن الحسن اللخمي تلميذ النووي كما أفاد فيها ، وهي
ترجمة مختصرة ، تقع في بضع ورقات وتوجد في مكتبة مركز البحث العلمي
بجامعة أم القرى برقم ٥٢١ ، مجاميع رقم ٢ .
وترجم له كذلك السحيمي كما ذكره الزركلي في الأعلام ١٤٩/٨ ولم أشر
عليها .

والحافظ ابن حجر كما ذكر ذلك محققوا كتابه فتح الباري فـ
المقدمة ص ١٥ ط ك ،

والسيوطي - رحمه الله - في جزء سماه (المنهاج السوي في ترجمة النووي) ،
اعتمد على ترجمة ابن العطار والسخاوي وهي قريبة من حيث الحجم من
ترجمة السخاوي ، وقد حصلت على ثلاث نسخ خطية مختلفة لها من
الجامعة الاسلامية ، وقد طبعت أخيرا .
===

فاسمه ، يحيى

ونسبه ينتهي الى جدّه الأعلى حزام .

كنيته ولقبه :

اما كنيته ، فأبو زكريا ، وهي كنية على غير القياس ، لأن المرء يكنى بأولاده ، وقد يكنى

في الصغر تفاؤلا بأن يعيش ويصير له ولد يسمى بذلك الاسم كقول النبي

— صلى الله عليه وسلم — لأخ صغير لأنس بن مالك — رضى الله عنه — يا أبا عمير

=== وأفرد ترجمته بالتأليف من المعاصرين ، عبد الغني الدقر في سلسلة

أعلام المسلمين بكتاب بعنوان «الامام النووي» اعتمد فيه على ترجمة ابن

الخطار والسخاوي ، فجاء كتابه مفيدا وبأسلوب عصري أنيق يقع في ثمان

ومائتي صفحة من القطع الصغير وطبع طبعتين الثانية منهما بمطبعة

دار القلم .

وكذلك كان للشيخ علي الطنطاوي دور في هذا المضمار فأصدر في سلسلته

أعلام التاريخ ترجمة للنووي بعدد يقع في نسخة صغيرة تحتوى على ستين

صفحة من القطع الصغير ، وهي ترجمة موجزة هادفة اعتمد فيها على

ترجمة السخاوي .

وله ترجمة في كتب التراجم كتذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٧٠/٤ ، والعبر في

خبر من غير له ٣٣٤/٣ ، وذيل مرآة الزمان لليونيني ٢٨٣/٣ ، وطبقات

الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكي ٣٩٥/٨ ط المحققة ١٦٥/٥

ط الحسينية ، كما ترجم له في الطبقات الوسطى والصغرى ، والدارس في

أخبار المدارس للتعليمي ٢٤/١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٢٨/١٣ ،

وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٣٥٤/٥ ، ومرآة

الجنان لليافعي ١٨٢/٤ ، وطبقات ابن هداية الله ص ٢٢٥ ، وطبقات

الإسنوي ٢٨٦/٢ ، وتاريخ ابن الفرات ١٠٨/٧ ، وتاريخ ابن الوردي ٢٢٦/٢

والاعلام للزركلي ١٤٩/٨ ، والعلماء العزاب لأبي غده ص ٩٢ ، وطبقات

الشافعية لابن قاضي شهبه ١٥٣/٢ ، والدلائل الشافي على المنه —

الصابي ٧٧٥/٢ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين ٨١/٢ .

ما فعل النغير؟^(١)

وكنية النووى - رحمه الله - بابي زكريا ليست من هُذَيْن النوعين بل من نوع ثالث، وهو تكنية أولى الفضل - ولو امرأة - وإن لم يولد له^(٢) ، تأديباً ، وذلك لأنَّ النفوس قد تستوحش من مخاطبتها بأسمائها ، لأنَّ ذلك يشعر بنوع استخفاف بالمخاطب ، فكان من الأدب التخاطب بالكنى ،

فقد استحب ذلك أهل العلم ، قال في المجموع :
ويستحب تكنية أهل الفضل من الرجال والنساء سواء كان له ولد أم لا . وسواء كنى بولده أو بغيره ، وسواء كنى الرجل بأبي فلان ، أو بابي فلانة ، وسواء كنى المرأة بأم فلان أو أم فلانة .^(٣)

ولم يكن النووى - رحمه الله - يكتنى نفسه كما يعلم ذلك من رسائله ، وإنما

(١) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه في اللباس - باب الانبساط الى الناس من حديث أنس ٣٢/٨ ، وفي باب التكنية للصبي من حديثه أيضا ٥٥/٨ ، وأخرجه مسلم من حديثه أيضا في الأدب ، بساب استحباب تحنيك المولود ١٢٨ / ١٤ بشرح النووى ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب - باب الرجل يتكنى وليس له ولد من حديث أنس أيضا ٥٨٩ / ٢ . وأخرجه الترمذى من حديثه في كتاب البر والرفقة ، باب ماجاء في المزاح من حديث أنس أيضا ١٢٢٦ / ٢ ، وأخرجه الامام أحمد في المسند ١١٥ / ٣ ، ١١٩ ، ١٧١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ .

(٢) انظر حاشية السجاعي على شرح ابن عتيل ص ٤٦ ط بولاق .

(٣) انظر حاشية الشيخ يس على التصريح لخالد الأزهرى ١٢٠ / ١ ، ط الثانية ، وحاشية السجاعي على القلصر ص ٤٥ ، والمجموع شرح المذهب ٤٣٨ / ٨ .

اشتهرت كنيته ممن تحدّث عنه ، وأنما لم يفعل ذلك لما جيل عليه من الفضل والتواضع ، وقد صرح في المجموع على أنّ ذلك من الأدب ، وأنما كنى بأبي زكرياء ، لأن اسمه يحيى ، والعرب تكنى من كان كذلك بأبي زكرياء ، التفاتا الى نبي الله يحيى وأبيه زكريا — عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام — . كما تكنى من كان اسمه يوسف بأبي يعقوب ، ومن اسمه ابراهيم بأبي اسحاق ، ومن اسمه عمر بأبي حفص . وهى كنية على غير القياس ، لأن يحيى ويوسف مولودان لا والدان ، ولكنّه (٢) أسلوب عربي مسموع .

وأما لقبه ، فمحيي الدين ، وقد اشتهر تلقّيبه بذلك في حياته ، فلا يكاد يذكر اسمه إلا مقرونا بلقبه ، مع أنّه كان يكره أن يلقب به ، فقد قال اللخمي : (٣) صح أنّه قال : لا أجعل في حل من لقّبي محيي الدين ، وذلك منه على ما نشأ عليه من التواضع ، ولا فهو جد يربّه لما أحيا الله به من سنن ، وأمات به من بدع ، وأقام به من معروف ودفع به من منكر ، وما نفع الله به المسلمين من مؤلفات ، ولكن يابى الله ألا أن يظهر هذا اللقب له ، عرفانا بحقّه وإشادة بذكره .

وفي الحديث عن النبي — صلى الله عليه وسلم — من رواية أبي هريرة — رضى الله تعالى عنه — ((وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)) . (٤)

نسبته ، أما نسبته فقد تعدّدت ، فمن حيث عمود النسب ، ينتهي الى جده حزام المذكور ، وكان بعض أجداده يزعم أنّها نسبة الى والد الصحابي الجليل حكيم بن حزام — رضى الله عنه — ، لكن أنكر هذا النووى — رحمه الله وقال إنّ غلط ، وأنما

(١) ٤٠٤/٨ ، وقال : ألا أن تدعو الحاجة اليه ، وذكر دليل ذلك .

(٢) انظر الكواكب الدرية ، شرح المتممة الآجرومية ٥٩/١ .

(٣) في جزء ترجمته له ٩/٤ .

(٤) هو جزء من حديث : رواه مسلم في البر ١٦/١٤١ من شرح النووى . والترمذى

في البر أيضا ٣٧٦/٤ من حديثه ، وأحمد في مسند أبي هريرة ٣٨٦/٢ ،

والدارمي في الزكاة ٣٩٦/١ .

حزام المذكور رجل من العرب الذين كانوا يرتادون موضع الخصب والكلاء ، نزل بأرض نوى فأقام بها ورزقه الله ذرية الى أن صار منهم عدد كثير .^(١)

وأما نسبته الى البلد ، فهو ينسب الى حوران لأن نوى بلدة من أعمال حوران^(٢) ، وينسب الى نوى^(٣) لأنها بلدته التي فيها ولد ونشأ وبها مات ودفن .

(١) السخاوى ص ٣ .

(٢) وحوران كورة (الكورة بالضم المدينة والصقع جمعه كور ، أهد القاموس ١٣٠/٢) واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار ، قال ياقوت : وما زالت منازل العرب وذكراها في أشعارهم كثير . قال امرؤ القيس :

ولما بدت حوران والآل دونها . . نظرت فلم تنظر بعينيك منظرًا
وقد نسب اليها قوم من اهل العلم منهم ابراهيم بن أيوب الشامي الحوراني
الزاهد . قال السمعاني : كان من عباد الله الصالحين ، وأبو الطيب
محمد بن حمد بن سليمان الحوراني ، وغيرهما ، منهم الامام النووي ،
الآن نسبته الى نوى أشهر .

معجم البلدان ٣٦٠/٣ ، والأنساب للسمعاني ٣٠٣/٤ ، وتاريخ
العروس ١٦٣/٣ .

(٣) بصيغة جمع نواة التمر وغيره ، بليدة من أعمال حوران وقيل هي قصبتها بينهما
وبين دمشق ومزلان ، قاله ياقوت . قال السخاوى : وهي قاعدة الجولان من
أرض حوران من أعمال دمشق ، قال ياقوت : وهي منزل أيوب - عليه السلام -
وبها قبر سام بن نوح - عليه السلام - فيما زعموا ، معجم البلدان ٣١٨/٨
ط الأولى ، وترجمة السخاوى ص ٣ .

والنسبة الى نوى بحذف الألف على الأصل ويجوز كتبها بالألف على العادة ،
قال السخاوى : ويحذفها وإثباتها قرأته بخط الشيخ ، ترجمته للنووى ص ٣ .
قال السخاوى أيضا : وكان حزام جده الأعلى نزل الجولان بقرية نوى على عادة
العرب فأقام بها ورزقه الله تعالى ذرية الى أن صار منهم عدد كثير .

وينسب الى دمشق لأنه عاش فيها فترة طويلة . (١)

وينسب الى الشافعي نسبة مذهب لكونه اعتنق مذهبه . وخدمه خدمة أغنت أولى
الريقات عن التطلع الى الزيادات ، حيث نظرفي كتب الشافعي فحررها ونقحها
بما يقتضيه الدليل الذي أوصى الشافعي - رحمه الله - متبعيه بالتقيد به عند
صحته ، فقلد أئمة الفقهاء في خدمته المذهب ، حيث ذكر في تصانيفه
الفقهية من خرج الحديث ، وهل هو صحيح أو حسن أو ضعيف ، وتبعه على ذلك من
جاء بعده من الفقهاء على خلاف ما كان يجري عليه الفقهاء قبله من اطلاق الأحاديث
من غير أزمة ولا خُطْم .

قال الزين العراقي : عادة المتقدمين السكوت على ما أوردوه من الأحاديث في
تصانيفهم من غير بيان لمن أخرج ذلك الحديث من أئمة الحديث ، ومن غير بيان
للصحيح من الضعيف الأندرا وان كان من أئمة الحديث ، ولكنهم مشوا على عادة
من تقدمهم من الفقهاء ، حتى جاء الشيخ محيي الدين النووي ، فصار يسند في
تصانيفه الفقهية الكلام على الحديث وبيان من خرجه ، وبيان صحته من ضعفه ،
قال : وهذا أمر مهم مفيد فجزاه الله خيرا ١٠ هـ . (٣)

فغدا الامام النووي - رحمه الله - بذلك محررا المذهب ، لا يفتى في المذهب إلا بكلامه
أو بكلام الرافعي ، وجرى الاصطلاح في المذهب على تسميتهما بالشيخين ، قال
ابن حجر الهيتمي الفقيه : أجمع المحققون على أن المفتي به ما ذكره ، أي الرافعي
والنووي ، فالنووي ، أي اذا اختلفا ، وعلى أنه لا يفتى بمن يعترض عليهما بنص الأم

(١) وهي بكسر أوله وفتح ثانيه ، وكسرهما لغة ، وصفها ياقوت بأنها جنة الأرض
بلا خلاف ٧٢/٤ ، ونسب اليها لأن نووي من أعمال دمشق فهو دمشقي أيضا
خصوصا وقد أقام فيها نحو من ثمانية وعشرين سنة ، وابن المبارك - رحمه الله -
يقول : من أقام ببلد أربع سنين نسب اليها . ترجمة السخاوي ص ٣ .

(٢) انظر مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي ص ٧٦ .

(٣) الفوائد المدنية في بيان اختلاف العلماء من الشافعية للكردي ص ٢٦ .

أو كلام الأكثرين أو نحو ذلك . قال : لأنهما أعلم بالنصوص وكلام الأصحاب ، من المعترض عليهما ، فلم يخالفاه إلا لموجب علمه من علمه وجهله من جهله^(١) . أه

وأفتى بمثل ذلك الإمام الرملي فقال : " من المعلوم أن الشيخين قد اجتهدا في تحرير المذهب غاية الاجتهاد ، ولهذا كانت غايات العلماء وإشارات من سبقنا من الأئمة المحققين متوجهة إلى ما عليه الشيخان والأخذ بما صحاه بالقبول والاندعان ، مؤيدين ذلك بالدليل والبرهان ، فإذا انفرد أحدهما عن الآخر فالعمل بما عليه الإمام النووي ، قال : وما ذاك إلا لحسن النية وإخلاص الطوية^(٢) " أه

(١) الفوائد المدنية ص ١٩ .

(٢) " " " ص ٢١ ، وانظر هذا المبحث في الكتاب المذكور ص ١٦ - ٢٩ .

أسرته ، ومولده ، ونشأته :

لم يعن المؤرخون بأسرة الامام النووى في تواريخهم ، ولعل ذلك لعدم شهرة من نبغ فيها بعلم أو رياسة ، فلذلك بقيت أسرته في ظهير غيب عن معرفة أحوالها ، ولولا ما ذكره ابن العطار في ترجمته من كلمة يسيرة حول هذه الأسرة لجهل أمرها نهائيا ، وكل الذى قاله ابن العطار^(١) هو : " وحزام جده نزل في الجولان بقرية نوى على عادة العرب فأقام بها ورزقه الله ذرية الى أن صار منهم خلق كثير " .

فتراه لم يشر الى أحد من أسرة النووى بمكانة علمية أو اجتماعية ، فدل ذلك على أنها أسرة متواضعة لكثير من الأسر العربية التي جهل التاريخ أمرها لعدم من يذكر بها .

غير أن هذه الأسرة قد أنجبت من يذكر بها بل ويخلد ذكرها في هذه الحياة ، وذلك هو الامام يحيى بن شرف ، فإن به اشتهرت بلدته وذكرت أسرته ، أما البلاد فقد تعرفت به ولم يتعرف بها ان لم يشتهر أمرها إلا به وأصبحت معروفة لدى الخاص والعام من الأنام تتردد على ألسنتهم ذكرها ، وتزين الأدباء بها شعرها ، حتى قال قائلهم :

لقيت خيرا يانوى	ووقيت من ألم النوى
فلقد نشأ بك عالم	للّه أخلص ما نوى
وعلا علاك فضله	فضل الحبوب على النوى

وأما ذكر أسرته ، فأبرز من ذكر منها هو والد النووى شرف بن مرى بن حسن النووى ، الذى اشتهر بالتقوى والصلاح والورع . قال عنه اليونيني^(٢) : " كان من

(١) تحفة الطالبين ٢ / ب .

(٢) في ذيل مرآة الزمان ١٨٤ / ٤ ، واليونيني هو موسى بن محمد بن أبي الحسين اليونيني ، ولد بدمشق وتوفي بها سنة ٧٢٦ هـ ، وكان فاضلا ، مؤرخا ، له ذيل مرآة الزمان ، ومختصر مرآة الزمان وغيرهما . الأعلام ٣٢٨ / ٧ .

الصالحين مقتنعا بالحلال يزرع له أرضا يقات منها هو وأهله . قال : وكان يمين
الشيخ محيي الدين - رحمهما الله منها - يرسل له مئنته وقتا بوقت ولا يأكل من
عند غير أبيه لما يعلمه من صلاحه واستعماله الحلال الخالص .

قال : وكان خَيْرًا لا يأكل شيئاً فيه شبهة ولا يطعم أولاده إلا مما يعرف حلاله .

ثم نقل عن الشيخ الصالح محيي الدين الذهبي - وكان صاحبه - قوله :
كنت أتردد أنا وأخوالي إلى نوى وننزل عنده ويخدمنا خدمة بالغة . فاتفق أن توجهنا
إليه في شغل وأخذنا معنا هدية لبعض الأصحاب وفضل معنا سلة أيجاص^(١) فلما
دخلنا بها بيت الحاج شرف قلت لأخوالي وقد حضر ولد صغير لولد شرف المذكور:
اعطه إياها يدخلها للصغار فقال له ذلك ، فغضب ، وقال : متى رأيتنا نأكل هذا
أو غيره ؟ ، أو أكلنا من مال أحد شيئاً ؟ وتخبر عليه ولم يقبلها .

وكان من زهده وورعه أنه لما مات ولده الشيخ محيي الدين - رحمهما الله -
تعالى ، خلف كتبه التي صنفها وغيرها من العلوم الإسلامية مما كتبه بخطه
أو اشتراه ، فلم يتعرض لها والده وهي تساوي جملة كبيرة بل جعلها عند
الشيخ برهان الدين الأسكندري تلميذ الشيخ محيي الدين لينفع بها المسلمين
ولم تزل عنده يعبرها لكل من قصد الانتفاع بها ، وحصل للناس بها نفع كثير
إلى أن مات الشيخ شرف المذكور .

(١) هو المشمش والكمثرى بلغة الشاميين ، القاموس ، مادة جأص ٢ / ٢٩٤ .

هكذا نشأ هذا الرجل وأنشأ أولاده طاهرة قلوبهم نقية أفئدتهم سالحة
 أجسادهم لم تثبت إلا من الحلال الطيب لا تعرف المتشابه فضلا عن المحرم .
 وكأنني بهذا الشيخ المرحوم كان جاعلا نصب عينيه ما ورد في كتاب الله
 وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - من الأمر بالأكل من الحلال الطيب والابتعاد
 عن أكل الحرام الذي يفسد القلب ويعمي البصيرة . كقوله - صلى الله عليه وسلم -
 فيما أخرجه مسلم والترمذي ^(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل
 إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : * يا أيها الرسل
 كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وقال : * يا أيها
 الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم * ^(٢) وقال : * يا أيها
 الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم * ^(٣) قال : وذكر الرجل يطيل السفر
 أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام أو مشربه حرام وملبسه
 حرام وغذى بالحرام فأني يستجاب لذلك)) .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((ياكعب بن عجرة أنه لا يدخل الجنة لحم
 نبت من سحت ، النار أولى به)) ^(٤) .

وقوله - عليه الصلاة والسلام - : ((يأسعد أظب مطعمك تكن مستجاب
 الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام ما يتقبل منه
 أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به)) ^(٥) .

-
- (١) مسلم بشرح النووي ١٠٠/٧ .
 والترمذي بشرحه تحفة الأحوذى ٣٣٣/٨ ، وأحمد في المسند ٣٢٨/٢ .
 (٢) المؤمنون آية رقم ٥١ .
 (٣) البقرة آية رقم ١٧٢ .
 (٤) رواه أحمد ٣٢١/٣ ، ٣٩٩ ، ورواه الترمذي في الصلاة وحسنه ٥١٣/٢ ،
 وقال الهيثمي : رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٣٣١/١٠ .
 (٥) رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه ، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٠٣/١ .
 قال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير وفيه من لم أعرفهم مجمع
 الزوائد ٢٩١/١٠ .

فرحمه الله ما أشد ورعه وما أحسن تربيته ، لذلك أنجب أولادا مثل النووى
نيرة قلوبهم صفية سرائرهم طائعة جوارحهم لله تعالى ، ولا ريب في هذا ، فإن
أكل الحلال ينور القلب ويرققه ويجلب له الخشية من الله تعالى والخضوع لعظمته
وينشط الجوارح للعبادة والطاعة ويؤهد في الدنيا ويرغب في الآخرة وهو سبب
في قبول الأعمال الصالحة واستجابة الدعاء .

وأما أكل الحرام والشبهات فصاحبه على الضد من جميع هذه الخيرات ، فهو
يقسي القلب ويظلمه ويقيّد الجوارح عن الطاعات ويرغب في الدنيا وهو سبب في
عدم قبول الأعمال الصالحة وردّ الدعاء . (١)

هذا ما تحدّث به التاريخ عن والده ، أما بقية أسرته فسكت عنها ، حسب
ما علمت ، غير أن اليونيني أشار إلى أن له اخوة وأنهم عاشوا بعده وبعد أبيهم
أيضا وأن منهم كبارا وصغارا (٢) . ولأنعلم عن ثقافتهم شيئا .

أما سلوكهم فلا ريب أن الصلاح والورع كان مسبلا عليهم كما نشئوا عليه في
حضانة أبيهم الذي غداهم الحلال والبسم الحلال وحلّاهم بالأخلاق الفاضلة ،
ولا ريب بأن هذه الحلية كانت شعارهم حتى ارتحلوا إلى بارئهم ، لأن الأخلاق
والسلوك التي تغرس في الصغر قلما تنزع في الكبر ورحم الله القائل :
وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عودّه أبوه

(١) النصائح الدينية ص ١٩٣ .

(٢) انظر ذيل المرأة ١١٠/٤ .

ولادته :

اتفق المؤرخون على تحديد شهر محرم من عام واحد وثلاثين وستمائة للهجرة لزمان ولادته ، فلا يكاد يغفل تحديد هذا الشهر لزمان ولادته أحد ممن ترجم له .^(١)

ولكن منهم من أراد أن يحدد تحديدا أدق من ذلك . ولما لم تسعفهم المراجع الى تحديد اليوم الذي ولد فيه عدلوا الى تقريبه وذلك بتحديد أى عقود هذا الشهر كانت ولادته فيه ؟ .

فقال السخاوى^(٢) والسيوطي^(٣) والياضي^(٤) :

" أنها كانت في العشر الأوسط من هذا الشهر " . ورجح هذا التحديد الشبرخيتي^(٥) والسخاوى^(٦) . وخالف في ذلك جمال الأسنوى فقال : " إنه ولد في العشر الأول منه " .^(٧) وحكى عنه ذلك السخاوى . ولم أر من عسده

الاسنوى في تحديد ذلك ، فالجزم بما رجحه السخاوى والشبرخيتي وما قاله غالب من ترجم له هو المتعين ، لأن اعتماد أولئك كان على ترجمة ابن العطار تلميذ النووى^(٨) . ولا شك بأن قوله يقدم على غيره لأن صدره فيها صاحب الشأن وهو النووى نفسه .

(١) انظر المراجع السابقة لترجمة النووى .

(٢) ص ٤ .

(٣) المضاج السوى ٣ - أ .

(٤) مرآة الجنان ١٨٢/٤ .

(٥) الفتوحات الوهبية ص ٣ .

(٦) ص ٤ .

(٧) طبقات الشافعية للأسنوى ٢٦٦/٢ .

(٨) ص ٤ .

(٩) وانظر تحفة الطالبين ٣/ب .

نشأته :

ماكاد يبلغ النوى سن التمييز إلا وعناية الله ترعاه لتؤهله لخدمة هذا الشرع المظهر المنيف ، فبينما هو في عامه السابع من العمر ان هونائم ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان بجانب والده - كما حكاه ابن العطار عن والده - ان يكشف له سر من أسرار الله تعالى في شهر رمضان المبارك أخفى ادراكه على كثير من خلقه .

ألا وهو ليلة القدر ، فانتبه من سباته نحو نصف الليل ، واذا بدارهم ممثلة نورا ، فتعجب منه لما يعهده من الظلام الحالك في هذه الليلة ، ولم يكن يدرك لصغر سنه أن هذه الليلة مباركة وهي أرجى ليالي القدر كما ذهب اليه الجمهور ،^(١) فابقظ أباه ليستفسره عن هذا الأمر العجيب الذي رآه على خلاف المعتاد قائلاً : يا أبت ما هذا الضوء الذي قد ملأ الدار ؟ فاستيقظ أهله أجمعون فلم يروا شيئاً من ذلك ، غير أن والده عرف أنها ليلة القدر^(٢) ولعل الله تعالى كشف هذه الليلة له ليكون سبباً لأحياء أبويه وأسرته لها بالعبادة والتضرع فلعل دعوة صالحة متقبلة تصيبه فتكون سبباً لسعادته في الدنيا والآخرة ، وقد كان ذلك بتوفيق الله تعالى ، فشعر أبوه بأن لولده هذا شأناً في المستقبل فطلق يفرس في فؤاده منبع كل خير وفضيلة ألا وهو القرآن الكريم . فذهب به الى معلم الصبيان وجعله عنده ليعلمه القرآن ، فأخذ يلقيه القرآن شيئاً فشيئاً ، فكان يتلقاه خير تلقى بأذن صاغية وقلب واع ، ومالبت أن شغف بالقرآن حتى لا يحب أن يصرف عن الاشتغال به لحظة واحدة ، ولم يلهمه جماع الصبا ولا مرح الطفولة عن تلاوته ، بل لقد كان يكره كل ما يشغله عن القرآن ، فحدث ذات يوم أن الصبيان أكرهوه على اللعب معهم . فحاول الفرار من أيديهم وهو يبكي لأكراههم على ذلك

(١) انظر طرح الشريب ١٥٥/٤ ، وليلة القدر لولى الدين أحمد عبد الرحيم العراقي ص ٢٠ .

(٢) السخاوى ص ٤ ، والمضاهج السوى ١/٤ .

ولم يشه ذلك الحال عن قراءة القرآن ، وإذا بشيخ ظاهر الصلاح ^(١) يشاهد ذلك الحال منه فيملىء قلبه محبة له ^(٢) لتفردّه عن أقرانه بهذا السلوك الفذ وهو إذ ذاك لم يتجاوز العاشرة من العمر - أي السن الذي يكون الطفل فيه لا يطمح لشيء أكثر من طموحه للعب والترح - وحدث أن جعله أبوه وهو في هذا السن في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن ^(٣) فتفرّس هذا الشيخ من سلوكه هذا بأنه سيكون له شأن صالح إن كان له فسحة في الأجل فذهب إلى معلمه ووصاه به قائلاً له : إنّه يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به ، فسأله المعلم أمّجّم أنت ؟ فأجاب الشيخ بأن لا ، ولكنّ الله أنطقني بذلك ^(٤) فتلقى المعلم هذه الوصية وذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الحلم . ^(٥)

وهكذا كانت حياة النوى في صباه لم تعرف له صباه ، ورحم الله اليونيني إذ يقول في وصفه : كان كثير التلاوة للقرآن العزيز والذكر لله تعالى معرضاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة من حال ترعرعه . ^(٦) وكان الله تعالى قد أعدّه منذ طفولته وصباه لحمل عباءة الوراثة النبوية في العلم والورع والصلاح .

هذا ما عثرنا عليه من ومضات في حياة النوى في بلده قبل أن يرحل إلى دمشق . ولقد لبث في بلده إلى الثامنة عشرة من عمره ، فبما ذا كان يملا هذه الفترة من فتوته ؟ ، لم نتجدنا الأخبار عنه بغير ما قد هنا .

واستظهر الأستاذ عبد الغني الدقر أنّه كان منصرفاً إلى إعانة أبيه في دكانه ومقبلاً على التزود بالقليل من العلم عند بعض الشيوخ من أهل العلم الذين لم تكن تخلو منهم قصبة أو قرية حينئذ ، وقد ذكر هذا السخاوي عن الذهبي ، غير أن السخاوي جعل هذه الرواية مرجوحة بالرواية الأخرى التي تقدم ذكرها عن الشيخ المراكشي وأن أباه حرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الحلم . ^(٨)

(١) هو الشيخ يسن بن يوسف المراكشي ترجمته في شذرات الذهب ٤٠٣/٥ .

(٢) ، (٣) ، (٤) السخاوي ص ٤ ، والضمهاج السوي ١/٤ .

(٥) السخاوي ص ٤ .

(٦) مرآة الزمان ٢٨٤/٣ .

(٧) ترجمة النوى للدقر ص ٢٢ .

(٨) السخاوي ص ٤ .

الفصل الثالث

في بيان العوامل التي كونت شخصيته

وهي نوعان

• عوامل داخلية

• عوامل خارجية

أسباب نبوغ النورى وتقدمه :

لم يكن النورى - رحمه الله - إلا عبدا من عباد الله بكل ما تعنيه العبودية الحقة ، من رُق وخضوع واستكانة وتضرع وصبر وعمل في طاعة وبعد عن المعصية ، ثم هو بعد ذلك يطمح أن يعلمه الله تعالى من علمه ويفيض عليه من فضله ، كما وعد تبارك وتعالى عباده بذلك حيث قال : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ ^(١) ولا ريب بأن من تحلى بهذه الخلال فإنه قد تحلى بالعبودية الحقة التى وعد الله تعالى المتحلين بها ، الاجابة اذ يقول جل ذكره : ﴿ واذا سألك عبادى عنى فأنتى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ ^(٢) ، اذا فلا غرابة في تقدم من كانت تلك صفاته ، ولكن لما كان الهدف الاسمى من هذه الترجمة هو الاحتذاء بصاحبها عل أن ينفعنا الله بها ، كان من المستحسن أن يفصل القول في تكوين هذه الشخصية الفذة ، وبعد استيعاب ترجمته رأيت أن العوامل التى كونتها تنحصر في نوعين :

النوع الأول : عوامل عادية تجرى على أمثاله من طلاب العلم ، غير أنها تختلف من شخص لآخر من حيث التطبيق ، كاختلافهم في المقاصد والغايات ، وهى :

- رحلته لطلب العلم .
- حلوله بالمدرسة الرواحية .
- اجتهاده في طلب العلم .
- كثرة دروسه وسماعاته .
- قوة حفظه وكثرة مطالعته .
- جلالة شيوخه وغايتهم به .
- توفر الكتب لديه .
- اشتغاله بالتدريس .

أما النوع الثانى : فهى عوامل غير عادية ، وإنما هى مواهب من الله تعالى لمن أراد له من عباده كما قال تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ﴾ ^(٣) ولكن رهن إيتاء الحكمة بتقوى الله ومراقبته حيث قال : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ . وسأحدثك عن هذين النوعين تفصيلا ، وأبتدىء بالنوع الأول .

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

(٢) " " " " ١٨٦ .

(٣) " " " " ٢٦٩ ، والحكمة هى المعرفة في الدين والفقه فيه والاتباع =

عوامل تكوينه العادية :

١ - رحلته لطلب العلم :

لما كانت نوى قرية صغيرة وليس فيها ما يشفي غليله
ويروى غليله الذين لحقاه فيها منذ أن شغف بالعلم بعد أن ذاق حلاوته على
أيدى من كان بها من مشايخ . (١)

لما كان الأمر كذلك ، هان عليه فراق بلدته ووداع أسرته ليحقق رغبته
وينشد أميته ، فاستقر في خلدته وأبيه أن الذى ينشده سيجده في دمشق التى
كانت اذ ذاك محج العلماء وطلبة العلم من أقطار العالم الاسلامي (٢) لما توفّر
فيها من علماء جلة في مختلف الفنون ، وشيدت فيها المدارس في مختلف
التخصصات ، وجرت لروادها الأرزاق وهى لهم السكنى (٣) . فقدم به أبوه
- رحمه الله - في عام تسع وأربعين وستمائة وكان عمره آنذاك تسع عشرة

=== له ، كما قال مالك - رحمه الله - . انظر تفسير ابن
عطية ٥٤٦/٢ ، وتفسير ابن جرير ٨٩/٣ ، وفتح
القدير ٢٨٩/١ .

(١) لم تسعفني كتب التراجم بأسماء أعلام هذه البلدة الذين يمكن
أن يكون استفاد منهم النووى قبل ارتحاله الى دمشق حيث
كان في بداية الطلب .

(٢) الدقر ص ٢٣ .

(٣) انظر المدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ، فقد ذكر
مدارس دمشق وعدّ نحو مائة وتسعين مدرسة يدرس فيها
القرآن والحديث وفقه المذاهب الأربعة ،
وواحدا وعشرين رباطا يأوى اليها الطلاب ، وذلك الى
عهدده حيث توفي سنة ٩٢٢ هـ وقد تقدّمت الإشارة الى هذا عند
بيان الحالة العلمية فانظرها ان شئت .

سنة ^(١) الى دمشق لنيل العلم من معينه الصافي ومورده الشافي ، فقصده
 الجامع الأموي ونزله فلقى فيه خطيب الجامع وإمامه الشيخ جمال الدين عبد الكافي
 ابن عبد الملك الربيعي الدمشقي ^(٢) ٦٨٩ هـ ، فعرفه مقصده فأخذه
 الشيخ وتوجه به الى حلقة الشيخ تاج الدين عبد الرحمن بن ابراهيم
 ابن ضياء الفزاري المعروف بابن الفركاح ^(٣) فطلق غدثه يشمر عن
 ساعد الجد في طلب العلم فقرأ عليه دروسا وبقي يلازمه مدة ^(٤) ،
 وبدأ يشق مرحلة الخشونة والزهد فلم يكن له في أثناء ملازمته لشيخه
 ابن الفركاح موعضا يأوى اليه مع كثرة الأربطة التي كانت في دمشق
 آنذاك ، وذلك لأنه لم يعبا بتحصيل السكن ، وإنما همته ما قدم من أجله
 وهو التعليم ، ولكن ما برح أن نفد صبره عن الاستغناء عن المنزل فسأل
 شيخه ابن الفركاح موعضا يسكنه ^(٥) ، ولعل شيخه لم يكن يعلم

(١) كذا في ترجمة السخاوي والسيوطي والذي يقتضيه الحساب

أن يكون عمره حينئذ ثمانية عشرة سنة .

(٢) ولد سنة ٦١٢ هـ ، وسمع من ابن الصلاح وطائفة ،

وسمع منه الحافظ علم الدين البرزالي ، وآخرون . وكان

فقيها فاضلا ، ناب في القضاء مدة ثم ترك واقتصر على

الخطابة والامامة في المسجد الأموي . (طبقات

السبكي الكبرى ١١٩ / ٥ ، وشذرات

الذهب ٤٠٩ / ٥ .

(٣) ستأتي ترجمته ص ١١٠ .

(٤) السخاوي ص ٨ .

(٥) " ص ٨ .

بحاله قبل أن يخبره ولكن لم يكن بيده من المدارس سوى المدرسة الصارمية (١)
 ولا بيوت لها ، بل ولا معلوم لها ، فبعث به الى المدرسة الرواحية (٢) ليحصل له
 بها بيت ويتفرق بمعلومها (٣) ، وكان الشيخ كمال الدين اسحاق بن أحمد بن
 عثمان المغربي (٤) معيدا فيها وقتئذ . (٥)

استقراره في المدرسة الرواحية :

تلقت المدرسة الرواحية طالبها الجديد بالرحب والسعة وشرفت به لأنسه
 من أبرز من تخرج منها ، واحتضنته في إحدى غرفها المعدة لطلابها كما يقضيه
 حالها ، غرفة صغيرة المساحة عجيبة الحال (٦) إذا دخل عليه أحد لم يكده يجد
 له موضعا يجلسه فيه حتى يرفع الكتب بعضها فوق بعض ليوسع له ، كما حكاه اليدر
 ابن جماعه (٧) ونقله عنه السخاوي (٨) .

(١) نسبة الى بانيها صارم الدين أزبك ، مملوك قايمار النجمي (انظر —
 الدارس ٣٢٦/١) .

(٢) نسبة الى واقفها زكي الدين أبي القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد
 ابن رواحه . (انظر الدارس ٢٦٥/١) .

(٣) الدارس ٢٦٨/١ .

(٤) ستأتي ترجمته ص ١٨٧ ١٨٨ .

(٥) الدارس ٢٧٤/١ .

(٦) السخاوي ص ٥ .

(٧) هو محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكثاني الحموي الشافعي ولد
 سنة ٦٣٩ هـ ولي أمورا مهمة بالقدس ثم قضاء مصر ثم الشام ثم مصر الى أن شاخ
 وعي ، وكان من خيار القضاة ، وكان محدثا مفسرا فقيها له مصنفات كثيرة
 في ذلك ، توفي سنة ٧٣٣ هـ . (البداية والنهاية سنة ١٦٣ / ١٤ ،
 والأعلام ٢٩٧/٥) .

(٨) ص ٣٦ .

فكانت هي منزله مدة مقامه بدمشق فلم ينتقل منها حتى بعد ولايته الأشرافية . (١)

قال اليافعي - رحمه الله تعالى - : سمعت من غير واحد أنه إنما

اختار النزول بها على غيرها لحلها إذ هي من بناء بعض التجار ، وكان قوته فيها جارية المدرسة لا غير ، وقد كان يأكل بعضها ويتصدق بالباقي (٢) ، ظل

على ذلك الحال مدة ثم ترك جراتها وأصبح لا يأكل إلا مما يبعث به إليه أبوه وهو عبارة عن كعك ناشف وتين حوراني . (٣)

(١) السخاوي ص ٥ .

(٢) مرآة الجنان ١٨٣/٤ ، والدارس ٢٦٨/١ .

(٣) ترجمة اللّخمي ٢/ب والسخاوي ص ٥ .

طلبه للعلم واجتهاده فيه :

تحقق للنووي - رحمه الله - في هذه المدرسة السكن الذي يأوى اليه والجرية التي يقتاتها ، والشيخ الامام المتفق على علمه وزهده وورعه وكثرة عبادته وعظيم فضله وتمييزه في ذلك على أشكاله ، وهو الشيخ الكمال اسحاق المغربي ^(١) ، الذي سيجد بغيته غده ، فحانت له بهذه الأمور الفرصة للجهد والمثابرة على طلب العلم ، فرأى في نفسه أنه ما كان له بعدئذ أن يتوانى عن أى شيء يمكنه عمله في التحصيل والذي قد ر عليه حينئذ لا يقدر عليه أحد سوى من كانت همته كهفته ورغبته كرجيته وقليل ما هم ، فقد ضرب به المثل في اكبابه على طلب العلم ليلا ونهارا وهجره النوم إلا عن غلبة ، وضبط أوقاته بلزوم الدرس أو الكتابة أو المظالعة أو التردد الى الشيوخ ^(٢) ، فقد حكى عن نفسه أنه بقى نحو سنتين لا يضع جنبه على الأرض ^(٣) ، فجعل يشرح ويصحح على شيخه المذكور فأعجب به لما رأى من ملازمته للاشتغال وعدم اختلاطه بالناس وأحبه محبة شديدة وجعله معيد السدرس بحلقته لأكثر الجماعة . ^(٤) فكانت اعادته في المدرسة أول ثمار جهده المبذول في التحصيل وما كان لشيخه أن يجعله معيدا لولا أنه رأى أهليته للاعادة وان لم يتجاوز الوقت الذي لا يصل اليها غيره حتى يجتازه لأن الاعادة ليست يسيرة فإن المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما تقتضيه لفظ الاعادة ، ^(٥) كما أن من شأنه أن يكون من صلحاء الفضلاء ، وفضلاء الصلحاء صبورا على أخلاق الطلبة حريصا على فائدتهم وانتفاعهم به ^(٦) ،

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١٨/١ ، وستاتي ترجمته عند ذكر شيوخه .

(٢) السخاوى ص ٧ .

(٣) " ص ٦ .

(٤) " ص ٦ .

(٥) معيد النعم ومبيد النقم ص ٨٥ .

(٦) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ص ٢٠١ .

وما كانت الاعادة على الامام النووى في هذا الوقت المبكر ^(١) من طلبه للعلم بعزيزة عليه ، فقد علمت حاله في الاجتهاد والصلاح ، فاذا علمت ذلك ثم علمت أنه كان له في كل يوم اثنا عشر درسا على المشايخ شرحا وتصحيحا ، زال غك الاستغراب وتلك الدروس هي :

درسان في الوسيط ^(٢) ، وثالث في المذهب ^(٣) ، ودرس في الجمع بين الصحيحين ^(٤) ، وخامس في صحيح مسلم ، ودرس في اللمع لابن جنى في النحو ^(٥) ، ودرس في اصلاح المضيق لابن السكيت ^(٦) في اللغة ، ودرس في التصريف ، ودرس في أصول الفقه تارة في اللمع لأبي اسحاق ، وتارة في المنتخب للفخر الرازى ^(٧) ، ودرس في أسماء الرجال ، ودرس في أصول الدين ، كما حكى هو عن نفسه ^(٨) .

(١) ان لم يكن له منذ أن نزل الرواحية عند شيخه المذكور إلا أقل من سنتين كما سيأتي تحقيقه ، وانظر ذيل مرآة الزمان ٢٨٥ / ٣ .

(٢) لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي ت ٥٠٥ هـ .

(٣) لأبي اسحاق الشيرازى ت ٤٧٦ هـ .

(٤) ألف في الجمع بين الصحيحين امامان هما : الامام الحافظ أبو عبد الله محمد ابن أبي نصر بن فتوح الحميدى ت ٤٨٨ هـ ، والامام أبو محمد بن حسين ابن مسعود الفراء البغوى ت ٥١٦ هـ ، ولعل الأول هو الذى كان فيه الدرس لما سيأتي .

(٥) هو عثمان بن جنى ت ٣٩٢ هـ ، صاحب الخصائص في النحو ، وسر الصناعة ،

وشرح ديوان المتنبي وغير ذلك . (بغية الوعاة ص ٣٢٢) .

(٦) هو يعقوب بن اسحاق ، أبو يوسف بن السكيت ت ٢٤٤ هـ ، (بغية الوعاة ص ٤١٨) ، وكشف الظنون ١٠٨ / ١ .

(٧) هو محمد بن عمر بن الحسن الرازى المشهور بابن خطيب الرى ت ٦٠٦ هـ ،

(طبقات ابن قاضى شهبه ٦٥ / ٢ ، وطبقات الاسنوى ١٢٣ / ٢) .

(٨) السخاوى ص ٦ ، والسيوطي ١ / ٥ .

فهذا عدد كبير قلما يقدر عليه غيره ، وان كان قد يتصور المرء القدرة عليه أو قد يحصل مثل هذا لبعض الطلبة الأفذاذ ، إلا أنه إن تصور أحد ذلك نظريا ، أو قدر عليه عمليا ، فإن الموازنة بين الصورتين قد لا تتفق البتة ، لأن الذي كان يقوم به النووى - رحمه الله - كانت قراءة بحث وتدقيق كما حكى هو عن نفسه حيث قال : " وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل وإيضاح عبارة وضبط لغة " ، قال : " وبارك الله لي في وقتي واشتغالي وأعانني عليه " (١) .

فإن هذه الصورة التي كان عليها النووى يعجز عنها غيره ، ولا شك ، إلا أن يكون مصحوبا بما صحب به هو من البركة في الوقت وإعانة المولى تبارك وتعالى له على ذلك .

فلقد كان - رحمه الله تعالى - لا يضيع له وقت في ليل ولا نهار إلا في وظيفه من الاشتغال بالعلم حتى أنه في ذهابه في الطريق وإيابه يشتغل في تكرار محفوظاته أو بالمطالعة ، وبقي على التحصيل على هذا الوجه نحو است سنين (٢) .

وسأله البدر بن جماعة (٣) عن نومه فقال : اذا غلبني النوم استندت الى الكتب لحظة وأنتبه (٤) .

ولم يكن - رحمه الله تعالى - يصرف وقتا من أوقاته إلا في طلب علم أو عبادة معرضا عن شواغل الحياة وملاذها فعاش حصورا لا يشغله عن طلب العلم أهل ولا ولد (٥) قد ترك جميع ملاذ الدنيا من المأكول إلا ما يأتيه به أبوه من كعك يابس وتين حوراني (٦) فلا يحتاج له الى طهي ، ولا يستغرق في أكله وقتا طويلا وان تيسر له صنف واحد من أصناف الادام ائتممه ، ولا يكاد يجمع بين اداامين (٧) ولم يكن مطلقا لنفسه هواها يعرض عليها الطعام في كل وقت ، بل كان كابحا لها ، صائم الدهر ، فلم يكن يأكل إلا أكلة واحدة بعد العشاء الآخرة ولا يشرب

-
- | | |
|-----|-------------------------|
| (١) | السخاوى ص ٦ . |
| (٢) | " ص ١١ ، والسيوطي ٧/ب . |
| (٣) | تقدمت ترجمته ص ٦٥ . |
| (٤) | السخاوى ص ٣٦ . |
| (٥) | " ص ٣٩ . |
| (٦) | " ص ٣٨ . |
| (٧) | " ص ٣٩ . |

الأشربة واحدة عند السحر ، وإذا شرب فلا يشرب الماء المبرد ، خشية أن يجلب له النوم . (١)

والغرض من هذا كله هو لئلا يخسر الوقت في غير العلم ، فمن كانت محافظته على الوقت بهذه المثابة فلا غرو أن ينبغ في أقصر زمان ، فرحمه الله ما كان يمضي له عام من بداية طلبه للعلم حتى شهد له أحد مشيخته بالفقه ^(٢) وما كان ليتأتى له ذلك لولا أنه أجهد نفسه وأتعب بدنه وسهر ليله في الطلب ، ولا ريب في هذا فقد قيل : من تعنى نال ما تمنى ، وقالوا : إن العلم لا ينال براحة الجسم ، بل لا يعطيك العلم بعضه حتى تعطيه كلك ، فإذا أعطيته كلك ، فأنت على خطر من الوصول الى بعضه ^(٣) ، ولعل هذا ما فهمه النووي - رحمه الله - من حال العلم ، فصرف وقته فيه ، وفرغ قلبه له ، «انصاف قلبا خاليا فتمكنا» وبذل فيه جهده فقال في أقرب وقت المضى ، ولا شك في ذلك فإن الجِدَّ بالجِدِّ والحرمان بالكسل ، ومن جَدَّ وجد ، ومن زرع حصد .

إذا كان هذا حال النووى في طلبه فلا بدع إذا أن يبرز ويفوق الأقران في أقصر زمان ، ناهيك عن أن الله تعالى قد هيأه لما صار إليه فصار في غاية الله ورعايته ، ومن كان في غاية الله ورعايته وهدايته ، هدى الى صراط مستقيم وأعين على حمل عبء عظيم ودل له كل صعب جسيم . ومما يدل على هذه العناية الالهية أن الله تعالى قد حفظه من مضلات الفتن وكتب أهل الزيغ أو من في إيمانهم دخن ، فقد عنَّ له في أثناء طلبه أن لا يقتصر على علم الأديان فقط ، فأحب أن يعلم كذلك علم الأبدان ، لأنه علم في ذاته محمود لاسيما أن إمامه الشافعي قد مدح علم الطب فيما ثبت عنه .

(٤)

فاشتري

(۱) السخاوی ص ۳۹ .

(۲) انظر السخاوی ص ۵ ، و سیأتی ص ۷۵ .

(٣) الوشى المرقوم ٢٤١/١ •

(٤) هو ما رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه من طريق الربيع بن

(١) القانون وعزم على الاشتغال به فأظلم قلبه وبقي أيا ما لا يقدر على الاشتغال بشيء ، ففكر في أمره من أين دخل له ذلك ، قال : فألهمني الله تعالى أن اشتغالي بالطب سببه ، قال : فبعت في الحال الكتاب المذكور وأخرجت من بيتي كل ما يتعلق بعلم الطب فاستنار قلبي ورجع إلى حالي وعدت إلى ما كنت عليه أولا . (٢)

وذلك لأن هذا القلب الممتلئ نورا وإيماناً المفعم بكتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — لا ينبغي له أن يعي من غير جنس ما قد أودع فيه ، ولما كان القانون لابن سينا وهو مطعون عليه (٣) في دينه ، كان لاشك محشياً بفلسفة

=== سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : إنما العلم علمان ، علم الدين وعلم الدنيا ، فالعلم الذي للدين هو الفقه ، والعلم الذي للدنيا هو الطب ، وما سوى ذلك من الشعر ونحوه فهو غناء وتعب ، وقال — رضى الله عنه — : لا تسكن بلداً لا يكون فيه عالم يفتيك عن دينك ، ولا طبيب ينبئك عن أمرك بدنك ، ص ٣٢١ . وقال : ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى ، وقال : شيئان أغفلهما الناس العربية والطب ، كذا في حاشيته ص ٣٢١ . (١) كتاب في الطب لابن سينا مطبوع في مجلدين ضخمين صرح في مقدمته أن ابتداء علم الطب الوارد في كتابه على الفلسفة وأن الطبيب يتعلم ما ينبغي عليه من علم الطب ٣/١ .

(٢) السخاوى ص ٦ ، والسيوطي ٥/ب .

(٣) قال ابن قيم الجوزية : كان ابن سينا كما أخبر عن نفسه هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين .

وقال ابن تيمية : تكلم ابن سينا في أشياء من الالهيات والنبويات والمعاد والشرائع لم يتكلم بها سلفه ، ولا وصلت إليه عقولهم ولا بلغتها علومهم فانه استفادها من المسلمين وان كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالاسماعيلية ، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين بالاحاد عند المسلمين . (انظر الأعلام ٢/٢٤١) .

اليونان يرى النووى وغيره تحريمهما ، ولا شك أن النظر في كتب الفلاسفة وغيرهم ممن اتهموا في دينهم كابن سينا وغيره يطفىء نور القلب لأنها مشوبة بالكفريات وكلامهم منشى بالظلمات فإذا أراد المرء أن يستودع فؤاده الأمرين كان قد حاول الجمع بين الضدين وأتى لهما أن يجتمعا ؟ ! ، فإما أن يستودع نور الايمان وكلام الطك الهيان ، وإما كلام أهل الزيغ والخذلان ، فلما أراد النووى أن يجمع بينهما تراحما فغلب أحدهما الآخر ، فبماذا يهتدى بعدئذ الى العلم الذى هو نور ؟ ونور الله لا يهتدى لعاصي ، كما قال الامام الشافعي (١) .

لكن لما كان رحمه الله نقى السريرة صفى البصيرة غفيل اللسان طاهر الأردان سليم الجنان فحدث لقلبه ما كان ، ألهمه الله الى سبب الغشيان ، فعلم أنه ليس الا النظر في كتب فلسفة اليونان ، ولعله - رحمه الله لم يكن مستشعرا ما تتضمنه كتب الطب مما هو مخالف للشرع الحنيف ، لأنه لم يكن يقصد الا معرفة علم الطب فحسب ، غير أن الله تعالى طهره مما يثلم عرضه أو يشوش فكره ، وكأنني بالشاعر العربي يقصده بقوله :

وإذا العناية لاحظتك عيونها * * نم فالمخاوف كلهن أمان

ولذلك قال في الطبقات الكبرى : لا يخفى على ذى بصيرة أن الله تبارك وتعالى عناية بالنووى وبمصنفاته (٢) ، مع أن الشرع المطهر قد أبدلنا عن هذا الطب المشوب بالفلسفة المحرمة ، الطب الخالص السائق للشاربين ، ألا وهو الطب النبوى فعل فيه الامام ونهـل ، ولتعرف له ذلك ارجع الى كلامه في شرح مسلم شرحا لقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برى . بيان أن الله)) ، ١٩١ / ١٤ - ١٩٩ . فأنك ستجد طبيا حاذقا وخبيراً ماهراً ، إن أنعمت النظر وأحطرت الفكر ، طباً نبوياً لا فلسفة محرمة .

(١) قال ذلك في بيتين أثرتا عنه وهما :

شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني الى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهتدى لعاصي
ديوان الشافعي ص ٥٤ .

(٢) وذكر كلاماً طويلاً استدلل به على ذلك ، انظر الطبقات الكبرى ١٦٦ / ٥ .

سماعاته :

وذكر ابن العطار - رحمه الله تعالى - فصلا في سماعاته وذكر من سماعاته
 صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن أبي داود ، والترمذى ، والنسائى ، وموطأ
 مالك ، ومسند الشافعى ، ومسند أحمد بن حنبل ، وسنن الدارمى ، ومسند
 أبي عوانة الاسفرايينى ، ومسند أبي يعلى الموصلى ، وسنن ابن ماجه ، وسنن
 الدارقطنى ، وشرح السنة للبغوى ، ومعالم التنزيل في التفسير له ، وكتاب
 الأنساب للزبير بن بكار ، والخطب النباتية ، ورسالة القشيري ، وعمل اليوم والليلة
 لابن السني ، وكتاب الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب .
 قال ابن العطار : وأخرى كثيرة غير ذلك . (١)

فهذه نبذة من مسموعاته التي سمعها على أولئك المشايخ الأعلام ، ولقد
 مَرَّبَكَ^(٢) أنه كان يقرأ في اليوم اثني عشر درسا في مختلف الفنون ، وكل هذا يدل
 على مبلغ اجتهاده في التحصيل وأهليته بعد ذلك للإمامة في العلم والعمل .

(١) تحفة الطالبين ٦ - ٧ أ ، ب .

(٢) ص ٦٨ .

قوة حفظه وكثرة مطالعته :

أما قوة حفظه ، فلا ريب أنه - رحمه الله - قد وهب حافظه صافية ينطبع فيها كل ما أراد أن يستودعه فيها فقد حفظ القرآن في طفولته فما ناهز الحلم إلا وهو يحفظه ^(١) ، فكان استيداع حافظته القرآن من أقوى الأسباب لصقلها وصفائها ، لأنها تستثيره ، فلا يكاد يصعب عليها حفظ شيء لكونها قد حفظت أثقل الكلام وأكثره تشابها وأسرع تفلتا ، فإذا ما استوثقت الحافظة القرآن فما عداه يكون أيسر للحفظ لأنها قد ارتاضت بالأشد فالأهون أولى بأن يحفظ بيسر وسهولة .

ولذلك نرى النووي - رحمه الله - وهو في بداية طلبه للعلم لم يمر عليه أربعة أشهر ونصف حتى حفظ التنبيه في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي وهو كتاب كبير يقع في ست وستين ومائة صفحة من القطع الكبير . ثم حفظ ربع العبادات من المذهب لأبي إسحاق الشيرازي أيضا في بقية السنة ^(٢) وهو كتاب كبير يقع ربع العبادات منه في سبع وخمسين ومائتي صفحة من القطع الكبير ^(٣) .

(١) السخاوي ص ٤ .

(٢) " ص ٥ .

(٣) وأما كان اختياره لهذه الكتب ليكونا باكورة محفوظاته ، لأن الأول من أهم المختصرات الفقهية في المذهب ، بل أهمها ، وقد كان طلاب العلم يتبارون في حفظه وشرحه ودرسه حتى شاع صيته وذاع ، واشتهر بين العلماء وانتشر ، فكان مما يرفع مكانة المرء بين أهل العلم ويسمو بمنزلته كونه حافظا للتنبيه ، وقد أثنى العلماء على هذا الكتاب ثناء بليغا نشرنا ونظما ، وقد خدمه النووي في كتابين هما تحرير التنبيه ، والآخر تصحيح التنبيه وانظر مقدمة تحرير التنبيه للنووي ص ٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٢٢٩/٤ ، وتبيين كذب المفتري ص ٢٧٧ ، وكشف الظنون ٢٥٥/١ ، والامام الشيرازي وحياته الأصولية ص ١٦٨ .

وأما الثاني ، فإنه من أهم الكتب التي صُنِّفت في المذهب على طريقة العراقيين

وكان يحفظ حفظ اتقان شهد له بذلك مشيخته ، فقد عرض التبيين على شيخه محمد بن رزين ^(١) فأقره على حفظه وكتب له اجازة بذلك هذه صورتها :

" الحمد لله كما هو أهله . عرض على الفقيه أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النورى من أول كتاب التبيين في الفقه هذا وإلى آخره مواضع امتحنت بها حفظه دلت على ذلك وأذنت بتكراره على جمعه وتحصيله وحرصه على العلم ، وفقني الله وإياه له وللعمل به وذلك في مجلس واحد لسبع مضي من شهر ربيع الأول سنة (٢) خمسين وستمائة ، كتبه محمد بن الحسين بن رزين الشافعي حامدا مسلما مستغفرا " .

فأنت ترى أن ابن رزين — رحمه الله — لم يكف بإقراره حفظ النورى حتى شهد له بالفقه وكان ذلك بعد قدومه الى دمشق بعام واحد .

هذا ما حدث به كتب التراجم عن محفوظاته ولعلمها لم تشر إلا لما غنى به النورى — رحمه الله — عند أول قدومه لدمشق حيث ابتدأ بحفظ المتن كما كان متبعاً

=== حيث جمع فيه الأقوال ونقح المسائل ، وحرر الأدلة مستقصيا فيه كل الفروع الفقهية المعروفة ، واضعا أسس الاستنباط والاستخراج لما يجد ويحدث ، فتهاقت عليه العلماء والطلبة دراسة ، وحفظا ، وشرحا ، وتعليقا ، واختصارا ، ومنهم الامام النورى — رحمه الله — في كتابه العظيم المسمى بالمجموع ، ومدحه العلماء ، مدحا كافيا ، (انظر مقدمة المجموع ٦/١ ، والامام الشيرازى وحياته الأصولية ص ١٦٨ .

(١) هو محمد بن الحسن بن رزين العامري الحموي ، ولد سنة ٦٠٣ هـ ، حفظ المتن الكبيرة في صغره وأخذ العلم بحلب فنبغ في سائر الفنون ثم قدم دمشق فلأزم ابن الصلاح وشرح عليه وعلق عنه ، وولى عدة جهات بحماة ودمشق ومصر ، وامتنع من أخذ الراتب على القضاء ، وكان يقصد بالفتوى من النواحي ، وتخرج به جماعة منهم النورى ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٨٠ هـ ، ترجمته في طبقات السبكي الكبرى ١٩/٥ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ١٤٧/٢ ، وشذرات الذهب ٣٦٨/٥ ، والبداية والنهاية ٢٩٨/١٣ .

(٢) السخاوى ص ٥ .

في ذلك الوقت والى وقتنا هذا في بعض البلاد - ألا فقد كان - رحمه الله - حافظا .
 لجميع الفنون وان لم يكن حفظ ألفاظه ، فإنه حفظ لمضامينه والفن الذي
 تتحدث عنه ، ولعله - رحمه الله - عدل بعد ذلك إلى القراءة على المشايخ شرحا
 وتصحيحا وتفهما كما تقدم أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درسا فلم يسعفه الوقت
 للاشتغال بحفظ المتن .

ولاضير عليه في ذلك بل الاشتغال بالقراءة وتلقي الدروس أولى من حفظ
 المتن لاسيما لمن كان قد أخذ منها بنصيب وافر وذلك لأن الحفظ إنما يكون
 أجدى في حالة الصغر عندما يكون الفهم بطيئا والحفظ أيسر وأمكن للبقا .
 أما اذا بزغ الصغير في الشباب فإن فهمه يكون أثقب ، والحفظ لديه أصعب ،
 فاذا ما قرأ وفهم ، حفظ المقروء فهما واستطاع أن يعبر عنه بلسانه من غير اخلال
 بمقصود الكتاب ومباحثه ، وبهذا ينبغي في أقصر زمان .

وهذا ما جرى عليه النووى - رحمه الله - فإنه في بداية طلبه للعلم أخذ
 نصيبا وافرا من حفظ المتن ثم أكب على الدرس والمطالعة ، ومما يدل على ذلك أنه
 نوزع مرة في نقل عن الوسيط فقال : ينازعوني في الوسيط وقد طالعت أربعمئة
 مرة^(١) ! - فكونه يطالع الوسيط أربعمئة مرة قل أن يقدر عليه أو يفعله أحد
 سواه - وقراءته لكتاب هذا العدد بدون ريب يكون حفظا له حفظا متقنا حروفا
 وفهما ، بل يحفظ بأقل من هذا العدد بكثير لاسيما من أحد كالنووى التي كانت
 قراءته كما مر معنا قراءة بحث وتحقيق ، ولذلك استكثر منهم منازعتهم له فيه لأنه
 واثق من حفظه وفهمه .

ومع ذلك فلم يعد هذا الكتاب من محفوظاته لماذا ؟! اللهم إلا أنه لم يكن
 على النمط الأول من محفوظاته بل كان حفظه له تبعا لفهمه وتكراره ، ولم يقصد ذلك
 ابتداء ، اذا علمت هذا من حال النووى - رحمه الله - فلا تعجب اذا ما قرأت أنه

(١) السخاوى ص ٣٦ ، المنهاج السوى ١/٨ .

لم يمض عليه ست سنوات حتى شرع في التأليف^(١)، فانه بهذا السن وهو على هذا الحال من الحفظ والفهم وكثرة الاطلاع والأخذ عن أفواه المشايخ قد امتزج العلم بلحمه ودمه فلا يفوه إلا بعلم ولا يكتب إلا علما محققا .

أما عن جلالة شيوخه ونسبتهم به :

فإن صفحات التاريخ ناصعة بياضا في تراجم مشيخة الحقبـة التي عاشها النووي وهي القرن السابع الهجري ، فلقد كان هذا القرن حافلا بشيوخ جلة في سائر أنواع المعارف ولا سيما فن الحديث والفقه، ولكن كان فن الحديث هو الفن السائد بين أرباب المعارف المختلفة، فقلما تجد فقيها أو أدبيا أو نحويا أو غير ذلك خاليا من علم الحديث، بل تجد الكثير منهم متخصصا في فن ومشاركا في علم الحديث وذلك لما قلت، إن علم الحديث والفقه كان لهما التصدر في هذا القرن .^(٢)

ولذلك نرى في هذا القرن عددا كبيرا من حفاظ الحديث ونقاده كالحافظ عبد القادر الرهاوي ت ٦١٢^(٣) الذي كان له الأثر الكبير في نشر هذا الفن لأبناء

(١) المضاجج السوي ٧/ب .

(٢) لادراك ذلك انظر الجزء الخامس من شذرات الذهب الذي غني بتراجم هذا القرن ، فانك لا تكاد تجد ترجمة رجل خالية عن الاشارة الى مكانته الحديثية ، أو الجزء الثالث عشر والرابع عشر من البداية والنهاية لابن كثير، أو نحوهما .

(٣) هو الحافظ الامام الرحال أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي الحنبلي، ولد بالرها سنة ٥٣٦ هـ ونشأ بالموصل وطلب العلم وأقبل على علم الحديث فسمع من أبي جعفر الصيدلاني ، والحافظ أبي العلاء وأقرانهم بأصبهان ، ويعرو من مسعود بن محمد المروزي ، وبيغداد من أبي علي أحمد بن محمد الرحبي ، وأبي محمد الخشاب ، وخلق في كثير من البلدان ، وعمل الأربعين ==

هذا القرن اذ تلقى عنه تلامذة عدول حملوا هذا العلم لمن وراءهم ، كالحافظ
ابن الصلاح ^(١) وابن نقطة ^(٢) وأبو عبد الله البرزالي ^(٣) والضياء بن خليل ^(٤)
وابن عبد الدايم ^(٥) وغيرهم ^(٦) .

=== المتباينة الأسانيد ، وكان عالما حافظا ثبتا ثقة مأمونا صالحا كثير السماع
والتصنيف ، ختم به علم الحديث ، قال السيوطي : ومع حفظه وتبحره فغيره
أوثق منه ، مات سنة ٦١٢ هـ بحران - رحمه الله - ، ترجمته في تذكرة
الحفاظ ١٣٨٢/٤ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٩٠ ، وشذرات
الذهب ٥٠/٥ ، والعبر ٥٧/٣ ، والأعلام للزركلي ٤٠/٤ .

(١) هو الامام الحافظ شيخ الاسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن صلاح الدين
عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي ولد سنة ٥٧٧ هـ
بشهرزور ، وتفقه على والده ثم نقله الى الموصل فاشتغل بها مدة وبرع في
المذهب ورحل الى كثير من البلاد كبغداد ونيسابور ومرو وهمدان
ودمشق وحران ، وسمع من أهلها ، وألقى عصا التسيار في دمشق فمكث
يدرس في مدارسها الرواحية والشامية والأشرفية ، وتخرج به الناس ، وكان
من أعلام الدين أحد فضلاء عصره ، في التفسير والحديث والفقه شاركا
في عدة فنون ، له علوم الحديث ، وأدب المفتي والمستفتي وغيرها ، وتوفي
سنة ٦٤٣ هـ بدمشق ، ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ٤٣٠/٤ ، وطبقات
الحفاظ للسيوطي ص ٥٠٣ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٣٢/٥ ، ووفيات
الأعيان ٢٤٣/٣ ، وشذرات الذهب ٢٢١/٥ ، وطبقات ابن قاضي
شعبه ١١٣/٢ ، والأعلام ٣٦٩/٤ ، والبداية والنهاية ١٦٨/١٣ .

(٢) هو الامام الحافظ المتقن أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع
المعروف بابن نقطة ، ولد سنة نيف وسبعين وخمسمائة وبرع في فن الحديث ،
قال السيوطي : وهو حافظ دين ثقة مفيد متقن محقق ، وتوفي ببغداد
سنة ٦٢٩ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤١٢/٤ ، وطبقات
الحفاظ للسيوطي ص ٤٩٩ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩٢/٤ ،
والشذرات لابن العماد ١٣٢/٥ .

.....

(٣) هو الامام الحافظ الرحال المفيد محدث الشام أبو عبد الله محمد بن يوسف الرزدي الاشبيلي ، ولد سنة ٥٧٧ هـ ، فلما شب ألهم سماع العلم فرحل الى البلدان وسمع من الشيوخ وكتب عن ديد ودرج ونسخ الكثير وعمل المعجم الكبير ، وخرج لخلق كثير ، وسكن دمشق ، وتوفي سنة ٦٣٦ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٢٣/٤ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٠١ ، وشذرات الذهب ١٨٢/٥ ، والعبر ٢٢٨/٣ ، والاعلام ١٥٠/٧ .

(٤) هو الحافظ المفيد الرحال الامام مسند الشام شمس الدين أبو الحجاج يوسف ابن خليل بن عبد الله الدمشقي ، ولد سنة ٥٥٥ هـ ، اشتغل بالحديث وله ثلاثون سنة ، وتخرج بالحافظ عبد الغني ، وشيوخه نحو خمسمائة نفس وكان حافظا ثقة عالما بما يقرأ عليه لا يكاد يفوته اسم رجل واسع الرواية متقنا ، وتوفي سنة ٦٤٨ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٤١٠/٤ ، وشذرات الذهب ٢٤٣/٥ ، والعبر ٢٦٢/٣ ، والاعلام ٢٢٩/٨ .

(٥) هو زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدايم الحنبلي ، مسند الشام وفقهها ومحدثها ، ولد سنة ٥٧٥ هـ ، وأجاز له خطيب الموصل والقراوى وخلق ، وسمع من يحيى الثقفي وابن صدقه وابن الموازي وغيرهم ، وانفرد في الدنيا بالرواية عنهم ، وروى الحديث بضعا وخمسين سنة ، وتوفي سنة ٦٦٨ هـ . ترجمته في العبر ٣١٧/٣ ، والشذرات ٣٢٦/٥ ، والبداية والنهاية ٢٥٧/١٣ .

(٦) الشذرات ٥٠/٥ .

وكأبي المظفر السمعاني^(١) ت ٦١٢ هـ ، الذي لا يقل درجة عن الحافظ الرهاوى في نشر هذا الفن ، فلقد كانت مدرسته موازية لمدرسة الحافظ الرهاوى اذ كان من أبرز من سمع منه أبو بكر الحازمي^(٢) ومات قبله بدهر ، وابن الصلاح والضياء المقدسي^(٣)

(١) هو الحافظ أبو المظفر السمعاني فخر الدين عبد الرحيم بن الحافظ أبي سعيد عبد الكريم بن الحافظ أبي بكر محمد التميمي المروزي ، ولد سنة ٥٣٢ هـ ، واعتنى به أبوه أتم غاية ، ورحل به وسمعه الكثير وأدرك الاسناد العالي وخرج له أبوه معجما في ثمانية عشر جزءا ، وروى الكثير ورحل الناس اليه ، وانتهت اليه رئاسة الشافعية ببلده ، وتوفى سنة ٦١٢ هـ ، ترجمته في الشذرات ٧٥/٥ ، والعبر ١٧٤/٢ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ٥٥/٢ ، وطبقات الاسنوى ٣٤١/١ ، والرسالة المستطرفة ص ١٣٨ .

(٢) هو الامام الحافظ البارع النابه أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحراني ، ولد سنة ٥٤٨ هـ ، رحل الى البلاد لسماع الحديث فسمع عن جلة من الحفاظ والمسندين كأبي الوقت السجزي وأبي زرعة المقدسي وغيرهم في كثير من البلاد ، وكتب الكثير وصنف في الحديث عدة مصنفات كالناسخ والمنسوخ ، وشروط الأئمة الخمسة ، وأملى أحاديث المهذب ولم يتمها ، وتوفى شابا نظيرا سنة ٥٨٤ هـ - رحمه الله - ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٣٦٣/٤ ، وطبقات الحفاظ ٤٨٤ ، ووفيات الأعيان ٢٩٤/٤ ، والبداية والنهاية ٣٣٢/١٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١٩٢/٢ ، والشذرات ٢٨٢/٤ .

(٣) هو الامام العالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ السنة ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد السعدى الدمشقي الحنبلي ، ولد سنة ٥٦٩ هـ ، وصنف التصانيف النافعة منها الأحاديث الجياد المختارة مما ليس في الصحيحين ، وأحدهما ، ونسخ وصنف وليتن وجرح وعدل ، وكان المرجوع اليه في هذا الشأن ، وكان جبلا ثقة دينا زاهدا ورعا ، توفى سنة ٦٤٣ هـ - رحمه الله تعالى - . ترجمته في تذكرة الحفاظ ص ١٤٠٥/٤ ، وطبقات الحفاظ ص ٤٩٧ ، وشذرات الذهب ٢٢٤/٥ ، والعبر ٢٤٨/٣ .

(٨١)

(١) (٢)

والزكي البرزالي والمحب ابن النجار وغيرهم .

وكالحافظ الرحال أبي بكر بن نقطة^(٣) ت ٦٢٩ هـ ، الذي كان له أثر كبير في إثراء هذه المدرسة ، فلقد روى عنه كثيرون منهم الحافظ المنذرى^(٤) ، وابن الأثير^(٥) .

(١) هو الامام الحافظ البارع مؤرخ العصر محب الدين أبو عبد الله محمد بن

محمود بن الحسن بن هبة الله البغدادي ، ولد سنة ٥٧٨ هـ ، وسمع من

ابن الجوزي وابن كليب وتلك الطبقة ، وجمع فأوعى ، وكان من أعيان الحفاظ

الثقات مع الدين والصيانة والفهم وسعة الرواية ، توفي سنة ٦٤٣ هـ رحمه

الله - ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٣٢٨/٤ ، وطبقات الحفاظ ص ٥٠٢ ،

وشرارات الذهب ٢٢٦/٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤١/٥ ،

وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ١٢٤/٢ ، والبداية والنهاية ١٦٩/١٣ ،

(٢) شرارات الذهب ٢٢٦/٥ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٧٨

(٤) هو الحافظ الكبير الامام الثبت شيخ الاسلام عبد العظيم بن عبد القوي بن

عبد الله المنذرى ، ولد سنة ٥٨١ هـ وتفقه وطلب الحديث فبرع فيه وولى

مشيخة الكاملية وانقطع بها عشرين سنة وكان عديم النظير في معرفة

الحديث على اختلاف فنونه اماما حجة ثبتا ورعا متحررا فيما يقوله ، له الترغيب

والترهيب ، ومختصر صحيح مسلم ، ومختصر سنن أبي داود ، ومـ

سنة ٦٥٦ هـ - رحمه الله - . ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٤٣٦/٤ ،

وطبقات الحفاظ ص ٥٠٤ ، وشرارات الذهب ٢٢٧/٥ ، وطبقات الشافعية

للسبكي ١٠٨/٥ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ١١١/٢ .

(٥) هو الامام الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير ، ولد سنة ٥٥٥ هـ ،

وسمع من عبد المضع بن كليب وعدة ، كان محدثا لغويا مؤرخا ، صنف

أسد الغابة في معرفة الصحابة والكامل في التاريخ ، والأنساب ، وهو

من بيت علم ، أخوه مجيد الدين محدث حافظ أديب له جامع

الأصول ، والنهاية في غريب الحديث ، وشرح مسند الشافعي ، وأخوه

الآخر ضياء الدين أديب شاعر له المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،

==

(١) وغيرهم .

وكالحافظ يوسف بن خليل بن قراجا ^(٢) ت ٦٤٨ هـ محدث الشام الذى كان له حظ وافر في هذه المدرسة لهذا القرن
اذ سمع منه الكثير كابن الأنماط ^(٣) ، والديبشي ^(٤) ،

=== وغيره ، مات المترجم له سنة ٦٣٠ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٩٧ ، وطبقات الحفاظ ص ٤٩٥ ، والاعلام ٣ / ٣٣١ ، والطبقات الكبرى للسبكي ٥ / ١٢٧ ، والشذرات ٥ / ١٣٧ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ٢ / ٨٠ ، وطبقات الاسنوى ١ / ٨١ .

(١) شذرات الذهب ٥ / ١٣٣ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٧٩

(٣) هو الحافظ البارع مفيد الشام تقى الدين أبو الطاهر اسماعيل ابن عبد الله بن عبد المحسن المصرى الشافعى ، ولد في حدود سنة ٥٧٠ هـ ، وسمع أبا القاسم البوصيرى ، والخشوعى ، وابن سكينه وآخرين ، وكان اماما ثقة حافظا مبرزاً مفيداً ، اشتغل بالعلم في صباه ، وتوفى سنة ٦١٩ هـ . ترجمته في تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٠٣ ، وطبقات الحفاظ ص ٤٩٧ ، وشذرات الذهب ٥ / ٨٤ .

(٤) هو الامام الحافظ الثقة المقرئ أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي سعيد بن يحيى الواسطي الديبشي بالبدال المهمة المضمومة مصغراً ، منسوب الى دبيثا قرية بواسط ، ولد سنة ٥٥٨ هـ ، وعنى بالحديث والتاريخ والسير ، وألف في ذلك ، تاريخ واسط ، وتاريخ بغداد ، ذيل على كتاب ابن السمعاني ، وتوفى سنة ٦٣٧ هـ .
- رحمه الله - .

===

وابن نقطة (١) ، وابن النجار (٢) ، والصيرفيني (٣) ، وعمر بن الحاجب (٤) وغيرهم (٥) .
 وكالحافظ المنذرى (٦) ت ٦٥٦ هـ الذى كان له أثره في نشر الحديث
 وخدمته والذى روى عنه كثيرون من أبرزهم الحافظ الدمياطي (٧) وابن دقيق

=== ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٤١٤/٤ ، وطبقات الحفاظ ص ٥٠٠ ، وشذرات
 الذهب ١٨٥/٥ ، وطبقات الشافعية للسنوى ٢٦٣/١ .

(١) تقدمت ترجمته ص ٧٨

(٢) تقدمت ترجمته ص ٨١

(٣) هو الحافظ المتقن العالم تقى الدين أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن
 الأزهر بن أحمد العراقي الدمشقي الحنبلي ، ولد سنة ٥٨١ هـ ، وعنى
 بالحديث ورحل فيه ، وكان ثقة حافظا صالحا واسع الرواية ، مات
 بدمشق سنة ٦٤١ هـ - رحمه الله - ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٤٣٣/٤ ،
 وطبقات الحفاظ ص ٥٠٣ ، والعبر ٢٤٠/٣ ، وشذرات الذهب ٢٠٩/٥ .
 (٤) هو الحافظ العالم المفيد عز الدين أبو الفتح عمر بن محمد بن منصور
 الدمشقي ، رحل في طلب الحديث وسمع الكثير وكتب العالي والنازل وحصل
 الأصول وعمل المعجم عن ألف ومائة وثمانين شيئا ، وعمل معجم الأماكن
 التي سمع بها وعمل الأربعين المصافحات ، ومات سنة ٦٣٠ هـ - رحمه الله -
 ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٤٥٥/٤ ، وطبقات الحفاظ ص ٥٠٩ ، وشذرات
 الذهب ١٣٨/٥ .

(٥) شذرات الذهب ٢٤٣/٥ .

(٦) تقدمت ترجمته ص ٨١

(٧) هو الامام العلامة الحافظ الحجة النابه شيخ المحدثين أبو محمد
 عبد المؤمن بن بن خلف بن أبي الحسن التوني الدمياطي ولد سنة ٦١٣ هـ
 بدمياط وتفق بها وبرع ثم طلب الحديث ورحل فيه وسمع الكثير وكتب
 العالي والنازل وجمع فأوعى ، وروى عنه تلاميذه الحفاظ العزى والبرزالى
 والذهبي وابن سيد الناس والسبكي وغيرهم ، وكان صادقا حافظا متقنا
 ==

(١) العيد ، وغيرهم . (٢)

وكالعزبن عبد السلام (٣) ت ٦٦٠ هـ الذي كان له حظ وافر في مدرسة الحديث في هذا القرن اذ روى عنه الدمياطي وخرج له أربعين حديثاً

== جید العربية غزير اللغة رأسا في علم النسب ، كَيْسا متواضعا ، ومات - رحمه الله - سنة ٧٠٥ هـ . ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٤٧٢/٤ ، وطبقات

الحفاظ ص ٥١٥ ، والبداية والنهاية ٤٠/١٤ ، والبدر الطالع ١/١٣١ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ٢٢٠/٢ ، وطبقات الشافعية - للاسنوى ٢٢٠/١ ، وشذرات الذهب ١٢/٦ ، والاعلام ٣١٨/٤ .

(١) هو الامام الفقيه الحافظ المحدث العلامة المجتهد شيخ الاسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي ، ولد سنة ٦٢٥ هـ ، ورحل وسمع الكثير ، وصنف تصانيف عديدة كشرح العمدة ، والالمام ، والامام ، كلها في الحديث والاقتراح في علومه ، وكان من أذكى زمانه ، واسع العلم ، مديما للسهر ، مكبا على الاشتغال ، تخرج به أئمة ، امام أهل زمانه حفظا وإتقاناً ، قل أن ترى العيون مثله ، مات سنة ٧٠٢ هـ . ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٤٨١/٤ ، وطبقات الحفاظ ص ٥١٦ ، والبدر الطالع ٢٢٩/٢ ، وشذرات الذهب ٥/٦ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ٢٢٩/٢ ، وطبقات الشافعية للاسنوى ١٠٢/٢ ، والاعلام ١٧٣/٧ ، ومعجم المؤلفين ٧٠/١١ .

(٢) شذرات الذهب ٢٧٧/٥ .

(٣) هو الشيخ العلامة سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي المصري ، ولد سنة ٥٧٨ هـ ، واشتغل بالعلم وبرع في المذهب وفاق فيه الأقران وجمع بين فنون العلم والتفسير والحديث والنقح والأصول والاختلاف والعربية ، وصنف تصانيف مفيدة في التفسير وقواعد الأحكام وغيره ، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشهور توفي بمصر سنة ٦٦٠ هـ . ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ٨٠/٥ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ١٠٩/٢ ، وشذرات الذهب ٣٠١/٥ ، والبداية والنهاية ٢٣٥/١٣ ، ومروءة الجنان ١٥٣/٤ ، والاعلام ١٤٤/٤ .

وابن دقيق العيد (١) وخلق غيرهما . (٢)

وغير هؤلاء كثير من محدثي هذا القرن وحسبك أن ترجع أن لم تشتف بهذا
الى تذكرة الحفاظ للذهبي الطبقة الثامنة عشرة الى الاحدى والعشرين^(٣) أو الى
طبقات الحفاظ للسيوطي من الطبقة الثامنة عشرة الى الاحدى والعشرين كذلك ،^(٤)
أو الى الرسالة المستطرفة لتقف على سرد طائفة من حفاظ هذا العصر .^(٥) فإنك
ستجد نحو من خمسين حافظا في هذا القرن ، مما يدل على أن هذا القرن
كان عامرا بحفاظ الحديث ورجاله . ونقاده ، وكان له الفضل في نشر هذا الفن
كثيرا بحيث بقى فنا عامرا برجاله وكتبه ، ولا ريب فإنه مخفوف بعناية الله وحفظه
كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٦) ، وقيل لعبد الله
ابن المبارك — رحمه الله — هذه الأحاديث المصنوعة ؟ فقال : تعيش لها
الجهابذة — وتلا الآية « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »^(٧)

إذا علمت هذا عن المدرسة الحديثية لهذا القرن الذي عاش فيه النووي ،
فإنك ستعلم أن النووي — رحمه الله — قد عاشر هذه المدرسة وهي قائمة
الأركان ، عامرة الجوانب ، بما احتوته من جهابذة العلماء ، وكبرآء محدثيها ، فاستفاد
منها خيرا استفادة ، بحيث تخرج منها حفاظا متقنا ، واماما مجتهدا ، ولغويا
متضلعا ، وزاهدا ورعا . اكتسب ذلك من شيوخ أعلام وأساتذة عظام منهم المحدثون
ومنهم الفقهاء ومنهم اللغويون .
واليك نماذج من تراجم شيوخه مرتبة على سنى وفاتهم — رحمه الله تعالى — :

(١) تقدمت ترجمته ص ٨٤

(٢) شذرات الذهب ٣٠١/٥ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١٣٩٦/٤ — ١٤٨٦ .

(٤) طبقات الحفاظ ص ٤٩٤ — ٥١٦ .

(٥) الرسالة المستطرفة ص ٣٣٥ — ٣٣٦ .

(٦) سورة الحجر آية ٩ .

(٧) فتح الغيث ٢٦٠ / ١ .

أما المحدثون فمنهم :

١ - الشيخ الامام القاضي الخطيب عماد الدين عبد الكريم بن القاضي جمال الدين
عبد الصمد بن محمد المعروف بابن الحرستاني - رحمه الله - ٥٧٢ - ٦٦٢ هـ (*)

ولد في شهر رجب سنة سبع وسبعين - بتقدريم السين فيهما - وخمسائة
بدمشق وسمع من والده (١) ومن رجب الخشوعي (٢) ومن البهاء بن عساكر (٣)

(*) له ترجمة في ذيل الروضتين لأبي شامة ص ٢٢٩ ، والعبر للذهبي ٣ / ٣٠٥ ،
والبداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ٢٤٣ ، والدارس في أخبار المدارس
للنعمي ١ / ٢٢٢ ، وذيل مرآة الزمان لليوني ٢ / ٢٩٥ ، وطبقات
الأسنوي ١ / ٢١٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٥ / ٣٠٩ ، والشعر البسام
لابن طولون ص ٦٧ .

ممن عدّه من شيوخه السخاوي في ترجمته ص ١١ ، والسيوطي في المنهاج
السوي ٧ / أ ، وأسند عنه النووي في بستان العارفين ص ١٠٢ .

(١) هو أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري ، كان عالما
صالحا زاهدا ، لا تأخذه في الله لومة لائم على طريقة السلف في لباسه
وعيشه ، ولد سنة ٥٢٠ هـ وسمع الحديث من خلائق كثيرين ، قال ابن نقطة :
هو أسند شيخ لقيناه بالشام ، توفي سنة ٦١٤ هـ - رحمه الله - ، ترجمته
في طبقات الشافعية للسبكي ٥ / ٧٤ ، وطبقات الاسنوي ١ / ٢١٣ ، وطبقات
ابن قاضي شهبه ١ / ٥٧ ، وشذرات الذهب ٥ / ٦٠ ، والبدایة
والنهاية ١٣ / ٧٧ .

(٢) هو مسند الشام أبو طاهر بركات بن ابراهيم بن طاهر الدمشقي الأنطاقي ،
ولد سنة ٥١٠ هـ ، وروى عن هبة الله بن الاكفاني وأكثر عنه ، وروى عن
جماعة آخرين ، وأجاز له خلق من المصريين والعراقيين والأصبهانيين ،
وعمر وبعد صيته ورحل اليه ، وكان صدوقا ، مات سنة ٥٩٨ هـ ، ترجمته في
شذرات الذهب ٤ / ٣٣٥ .

(٣) هو القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله ،
بهاء الدين أبو محمد بن عساكر ، ولد سنة ٥٢٧ هـ ، كان محدثا صدوقا

وحنبل بن عبد الله الرصافي ^(١) ت ٦٠٤ وعمر بن محمد بن معمر بن طبرزد وغيرهم ^(٢) - ^(٣)

واشتغل على أبيه في المذهب ، وبرع فيه وتقدم وأفتى وناظر ودرس ونساب
عن أبيه في الحكم واشتغل بالقضاء بعد أبيه مدة قليلة ، ثم عزل سنة واحد
وثلاثين بعد الست المائة ودرس بالغزالية ^(٤) مدة ثم تولى الخطابة والامامة
بجامعها الأعظم ^(٥) ، وتولى دار الحديث الأشرفية ، واستمر ذلك له الى

=== متوسط المعرفة مكرما للغرباء ، له فضائل القدس وكتاب في الجهاد ، وتوفى
سنة ٦٠٠ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٣٦٢/٤ ، وطبقات
الحفاظ ص ٤٨٦ ، وشد رات الذهب ٣٤٧/٤ .

(١) هو أبو عبد الله الكبير ، حنبل بن عبد الله الرصافي ، سمع المسند بقراءة
ابن الخشاب في نيف وعشرين مجلسا ، وتوفى سنة ٦٠٤ هـ ، ترجمته في
شد رات الذهب ١٢/٥ .

(٢) الدارقزي البغدادي ، مسند الشاميين ، روى الكثير ، وتكلم فيه لدينه ،
له مسند الامام عمر بن عبد العزيز ، وتوفى سنة ٦٠٢ هـ ، ترجمته في
لسان الميزان ٣٢٩/٤ ، البداية والنهاية ٦١/١٣ ، والأعلام ٦١/٥ .
(٣) الدارس ٢٢/١ .

(٤) قال النعماني : تقع في الزاوية الشمالية الغربية شمالي مشهد عثمان المعروف
الآن بمشهد النائب من الجامع الأموي . قال : وتعرف بالشيخ نصر
المقدسي . تنسب الى الغزالي - رحمه الله تعالى - لكون الغزالي دخل
دمشق وقصد الخانقاه السميانية ليدخل اليها فضعه الصوفية من ذلك
لعدم معرفتهم به فعدل عنها وأقام بهذه الزاوية بالجامع الى أن علم
مكانه وعرفت منزلته فحضر الصوفية بأسرهم اليه ثم أدخلوه الخانقاه
السميانية فعرفت الزاوية به . (الدارس ١٣/١) .

(٥) هو الجامع الأموي .

أن توفي بدار الخطابة في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة ، لعام اثنين وستين وستمائة للهجرة ودفن من يومه بمقابر الجيل قريبا من أبيه وأهله . وشهد جنازته خلق عظيم لا يحصون كثرة .
(١)
قال الذهبي : وكان من جلة العلماء له سمت ووقار وتواضع .
(٢)

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٩٦/٢ ، والدارس ٢٢/١ ، وذيل الروضتين ٢٣٠ .

(٢) العبر ٣٠٥/٣ .

٢ - **وفهم** - شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري الأوسي الدمشقي الأصل ، ثم الحموي الدار والوفاء ، الشافعي المذهب ، الأديب الامام العلامة مجمع الفضائل وشيخ الشيوخ ٦٦٢ هـ .

ولد بد مشق سنة ٥٨٦ هـ ست وثمانين وخمسمائة وقرأ القرآن الكريم بالروايات واشتغل بالأدب على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي (١) وسمع منه كثيرا (٢) ، وسمع ببغداد من أبي الفرج عبد الوهاب بن كليب جزء ابن عرفة (٣) (٤)

(*) ممن عده من شيوخه السخاوي ص ١١ ، والسيوطي في المضاج السوي ١/٧ . وله ترجمة في ذيل الروضتين ص ٢٣١ ، وذيل مرآة الزمان ٢/٢٣٩ ، والدليل الشافي ١/٤١٧ برقم ١٤٣٧ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢١٤ ، وشذرات الذهب ٥/٣٠٩ ، والأعلام للزركلي ٤/٢٥ .

(١) الحميري الملقب بتاج الدين الكندي ، أديب من الكتاب الشعراء العلماء ، حظى عند الأمراء لاسيما المعظم عيسى ، فكان يقرأ عليه الأدب واللغة مات سنة ٦١٣ هـ . ترجمته في ذيل الروضتين ص ٩٥ ، ووفيات الأعيان ٣/٣٣٩ ، والأعلام ٢/٥٧ ، والشذرات ٥/٥٤ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/٢٣٩ .

(٣) مسند العراق ، ولد سنة ٥٠٠ هـ ، كان تاجرا ، وله في الحديث سماعات عالية ، وانتهت الرحلة اليه من أقطار الأرض ، والحق الأصغر بالأكابر ، لا يشاركه في شيوخه وسموعاته أحد ، وتوفي سنة ٥٩٦ هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان ٣/٣٢٧ ، وشذرات الذهب ٤/٣٢٧ ، والعبر للذهبي ٣/١١٦ ، وذيل الروضتين ص ١٨ .

(٤) الجزء عند المحدثين هو تأليف الاحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم ، وابن عرفة هو أبو علي الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى البغدادي المعمر ، المتوفي سنة ٢٥٧ هـ . (انظر الرسالة المستطرفة ص ٨٦ - ٨٧ ، وتاريخ بغداد ٧/٣٩٤ .

مرارا ، وعن أبي المجد المسند كـ ، وحدث بحماسة ودمشق ومصر وغيرها .
 وكان مفرد الذكاء له محفوظات كثيرة ، وكان أحد الفضلاء المعروفين وذوى
 الأدب المشهورين ، جامعا لفنون العلم ومعارف حسنة ، ذاك سميت ووقار وجد وحسن خلق
 وإقبال على أهل العلم وطلبته ، وتقدم عند الملوك وترسل ^(١) عندهم غير مرة وكانت له
 الوجاهة التامة والمكانة المكيمة وله النظم الفائق واليد الطولى في الترسل والأصالة
 في الرأى مع الدين المتين ومكارم الأخلاق ولين الجانب وحسن المحاضرة والمباشرة
 والافضال على سائر من يعرفه والتكرم على من يقصده . ^(٢)

توفي بحماه ليلة الجمعة الثامن من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة
 للهجرة ودفن من الغد بظاهر حماة في تربة كان أعدها لدفنه .
 ومن جميل شعره قوله :

عائبت انسان عيني في تسرعه	فقال لي خلق الانسان من عجل
يا غافل لي ليس مثلي من تخادعه	وليس مثلك مأمونا على عذلي
مادمت خلوا فلا تنفك متهمما	فاعشق وقولك مقبول عليّ ولي ^(٤)

(١) الترسل : هو علم تذكر فيه أحوال الكاتب والمكتوب من حيث الأدب
 والاصطلاحات الخاصة الملائمة لكل طائفة من حيث العبارات التي يجب
 الاحتراز عنها . أبجد العلوم ١٤٧/٢ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٤٠/٢ .

(٣) " " " " .

(٤) " " " " .

٣ - ومنهم الحافظ الزين خالد بن يوسف بن سعد بن حسن بن مفرج
أبو البقاء النابلسي ثم الدمشقي ت ٦٦٣ هـ . (*) (١)

مولده سنة خمس وثمانين وخمسمائة بنابلس ونشأ بدمشق ، فسمع من أبي محمد القاسم
ابن عساكر (٢) ومحمد بن الخصيب (٣) وخبيل الرصافي (٤) وعمر بن طبرزد (٥) ،
وطائفة . وبغداد من أبي محمد بن الأخضر (٦) والحسين بن سيف وعبد العزيز (٧)

(*) له ترجمة في تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٤٧/٤ ، وطبقات الحفـاظ
للسيوطي ص ٥٠٧ ، وطبقات الاسنوى ٢٨٣/٢ ، وذيل مرآة الزمان ٣٢٧/٢ ،
والعبر ٣٠٨/٣ ، والدليل الشافي ٢٨٣/١ ، وشذرات الذهب ٣١٣/٥ ،
وفوات الوفيات ٤٠٣/١ ط بيروت .

(١) عده في شيوخه السخاوي ص ١٠ ، والسيوطي في المضاجع السوى ٦/ب .
(٢) تقدمت ترجمته ص ٨٦

(٣) هو أبو الفضل محمد بن الحسن بن أبي الرضا القرشي الدمشقي ، روى عن
جمال الاسلام ، وعلى بن عقيل الصوري ، وضعفه ابن خليل ، وتوفي سنة ٦٠١ هـ ،
ترجمته في الشذرات ٦/٥ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٨٧

(٥) تقدمت ترجمته ص ٨٧

(٦) هو الامام الحافظ محدث العراق أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك
البغدادى ، ولد سنة ٥٢٤ هـ ، وطلب العلم باعتماد والده وسمع من كثير
من المحدثين ، وصنف وجمع وأفاد وحديث نحو من ستين عاما ، وكان ثقة
صالحا غفيا دينا ، مات سنة ٦١١ هـ . ترجمته في تذكرة
الحفاظ ١٣٨٣/٤ ، وطبقات الحفاظ ص ٤٩٠ ، وشذرات
الذهب ٤٦/٥ .

(٧) راجع الشذرات ٤٢/٥ ، وتذكرة الحفاظ ١٣٩٥/٤ .

ابن مينا^(١) ، وطبقتهم ، وكتب ورجل وحصل أصولا نفيسة ونظر في اللغة وكان ذا إتقان وفهم ومعرفة وعلم، وكان ثقة متبثا ذا نواذر ومزاح وكان يحفظ جملة كثيرة من الغريب وأسماء الرجال وكانهم، وله صورة كبيرة ينطوى على صدق وزهد وأمانة . ولى مشيخة دار الحديث بآماكن ، وكان أسمر ربعة وبه عرج .

حدث عنه غير النووي كثيرون منهم الشيخ تاج الدين الفرکاح^(٢) وأخوه الخطيب شرف الدين^(٣) وابن دقيق العيد^(٤) ، وغيرهم .

أما النووي فقد قرأ عليه الكمال في أسماء الرجال للحافظ عبد الغني المقدسي^(٥)

(١) كان مسندا رحله ، توفي سنة ٦١٢ هـ ، ترجمته في الشذرات ٥٠ / ٥ ،

وتذكرة الحفاظ ١٣٨٩ / ٤ .

(٢) ستأتي ترجمته ص ١١٠

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري ، كان فقيها محدثا اماما في النحو

واللغة وعلوم القراءات ، ولد سنة ٦٣٠ هـ ، وطلب الحديث بنفسه

وقرأ الكثير ، وتولى مشيخة النحو بالناصرية ، وشيخ القراءات

بالعادية ، وتوفي سنة ٧٠٥ هـ . ترجمته في البداية والنهاية ١٤ / ٣٩ ،

والدرر الكامنة ١ / ٨٩ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٢ ، وطبقات ابن قاضي

شهبه ٢ / ٢٠٨ ، وطبقات الاسنوى ٢ / ١٤٢ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٨٤

(٥) هو الامام الحافظ المحدث عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن

سرور المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الحنبلي ، ولد سنة ٥٤١ هـ ،

واشتغل بهذا الفن وسمع من الكثير من المحدثين كالسلفي ، وابن

البطي ، وأبا موسى المدني وخلقا ، وكان غزير الحفظ والاتقان ،

يجمع فنون الحديث ، له تصانيف مفيدة منها : المصباح ، مشتمل على

أحاديث الصحيحين ، والكمال في أسماء الرجال وغيرها

وعلق عليه حواشي وضبط عنه أشياء حسنة ،^(١) وأسند عنه في بستان العارفين^(٢)
وفي الترخيص بالقيام^(٣) ، وحلاه بقوله : شيخنا الامام الحـافظ . .
- رضى الله تعالى عنه - .

وتوفى - رحمه الله - في سلخ جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وستمائة - بد مشق .

=== وتوفى - رحمه الله - سنة ٦٠٠ هـ بمصر - رحمه الله .

ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٣٧٣/٤ ، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٨٧ ،
والبداية والنهاية ٣٨/١٣ ، وشذرات الذهب ٣٤٥/٤ ، والعبر ١٢٩/٣ ،
ومرأة الجنان لليافعي ٤٩٩/٣ .

(١) ترجمة السخاوى ص ١٠ .

(٢) في الصفحات التالية : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٢٧ ، ١٨١ .

(٣) في الصفحات التالية : ٨٩ ، ٩٠ .

٤ - وضمهم ابن البرهان العدل الصدر رضى الدين أبو اسحاق ابراهيم بن أبي حفص عمر بن مضر بن فارس المضرى الواسطي السقار ت ٦٦٤ هـ ، التاجر المعروف بابن البرهان . (*)

ولد بواسط سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وسمع صحيح مسلم بنيسابور على أبي الفتح منصور بن عبد الضعم الفراوى (١) ، وحدث به مرارا عدة بدمشق ومصر والقاهرة واليمن ، وذكر أنه سمع من أبي الحسن المؤيد بن محمد الطوسي (٢) ، وأجاز له جماعة كثيرة ، وكان شيخا صالحا دينا حسن الشكل من أكابر التجار الممولين المعروفين باخراج الزكاة على وجهها وكان له صدقات وبر وعنده سكن وخشوع . (٣)

روى عنه الامام النووى - رحمه الله - صحيح مسلم وأثنى عليه ثناء حسنا ، فقال في مقدمة شرح مسلم (٤) وهو يسوق اسناده الى الامام مسلم : أما اسنادى فيه فأخبرنا بجميع صحيح الامام مسلم بن الحجاج - رحمه الله - الشيخ الأمين العدل

(*) له ترجمة في ذيل المرأة ٣٤٨/٢ ، والعبر ٣١٠/٣ ، والشذرات ٣١٥/٥ ، ومقدمة شرح مسلم ص ٧ .

(١) ثم النيسابورى ، ولد سنة ٥٢٢ هـ ، وسمع من جده وجد أبيه وعبد الجبار الحوارى ، وآخرين ، وروى الكتب الكبار ورحلوا اليه ، وكان شيخا جليلا ثقة مكثرا صحيح السماع ، وتوفي بنيسابور سنة ٦٠٨ هـ ، ترجمته في شذرات الذهب ٣٤/٥ ، ومقدمة شرح مسلم للنووى ٢/١ .

(٢) المقرئ مسند خراسان ، ولد سنة ٥٢٤ هـ ، وسمع صحيح مسلم من الفراوى وصحيح البخارى من جماعة ، وانتهى اليه علو الاسناد بنيسابور ، ورحل اليه من الأقطار ، وتوفي سنة ٦١٧ هـ ، ترجمته في الشذرات ٢٨/٥ .

(٣) ذيل امرأة الزمان ٣٤٨/٢ .

(٤) ص ٦ - ٧ .

الرضي أبو اسحاق ابراهيم بن أبي حفص عمر بن مضر الواسطي - رحمه الله - بجامع دمشق حماها الله وصانها وسائر بلاد المسلمين وأهله ، ثم ذكر أحرفا تتعلق بحاله فقال : أما شيخنا أبو اسحاق فكان من أهل الصلاح والمنسولين الى الخير والفلاح معروفًا بكثرة الصدقات وانفاق المال في وجوه المكرمات ذاعفاد وعبادة ووقار وسكينة وصيانة بلا استكبار .

قال : توفي - رحمه الله - بالاسكندرية في اليوم السابع من رجب سنة أربع وستين وستمائة . وأسند عنه في الترخيص بالقيام في موضعين . (١)

٥ - ومنهم الامام الحافظ المتقن المحقق الضابط الزاهد الورع ضياء الدين
أبو اسحاق ابراهيم بن عيسى المرادى الأندلسي ثم المصري ثم الدمشقي (*)

ت ٦٦٨ هـ .

سمع الكثير من أصحاب السلفي (١) وطبقته بعد الأربعين ، وكتب الكثير
(٢)
بخطه المتقن المليح ، وكان - رحمه الله - صالحا عالما ورعا دينيا اماما بالباد رائية
(٣) بدمشق . أثنى عليه النووي في طبقاته (٤) ثناء بالغ فقال : كان فقيها اماما
حافظا متقنا زاهدا لم ترعين في وقته مثله وكان بارعا في معرفة الحديث
وعلمه وتحقيق ألفاظه لاسيما الصحيحين ذاعية بالفقه والنحو واللغة .

(*) له ترجمة في الطبقات الكبرى للسبكي ٤٨/٥ ، وطبقات الاسنوي ٢/٤٥٣ ،
وذيل مرآة الزمان ٢/٤١٢ ، والدليل الشافي ١/٢٤١ ، رقم ٦١ ،
وشذرات الذهب ٥/٣٢٦ ، والوافي بالوفيات ٦/٨٢ ، رقم ٢٥١٥ .

(١) هو الحافظ العلامة شيخ الاسلام أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد
ابن أحمد بن ابراهيم الأصبهاني ، كان حافظا ناقدا متقنا ثبتا دينيا
خيرا ، انتهى اليه علو الاسناد ، وروى عنه الحفاظ في حياته ، وكان
أولاد زمانه في علم الحديث وأعلمهم بقوانين الرواية ، توفي
سنة ٥٧٦ هـ - رحمه الله - . ترجمته في تذكرة الحفاظ ٤/١٢٩٨ ،
وطبقات الحفاظ ص ٤٦٩ ، وشذرات الذهب ٤/٢٥٥ ، وميزان
الاعتدال ١/١٥٥ ، ورسالة للدكتور / حسن عبد الحميد صالح
باسم الحافظ أبو طاهر السلفي ط المكتب الاسلامي .

(٢) تقدم التعريف بها ٣٧

(٣) الوافي بالوفيات ٦/٨٢ .

(٤) ١/٤٧ .

قال : صحبته عشرين سنين لم أر منه شيئا يكره ، وكان من السماحة بمحل عال على قدر قدرته ، قال : وأما الشفقة على المسلمين ، ونصحهم فقل نظيره فيهما .^(١)

أخذ عنه النووي - رحمه الله - فقه الحديث فشرح عليه مسلما ومعظم البخاري وجملة مستكثرة من الجمع بين الصحيحين للحميدي .^(٢) وأسند عنه في

بستان العارفين^(٣) وأثنى عليه ثناء بالغاً ، فقال : سمعت شيخنا وسيدنا

الامام الجليل والسيد النبيل ، الحافظ المحقق ، والمقتبس المدقق ، الضابط

المتقن ، والمشفق المحسن ، الورع الزاهد ، والمجتهد العابد ، بغية الحفاظ ،

المفتي شيخ الأئمة والمحدثين ، ضياء الدين ، أبا اسحاق ابراهيم بن عيسى

المرادي^(٤) . وتوفي - رحمه الله - بمصر سنة ثمان وستين وستمائة .

(١) وانظر أيضا طبقات السبكي ٤٨/٥ ، وطبقات الاسنوي ٢٥٠/٢ .

(٢) ترجمة السخاوي ص ١٠ .

(٣) في المواضع الاتية : ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٤) بستان العارفين ص ١٩٨ .

- (١) وابن سكينه ، وغيرهم ، وسمع بحران من خطيبها الشيخ فخر الدين بن تيمية (٢) وتفقه بالشيخ موفق الدين وخرج لنفسه مشيخة وجمع تاريخا لنفسه (٤) وتفرد بالرواية عن جماعة من شيوخه ، وانتهى اليه علو الاسناد وكانت الرحلة اليه من أقطار البلاد . وروى عنه الناس وألحق الأصغر بالأكابر (٥) وخرج له

=== وطبقته ، وكان ورعا زاهدا متعبدا على منهج السلف ، تخرج به أئمة ، وتوفي سنة ٦٨٣ هـ . ترجمته في العبر ٨٢/٣ ، والشذرات ٢٢٦ / ٤ ، البداية والنهاية ٣٢٩/١٢ .

(١) هو صدر الدين عبد الرزاق بن الامام أبي أحمد عبد الوهاب بن سكينه شيخ الشيوخ البغدادي ، حضر على ابن البطي ، توفي سنة ٦٣٥ هـ . ترجمته في الشذرات ١٢١/٥ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الفقيه الحنبلي المقرئ الواعظ ، ولد سنة ٥٤٢ هـ ، رحل الى بغداد وسمع بها الحديث وتفقه بها ولازم ابن الجوزي وسمع منه كثيرا من مصنفاته ، وكان ثقة فاضلا صحيح السماع مكثرا صدوقا دينيا ، توفي سنة ٦٢٢ هـ . ترجمته في شذرات الذهب ١٠٢/٥ .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي ، صاحب التصانيف العديدة ، ولد سنة ٥٤١ هـ ، وتفقه في المذهب ، وانتهى اليه معرفة المذهب وأصوله ، وكان مع تبخره في العلوم وتيقنه ، ورعا زاهدا تقيا ، عليه هيمة ووقار وفيه حلم وتؤدة ، صنف مصنفات كثيرة كالمغنى في شرح الخرقى وغيره ، وانتفع بتصانيفه المسلمون عموما وأهل المذهب خصوصا ، وتوفي سنة ٦٢٠ هـ - رحمه الله - ، ترجمته في شذرات الذهب ٨٨/٥ .

(٤) شذرات الذهب ٣٢٥/٥ .

(٥) ذيل مرآة الزمان ٤٣٦/٢ .

(١) ابن الظاهري مشيخة ، وابن الخباز^(٢) أخرى ، قال ابن العماد : سمع منه الحفاظ المتقدمون ، كالحافظ ضياء الدين والزمكي البرزالي وعمر بن الحاجب وغيرهم . قال : وروى عنه الأئمة الكبار والحفاظ المتقدمون والمتأخرون منهم الشيخ محيي الدين النووي والشيخ شمس الدين بن أبي عمر وابن دقيق العيد وابن تيمية وخلق آخريهم ابن الخباز^(٣) ، وكان سريع الكتابة يكتب خطا حسنا فكتب مالا يوصف كثرة قد يصل ما يكتبه في اليوم الى تسعة كراريس كان ينظر في الصفحة مرة واحدة ويكتبها فكان يعرف بالناسخ . وكان فاضلا منتبها حسن الخلق والخلق ، متواضعا دينا حدث بالكثير بضعا وخمسين سنة ، وتوفي يوم الاثنين سابع رجب سنة ثمان وستين وستمائة وقد جاوز التسعين^(٤) . ودفن بسفح قيسون رحمه الله تعالى .

-
- (١) الامام الزاهد المحدث المفيد جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الحلبي ، ولد سنة ٦٢٦ هـ ، وسمع ابن اللثمي وابن رواحة وخلقاً كان ثقة حافظا خبيرا بالموافقات والمصافحات ليلحق في جودة الانتقاء ، توفي سنة ٦٩٦ هـ ، ترجمته في طبقات الحفاظ ص ٥١٥ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٢٩/٤ ، وشدرات الذهب ٤٣٥/٥ .
- (٢) أحمد بن الحسين بن أحمد الأربلي الموصلي ت ٦٣٩ هـ ، الاعلام ١١٢/١ .
- (٣) شدرات ٣٢٥/٥ .
- (٤) البداية والنهاية ٢٥٢/١٤ ، وفوات الوفيات ٥٩/١ .

٧ - ومنهم مسند الشام ابن أبي اليسر تقي الدين أبو محمد اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله التتوخي الكاتب المنشئ^(*) ت ٦٧٢ هـ .
ولد سنة تسع وثمانين وخمسمائة وسمع الكثير من الخشوعي^(١) وابن طبرزد^(٢)
وحنبل الرصافي^(٣) والكندي^(٤) وغيرهم .

وحدث مدة بدمشق ومصر وغيرهما ، وتفرد برواية أشياء من مسموعاته ، وكان شيخا فاضلا نبيلًا من بيت كتابة وعدالة وجلالة .
وكان له يد في النظم والنثر . ومن شعره قوله :

خاب رجاء امرئ له أمل بخير رب السماء قد وصله
يفعل للمرء كل مكرمة ثم يثيب الفتى بما فعله
أيتغي غيره أخو ثقة وهو ببطن الأحشاء قد كفه

وكان مشكور السيرة قد آثني عليه غير واحد ، توفي في السادس والعشرين من صفر لعام اثنين وسبعين وستمائة .
(٦)

(*) له ترجمة في العبر ٣/٣٢٥ ، وذيل مرآة الزمان ٣/٣٨ ، والبداية والنهاية ١٣/٢٦٧ ، والشذرات ٥/٣٣٨ .

عده في شيوخه السخاوي في المنهل ص ١١ ، والسيوطي في المنهاج ١/٧ ، والذهبي في التذكرة ٤/١٤٧١ .

(١) تقدمت ترجمته ص ٨٦

(٢) تقدمت ترجمته ص ٨٧

(٣) تقدمت ترجمته ص ٨٧

(٤) تقدمت ترجمته ص ٨٩

(٥) العبر ٣/٣٢٥ .

(٦) ذيل مرآة الزمان ٣/٣٩ ، والبداية والنهاية ٣/٢٦٧ .

وأسند عنه النووى - رحمه الله تعالى - في الترخيص بالقيام في اثنتى
عشر موضعا ، وأثنى عليه ثناء حسنا ، فقال عنه : الشيخ الرئيس الفاضل
أبو محمد اسماعيل بن الشيخ الامام أبي اسحاق ابراهيم بن أبي اليسر شاعر بن
عبد الله التتوخي - رضى الله تعالى عنه - .^(١)

(١) الترخيص بالقيام ص ٣٦ .

٨ - ومنهم ابن الصيرفي المفتي المعمر جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور
ابن أبي الفتح بن رافع الحراني الحنبلي المعروف بابن الحبشي ت ٦٢٨ هـ (*)
سمع من عبد القادر الرهاوي (١) بحران ، ومن ابن طبرزد (٢) ببغداد ، ومن
الكدي (٣) بدمشق ، واشتغل على أبي بكر بن غنيم (٤) ، وأبي البقاء العكبري (٥) ،
والشيخ الموفق (٦) ، وكان اماما عالما متفنا صاحب عبادة وتهجد وصفات حميدة ،
توفي في رابع صفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة . وكانت له جنازة حافلة مشهورة
جدا .

(*) له ترجمة في العبر ٣٣٩/٣ ، وشذرات الذهب ٣٦٣/٥ ، وذيل مرآة
الزمان ٣٤/٤ .

(١) تقدمت ترجمته ص ٧٧

(٢) تقدمت ترجمته ص ٨٧

(٣) تقدمت ترجمته ص ٨٩

(٤) هو الأمين الأريلي العدل أبو محمد القاسم بن أبي بكر ابن القاسم بن
غنيم ، رحل مع أبيه وله بضع عشرة سنة . قال الذهبي ، فذكر وهو
صدوق أنه سمع صحيح مسلم من المؤيد الطوسي ورواه بدمشق وسمعه منه
الكبار ، وتوفي سنة ٦٨٠ هـ . ترجمته في العبر ٣٤٤/٣ ، والشذرات ٣٦٢/٥ ،
والنجوم الزاهرة ٣٥٣/٢ .

(٥) هو عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري ، صاحب التصانيف ، روى
عن ابن البطي ، وطائفة وحاز قصب السبق في العربية وتخرج به خلق ،
وكان دينا ثقة . توفي سنة ٦١٦ هـ . ترجمته في الشذرات ٦٢/٥ ، وذيل
الروضتين ص ١١٩ ، وبغية الوعاة ص ٢٨١ ، والأعلام ٨٠/٤ .

(٦) تقدمت ترجمته ص ٩٩

٩ - وفهم الشيخ الامام شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد

ابن قدامة المقدسي ثم الصالحي الحنبلي (*) ت ٦٨٢ هـ .

(١) شيخ الاسلام ومقية الأعلام علما وزهدا وورعا وديانة وأمانة .

سمع من أبيه (٢) وعمه الشيخ موفق الدين (٣) ومن ابن طبرزد (٤) وأبي اليمن

الكدي (٥) وأبي القاسم بن الحرستاني (٦) وجماعة مستكثرة .

أجاز له ابن الجوزي (٧) ، وسمع من أصحاب السلفي ونفى بالحديث ، وكتب

بخطه الأجزاء ، والطباق ، وتفقه على عمه شيخ الاسلام موفق ، وأخذ الأصول عن
السيف الآمدي . (٨)

(*) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان ١٨٦/٤ ، والبداية والنهاية ٣٠٢/١٣ ،

والعبر ٣٥٠/٣ ، ودول الاسلام ١٨٥/٢ ، والنجوم الزاهرة ٣٥٨/٧ ،

والدليل الشافي ٤٠٤/١ برقم ١٣٩٣ ، وشذرات الذهب ٣٧٦/٥ .

(١) عدّه في شيوخه السخاوي في المنهل ص ١١ ، والسيوطي في المضاجع ١/٧ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي ، ولد سنة ٥٢٨ هـ سمع

الحديث من أبي المكارم عبد الواحد بن هلال وطائفة كثيرة ، وكان اماما

فاضلا ، وخرج له الحافظ عبد الغني المقدسي أربعين حديثا من رواياته ،

مات سنة ٦٠٧ هـ . ترجمته في الشذرات ٢٧/٥ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٩٩

(٤) تقدمت ترجمته ص ٨٧

(٥) تقدمت ترجمته ص ٨٩

(٦) تقدمت ترجمته ص ٨٦

(٧) تقدمت ترجمته ص ٩٨

(٨) هو علي بن محمد بن سالم الشعلبي ، شيخ المتكلمين في زمانه ، ولد بآمد

سنة ٥٥١ هـ ، واشتغل بالعلم والفقه على مذهب الامام أحمد ثم تحول

فصار شافعيًا ، وتفنن في علم النظر والكلام والحكمة وصنف في ذلك كتبًا ،

==

فكانت له اليد الطولى في معرفة الحديث والأصول والنحو وغير ذلك من العلوم الشرعية مع العبادة الكثيرة واللفظ وكرم الأخلاق ولين الجانب والاحسان إلى القريب والبعيد ، وكان كبير القدر جَمَّ الفضائل معظما عند الخاص والعام عظيم الهيبه لدى الملوك وغيرهم كثير الفضائل والمحاسن متين الديانة والـسـورع منقطع القرين .

اليه انتهت رئاسة الفقه على مذهب الامام أحمد في عصره بل رئاسة العلم في زمانه ، فدرس وأفتى وأقرأ العلم زمنا طويلا وانتفع به الناس . وأول ما ولى مشيخة دار الحديث سنة خمس وستين وستمئة .^(١) وولى القضاء مدة تزيد على اثنتى عشرة سنة على كره منه ولم يتناول عليه معلوما ، ثم عزل نفسه في آخر عمره وبقي متوفرا على العبادة والتدريس واشغال الطلبة والتصنيف . وانتفع به خلق كثير منهم الامام النووي وهو أجل شيوخه^(٢) ، وأسند عنه في الترخيص بالقيام في سبعة عشر موضعا وأثنى عليه فيه ثناء بالغاً . قال عنه : الشيخ الامام المتفق على امامته وفضله وجلالته .^(٣) ومنهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية^(٤) وكان يقول :
 ما رأيت بعيني مثله .^(٥) والمزى^(٦) والبرزالي^(٧) وغيرهم .

=== وتقل في البلدان ، قطن الشام آخرهن ، وتوفى سنة ٦٣١ هـ . ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٢٩/٥ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ٢٩/٢ ، وطبقات الاسنوى ١٧٣/١ ، وميزان الاعتدال ٤٣٩/١ ، ولسان الميزان ١٣٤/٣ ، وشدرات الذهب ١٤٤/٥ ، والاعلام ٣٣٢/٤ .

- (١) شدرات ٣٢٦/٥ .
- (٢) ترجمة السخاوى ص ١١ .
- (٣) الترخيص بالقيام ص ٣٤ .
- (٤) تقدمت ترجمته ص ٢٦ .
- (٥) شدرات ٣٢٨/٥ .
- (٦) ستأتي ترجمته ص ٣٩٥ .
- (٧) تقدمت ترجمته ص ٢٨ .

وجمع المحدث اسماعيل بن الخباز^(١) ترجمته في مائة وخمسين جزءاً .
 قال الحافظ الذهبي : ما رأيت سيرة عالم أطول منها أبداً^(٢) .
 وأثنى عليه في معجم شيوخه ثناء حسناً قال عنه : شيخ الاسلام وقدة
 العباد وفريد وقته من اجتمعت الالسن على مدحه والثناء عليه ، حدثنا
 من ستين سنة .^(٣) توفي - رحمه الله ليلة الثلاثاء سلخ ربيع الآخر من سنة
 اثنين وثمانين وستمائة ، ودفن من الغد عند والده بسفح قيسون وكانت جنازته
 مشهودة حضرها أم لا يحصون ويقال : انه لم يسمع بمثلها من دهر طويل .^(٤)
 قال الذهبي : ولم يخلف بعده مثله .^(٥)

-
- (١) هو اسماعيل بن ابراهيم بن سالم الأنصاري ، أحد من أفني عمره في الرواية
 والكتابة وأخذ عن ديب ودرج وحصل الأصول ، ومات سنة ٧٠٣ هـ ،
 ترجمته في تذكرة الحفاظ ٤/ ١٥٠٤ ، والدليل الشافي على المنهاج
 الصافي ١٢١/١ .
 (٢) ترجمة السخاوي ص ١١ .
 (٣) شذرات ٥/ ٣٢٦ .
 (٤) شذرات ٥/ ٣٢٨ .
 (٥) دول الاسلام ١/ ١٨٥ .

وأما شيوخه في الفقه — فمن أشهرهم :

١ — الامام العلامة الفقيه المفتي كمال الدين أبو ابراهيم اسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي ت ٦٥٠ هـ . (*)

كان اماما عالما فاضلا مقيما بالرواحية أعاد بها عند ابن الصلاح عشرين سنة وأفاد الطلبة وكان يتصدق بثلاث جامكته (١) وينسخ في كل شهر رمضان ختمة ويوقفها . (٢)

قال السخاوي : وكان معظم انتفاع النووي على هذا الشيخ (٣) ، لأنه أول من لازمه وكانت ملازمته له شديدة فأعجب به الشيخ وأحبه محبة شديدة لما رأى من ملازمته للاشتغال وعدم اختلاطه بالناس ، وجعله معيد الدرس لحلقته غير أن الله تعالى لم يمتنع كلا منهما بالآخر كثيرا ، إذ ما كادت تنقضي السنة حتى فجع النووي بشيخه المذكور حيث لحق بره تعالى ، لكن الفترة التي عاشها النووي مع شيخه المذكور كان لها أثرها العظيم في تكوينه علما وعملا ، إذ لم يزل النووي — رحمه الله — بعد شيخه المذكور يشتغل بالعلم ويقتفي أثر شيخه في العبادة ، من الصلاة وصيام الدهر والزهد والورع وعدم اضاعة شيء من أوقاته بل ازداد همه ونشاطه

(*) له ترجمة في طبقات السبكي ٥٠/٥ الحسينية ، وطبقات الاسنوي ١٤١/١ ، ومرة الجنان ١٢٠/٢ ، والعبر ٢٦٥/٣ ، والبداية والنهاية ٢١٣/١٣ ، والوافي بالوفيات ٢٨/٦ ، والدليل الشافي ٢٤/١ رقم ٦١ ، والدارس ٢٢٤/١ ، وشذرات الذهب ٢٤٩/٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١٨/١ .

(١) الجامكية : هي رواتب خدام الدولة تعريب جامكي وهو مركب من جامه ، أى قيمة ، ومن كي ، وهي أداة النسبة فارسي معرباً هـ . هامش طبقات الاسنوي .

(٢) طبقات الاسنوي ٧٤/١ .

(٣) السخاوي ص ٧ .

بعد وفاة شيخه الكمال فأصبح أكثر مما كان عليه حال حياته .^(١) ولذلك أثنى عليه النووي ثناء حسنا فقال عنه في تهذيب الأسماء واللغات^(٢) حينما ذكر سنده في الفقه : أولهم شيخي الامام المتفق على علمه وزهده وورعه وكثرة عبادته وعظيم فضله وتميزه في ذلك على إشكاله ، أبو ابراهيم اسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي ثم المقدسي - رضى الله عنه وأرضاه - وجمع بيني وبينه وبين سائر أجبابنا في دار كرامته مع من اصطفاه أهد ، وذكر في شرح المذهب أنه كان يصوم الدهر ، وحلاه بقوله : الفقيه الامام الزاهد .^(٣)

قال النعماني : وترجمته طويلة^(٤) ، توفي بالرواحية في ذي القعدة سنة خمسين وستمئة ودفن الى جانب ابن الصلاح بمقبرة الصوفية .

(١) انظر السخاوي ص ٦ - ٧ .

(٢) ١٨ / ١ .

(٣) ٣٩٠ / ٦ .

(٤) الدارس ٢٢٤ / ١ .

٢ - ومنهم : الشيخ الامام العلامة مفتي الشام كمال الدين أبو الفضائل سلا بن الحسن بن عمر بن سعيد الأربلي ثم الحلبي ثم الدمشقي ت ٦٢٠ هـ *
 شيخ الأصحاب ومفيد الطلاب ، تفقه على ابن الصلاح حتى برع في المذهب وتقدم وساد واحتاج الناس اليه فكان عليه مدار الفتوى في وقته بدمشق واشتغل عليه جماعة وانتفعوا به منهم النووى - رحمه الله - .

وكان - رحمه الله - من الأئمة الفضلاء الخبيرين بمذهب الامام الشافعي ، وكان الشيخ نجم الدين البادراني ^(١) - رحمه الله - قد جعله معيد مدرسته التي وقفها بدمشق لعلمه بخزارة علمه ولم يزل على ذلك الى أن توفي لم يكن معه غيرها ، يفيد ويعيد ويصنف ويؤلف وينشر المذهب ولم يزد من صبا آخر .
 اختصر البحر للرويانى في مجلدات عدة . (٢)

^(٣)
 أثنى عليه النووى - رحمه الله - ثناء حسنا فقال في تهذيب الأسماء بعد ذكر اسمه في سنده في الفقه : المجمع على امامته وجلالته وتقدمه في علم المذهب على أهل عصره بهذه النواحي - رضى الله عنه - وقال عنه في طبقاته :
 هو امام المذهب والمرجوع اليه في حل مشكلاته ومعرفة خفياته والمتفق على امامته وجلالته ونزاهته . تفقه على جماعة منهم أبو بكر الماهياني . قال : توفي في جمادى الآخرة سنة سبعين وستمائة بدمشق قال : وحضرت غسله فرأيت عليه انس الأحياء ونور الأولياء أهد كلامه .

(*) له ترجمة في طبقات السبكي ٦/٥ الحسينية ، وذيل مرآة الزمان ٤٢٩/٢ ، والدارس ٢٠٢/١ ، والعبر ٣٢١/٣ ، وشذرات الذهب ٣٣١/٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١٨/١ ، وطبقات الاسنوى ٣٤٦/١ .

(١) تقدم ذكره ص ٢٧

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤٢٩/٢ ، والدارس ٢٠٢/١ ، والشذرات ٣٣٢/٥ .

(٣) ١٨/١ .

(٤) ٦٢/ب ، وانظر طبقات الاسنوى ٣٤٧/١ ، ويستان العارفين ص ١٩٢ .

٣ - ومهمهم : الامام فقيه الشام وشيخ الاسلام المشهور بالفضل والخير والاتباع أبو محمد عبد الرحمن بن ابراهيم الفزارى الشافعي ، تاج الدين الملقب بالفركاح (*) (١) لحنف في رجليه ت ٦٩٠ هـ .

ولد في ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة ، وسمع الحديث من طائفة منهم ابن الزبيدي (٢) ، وابن اللتي (٣) ، وابن الصلاح (٤) ، وابن عبد السلام (٥) ، وخرج له البرزالي (٦) مشيخة في عشرة أجزاء صغار عن مائة نفس ، وبرع في المذهب وهو شاب فكان شيخ المذهب في زمانه على الاطلاق . وجلس للاشتغال وله بضع وعشرون سنة وكتب على الفتاوى وله ثلاثون سنة . وكان مع فرط ذكائه وتوقد ذهنه ملازما للاشتغال مقدما في المناظرة متبحرا في الفقه وأصوله وانتهت اليه رئاسة المذهب - رحمه الله تعالى - . (٧)

(*) له ترجمة في العبر ٣٧٣/٣ ، ومراة الجنان ٢١٨/٤ ، وطبقات السبكي ٦٠/٥ الحسينية ، وطبقات الاسنوى ١٤١/٢ ، والبدائية والنهاية ٣٢٥/١٣ ، والنجوم الزاهرة ٢٦٣/٢ ، وفوات الوفيات ٢٦٣/٢ ، وشدرات الذهب ٤١٣/٥ ، وطبقات ابن قاضي شهبازي ١٢٣/٢ ، والدارس ١٠٨/١ ، ومراة الجنان ٢١٨/٤ .

(١) مراة الجنان ٢١٨/٤ .
(٢) هو الحسين بن المبارك الزبيدي ، كان عالي الاسناد ، سمع أبا الوقت وغيره ، وكان فقيها حنفيا عالما باللغة والقراءات ، توفي سنة ٦٣١ هـ ، ترجمته في شدرات الذهب ١٣٠/٥ ، والاعلام ٢٥٣/٢ .

(٣) هو أبو المنجاء عبد الله بن عمر بن علي الحريري القزاز ، مسند الوقت ، ولد سنة ٥٤٥ هـ وسمع من أبي الوقت وطائفة ، نشر حديثه بالشام ، ورجع منها سنة ٦٣٤ هـ الى بغداد فتوفي فيها . ترجمته في الشذرات ١٧١/٥ .

(٤) ، ٦٥٥ ، تقدمت ترجمتهم ص ٧٨٤٧٨٩٧٩٠

(٧) مراة الجنان ٢١٨/٤ .

وكان عنده من الكرم المفرط وحسن العشرة وكثرة الصبر والاحتمال وعدم
الرغبة في التكثر من الدنيا ، والقناعة والايثار والمبالغة في اللطف ولين الكلمة
والأدب ما لا يزيد عليه .

قال الذهبي : وبلغ مرتبة الاجتهاد ومحاسنه كثيرة ، قال : وهو أجل من أن ينبه
عليه مثلى ^(١) ، انتفع به جم غفير منهم ولده الشيخ برهان الدين ^(٢) ، وابن تيميه
والمزى وقاضي القضاة نجم الدين بن صصرى ^(٣) وكمال الدين ابن الزملكان ^(٤) ،

(١) العبر ٣ / ٣٧٣ .

(٢) ابراهيم بن عبد الرحمن بن سباع الفزارى ، ولد سنة ٦٦٠ هـ ، وأخذ عن
أبيه وجماعة وسمع الكثير من ابن عبد الدائم وعدة ، وله مشيخة خرجها
العلائي ، وأعاد بعد أبيه ، وخلفه في تعليم الطلبة والافتاء ، ولازم
الاشتغال والتصنيف الى أن مات سنة ٧٢٨ هـ ، ترجمته في طبقات
الشافعية للسبكي ٤٥ / ٦ ، والدرر الكامنة ٣٤ / ١ ، والدارس ٢٠٨ / ١ ،
وشذرات الذهب ٨٨ / ٦ ، وطبقات الشافعية للأسنوى ١٤٢ / ٢ ، وطبقات
ابن قاضي شهبه ٢٤٠ / ٢ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن سالم ، أبو المواهب ، ولد سنة ٦٥٥ هـ ، وأخذ
العلم عن جماعة وتفقه على التاج ابن الفركاح ، وكان من العلماء بالحديث
ومات سنة ٧٢٣ هـ ، ترجمته في الدرر الكامنة ٢٦٣ / ١ ، والبدر
الطالع ١٠٦ / ١ ، وفوات الوفيات ٦٢ / ١ ، والاعلام ٢٢٢ / ١ .

(٤) هو محمد بن علي بن عبد الواحد المعروف بابن الزملكاني ، ولد سنة ٦٦٧ هـ ،
وسمع من جماعة وطلب الحديث بنفسه وكتب بخطه الطباقي ، وولى
القضاء بحلب ، ودرس بعدة مدارس ، وصنف مصنفات عديدة ، منها
تعليق على المنهاج كتب في قطعة كبيرة عليه ، وأثنى عليه الذهبي ثناءً
بالغا في المعجم المختص ، ومات - رحمه الله - سنة ٧٢٢ هـ ، ترجمته

وعلاء الدين ابن العطار ^(١) ، وكمال الدين ابن قاضي شهبه ^(٢) وغيرهم • اضافة الى الامام النووى - رحمهم الله تعالى اجمعين - فانه أول شيوخه الذين تلقى عنهم بد مشق واستفاد منهم •

فان النووى - رحمه الله - لما قدم دمشق واجتمع بالشيخ جمال الدين عبد الكافي الربعي ^(٣) خطيب الجامع الأموى وامامه وعرفه مقصده ، أخذه الشيخ جمال الدين وتوجه به الى حلقة الشيخ تاج الدين عبد الرحمن الفزارى ، فقرأ عليه دروسا وبقي يلازمه مدة ، ولكن لم يتهيا للنووى - رحمه الله - المزيد من ملازمته لعدم سكن يأوى اليه اذ ذاك ، فنقله صاحب الترجمة الى الكمال اسحاق المغربي بالرواحية كما تقدمت الاشارة اليه • ^(٤) قال اليافعي ^(٥) : وتخرج به جماعة كثيرون

=== في طبقات السبكي ٢٥١/٥ ، والبداية والنهاية ١٣١/١٤ ، والسدر الكافى ٧٤/٤ ، والدارس ٣١/١ ، وشذرات الذهب ٧٨/٦ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ٢٩١/٢ •

(١) ستاتي ترجمته مل ١٩
(٢) هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الأسدى ، الامام العالم العامل ، ولد سنة ٦٥٣ هـ وتخرج بالشيخ تاج الدين الفزارى ، صاحب الترجمة ، وعن غيره ، وأعاد وجلس للتعليم بالجامع مدة طويلة وتخرج به جماعة ، وتوفى سنة ٧٢٦ هـ • ترجمته في طبقات السبكي ١٤١/٦ ، والبداية والنهاية ١٢٦/١٤ ، والدرر الكافى ٤٣١/٢ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ٢٦٢/٢ •

(٣) الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ٦١٢ هـ ، وسمع من ابن الصلاح وابن الزبيدى وجماعة ، وناب في القضاء مدة ، وكان ديناً حسن السمعة ، مات سنة ٦٨٩ هـ ترجمته في الشذرات ٤٠٩/٥ •

(٤) انظر السخاوى ص ٨ •

(٥) هو عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي ، ولد في عدن سنة ٦٩٨ هـ ونشأ

===

وخلائق لا يحصون .

ألف المؤلفات النافعة ، منها كتاب الاقليد في درأ التقليد ^(٢) شرح فيه التبيينه
لأبي اسحاق الشيرازي ولم يتمه ، وشرح ورقات امام الحرمين في أصول الفقه ، وشرح من
التعجيز قطعة ^(٣) ، وله على الوجيز مجلدات ^(٤) .
قال الذهبي : جمع تاريخا وصنف التصانيف ^(٥) .

توفي - رحمه الله - بالباد رائية في خامس جمادى الآخرة من سنة تسعين
وستمئة ودفن بمقبرة باب الصغير وله ست وستون سنة وثلاثة أشهر ^(٦) .

فهؤلاء بعض شيوخه في الفقه الذين أخذ عنهم الفقه قراءة وتصحيحا
وسماعا وشرحا وتعليقا ^(٧) .

=== على خير صلاح وانقطاع ولم يكن في صباه يشتغل بشيء غير القرآن ، جاور
بمكة وأخذ عن علمائها وعن علماء المدينة ومصر ، وله مؤلفات كثيرة منها
مرآة الجنان في التاريخ وغيرها . ترجمته في الدرر الكامنة ٢٤٢/٢ ،
والأعلام ٢٢/٤ .

(١) مرآة الزمان ٢١٨/٤ .

(٢) شرح فيه التبيين لأبي اسحاق الشيرازي ، ووقف قبل وصوله الى كتاب النكاح ،
كشف الظنون ٤٨٩/١ .

(٣) التعجيز لابن يونس الموصلي ت ٦٢١هـ ، وهو مختصر من الوجيز لحجة الاسلام
الغزالي ت ٥٠٥هـ ، كشف الظنون ٤١٢/٨ .

(٤) مرآة الجنان ٢١٨/٤ ، قال الياقعي : وعلق على أبواب التبيين من نظر
فيه علم محل الرجل من العلم .

(٥) شذرات الذهب ٤١٣/٥ .

(٦) " " ٤١٤/٥ .

(٧) السخاوى ص ٨ .

ومن مشايخه في الأصول :

١ - القاضي أبو الفتح كمال الدين عمر بن بندار بن عمر التفليسي (*) ت ٦٧٢ هـ .
 ولد بتفليس (١) سنة اثنتين وستمئة تقريباً (٢) ، وتفقه وبرع في الأصلين وغير
 ذلك ، وسمع وحديث ودرس وأفتى وجالس أبا عمرو بن الصلاح - رحمه الله -
 واستفاد منه ، وتفقه على مذهب الشافعي فبرع فيه ، وكان اماماً عالماً فاضلاً
 أصولياً مناظراً متبحراً في العلوم مع الديانة الوافرة والعفة المفرطة وشرف النفس
 مع عدم المال (٣) ، وولى قضاء الشام ، والجزيرة ، والموصل وغيرها من البلاد
 المجاورة لها . وذلك حينما تملك التتار الشام ، فولاه هولاكوا قضاء تلك البلاد
 وباشروا ذلك مدة يسيرة ، وفعل في تلك الأيام اليسيرة من الخير والاحسان والذب
 عن الرعية ما يقصر عنه الوصف ، وكان مسموع القول عند نواب التتار بدمشق
 لا يخالفونه ، فبالغ في الاحسان الى الخاص والعامة ، والسعى في حقن الدماء وحفظ
 الأموال ، ولم يتدنس في تلك المدة بشيء مع فقره وكثرة عائلته ، ولا استضاف في
 زمان ولايته مدرسة ولا غيرها ، بل اقتصر على ما كان مباشره من تدريس العادلية

-
- (*) له ترجمة في طبقات السبكي الكبرى ١٣٠/٥ ، وطبقات الاسنوى ١٥٢/١ ،
 وطبقات ابن قاضي شهبه ١٤٣/٢ ، وشذرات الذهب ٣٣٢/٥ ، والبداية
 والنهاية ٢٦٧/٣ ، وذيل مرآة الزمان ٦٤/٣ ، والعبر
 للذهبي ٣٢٥/٣ ، والفتح المبين
 ونصر على أخذه الأصول عنه السبكي والاسنوى وابن قاضي شهبه .
 (١) بلد بأرمينية الأولى ، وهي مدينة قديمة ، فتحها المسلمون في أيام
 عثمان - رضي الله عنه - بقيادة حبيب بن مسلمة ، معجم البلدان ٣٦/٢ .
 (٢) ذيل مرآة الزمان ٦٤/٣ .
 (٣) ذيل المرأة ٦٤/٣ ، والبداية والنهاية ٢٦٧/١٣ .

الكبيرة الى حين سفره الى حلب ^(١) ، وحصل للمسلمين به في أيام توليته القضاء خير كثير ^(٢) ، ومع ذلك ، لما زالت التتار كذب عليه وافترى عليه أشياء برآه الله منها ، وكان غاية ما نالوا منه أن ألزموه بالسفر الى الديار المصرية ، فتوجه اليها وتركهم ، وأفاد الناس هناك ، ولم يزل بها معززا مكرما الى حين وفاته في رابع عشر ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين وستمئة في القاهرة - رحمه الله - فلقد كان من حسنات الدهر .

قرأ عليه النووى - رحمه الله - المنتخب للفخر الرازى ، وقطعة من المستصفى للغزالي . وأسند عنه في بستان العارفين ^(٤) .
قال السخاوى : وعلى غيره غيرهما من كتب السنن ^(٥) .

(١) ذيل المرأة ٦٤/٣ ، وشذرات الذهب ٣٣٨/٥ .

(٢) طبقات الشافعية ١٣٠/٥ .

(٣) ذيل المرأة ٦٥/٣ ، وطبقات الشافعية ١٣١/٥ .

(٤) ص ١٩٢ .

(٥) السخاوى ص ١٠ .

ومن مشايخه في اللغة :

- ١ - أبو العباس جمال الدين أحمد بن سالم المصري النحوى نزيل دمشق ت ٦٢٢ هـ (*)
 كان ماهرا بالعربية محققا فيها ، فقيرا زاهدا مع فضيلة تامة .
 أقام بحلب مدة ، ثم قدم دمشق وتصدر لاقراء النحو بالمدرسة الناصرية
 وبمقصورة الحنفية الشرقية بجامع دمشق مدة . (١)

وكان حسن العشرة كريم الأخلاق كثير التواضع لئن الجانب ، وافر الدين
 مشاركا في كثير من العلوم ، مستقلا بعلم النحو والعربية وانتفع به جماعة كبيرة . (٢)

منهم الامام النووى - رحمه الله - فقد قرأ عليه اصلاح المنطق لابن
 السكيت (٣) بحثا ، وكذا كتابا في التصريف . قال النووى : وكان لي عليه درس
 اما في كتاب سيبويه ، واما في غيره . شك ابن العطار فيما قاله النووى (٤) ، وتوفى
 - رحمه الله - في ثاني عشر شوال بدمشق ودفن بمقابر باب الصغير (٥) .

(*) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان ٣٤٩/٢ ، وشذرات الذهب ٣٢٤/٥ ،

والدليل الشافى ١٤٧/١ ، وبغية الوعاة ص ١٣٣ .

(١) شذرات الذهب ٣٢٤/٥

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٤٩/٢

(٣) تقدم التعريف به ص ٦٨٥

(٤) تحفة الطالبين ٢/ب

(٥) ذيل المرآة ٣٤٩/٢

٢ - وفهمهم : العلامة حجة العرب جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله

(*)

ابن مالك الطائي الجبائي ت ٦٧٢ هـ .

(١)

امام النحاة وحافظ اللغة ، ولد سنة ستمائة ، وسمع بدمشق من السخاوي

(٢)

والحسن بن الصباح ، وجماعة ، وأخذ العربية عن غير واحد وجالس بحلب

ابن عمرو وغيره ، وتصدربها لقراء العربية ، وصرف همه الى اتقان لسان

العرب ، حتى بلغ فيه الغاية ، وحاز قصب السبق ، وأرى على المتقدمين . فكان اليه

المنتهى في الاكثار من نقل غريبها ، والاطلاع على وحشيها وكان في النحو والتصريف

بحرا لا يجارى ، وحبرا لا يبارى ، وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على

اللغة والنحو ، فكانت الأئمة الاعلام يتحIRON فيه ويتعجبون من أين يأتي بها .

(*) له ترجمة في بغية الوعاة ص ٥٣ ، والوافي بالوفيات ٣٦٠/٣ ، وطبقات

السبكي ٢٨/٥ الحسينيه ، والاسنوى ٤٥٣/٢ ، والنجم

الزاهرة ٢٤٤/٧ ، والسلوك ٦١٣/١ ، ومرآة الجنان ١٧٢/٤ ، وفوات

الوفيات ٢٢٧/٢ ، والبداية والنهاية ٢٦٧/١٣ ، والعبر ٣٢٦/٣ .

(١) هو على بن محمد بن عبد الصمد ، أبو الحسن الهمداني ، الملقب بعلم

الدين السخاوي ، شيخ القراء بدمشق ، ولد سنة ٥٥٨ هـ ، وسمع من

السلفي وجماعة ، ولازم الشاطبي وأخذ عنه القراءات ، وكان اماما في

النحو والقرآن والتفسير فقصده الناس من البلاد لأخذ القرآن عنه ، وتوفى

سنة ٦٤٣ هـ ، ترجمته في طبقات السبكي ١٢٦/٥ ، وبغية الوعاة ص ٣٤٩ ،

وأنبأية والنهاية ١٣/١٧٠ ، وشذرات الذهب ٥/٢٢٢ ، والاعلام ٤/٣٣٤ ،

وطبقات ابن قاضي شهبه ١١٦/٢ .

(٢) هو أبو صادق الحسن بن صباح المخزومي ، المصري الكاتب ، كان

أديبا صالحا جليلا ، وهو آخر من حدث عن ابن رفاع

توفى سنة ٦٣٢ هـ ، ترجمته في الشذرات ٥/١٤٨ ، وذيل

الروضتين ص ١٦٣ ، والعبر ٣/٢١٢ .

وكان اماما في القراءات وعلمها ، هذا مع ما هو عليه من الدين المتين ، وصدق
 اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمعة ورقة القلب وكمال العقل والوقار والتواضع .
 أقام بدمشق مدة يصنف ويشغل ، وتصدر بالترتبة العادية وبالجامع المعمور ،
 وصنف تصانيف مشهورة ، منها الخلاصة ، والكافية ، والتسهيل ، ولامية الأفعال ،
 والتوضيح في أعراب ما يشكل في الجامع الصحيح ، واكمال الأعلام بتثليث الكلام
 (١) وغيرها .

(٢) وتخرج به جماعة كثيرة ، منهم ابنه الامام بدر الدين والشمس بن
 أبي الفتح البعلبي (٣) والبدر بن جماعة (٤) والامام النووي ، والعلاء بن العطار

(١) بغية الوعاة ص ٥٣ .

(٢) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك ، كان نحويا عارفا بعلم البيان
 والعروض والأصول والمنطق ، ذكيا فهما حاد الذهن ، وأخذ عن والده
 النحو واللغة والمنطق ، وتصدر لنشر العلم بعد موت أبيه ، وألف
 مؤلفات نافعة ، مثل شرح الألفية لوالده ، وشرح على غريب التصريف
 لابن الحاجب وغير ذلك ، وتوفي كهلا سنة ٦٨٦ هـ عن نيف وأربعين سنة ،
 ترجمته في طبقات السبكي ٤١/٥ ، ومرآة الجنان ٢٠٣/٤ ، وبغية
 الوعاة ص ٩٦ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ١٩٨/٢ ، وطبقات
 الاسنوي ٢٥١/٢ ، والأعلام ٣١/٧ .

(٣) هو محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبي الحنبلي ، ولد سنة ٦٤٥ هـ
 وسمع من اليونيني ، وقدم دمشق وسمع من ابن خليل وابن عبد الهادي
 وغيرهما ، ونال الفقه والحديث والنحو واللغة ، وحدث ببعلبك ودمشق
 وطرابلس ، وصنف في القراءات والنحو والفقه ، وتوفي سنة ٧٠٩ هـ . ترجمته
 في الشذرات ٢٠/٦ ، والدرر الكامنة ١٤٠/٤ ، وبغية الوعاة ص ٨٩ ،
 وبرنامج الوادي آشي ص ١٣٤ ، ومعجم المؤلفين ١١٦/١١ .
 (٤) هو بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكثاني الحموي ،
 ولد بحماة سنة ٦٣٩ هـ ، وسمع كثيرا واشتغل بعلوم كثيرة وصنف في
 ===

وخلق . أما النورى فقد قرأ عليه كتابا من تصانيفه وعلق عليه شيئا . (١)

قال السيوطي : وكان ابن مالك أمة في الاطلاع على الحديث ، فكان أكثر ما يستشهد

بالقرآن ، فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث ، فان لم يكن فيه شاهد عدل

(٢)
الى أشعار العرب • وكان كثير العبادة كثير النوافل حسن السميت كامل العقل •

وتوفي - رحمه الله - في ثاني عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة رحمه الله .

فهموءلاء بعض شيوخه الذين تخرج عليهم واستفاد منهم ، قد أوقفتك على

أخبارهم ومكاناتهم العلمية ، فأنت غنى بعدد عند عن التعليق على مدى انتفاع

النووى بهم ، لأنك قد علمت أنه التلميذ المجدُّ الطُّلَعَة ، وهم الأشياخ الأئمة

• الرُّحْلَة

ولا ريب أنَّ معرفة مكانة الشيوخ وجدَّ الطالب، تعطي نتيجة واضحة على

مبلغ علم التلميذ ومكانته ، وهذا ما لا أشك في أن القارئ قد لمسّه ووجدّه ،

لذا فأتارك له التعبير عن هذه النتيجة •

=== كثير منها ، وأفتى ودرس وعرضت فتواه على النووي فاستحسن ما أوجب به ،

وتوفى سنة ٧٣٣ هـ ، ترجمته في طبقات السبكي ٢٣٠/٥ ، وطبقات ابن

قاضي شهيد ٢٨٠/٢ ، وطبقات الاسنوي ١٨٦/١ ، والبداية

والنهاية ١٦٣/١٤ ، والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ ، وشذرات الذهب ١٠٥/٦ ،

والاعلام ٢٩٢/٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٠١/٨ ، وغيره ————— .

(۱) السخاوی ص ۱۰ •

(٢) بغية الوعاء ص ٥٣ .

وأما توفر الكتب لديه :

فلاريب في أن حاجة طالب العلم الى الكتب كحاجته الى الطعام والشراب والهواء ان لم أقل ، أن حاجته الى الكتب أشد .

ذلك لأن العلم مودع فيها ، فهي خزائنه ، إليها يرجع المبتدئون والمفتهون ولا تغنى الصدور عن السطور ، فإن الصدور لا تحوى مما تتضمنه الكتب إلا القليل وهى بعد ذلك تعثرها عوامل الضياع الكثيرة : من نسيان واختلاط وعوائق أخرى ، إضافة الى أن العلم المختزن في صدور العلماء يموت بموت أربابه ، والكتب ليست كذلك ، ولقد أجاد القائل حين قال :

والعلم ان لم يكن في الصدر أجمعه ففي القراطيس صغراه وكبـراه
لذا كان لزاما على طالب العلم أن يجهد في تحصيل الكتب ، كما يجهد في درسه وحفظه ولا سيما أمهات الكتب ومتون الفنون ، فإن الاعتناء بجمعها أجدر ، والحاجة اليها أكثر .

نعم الجمع وحده لا يفيد فكم من جامع كتب لا يستفيد منها ، فمن كان هذا حاله فهو يهوى النظر الى الكتب ولا يهوى النظر فيها ، فيصدق عليه قول الشاعر :

رَبِّ انْسان مَلَأَ أَسْفاطَهُ	(١)	كُتُبَ الْعِلْمِ وَهُوَ بَعْدَ يَخْطُ
فَإِذا فَتَّشْتُهُ عَنْ عِلْمِهِ		قَالَ عِلْمِي يَا خَلِيلِي فِي السَّفْطِ
بَكَرَارِيسٍ جِيَّادٍ أَحْكَمَتْ		وَيَخْطُ أَى خَطٍ أَى خَطِ
فَإِذا قُلْتُ لَهُ هَـا اذَا		حَكَ لِحْيِيهِ جَمِيعاً وَامْتَخَطَ (٢)

(١) السفط ما يخبأ فيه الطيب ونحوه والجمع أسفاط مثل سبب وأسباب ،

المصباح المنير ٢٩٩/١ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ٣٠٢/٢ .

وقول الآخر :

إذا لم تكن واعيا حافظا — فجمعك للكتب لا ينفج
أشاهد بالعين في مجلس — وعلمي في البيت مستودع
ومن يك في علمه هكذا — يكن دهره القهقري يرجع (١)

إذا علمنا أن أهمية الكتب للطلاب مذكور ، فنجد أن الامام النووي
— رحمه الله — قد ضرب به المثل في جمع الكتب والاستفادة منها .

فعن مكتبته يحدثنا البدر بن جماعة أنه كان إذا أتى الامام النووي ليزوره
يضع بعض الكتب على بعض ليوسع له مكانا يجلس فيه (٢) ، وهذا يعني أن غرفته
كانت مستودع كتب مليء بحيث لا يجد فيها مكانا يجلس فيه غيره .

ومما يدل على ذلك أنه قال في مقدمة كتابه " التحقيق " (٣) قد حضر منها
— أي كتب فقه الشافعي — عندى بحمد الله تعالى نحو مائة مصنف من مشهور
وغريب وما بين ذلك .

فإذا كان قد حصل له هذا العدد من كتب الفقه ولم تكن كتب الفقه
في ذلك العصر ككثرتها بعده ، فما بالك بكتب الحديث التي لا تقارن من حيث
العدد بكتب الفقه بحال . وكانت كتب الحديث آنذاك منتشرة متداولة لكثرة
المحدثين وكثرة الطالبين ، والأمام النووي يُعنى بالحديث كعنايته بالفقه ، بل هو
من حفاظه ، فكيف يمكن عدد المصنفات الحديثية التي حوتها مكتبته على هذا
القياس ؟ !

ومما يعضد القول بسخامة مكتبته وقيمتها ، أن التقى علي بن عبد الكافي

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ٣٠٨/٢ .

(٢) السخاوى ص ٣٦ .

(٣) ١/١ .

السبكي - رحمه الله - (١) لما طلب منه أن يكمل المجموع للنووي كان من أعذاره التي تقدم بها لطالبه أنه لا يتهيأ له جمع الكتب التي يستعان بها على النظر والاطلاع على كلام العلماء قال : " وكان النووي - رحمه الله تعالى - قد حصل له من ذلك حظ وافر لسهولة ذلك في بلده في ذلك الوقت (٢) ، فإذا كان تقي الدين السبكي يعتذر عن تحصيل الكتب التي حصل عليها النووي لتكون مراجعه في تأليفه ، وهو قاضي القضاة إذ ذاك ، ولم يطل الزمان بينه وبين النووي إذ ما بين وفاتيهما أقل من قرن ، فأنى لغيره أن يحصلها ؟ !

ولعل النووي - رحمه الله - كان يشعر بعزّة مراجعه وتهيئها له أكثر من غيره ، لذلك لما شعر بقرب وفاته أعطى تلميذه ابن العطار قائمة بأسماء مراجعه لكتاب المجموع لكي يستفيد منها من يريد اتمامه ولكن لم يشأ الله اظهارها ، فلقد تلفت عند ابن العطار حتى أنه لم يحفظ أسماءها .

(١) الامام الفقيه المحدث الحافظ المفسر المقرئ المتكلم الأصولي ، المتكلم النحوي اللغوي الأديب المتبحر في كل فن ، ولد سنة ٦٨٣ هـ ، وتفقه على أبيه ثم على جماعة آخرهم ابن الرفعة ، وأخذ الحديث عن الحافظ الدميّاطي وغيره ، ورحل الكثير ودرس في عدة مدارس ، وصنف عدة مصنفات ، وتفقه به جماعة من الأئمة كالاسنوي وابن النقيب وغيرهم من الأئمة الأعلام ، وولى مشيخة دار الحديث بعد المزي ، ومات سنة ٧٥٦ هـ وترجمته كبيرة ليقف عليها من أراد المزيد في الطبقات لولده عبد الوهاب السبكي ١٤٦/٦ ، وطبقات الاسنوي ٣٥٠/١ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ٣٧/٣ ، والدرر الكامنة ٦٣/٣ ، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص ٣٩٠ ، وذيلها أيضا للسيوطي ص ٣٥٢ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٢٥ ، وشذرات الذهب ١٨٠/٦ ، والأعلام ٣٠٢/٤ ، وهداية العارفين ٧٢٠/١ ، ومعجم المؤلفين ١٢٧/٧ ، والدارس ١٣٤/١ ، وقضاة دمشق لابن طولون ص ١٠١ .

(٢) السخاوي ص ٢٢ .

ولا غرابة في كثرة مراجعته ، فلقد علم أنه كان ساكنا بالمدرسة الرواحية ويدرّس بالأشرفية ولهاتين المدرستين كتب موقوفة كثيرة كان يستفيد من النظر فيها ، وقد كان يزود دار الحديث الأشرفية بالكتب التي يشتريها بجامعيته التي كان يتقاضاها ويوقفها عليه ، كما قاله الذهبي وتقدّم ذكره .

إضافة الى مكتبته الخاصة التي كانت تزخر بنفائس الكتب كما دل عليه تنافس العلماء عليها عندما بيعت بعد موت والده الشيخ شرف ، كما ذكر ذلك اليونيني في ذيل مرآة الزمان ^(١) .

قال : ولما مات الشيخ محيى الدين خلف كتبه التي صنّفها وغيرها من العلوم الاسلامية ممّا كتبه بخطه واشتراه . قال : فلم يتعرض لها والده وهى تساوى جملة كبيرة . الى أن قال : ولما احتاج من بقى من أولاد الشيخ شرف الى بيعها وذلك سنة سبعمئة حضروا الى التربة الأشرفية وكانت الكتب في بيت الشيخ برهان الدين ، فأخرجت وبيعت بجملة كثيرة ، وبلغ ثمنها مبلغا طائلا وتغالى الناس في شرائها .

هذا عن مكتبة النووى من حيث التكوين ، أمّا عنها من حيث الاستفادة فلاريد في أن النووى كان ممن جمع فأوعى ، فلم تكن غايته هى جمع الكتب فقط ، كحال كثير منّا اليوم ، بل كان همه فى الاستفادة منها أكثر من جمعها ، فقد ضرب به المثل فى إكبابه على طلب العلم ليلا ونهارا ، وهجره النوم إلا عن غلبة ، وإذا غلبه النوم استند الى الكتب لحظة ثم يفتبه ^(٢) ، فلم يضع جنبه على الأرض نحو سفسطين كما تقدّم ذكره ، ولم يكن يقضى وقته إلا فى درس أو كتابة أو مطالعة أو تردّد على الشيوخ كما قاله الذهبي فى سير النبلاء ^(٣) ، ولربما طالع الكتاب

(١) ١٨٥ / ٤ ، واليونيني ستألف ترجمته ص ١٢٩

(٢) السخاوى ص ٣٦ .

(٣) " ص ٧ .

أربعمئة مرة ^(١) ، ولم يكن له ما يشغله عن مكتبته أهل ولا مال ولا ولد ولا يوءانسـه
 في خلوته غير كتبه - فرحمه الله - ما كان أشد ادراكه لقيمة الزمن فضن به عن غير
 مصروفه .

ولا بدع أن نعلم مثل هذا عن النووي لأنه من معشر العلماء الذين كانت
 لذة العلم لهم خير لذة ، وموءانسة الكتب لهم خير أنس ، والذين يقول أحدهم :
 وألذ ما طلب الفتى بعد التقى علم هناك يزينه طلبه
 ولكل طالب لذة متتزه وألذ نزهة عالم كتبه
 ويقول الآخر :

نعم الموءانس والجليس كتاب لا مفشيا سراً ولا متكبّرا
 تخلوبه ان ملك الأصحاب وتفاد منه حكمة وصواب
 ويقول الآخر :

العلم أنس صاحب فإذا هممت فسلوتي
 أخلوبه في وحدي وإذا خلوت فليذتي ^(٢)

(١) السخاوى ص ٣٦ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

اشتغاله بالتدريس :

لم يمض على الامام النووى - رحمه الله تعالى - وقت كبير في ابتداء الطلب حتى فاق الأقران ، وتأهل لأن يفيد .

ان قدم النووى - رحمه الله تعالى - دمشق في التاسعة عشرة من عمره المبارك أى في عام ٦٤٩ هـ ، وكان أول مدرسة نزل بها للدراسة هى المدرسة الرواحية الذى كان مدرسها اذ ذاك الشيخ كمال الدين أبو ابراهيم اسحاق ابن أحمد بن عثمان المصري الذى استمر فيها عشرين سنة منذ أن كان تلميذا للشيخ ابن الصلاح ت ٦٣٤ هـ الذى عينه معيدا فيها الى أن توفى سنة ٦٥٠ هـ . فلما قدم اليه النووى قبل موته بعام لازمه النووى ملازمة شديدة وعظم انتفاعه به ، فأعجب به الشيخ وأحبه محبة شديدة لما رأى من ملازمته الشديدة له ، وعدم اختلاطه بالناس ، وجدّه في الطلب ، فجعله الشيخ معيد الدرس في حلقة لأكثر الجماعة . (١)

فكان هذا هو أول منصب تولاه في التدريس ، وهو وان ناله بعد وقت قصير من ابتداء طلبه ، إلا أنه ما كان سيناله لو لم يكن مهياً له ، لما علم مما تقدّم ذكره في وصف المعيد ، وهو وان لم يستمر في هذا المنصب لمبادرة شيخه الكمال لأجابة رسله وانتقاله الى الدار الآخرة ، وانتقال منصب التدريس فيها لأبي شامة . (٢)

(١) تحفة الطالبين ٣/ ب . (٢) ص ٦٧

(٣) هو الشيخ الامام العلامة عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي ، الشافعي ، ولد سنة ٥٩٩ هـ ، وسمع الكثير وأخذ عن ابن عبد السلام وابن الصلاح ، وكان ذا فنون كثيرة وكتب الكثير من العلوم

ألا أن النووى - رحمه الله - قد اكتسب من أعادته في تلك الفترة دراسة عالية في التدريس والافادة ، بل وأهله ذلك للنبوغ المبكر في العلوم ، لعظم فائدة التدريس في ترسيخ المعلومات وكشف المعضلات وعدم إضاعة الأوقات ، فما مرّ عليه بعد ذلك إلا وقت قليل حتى ناب عن شمس الدين بن خلكان في التدريس بالمد رسة الركنية الجوانية الشافعية .

ثم ناب عنه أيضا بالمد رسة الاقبالية الى آخر سنة تسع وستين وستمائة (١) .
كما ناب عنه أيضا بالمد رسة الفلكية في ولايته الأولى لها (٢) .

أما دار الحديث الأشرفية فقد وليها استقلالاً بعد وفاة أبي شامة ، من سنة خمس وستين وستمائة الى أن توفي سنة ٦٧٦ هـ وذلك احدى عشرة سنة ، ونشر بها علما جمّا وأفاد الطلبة وغيرهم ، ولم ينل من معلومها شيئاً (٣) .

ومن عجيب أمره أنّه لم يشمره لنيل مشيختها بعد وفاة شهاب الدين أبي شامه ، لما جبل عليه من التواضع ، ولكنه حمل ولايتها حينما شغرت له ولم يكن له فيها منافس (٤) . فأعانه الله على القيام بواجبها حق قيام ،

=== وأتقن الفقه ودرس وأفتى وبرع في فن العربية ، وصنف مصنفات كثيرة ، كشرح الشاطبية ، والروضتين ، والذيل عليها والباعث على انكار البدع والحوادث ، ومات سنة ٦٦٥ هـ ، له ترجمة في طبقات الشافعية للسبكي ٦١/٥ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ١٣٣/٢ ، ومراة الجنان ١٦٤/٤ ، وذيل مراة الزمان ٣٦٧/٢ ، وبغية الوعاة ص ٢٩٧ ، والبداية والنهاية ٢٥٠/١٣ ، والدارس في تاريخ المدارس ٢٣/١ ، وشذرات الذهب ٣١٨/٥ .

(١) الدارس ١/١

(٢) ذيل مراة الزمان ٢٨٣/٣ .

(٣) الدارس ، وذيل مراة الزمان ٢٨٣/٣ .

(٤) كما استفيد ذلك من قوله مخاطباً ابن النجار في قضية الحوطة وقد هدد ،

===

فأفاد فيها الخاص والعام من الطلبة الكرام ، حتى فارقهم باجابه الملك العلام ،
ولسان أحدهم يقول :^(١)

يا لهف حفل عظيم كنت بهجته وحلية فمزاه بعدك العطـل
وطالبوا العلم من دان ومغترب نالوا بيمينك منه فوق ما أملوا
حاروا لهيبة هاد بهم وضاق بهم لفرط حزن عليك السهل والجبل
هذه هي الأسباب الظاهرة المعتادة لمثل هذا النبوغ ، وقد توفرت جميعها
له - رحمه الله .

أما النوع الثاني من أسباب تقدمه ونبوغه : وهو السبب المعنوي ، فينبغي قبل أن تعلمه
أن تعلم أن الأسباب المتقدمة ليست إلا أسبابا عادية ، قد يحصل المطلوب عند
حصولها وقد لا يحصل ، لكن عند وجود السبب المعنوي ، فإن الغاية تحصل
بإذن الله تعالى لاجتماع الأسباب .

وهذا ما فهمه الامام تقى الدين على بن عبد الكافي السبكي - رحمه الله تعالى -
في سبب نبوغ النووى ، حيث قال معتذرا عن اتمام المجموع : (وقد يكون تعرضي
لذلك مع قصورى عن مقام هذا الشرح اساءة اليه وجناية منى عليه ، قال : وأنى
أنهض بما نهض به وقد أسعف بالتأيد ، وساعدته المقادير فقرت منه كل بعيد .
قال : ولا شك أن ذلك يحتاج بعد الأهلية الى ثلاثة أشياء :

أحدها : فراغ البال واتساع الزمان . وكان - رحمه الله - قد أوتى من ذلك الحظ
الأوفى بحيث لم يكن له شاغل عن ذلك من تعيش ولا أهل .

=== بأخذ دار الحديث ، اطلعت على قلبي أنى متهافت عليها ، وقوله : أو ما كنت
حاضرا مشاهدا أخذى لها . السخاوى ص ٥٢ .

(١) هو الشيخ مجد الدين محمد بن الظهير الحنفي . تحفة الطالبين ١٦ / ١ ،
وذيل مرآة الزمان ٢٩٠ / ٣ .

والثاني : جمع الكتب التي يستعان بها على النظر والاطلاع على كلام العلماء .
 وكان - رحمه الله تعالى - قد حصل له من ذلك حظ وافر لسهولة ذلك
 في بلدته في ذلك الوقت .

الثالث : حسن النية وكثرة الورع والزهد والأعمال الصالحة التي أشرقت أنوارها ،
 وكان - رحمه الله تعالى - قد اكتال من ذلك بالمكيال الأوفى . قال :
 فمن تكون اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث أنى يضاهايه أو يدانيه من ليست فيه
 واحدة منها ؟ !^(١)

فرحم الله التقي السبكي ما كان أجدره بأن يتم المجموع على ما وصف نفسه
 به من القصور عن مرتبة النووى ، فإنه إمام حافظ فقيه مفسر مؤرخ صاحب تصانيف
 قوى الذكاء من أوعية العلم جَمَّ الفضائل حسن الديانة صادق اللهجة كما وصفه
 تلميذه الحافظ الذهبي في التذكرة .^(٢)

ووصفه السيوطي بقوله : الامام الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولي
 النحوى اللغوى الأديب المجتهد . ويقول : شيخ الاسلام وامام العصر^(٣)
 ووصفه ولده بأنه أعلم من دخل دار الحديث .^(٤)

ثم مع ذلك يحتذر بهذا الاعتذار ويرى أن اقدامه على تكملة المجموع قد
 يكون اساءة أدب مع النووى لقصوره عنه ثم يدفعه بعد ذلك لاتمامه كمال رغبته
 في أن يعود عليه بركة صاحبه .^(٥)

(١) تكملة المجموع للسبكي ٣/١ .

(٢) ١٤٩٠/٤ ، ١٥٠٢ .

(٣) طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٤) " " " " ص ٥٢٦ .

(٥) تكملة المجموع ٣/١ .

لا شك أنّ هذا موقف من مواقف ذوي الفضل لأهل الفضل لأنّه انما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوّه، فحسبنا بهذا الموقف شهادة على تقدم النووى في العلم . ولا يذهب إلى ذهرك أنّ هذا أدب من السبكي مع النووى فقط، فأنّه وان كان من أكثر الناس تأدبا مع النووى - رحمه الله - ، إلا أنّه يعلم أنّ للأدب حدودا ، وهذا الموطن ليس من موطنه ، لأنّ الامام النووى نفسه قد أذن لمن بعده أن يتموا هذا الكتاب ان لم يقدر له إتمامه ، بل وأعانهم على ذلك ببيان مراجعه كما تقدمت الإشارة إليه ، ومع ذلك فإنّ إتمامه من أجل القرب ، ومن المسابقة الى الخيرات ولم يكن عمل النووى فيه إلا لله تعالى ، ابتغاء مرضاته بنفع المسلمين ، فإنّ مقاصده كانت جميلة وأفعاله لله تعالى كما قال اليونيني . (١)

والسبكي من أعرف الناس بقصد النووى ، فلم يكن له مانع حينئذ إلا ما ذكره ، والله أعلم .

ولعل نفسك قد تاقّت الى إيضاح الأسباب المعنوية التي كونت هذه الشخصية فأقول لك : أنّ تلك الأسباب تعود الى علاقة الانسان بربه ، عن طريق التقوى والزهد والورع .

العوامل غير العادية في تكوينه

١ - تقواء •

٢ - زهد •

٣ - ورع •

٤ - تواضع •

(١) أما التقوى ، فأصله من حيث اللغة قلة الكلام .

وحقيقته جعل النفس في وقاية مما يخاف ، وهو في الشرع حفظ النفس عما يوءثم وذلك بترك المحظورات ، ويتم ذلك بترك بعض المباحات ، لما روى عن أحمد من حديث وابصة ^(٢) ، والترمذى ^(٣) وابن ماجه ^(٤) . من حديث عطية السعدي قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس)) . ^(٥)

هذا هو التقوى من حيث التعريف ، أما من حيث واقعها في الامام النووي ، فلاريب في أن الناظر في صفحات تاريخه سيجد رجلا مفعما بالتقوى قد صار التقوى له سجية منذ أن عرف ربه وأدرك نفسه وهو لا يعرف للتقوى بدىلا ، فلم يعد يكثره في تحصيله ، لكونه قد صار كامنا فيه فكان محافظا على المأمورات ، ونوافل العبادات ، معظما للحرمان ، بعيدا عما يوءذن بركة الدين ، لما هو عليه من الروح المتين ، فلقب ————
ثبت عنه أنه كان صائم الدهر —————
(٦)

- (١) مجمل اللغة لابن فارس ١٤٩ / ١ .
 - (٢) كذا في فتح البارى ٩٨ / ١ ط ك ، ولم أجده في المسند .
 - (٣) في القيامة ٦٣٤ / ٤ ، وقال : حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه .
 - (٤) في الزهد ١٤٠٩ / ٢ ، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير ص ٢٠٣ ، وله شاهد عند البخارى في الصحيح ١٠ / ١ عن ابن عمر - رضى الله عنه - موقوفا .
 - (٥) انظر المقدرات للراغب ص ٥٣٠ مادة وقى .
 - (٦) ذيل مرآة الزمان ٢٨٨ / ٣ .
- وقد اختلف أهل العلم في صيام الدهر ، فذهب أهل الظاهر الى منع صيام الدهر نظرا لظواهر الاحاديث الدالة على المنع كقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((لا صام من صام الأبد)) ، رواه البخارى في الصوم ٥٢ / ٣ ، ومسلم ٤٥ / ٨ (بشرح النووي) ، قال النووي (في شرح مسلم ٤٠ / ٨) : نقلا عن القاضي عياض وغيره : وذهب جماهير العلماء الى جوازه اذا لم يصم الايام المنهية عنها وهى العیدان والتشريق ، قال النووي : وذهب الشافعي وأصحابه أن سرد الصيام اذا أفطر العیدین والتشريق لا كراهة فيه بل هو مستحب بشرط أن لا يلحقه به ضرر ولا يفوت حقا ، فان تضرر أو فوت حقا فمكروه ، قال : وقد استدلوا بحديث حمزة بن عمرو . وقد رواه البخارى في الصيام باب الصوم في السفر والافطار ٤٣ / ٣ ، ومسلم في الصيام ٢٣٦ / ٧ بشرح النووي ، انه قال : يا رسول الله ، اني اسرد أفصوم في السفر ، فقال : ان شئت فصم ، ولفظ رواية مسلم : فاقره - صلى الله عليه وسلم - على سرد الصيام ، قال النووي : ولو كان مكروها لم يقره لاسيما في السفر ، قال : وقد ثبت عن ابن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما -

قائم الليل ^(١) ، لا يضيع له وقت إلا في الاشتغال بعلم أو عبادة ^(٢) ، سالكا منهاج الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ، لا يعلم أحد في عصره سالكا على منهاجهم غيره . ^(٣)

قال التاج السبكي : ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي اجتمع في النووي ، ولا التيسير الذي تيسر له ^(٤) ، ووصفه الحافظ الذهبي بقوله : لقد كان من

== أنه كان يسرد الصيام ، وكذلك أبو طاحه وعائشة - رضى الله عنهما - وخلائق من السلف ،

قال : قد ذكرت منهم جماعة في شرح المذهب في باب صوم التطوع ، قال : وأجابوا عن حديث لا صام من صام الأبد ، بأجوبة ، أحدها : بأنه محمول على حقيقته بأن يصوم معه العيدين والتشريق ، قال : وبهذا أجابت عائشة - رضى الله عنها - ، والثاني : على أنه محمول على من تضرر به ، أو فوت به حقاً ، قال : ويؤيده أن النهي كان خطاباً لعبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد ذكر مسلم عنه أنه عجز في آخر عمره ، وندم على كونه لم يقبل الرخصة . قال النووي : قالوا : فنهى ابن عمر كان لعلمه بأنه سيعجز ، وأقر حمزة بن عمرو لعلمه بقدرته بلا ضرر ، والثالث : أن معنى لا صام ، أنه لا يجد من مشقته ما يجدها غيره ، فيكون خبيراً لادعاء ، وانظر زيادة بحث في هذه المسألة في المجموع ٦ / ٣٨٨ - ٣٩١ وفتح الباري ٩ / ٥٤ - ٥٧ ، ط ك .

(١) السخاوى ص ٣٦ .

(٢) مرآة الجنان ٤ / ٢٨٣ .

(٣) السخاوى ص ٣٤ ، والمراد به في الزهد والعبادة وجماع الخير فالقصد تفضيله على أبناء عصره من حيث المجموع الذي اجتمع فيه ولم يجتمع في غيره والله أعلم .

(٤) السخاوى ص ٣٤ .

الدين بمكان الرأس من الجسد ، ظهر له العلم فشمر اليه ، ونظر الى الخيـرات
(١) فأفرغت عليه .

ووصفه أيضا بقوله : نذر ورع تخين ومراقبة لله في السر والعلانية ، (٢) كما كان من أبعد
الناس عن المضهيات ، محاسبا نفسه على الخطرة بعد الخطرة . (٣) قد منع نفسه من
كثير من المباحات خشية أن يصل منها الى الشبهات ، أو تفسد عليه ما اعتاده من
الخيرات ، ومن كانت هذه حاله ، فلا بدع أن يسمو في علماء المقامات ، وتتصـب
عليه أنواع المكرمات ، لأنه قد حقق ما وعد الله به عباده المتقين حيث قال :
﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ (٤) ، ولا جرم أن هذا وعد من الله تبارك وتعالى
لعباده المتقين ، فكان النوى - رحمه الله - أنموذجا لمن تحقق لهم هذا
الوعد عندما تحقق عندهم التقوى ، ويشهد لهذا ما أخبر به والده عنه
مخبرا ابن العطار ، أنه لما فرغ من حجته التي حجها معه سنة احدى وخمسين
وستمئة ، والتي لم تفارقه فيها الحصى منذ أن خرج من نوى الى يوم عرفة ، وهو
صابر لم يتأوه قط ، قال : فلما تم الحج ووصلنا الى نوى ورجع هو الى دمشق
صب الله عليه العلم صبّا . (٥)

وقال الذهبي : لما رجع من حجة الاسلام لاحت عليه امارات النجابة والفهم . (٦)

فهذا هو العامل المهم في تعليم الله عز وجل عباده ، بل وجعله شرطا
للعلم النافع . على أن لهذا العامل عوامل أخرى مساعدة ناشئة عن التقوى نفسها
كالزهد والورع ، وسأذكر ذلك في الفصل الآتي ان شاء الله تعالى .

(١) السخاوى ص ٣٥ .

(٢) " ص ٣٧ .

(٣) المضهـاج السوى ٧ / ب .

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

(٥) السخاوى ص ٦ .

(٦) " ص ٦ .

زهد

الزهد في اللغة ، الاعراض ، يقال : زهد فيه وعنه ، مثل الهاء ، كسمع وضع
وكرم ، زهدا وزهادة ، ضد رغب ، وفي المصباح ، زهد فيه وعنه بمعنى تركه
وأعرض عنه . (١)

قال الله تعالى : * وكانوا فيه من الزاهدين * (٢)
وفي الاصطلاح ، هو أخذ أقل الكفاية مما يتقن حله وترك الزائد على ذلك لله تعالى .
وحقيقته ، خروج حب الدنيا والرغبة فيها عن القلب ، وهوان الدنيا على العبد
حتى يكون راد بار الدنيا وقلة الشيء منها أحب إليه وآثر عنده من اقبال
الدنيا وكثرتها . (٣)

وقبل الحديث عن زهد الامام النورى أقدم تقسيم ابن القيم ^(٤) للزهد
لنعلم من أى الأقسام زهده .

(١) تاج العروس ٢ / ٣٦٥ ، المصباح المنير ١ / ٢٧٦ .

(٢) سورة يوسف آية ٢٠ .

(٣) انظر الاحياء ٤ / ١٨٧ .

(٤) هو الامام المحقق الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن
أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي ، ولد سنة ٦٩١ هـ في بيت
علم وفضل ، فأخذ عن أبيه وتلمذ لطائفة من علماء دمشق كالمشهاب
النايلسي ، والقاضي تقي الدين بن سليمان وغيرهما ، ولزم شيخ الاسلام ابن
تيمية ملازمة تامة ، وغلب عليه حبه ، فكان يأخذ بأكثر اجتهاداته وينتصر
لها ويتوسع في التدليل على صحتها ، وهذب كتبه ونشر علمه ، وألف
مؤلفات عديدة نافعة كزاد المعاد ، واعلام الموقعين ، وغيرهما ، وتوفى
سنة ٧٥١ هـ — رحمه الله تعالى — . له ترجمة في ذيل طبقات
الحنابلة ٢ / ٤٤٧ ، والبداية والنهاية ١٤ / ٢٣٤ ، والدرر
الكامنة ٣ / ٤٠٠ ، وشدرات الذهب ٦ / ١٦٨ ، والبدر الطالع ٢ / ١٤٣ وغيرها .

قال - رحمه الله تعالى - في طريق المهجرتين وباب السعاداتين ^(١) ما حاصله : الزهد

أربعة أقسام : أحدها فرض على كل مسلم ، وهو الزهد في الحرام .

الثاني - زهد مستحب ، وهو على درجات في الاستحباب بحسب المجهود فيه ،

وهو الزهد المكروه وفضول المباحات .

الثالث - زهد الداخلين في هذا الشأن وهم المشغورون في السير إلى الله ، وهو

نوعان : أحدهما - الزهد في الدنيا جملة ، وليس المراد تخليها من اليد

ولا إخراجها وقعوده صفراً منها ، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية

فلا يلتفت إليها ولا يدعمها تساكناً قلبه وإن كانت في يده ، فليس الزهد أن تترك

الدنيا من يدك وهي في قلبك ، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك

قال : وهذا كحال الخلفاء الراشدين ، وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهد

المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده ، بل كحال سيد ولد آدم - صلى الله عليه وسلم -

حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ولا يزيده ذلك إلا زهداً فيهم -

قال : والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء :

أحدها : علم العبد أن الدنيا ظل زائل وخيال زائر وأنها كما قال الله تعالى

ذكره فيها : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في

الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون

(٢)

حطاماً ﴾ .

وقوله : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض

فما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها

أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن

(٣)

بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

(١) ص ٢٥١ .

(٢) سورة الحديد آية ٢٠ .

(٣) سورة يونس آية ٢٤ .

الثاني : علمه أن وراءها دارا أعظم منها قدرا وأجل خطرا وهي دار البقاء وأن نسبتها اليها كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ((ما الدنيا (١) في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم ، فلينظر بما يرجع))
فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها .

الثالث : معرفته أن زهده فيها لا يضعه شيئا كتب له منها وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها ، فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها .

النوع الثاني (من نوعي زهد المشمرين في السير الى الله تعالى) الزهد في نفسك ، وهو أصعب الأقسام وأشقها ، وأكثر الزاهدين انما وصلوا اليه ولم يلجوه ، لأن الزهد في النفس ذبحها بغير سكين . وهو نوعان :
أحدهما وسيلة وبداية ، وهو أن تمتيتها فلا يبقى لها غدك من القدر شيء فلا تغضب لها ، ولا ترضى لها ، ولا تتصر لها ، ولا تنتقم لها ، قد سبكت عرضها ليوم فقرها وفاقتها فهي أهون عليك من ذلك ، فهذا وان كان ذبحا لها وامانة عن طباعها وأخلاقها فهو عين حياتها وصحتها ولا حياة لها بدون هذا البته .

النوع الثاني : (غاية وكمال) - وهو أن يبذلها للمحبوب جملة بحيث لا يستبقى منها شيئا ، بل يزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله قد تعلقت رغبة محبوبة به فهل يجد من قلبه رغبة في امساك ذلك القدر وحبسه على محبوبة ؟ فهكذا زهد المحب الصادق في نفسه قد خرج عنها وسلمها لربه فهو يبذلها دائما بتعرضه لقبولها .

وجميع مراتب الزهد المتقدمة مبادئ ووسائل لهذه المرتبة ، ولكن لا يصح

الآ بتلك المراتب .

قال : فمن رام الوصول الى هذه المرتبة بدون ما قبلها فمتعن متعن ، كمن رام الصعود الى أعلى المنارة بلا سلم . أهـ

إذا علم مفهوم كلمة الزهد بما تقدم تقريره فليعلم بعده أن الامام النورى - رحمه الله - قد نال غايته ووصل ذروته فكان فيه رأسا لا يبارى قد حقق شروطه وأدرك غايته ، أخرج الدنيا من قلبه جملة ، فلم يكن ليلتفت اليها ، وإنما جعل لنفسه منها ما تقوم به بنيته ليحقق عبوديته ، فلقد عدل في تضيق عيشه في أكله ولباسه وجميع أحواله ، وقال له عاذله ^(١) : أخشى عليك مرضا يعطلك عن أشيئاء أفضل مما تقصده ، قال : فقال لي : أن فلانا صام وعبد الله تعالى حتى اخضر عظمه ، قال عاذله : فعرفت أنه ليس له غرض في المقام في دارنا ولا الالتفات لما نحن فيه . ^(٢)

ولم يكن ذلك منه إلا لأنه يعلم أن الدنيا ظل زائل وخيال زائر ومزرعة الآخرة ومتاع الغرور كما أخبر عنها خالقها بقوله : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ﴾ الآية . فلم يكن ليغتربها وزخارفها ولذاتها ، فجعل حظها منها كزاد الراكب أسوة بسيد البشر - صلى الله عليه وسلم - القائل : ((مالي وللدنيا إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها)) ^(٣) .

(١) هو العلامة رشيد الدين اسماعيل بن المعلم الحنفى كما في ترجمة

السخاوى ص ٣٩ .

(٢) السخاوى ص ٣٩ .

(٣) رواه الترمذى في الزهد ٥٨٨/٤ ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه

فيه ١٣٢٦/٢ ، وأحمد في المسند ٣٩١/١ ، ٤٤١ ، كلهم من حديث

ابن مسعود - رضى الله عنه - .

وليته جعل حظّه من هذا الزاد زادا لذى طيبا ، ولكنه لم يفعل ذلك ، بل قد ترك جميع ملاذ الدنيا من المأكول إلا ما يأتيه به أبوه من كعك يابس وتين حوراني ، ولم يلبس من الثياب إلا المرقعة ، ولم يدخل الحمام وترك الفواكه جميعها ، كما قاله الشمس بن الفخر .
(١)

وكان ذلك منه لأنّه يعلم أنّ وراء هذه الدار داراً أعظم منها قدرا ، وأجل خطرا ، وهى دار البقاء فخشى ان يعوقه شىء من دار الفناء ، عن الوصول الى دار البقاء ، ولما علم الله منه صدق نيته في ذلك ، أعانه على نهجه وعصمه عن لذاتها كما اختارها لنفسه ، فقد روى أنّه لما حضرته الوفاة اشتهى فاكهة التفاح ، ففرح أقرباؤه بذلك واحضروا له تفاحا ، فلما جيء به لم يأكله ، فلما مات رآه بعض أهله فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : أكرم نزولى وتقبل عملي وأول قرأى جاءنى التفاح .
(٢)

وكان يعلم علم اليقين أنّ ما قدر له في هذه الحياة آتٍ له بلا ريب ، وأنه لم يكن لينال شيئا من هذه الدنيا إلا ما قدر له ، فلم يكن زهده مانعا له من شىء قد كتب له ، أو جالبا له ما لم يقض له ، كما قال عن نفسه حينما خاطب ابن النجار^(٣) عندما وشى الى السلطان بشىء فيه تضيق على المسلمين ، كما سيأتي الحديث عنه ، قال له في ضمن رسالته اليه : أبلغك يا هذا ، أنّي لا اومن بالقدر ؟ ، أو بلغك أنّي أعتقد أنّ الآجال تنقص وأن الأرزاق تتغير ؟

فهذه هى وسائل الزهد ومبادئه قد تحلى بها الامام النـووى — رحمه الله — فهل تراه وصل الى حقيقة الزهد الذى حطت مطايا الزاهدين دونه

(٢) الضهاج السوى ١/٢٨ .

(١) السخاوى ص ٣٨ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي الدمشقي الشافعي ، وكيل بيت المال ، روى عن

ابن ابي لقمة وجماعة ، وتوفى سنة ٦٨٨ هـ ، شذرات الذهب ٥/٤٠٥ .

(٤) السخاوى ص ٥٣ .

وهو الزهد بالنفس ؟

نعم لقد وصل الامام النووى - رحمه الله تعالى - اليه ، فلقد كــــان
- رحمه الله تعالى - رأسا في الزهد ، قدوة في الورع ، قل من أتى بعسده مثله ،
ولقد كانت نفسه أهون الأشياء عليه ، لاسيما ان كان في ذات الله تعالى ،
أو في سبيل نفع المسلمين ، فلقد حكى تلميذه ابن العطار أنه طلع مرة الى زاوية
الشيخ خضر ^(١) وحديثه في أمر وبالغ معه وأغظ عليه ، فسمع الشيخ خضر كلاما
موثما فأمر بعض من عنده باخراجه ودفعه ، فما تأثر لذلك في ذات الله تعالى ،
ولا رجع عن قصده لنفع يجلبه لبعض المسلمين . ^(٢)

وقال في رسالته التي وجهها لابن النجار : (وأنا بحمد الله تعالى
ممن يؤت القتل في طاعة الله تعالى) ^(٣) ، ولم تكن هذه دعوى منه ، فلقد كان
يعرض نفسه للخطر لعدم ميالاته بالنفس والحياة الدنيا .
قال العماد ابن كثير ^(٤) : أنه قام على الظاهر في دار العدل في قضية الغوطة
لما أرادوا وضع الأتراك على بساطينها ، فرد عليهم ذلك ، فغضب عليه السلطان

(١) ابن أبي بكر المهراني العدوى ، شيخ الطوك الظاهر ، قال ابن العماد :
كان له حال وكشف ، قال : وتغير عليه السلطان بعد شدة خضوعه له ،
وانقياده لأوامره وأرادته ، لأنه كان يخبره بأمور قبل وقوعها ، فتقع على ما يخبره ،
ولعل الامام النووى - رحمه الله - أنكر عليه سلوكه هذا ، فكان له معه ما ذكره ،
وتوفى سنة ٦٧٦ هـ . ترجمته في شذرات الذهب ٥ / ٤٥١ .

(٢) السخاوى ص ٤٥ .

(٣) " ص ٥٣ .

(٤) هو الحافظ الكبير عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير ، القرشي ، الدمشقي ،
الشافعي ، ولد سنة ٧٠٠ هـ ، وقدم دمشق وله سبع سنين ، واشتغل بالعلم
فحفظ المتن ، وتفقه بالبرهان الفزارى والكمال بن قاضي شهبه ، وأخذ

وأراد البطش به ، ثم بعد ذلك أحبه وعظمه حتى كان يقول : أنا أفزع منه .^(١)
ولم يكن النووى - رحمه الله - يجهل ما قد يترتب على مواجهة الملك الظاهر
بذلك الوجه ، فإنه يعلم جور السلاطين ، وأنفتهم عن اتباع الحق المبين ، لا سيما
من أحد كالنووى ، الذى لا يؤبه له عند هم ، لبساطة حاله وزهادة هندامه .
ولكن احتقر نفسه وأهانها ، وعرضها لما قد تكره رغبة فيما عند الله ،
وايثارا بنفسه لله تعالى ، فزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله ، قد
تعلقت رغبة محبوه به ، فلا يجد في قلبه رغبة في اساك ذلك القدر وحبسه عن محبوه .
وهو زهد المحب الصادق ، في نفسه ، قد خرج عنها وسلمها لربه ، فهو
يبدلها دائما ، يتعرض منه لقبولها ، (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) .
ورحم الله^(٢) اليونيني ان يقول : والذى أظهره وقدمه على أقرانه ومن هو
أفقه منه ، كثرة زهده في الدنيا ، وعظم ديانته وورعه ، قال : وليس فيمن اشتغل عليه
من يلتحق به .^(٣) أهـ

== الحديث عن المزي وابن تيمية ، فبرع في الغنون ، وكان كثير الاستحضار قليل
النسيان جيد الفهم ، وألف مؤلفات نافعة في كثير من الغنون كال تفسير المشهور ،
والبداية والنهاية ، وجامع المسانيد ، وتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، له ترجمة في الدرر
الكامنة ٣٧٣/١ ، وانباء الغمر ٤٥/١ ، وشذرات الذهب ٢٣١/٥ ، وطبقات
ابن قاضي شهبه ٨٥/٣ ، ومعجم المؤلفين ٢٨٣/٢ ، وذييل تذكرة الحفاظ
للسيوطي ص ٣٦١ ، وذييل تذكرة الحفاظ للحسيني ص ٥٧ ، والاعلام ٣٢٠/١ ،
(١) السخاوى ص ٤٥ .

(٢) هو موسى بن محمد بن أبي الحسين أحمد اليونيني البعلبكي ، ولد سنة ٦٤٠ هـ ،
بد مشق ، وسمع من أبيه ومن ابن عبد الدايم وجماعة بالشام ومصر ، وكان عالما
فاضلا مليح الحاضرة كريم النفس معظما جليلا ، وألف مؤلفات نافعة ، منها مختصر
مرآة الزمان ، وذييل مرآة الزمان ، وصار شيخ بعلبك بعد وفاة أخيه على ، وتوفى
سنة ٧٢٦ هـ ، ترجمته في الدرر الكامنة ٣٨٢/٤ ، والبداية والنهاية ١٢٦/١٤ ،
وشذرات الذهب ٧٣/٦ ، والاعلام ٣٢٨/٧ .

(٣) ذييل مرآة الزمان

ورع :

الورع بفتح الراء التقوى ، والتحرّج والكفّ عن المحارم . وقد ورع الرجل كورث ووجل ووضّع وكرم ، يبرع ويؤرع ويؤرع وراعة وورعا أى تحرّج وتوقى عن المحارم ، وفلان سىء الرعة بكسر الراء أى قليل الورع .^(١)

^(٢) وفي الصباح : يقال ورع عن المحارم يبرع ورعا بفتحتين ورعة كعدة فهو ورع أى كثير الورع .

^(٣) وفي الاصطلاح : هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات .
أو هو ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس .^(٤)

وقبل الحديث عن ورع الامام النووي أقدم بين يديه طائفة من الأحاديث الدالة على الورع .

^(٥) لنعلم أنّ ورع النووي كان على ضوء ماورد في السنة المطهرة ، فأخرج البخارى ومسلم ^(٦) وأصحاب السنن ^(٧) عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهم - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ((إِنْ الْحَلَالَ بَيْنَ وَأَنْ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَحْلُمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْسِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى

(١) تاج العروس مادة ورع ٥٣٨/٥ .

(٢) ٣٣١/٢ .

(٣) التعريفات المجرجاني ص ٢٥٢ .

(٤) دليل القالحين ٢٦/٣ .

(٥) في الايمان ٢١/١ .

(٦) في البيوع ٢٢/١١ بشرح النووي .

(٧) أبو داود في البيوع ٢١٨/٢ ، والترمذى في البيوع أيضا ٥٠٢/٣ .

يوشك أن يرتفع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى إلا وإن حمى الله محارمه . ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)) .

وعن النواس بن سمعان - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (١) قال : ((البر حسن الخلق والاشم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس)) . فهذان الحديثان هما الأصل في الورع الذي لا يكمل دين امرئ إلا به . والذي كان السلف الصالح لا يهتمون بتعلم شيء أكثر من اهتمامهم بتعلم الورع كما روى نعيم بن حماد عن ابن المبارك بسنده إلى الضحاك بن مزاحم قال : كان أولكم يتعلمون الورع ويأتي عليكم زمان يتعلم فيه الكلام .
(٢) وعنه أيضا قال : أدركتهم وما يتعلمون إلا الورع .

ولم يكن النووي - رحمه الله تعالى - إلا أنموذجا صالحا في القرن السابع للسلف الصالح في سلوكه وجميع شئونه حتى قيل أنه كان سالكا منهاج الصحابة - رضى الله تعالى عنهم - .

وقال السبكي : ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي اجتمع في النووي ولا التيسير الذي تيسر له . (٣)

وما ذلك إلا لما كان عليه من الورع الثخين الذي خرب به دنياه وجعل دينه معمورا (٤) ، ووصف ابن كثير - رحمه الله - ورعه بقوله في معرض الثناء عليه : والورع الذي لم ييلفنا عن أحد في زمانه ولا قبله بدهر طويل . (٥)

(١) مسلم بشرح النووي ١١١/١٦ ، والترمذي في الزهد ٩٢/٤ ، وقال : حسن صحيح ، وأحمد في المسند ١٨٢/٤ ، كلهم من حديث النواس بن سمعان - رضى الله تعالى عنه - .

(٢) الزهد لابن المبارك برواية نعيم بن حماد ص ١١ .

(٣) السخاوى ص ٣٤ .

(٤) قاله السبكي في الطبقات الصغرى ونقله عنه السخاوى ص ٦٠ .

(٥) السخاوى ص ٦١ .

فلقد كان من ورعه أنه لا يأكل من فاكهة دمشق بحجة أنها كثيرة الأوقاف والأموال لمن هو تحت الحجر شرعا ولا يجوز التصرف في ذلك الا على وجه الخبطة والمصلحة ، ثم المعاملة فيها على وجه المساواة ، وفيها اختلاف بين العلماء ، قال : فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك (١)

(١) السخاوى ص ٣٢ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٢٢/٤ .

وحاصل هذا الكلام أنه امتنع من أكل فاكهة دمشق لثلاثة أمور :
الاول : أن أرض دمشق كثيرة الأوقاف لمن هو تحت الحجر شرعا وهم الأيتام ونحوهم .

الثاني : أن مقتضى هذه الأوقاف أن لا يتصرف فيها الا على وجه الخبطة ، أي لمن لهم ربح الوقف ، وكان يرى أن الناس مقصرون في هذا التصرف كما جاء في ترجمة السخاوى أن الناس لا يفعلونه الا على جزء من الف جزء .

الثالث : أن المعاملة فيها جارية على وجه المساواة ، قال : وفيها خلاف بين العلماء أي في جوازها ، وفيما تكون فيه المساواة ، فرأى أن هذه ثلاثة موانع تحول بينه وبين التمتع بأكل فاكهة الشام . وعند التأمل في حقيقة هذه الموانع يعلم أنه قد سلك مسلك دقيق الورع وبالغ الاحتياط ، ولو أنه وسع على نفسه بالأخذ بالظاهر لوسعه ذلك ، فان أرض دمشق لم تكن كلها أوقاف ، وكون كثير منها أوقاف لا يمنع أن يكون الأكثر حراً كما هو الواقع ، وكان بإمكانه لو أراد ذلك أن يتحرى فاكهة الأراضي الحرة التي لم تدخل تحت وقف .

وأما كون الناس لا يقومون بأمر الوقف كما هو واجب عليهم من التصرف على وجه الخبطة ، فلا يلحقه من تقصيرهم شيء لو أنه أكل من ذلك ، طالما وهي تدخل عليه من وجه مشروع ، وعليهم أنفسهم إثم تفريطهم * ولا تزر وازرة وزر أخرى *

وأما كون المعاملة فيها لا تتم الا على وجه المساواة وفيها

.....

=== اختلاف بين العلماء ، فترك ذلك خروجاً من الخلاف ، فإنه قد كان يعلم أن الخلاف في أصل المساقاة ضعيف ، إذ لم يقل بعدم جوازها إلا الامام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - ، ولكنه قد كان يعلم أن السنة الصحيحة ناطقة بخلاف ما ذهب إليه أبو حنيفة ، فقد ثبت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامل أهل خيبر على شطر ما يخرج من ثمر أوزع ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال ابن المنذر - رحمه الله - في الأشرف ١٦٧/١ ، وأنكر النعمان المعاملة على شيء من الفرس ببعض ما يخرج منها ، قال : وهذا خلاف سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخلاف فعل أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - عامل أهل خيبر على شطر ما يخرج منها من ثمر أوزع وأقرهم أبو بكر - رضي الله عنه - بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقرهم عمر - رضي الله عنه - صدراً من أمارته ، قال : ولا معنى لقول خالف فيه قائله النبي - صلى الله عليه وسلم - والخليفين بعده : الصديق والفاروق ، ثم هو بعد ذلك قول شاذ وأهل الحرمين على ما ذكرناه قديماً وحديثاً إلى زماننا هذا ، أه .

ثم إن صاحبيه أبا يوسف ومحمد ، قد خالفاه في ذلك فقلاً بجوازها ،

انظر تكملة فتح القدير لقاضي زاده أفندي ٤٧٨/٩

وأما كون الخلاف فيما عدا النخل والعنب من بقية الثمار ، فإنه وإن كان يراعى مثله ، لكونه خلاف إمامه الذي سلك به سلك مورد النص فقال بعدم جوازها في غيرها لأن النص لم يرد إلا في النخل والعنب .

إلا أن النووي - رحمه الله تعالى - قد كان يعلم أن قول مالك وأحمد - رحمهما الله - في تجويز المساقاة فيما عدا ذلك قوى ، لا إطلاق حديث ابن عمر السابق في معاملة أهل خيبر من غير تقييد ببعض

===

فرحمه الله ، لقد أتعب نفسه وأرضى ربه وضميره ، والا فقد كان يعلم
 أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يدل الدليل على التحريم ويفتى بهذا
 الأصل ويقرره في كتبه كما قال في مسألة النبات المجهول تسميته حيث قال
 المتولى : يحرم أكله ، قال النووي : الأقرب الموافق للمحكي عن الشافعي الحل .
 فكان له في هذه القاعدة الفقهية مندوحة لو أراد أن يتمتع نفسه
 بما أحب من فاكهة دمشق ، وهي حجة له عند ربه - أن شاء الله تعالى - .
 غير أن نفسه المرهقة النقية لاتطيب أن تتغذى بشيء ينزع فيه الورع ،
 حيث يختلج في صدره عدم وجود القائمين على الأوقاف على الوجه الأكمل ،
 فلذلك هان عليه ترك أكل فاكهة الشام وهي بستان الفواكه ومعدنها ، ورضى
 أن يقيم صلبه ويسد رمقه بما يرسل به أبواه من كعك يابس وتين حوراني أوخبز
 ما يكفيه جمعة فيأكله ولا ياكل معه سوى لون واحد من الأدام ديسا أو خلا
 أوزيتا . (٢)

== الأشجار دون بعض ، وذلك ما كان ذهب اليه الشافعي في القديم ،
 بل واختاره النووي نفسه في تصحيح التنبية كما نص على ذلك الرملي في
 النهاية ١٨٠ / ٤ ، والخطيب الشربيني في المغني ٣٢٣ / ٢ . وذهب
 اليه غير النووي من متأخري الشافعية انظر في المسترشدين ص ١٦٣
 على أن المذهب يجيز المساقاة على سائر الأشجار اذا كان تبعاً
 للنخل والعنب . انظر المغني ٣٢٤ / ٢ . لكن النووي - رحمه الله -
 لم يتعلل بشيء مما ذكر لدقة ورعه وبالح احتياطه في أمر دينه ،
 وقد قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٦٢ .

(٢) السخاوي ص ٣٩ .

أكل لا يرغب فيه غيره لأنه نسيج وحده ، فلقد حكى قاضي القضاة
الجمال سليمان الزرعي ^(١) أنه كان يتردد اليه وهو شاب قال : فجئت اليه في
يوم العيد ، فوجدته يأكل خزيرة مدخنة ، فقال : سليمان ، كل ، قال : فلم تطب
لي ، فقام أخوه وتوجه الى السوق وأحضر شواء وحلوى وقال له : كل ، فلم
يأكل ، فقال له : يا أخي أهذا حرام ؟ فقال : لا ، ولكنه طعام الجبابرة . ^(٢)

فلم يكن عامل الورع عنده - رحمه الله - هو عدم تيقنه الحل فحسب ،
بل إن دائرة الورع عنده كانت أوسع من ذلك ، فانه يتورع حتى عن التشبه
بالجبابرة الذين من شأنهم التوسع في المأكول - وأكل أصناف الطعام وأشهاه ،
فخشى أن يشابه هذا النوع من الناس حتى بالاكل ، لكونهم جبابرة مقسوتين .
مع أن هذه العادة لم تكن قاصرة على الجبابرة ، بل لقد كان ولا يزال
الكثير من الصالحين ينعمون على أنفسهم بأضراب الطعام وأصنافه عند تيقن
حلّه ، عملاً بالاباحة الواردة في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ^(٣) ، والامام النووي لا يجهل هذا ، غير أنه - رحمه الله -
أخذ نفسه بالجدّ والحزم والعزم ومجاهدة النفس .

(١) ابن عمر بن سالم بن عمرو الزرعي الشافعي ، سمع من ابن عبد الدايم
والجمال بن الصيرفي وغيرهما ، وولى قضاء زرع مدة ثم قضاء القضاة بالديار
المصرية ، ثم الشام ، ثم بقى شيخ الشيوخ ومدرس الأتابكية ، وتوفي
سنة ٧٣٤ هـ ، ترجمته في الدرر الكامنة ١٥٩ / ٢ ، والشذرات ١٠٢ / ٦ .

(٢) السخاوى ص ٤٠ ، وهذا بناء على ما كان عليه من التقشف ، ولعل هذا
الأكلة كانت من شيم المترفين في عصره ، ولا يدل كلامه هذا على تحريم
أكل الشواء ولا كراهته ، لأن ذلك مباح ، وقد ثبت أن النبي
- صلى الله عليه وسلم - أكل الشواء أكثر من مرة ، انظر الشمائل

للترمذى ص ١٤٣ - ١٤٥ .

(٣) البقرة آية ١٧٢ .

وأسوته في ذلك سيّد الأولين والآخرين - صلى الله عليه وسلم - الذي كانت تمرّ الليالي ذوات العدد ولا يوقد في بيته نار ^(١) ، وخرج من الدنيا ولم يأكل لحماً سميطاً ، ولا شبع من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض ^(٢) ولا ريب في أن النووي قادر على هذا التأسي لأنه كما قيل : (على قدر أهل العزم تأتي العزائم)

ولم يكن تركه للحلال الطيب ورعاً، عند اعترائه لأدنى ملابس، قاصراً على المعلوم أو المشروب فحسب ، بل يمتنع عن كل حلال يعتريه أدنى ملابس بل قد يترك سنة خشية من الوقوع في محذور ، فلقد باشر مشيخة دار الحديث لما تعيّن عليه فلم يتناول شيئاً من معلومها . قال الذهبي : أنه ترك جميع الجهات الدنيوية فلم يكن يتناول من جهة من الجهات درهما فرداً ، وأنه ما أخذ للأشرفية فيما بلغني جامكته بل اشترى بها كتباً ووقفها ^(٣) ، وقال نحوه ابن دقماق ونقله السخاوي . ^(٤)

-
- (١) أخرج البخاري في الهبة ٢٠١/٣ ، ومسلم في الزهد ١٨ / ١٠٧ ، بشرح النووي، من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت لعروة : أن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نار ، قال عروة : فقلت يا خالة ما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - جيران من الأنصار كانت لهم منافع ، وكانوا يضحون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ألبانهم ، فيسقينها .
- (٢) انظر الشمائل للترمذي ص ١٣١ ، ١٣٤ ، وتحفة الأحوذى ٢٣ / ٧ .
- (٣) السخاوي ص ٣٧ .
- (٤) السخاوي ص ٣٧ .

وكان لا يقبل من أحد شيئا إلا ان تحقق دينه ومعرفته ممن ليست له به
علقة من اقراء أو انتفاع به قصدا للخروج من حديث اهداء القوس . (١)

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٢٥/٦ ، من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : علمت أناسا من أهل الصفة ، الكتاب والقرآن فأهدى الى رجل منهم قوسا فقلت : ليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله عز وجل ، لآتين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلأسلنّه ، فأتيته فقلت : يا رسول الله ، أهدى رجل الي قوسا ممن كنت أعلم الكتاب والقرآن ، وليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله - قال : ان كنت تحب أن تطوق بطوق من نار فاقبلها . وفي اسناد الحديث الأسود بن شعلة ، قال البيهقي : لانحفظ عنه إلا هذا الحديث ، وقال الحافظ في التقریب ص ١١١ : مجهول ، وقال ابن الترمكاني في الجوهر النقي ١٢٥/٦ : ذكره ابن حبان في الثقات ، وصحح الحاكم حديثه هذا ، قلت : لكن أعله الذهبي بالمغيرة بن زياد فقال عنه : صالح الحديث ، وقد تركه ابن حبان ، المستدرک ٤١/٢ ، والمغيرة هذا قال الحافظ فيه : صدوق له أوهام ، التقریب ص ٥٤٣ ، وأخرج الحديث أيضا أبو داود ، وأعله المنذرى بالمغيرة كذلك ، قال : وثقه وكيع ويحيى بن معين ، وتكلم فيه جماعة ، مختصر سنن أبي داود ٧٠/٥ . ونقل ابن الترمكاني عن صاحب التمهيد قوله : إنه حديث معروف عند أهل العلم لأنه روى عن عبادة بن نسي من وجهين ، قال : والأسود بن شعلة قد حفظ عنه ثلاثة أحاديث ، وذكرها . أهد ، الجوهر النقي حاشيته على سنن البيهقي ١٢٥/٦ ، فابن الترمكاني ، لم يرتض قول البيهقي في هذا الحديث أنه مختلف فيه على عبادة بن نسي ، حيث رواه في طريقه الأولى عن الأسود بن شعلة عن عبادة بن الصامت ، ورواه ثانية من طريقه عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت .

وحكى اليافعي أنه عوتب في عدم التزوج وقيل له : هوسنة كبيرة ولم يبق عليك من السنة ألا هو، وكلك محاسن ، فقال - رضى الله عنه - : أخاف أن آتي بسنة وأدخل في محرمات كثيرة ^(١) . أهـ

فلقد ترك التزوج مع علمه بسننيته غير أنه يخشى من نفسه التقصير اما في الأمور الزوجية، أو في الواجبات الأخرى، فيرتكب محظورا، وهو أشد الناس نفورا من ارتكابه ، فرأى من الورع ترك التزوج فرارا من الوقوع في المحظور . فهذه صورة عن ورع النووي الذى سارت بذكره الركبان، ونال به مرتبة أهله للتقدم على النظراء والخلان، ولما أن يوجد مثله فيما تعاقب من الأزمان، لكثرة الفساد، وقلة الرشاد ، مع أن الورع ملاك الدين ، وهو سلوك عباد الله الصالحين من نبين وصدقين ، وقد أخرج الترمذى من حديث جابر - رضى الله عنه - قال : ذكر رجل عند النبى - صلى الله عليه وسلم - بعبادة واجتهاد . وذكر آخر برعة . فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - لا يعدل بالبرعة ^(٢) ، أى أن الورع مع آداء الواجبات والمندوبات أفضل من كثرة العبادة من غير ورع ، لأن الورع يحجز عن المحرمات بل والمكروهات مع الحمل على آداء الواجبات ، وهذا ما ينبغى أن يكون عليه المؤمن ، لاسيما حملة

== وقد رواه البيهقي أيضا من وجه آخر عن أبي بن كعب منقطعاً ، ومن طريق أخرى ضعيفة عن أبي الدرداء ، ونقل عن الدارمي عن دحيم بأنه ليس له أصل ، وتعقبه ابن التركمانى بأن سند حديث أبي الدرداء جيد ، قال : فلا أدري ما وجه ضعفه .

(١) نشر المحاسن الغالية ٢٨٥ / ١ .

(٢) الترمذى بشرحه تحفة الاحوذى ٢٢٢ / ٢ وقال : حديث غريب ، والبرعة مصدر ثان لورع ، يقال : ورع الرجل يرع بالكسر فيهما ورعا ورعة ، النهاية ٧٤٥ / ٥ مادة ورع

العلم والدين، فانه يتأكد عليهم أن يكونوا ذوي ورع متين، لأنهم أسوة المؤمنين،
فقد قال البدر بن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم^(١) مانصه : وعلى المتعلم
أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه ويتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه
ومسكه وفي جميع ما يحتاج اليه هو وعياله ليستير قلبه ويصلح لقبول العلم
ونوره والنفع به، ولا يقع لنفسه بظاهر الحل شرعا مهما أمكنه التورع، ولم تلجئه
حاجة، أو يجعل حظه الجواز، بل يطلب الرتبة العالية، ويقتدى بمن سلف من
العلماء والصالحين، في التورع عن الكثير مما كانوا يفتنون بجوازه . قال : وأحق
من اقتدى به في ذلك سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث لم يدع
سبطه الحسن بن علي - رضي الله تعالى عنه - أن يأكل التمرة التي وجدها
في الطريق خشية أن تكون من الصدقة^(٢) ، مع بعد كونها منها . قال :
ولأن أهل العلم يقتدى بهم ويؤخذ عنهم فإذا لم يستعملوا الورع فمن
يستعمله ؟ ! أ هـ

فرحم الله الامام النووي الذي سبق ابن جماعة الى ذلك فاتخذ سلوكه
قبل أن يجعله ابن جماعة نصحا، بل لقد أرى على ما ذكر ابن جماعة فكان
ورعه ورع الصديقين، وزهده زهد النبيين .
ورحم الله حسان ابن سنان^(٣) إذ يقول : ما زولت شيئا أيسر من الورع . فقل له
لاي شيء ؟ قال : اذا رايتني شيء تركته .^(٤)

(١) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ص ٢٥ ، والبدر بن
جماعة تقدمت ترجمته ص ٦٥

(٢) والقصة رواها البخاري - رحمه الله تعالى - في الزكاة من كتابه الصحيح ١٥٢/٢ .

(٣) ابن أوفى بن عوف التتوخي الأتباري ، سمع أنس بن مالك ، وروى عنه حديثا
واحدا وتوفي سنة ١٨٠ هـ . ترجمته في تاريخ بغداد ٢٥٨/٨ ،

والاعلام ١٢٦/٢ .

(٤) كتاب الورع للامام أحمد ص ٦٩ .

تواضعه :

ما أظنّ إلا أنّ القارىء الكريم ، قد استشف صفة الامام النيسابورى
- رحمه الله - في نفسه من حيث التواضع وكبح جماح النفس والهوى ،

مما تقدم ذكره عن تقواه وزهده وورعه .

، لأن من كانت تلك سجايها ، يبعد أن لا يكون على جانب كبير
من التواضع لله تعالى ، ولا خوانه المسلمين ، لكونه قد فهم بلاريب من مضمون
ما تقدم ، أنه من عباد الله الذين أخبرنا عن حالهم بقوله : ﴿ وعباد الرحمن
الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ الآيات
الخمس عشرة الأخيرة من سورة الفرقان .

ومن تصفح ترجمة الامام النوى علم أنه قد تحلى بتلك الصفات كلها ، حتى
كان جوارحه تترجم عن معانيها ، فتراه من تواضعه قد ترك زينة الحياة الدنيا
وزخارفها ، ورعونات النفس ، من ثياب حسنة ، ومأكل طيب ، وتجمل في هيئة ،
بل طعامه جلف الخبز بأيسر ادام ، ولباسه ثوب خام من الثياب الرثة المرقعة
التي ترسل له بهاءمه ، وعلى رأسه عمامة سخرانية لطيفة ، كأحد الفقهاء من
الحوازنة ، لا يوءبه له ، وعليه هيئة وسكينة ، كما قاله الذهبي في السير
ونقله السخاوى عنه ، قائما بشئون نفسه ليس له خادم ولا يدع أحدا يخدمه ،
ويحدثنا مترجموه أنه خلع يوما ثوبه فقلاه بعض الطلبة وكان فيه قمل فنهاه ،
وقال : دعه ^(١) وقال تلميذه ابن العطار : كان رفيقا بي ، شقيقا على ، لا يمكن
احدا من خدمته غيرى ، على جهد مني في طلب ذلك منه ، مع مراقبته في حركاتي
وسكاتي ، ولطفه بي في جميع ذلك ، وتواضعه معي في جميع الحالات ، وتأديبه لي

(١) ص ٣٩ وهذا سلوك له والا فان التوسع في المأكل والملبس مباح ما لم يكن

هناك سرف أو مخيلة .

(٢) السخاوى ص ٣٩ .

في كل شيء حتى الخطرات . قال : وأعجز عن حصر ذلك . (١)

وكان من تواضعه يخدم مشايخه حتى في حال كبره وإمامته ، حكى تلميذه ابن العطار عنه فقال : كنت أنا وأياه يوماً في الحلقة بين يدي أحد مشايخه . أبي حفص الرعي - فقام^(٢) وملاً ابريقاً وحمله بين يديه^(٣) إلى الطهارة .

فكان هذا السلوك منه ، مع ما هو عليه من مكانة في العلم ، وإمامة في الدين ، ولو شاء أن يتحلى بأفضل الصفات ، أو يترفع في المكنات العاليات ، لفعل ، لما حظى به من الاقبال والاعظام ، من كافة أبناء عصره ، في قطره ومصره ، وسائر البلاد التي يبلغ اليها خبره ، ولكنه ترك ذلك كله تواضعاً لله فزاد بذلك عزاً ، لأن التواضع لا يزيد العبد الا رفعة لما روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((ماتواضع أحد لله إلا رفعه الله)) ، رواه مسلم^(٤) والترمذي^(٥) .

وأخرج ابن عبد البر من حديث عمر - رضي الله عنه - أنه كان يقول : ان العبد اذا تواضع لله رفعه الله بحكمته وقيل له انتعش نعشك الله فهو في نفسه حقير وفي أعين الناس كبير . (٦)

(١) السخاوى ص ٣٠ .

(٢) " ص ٣٥ .

(٣) السخاوى ص ٣٩ .

(٤) ١٤١/١٦ بشرح النووي .

(٥) في البر والصلة من جامعه ٣٧٦/٥ .

(٦) جامع بيان العلم وفضله ١٤١/١ .

الفصل الرابع

في جوانب أخرى من ترجمته

وفيه أربعة مباحث :

- ١- في نصحه وارشاده .
- ٢- في بيان مكانته بين أهل العلم وثنائهم عليه .
- ٣- في ذكر وفاته .
- ٤- في مراثيه .

نصحه للحكام وعامة المسلمين :

قد تقدمت الإشارة الى مبلغ ديانة الامام النووى من حيث التقوى والصلاح والزهد والورع والتواضع ونحوه ، وتلك المواضع تعطي اشارة واضحة الى جميع الصفات الحميدة المطلوبة شرعا، لأنها لاتصدر الا من قلب مفعم بالايمان ، وذات مسربة بالديانة ، ولا تخشى في الله لومة لائم ، وتستمرى المشقة وافساد الحياة الدنيا في سبيل احياء شعيرة من شعائر الاسلام ، أو دفع ضررة نازلة بالمسلمين ، من أولى الجور والطغيان ، مصدرها في ذلك ما أخرجه البخارى ترجمة ومسلم مسندا والنسائي كذلك من حديث تميم الدارى - رضى الله عنه - ان النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : ((الدين النصيحة قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) (١)

وما أخرجه الترمذى وحسنه النسائي من حديث أبي هريرة ، والدارمي من حديث ابن عمر ، واللفظ للترمذى ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((الدين النصيحة)) ثلاث مرات ، قالوا : يا رسول الله لمن ؟ قال : ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) (٢)

وما أخرجه أحمد وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن أبيه أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : ((ثلاث لا يغفل عليهن قلب مؤمن ، اخلاص العمل لله ، والنصيحة لولاة المسلمين ، ولزوم جماعتهم فان دعوتهم))

(١) صحيح البخارى ٢٢/١ ، ومسلم بشرح النووى ٢٦/٢ ، والنسائي ١٥٦/٢ .
(٢) الترمذى بشرحة تحفة الأحوذى ٥٢/٦ ، والنسائي ١٥٢/٢ ، والدارمي ٣١١/٢ ، وأبو داود بشرحه عون المعبود ٢٨٨/١٣ ، ورواه أحمد في المسند ٣٥١/١ ، ٢٩٢/٢ ، ١٠٢/٤ .

(١) تحيط من ورائهم .

فإن الحديثين الأولين دلا على أن النصيحة تسمى ديننا واسلاما ^(٢) ، بل جعلها النبي - صلى الله عليه وسلم - الدين كله ، وذلك لأنها خلق من أخلاق الديانة ، وركن وثيق من أركانها وهذا كقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((الحج عرفة)) ^(٣) ، ولا خلاف أن للحج أركانا غير الوقوف ، ألا أنه لما كان الوقوف بعرفات أهم الأركان ، جعله - صلى الله عليه وسلم - الحج كله ، كذلك لما كانت النصيحة معظم أخلاق الدين ، جعلها النبي - صلى الله عليه وسلم - الدين كله .

ولما كان شأن النصيحة ما ذكر ، كان النووي من أسبق الناس إلى التحلي بها ، ومن أكثرهم اشتها را بها ، لما علم عنه من الدين المتين ، وسلوك النهج القويم . وبيان ذلك فيه يلزم تقديم تفسير النصيحة الواردة في هذه

الخلال عند أهل العلم ثم تسريح النظر في تطبيقها على النووي - رحمه الله - ليكون الخبر معقدا بالخبر .

(١) مسند أحمد ٨٠ / ٤ ، وسنن ابن ماجه ١٠١٦ / ٢ ، والحديث مروي عن أبي سعيد الخدري وأبي الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، والنعمان ابن بشير ، وأبي قرصافة حيدرة بن خيثمة - رضي الله عنهم - إضافة إلى رواية جابر هذه ، وفي كل طرقه هذه مقال ، كما في مجموع الزوائد ١٤٢ / ١ ، وورد من حديث زيد بن ثابت ورجاله ثقات ، قاله الهيثمي في المجمع ٢٥٠ / ١٠ .

(٢) شرح مسلم ٣٩ / ٢ .

(٣) رواه أبو داود في المناسك من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي ٤٥٢ / ١ والترمذي في المناسك ٢٢٨ / ٢ وقال : هذا أجود حديث رواه سفيان الثوري ، والنسائي في المناسك - باب فرض الوقوف بعرفة ٢٥٦ / ٦ ، وابن ماجه في المناسك ١٠٠٣ / ٢ ، والحاكم في المستدرک ، وصرحه وأقره الذهبي .

(٤) معالم السنن مع المختصر ٢٤٨ / ٧ .

قال الخطابي - رحمه الله تعالى - ^(١) : النصيحة ، كلمة يعبر بها عن جملة هي : ارادة الخير للمنصوح له . قال : وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها .

قال : وأصل النصح في اللغة الخلوص . يقال : نصحت العسل اذا خلصته من الشمع .

قال : فمعنى نصيحة لله سبحانه ، صحة الاعتقاد في وحدانيته ، واخلاص النية في عبادته . زاد النووي ، ونفى الشريك عنه ، وترك الالحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتزويده سبحانه وتعالى من جميع النقائص ، والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه ، والبغض فيه ، وموالاته من أطاعه ، ومعاداته من عصاه ، وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمته ، وشكره عليها ، والاخلاص في جميع الامور ، والدعاء الى جميع الاوصاف ، المذكورة ، والحث عليها ، والتلطف في جميع الناس ، أو من أمكن منهم عليها ، ثم نقل عن الخطابي قوله : وحقيقة هذه الاضافة ، راجعة الى العبد في نصحه نفسه ، فالله تعالى غنى عن نصح الناصح . قال الخطابي : والنصيحة لكتاب الله ، الايمان به والعمل بما فيه . زاد النووي : وتعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها واقامة حروفه في التلاوة والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاغين والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه ، وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه ، وخصوصه ، وناسخه ومفسوخه ، ونشر علومه ، والدعاء اليه ، والى ما ذكر من نصيحته .

قال الخطابي : والنصيحة لرسوله ، التصديق بنبوته ، وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه .

زاد النووي : ونصرتة حيا وميتا ، ومعاداته من عاداه ، وموالاته من والاه ، واعظام حقه ، وتوقيره ، واحياء طريقته ، وسنته ، وبث دعوته ، ونشر شريعته ، ونفى التهمة عنها ،

واستشارة علومها ، والتفقه في معانيها ، والدعاء اليها ، والتلطف في تعلمها
وتعليمها ، واعظامها ، واجلالها ، والتأدب عند قراءتها ، والامساك عن
الكلام فيها بغير علم ، واجلال أهلها ، لانتسابهم اليها والتخلق بأخلاقه ،
والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته ،
أو تعرض لأحد من أصحابه ، ونحو ذلك .

قال الخطابي : والنصيحة لأئمة المؤمنين ^(١) أن يطيعهم في الحق ، وأن لا يرى
الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا ، زاد النووي : وأمرهم بالحق وتبئهم
وتذكيرهم برفق ولطف ، واعلامهم بما غفلوا عنه . ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ،
وترك الخروج عليهم ، وتآلف قلوب الناس لطاعتهم . ونقل عن الخطابي أن من
النصيحة لهم ، الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات اليهم ، وترك
الخروج بالسيف عليهم ، إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وأن لا يغروا بالثناء
الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح .

قال الحافظ ابن حجر : ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد . قال : وتقع
النصيحة لهم ببيت علومهم ونشر مناقبهم ، وتحسين الظن بهم . ^(٢) ونقل النووي عن
الخطابي أن من نصيحتهم ، قبول ما روه ، وتقليد هم في الأحكام ، واحسان الظن بهم .

والنصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم الى مصالحهم .

زاد النووي : وكف الأذى عنهم ، فيعلمهم ما يجهلون من دينهم ، ويعينهم عليه
بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع

(١) لفظ أبي داود ولفظ الترمذى ومن ذكر معه (أئمة المسلمين) .

(٢) فتح البارى ٢٢٤ / ١ ط ك .

لهم ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وتوقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم ، وتخولهم بالموعظة الحسنة ، وترك غشهم ، وحسد هم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه ، والذب عن أموالهم وأعراضهم ، وغير ذلك من أحوالهم ، بالقول والفعل ، وحققهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة ، وتنشيط همهم إلى الطاعات . قال : وقد كان السلف - رضي الله عنهم - من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه ، قال : هذا آخر ما تلخص في تفسير النصيحة (١) . أهـ

إذا تبين أن تفسير النصيحة هو ما سطر ، فإن النووي - رحمه الله - قد تحلى بكل ما ذكر من أصناف النصح في أصولها الخمسة ، بحيث بلغ في كل نوع منها مبلغا يحتذى به ويغبط عليه . إن لم نقل مبلغا قلما يصل إليه غيره وهو الأخرى .

فقد نصح لله ، ونصح لكتابه ، ونصح لرسوله ، ونصح لأئمة المسلمين ، ونصح لعامةهم .

أما نصحه لله على النحو الذي تقدم شرحه ، فهو ظاهر غنى عن الشرح ، لما علم عنه من قوة الإيمان ، وإخلاص الوجدانية ، والعبودية ، وما يترتب على ذلك من القيام بالطاعات ، إذ عمر وقته كله بها ، واجتناب المعاصي فلم يعلم له ذنب حتى كان من شدة بعده عنها يمتنع من تدريس الشاب الأمرد خشية وقوع نظره عليه وهو يرى تحريمه مطلقا (٢) ، وفي المسألة تفصيل عند غيره (٣) .

(١) معالم السنن مع المختصر ٢٤٧/٢ ، وشرح مسلم ٣٨/٢ - ٣٩ .

(٢) السخاوى ص ٣٢ ، وانظر التبيان في آداب حملة القرآن - الباب

السادس ص ٦٥ .

(٣) حاصل هذه المسألة هو تفصيل النظر ، فإن كان بشهوة فهو حرام
==

وأما الحب في الله والبغض فيه ، فقد كان من أحرص الناس عليه ، ويؤى وجوبه ، كما قال لابن النجار في خطابه له : وياعد ونفسه ، أتراني أكره معاداة من سلك طريقك هذه ، بل والله أحبها وأوثرها وأفعلها بحمد الله فان الحب في الله والبغض فيه واجب على عليك وعلى جميع المكلفين . (١)

وأما الاعتراف بنعمته ، فقد كان ديدنه في جميع أحواله ، حتى في مصنفاته كما قال في خطبة كتابه المضهاج : الحمد لله البر الجواد الذي جلت نعمه عن الإحصاء بالأعداد . (٢)

وأما الإخلاص لله فهو دأبه ونهجه في حياته ، فقد كانت أعماله كلها لله تعالى ، وذلك مشهور عنه حتى قال بعضهم يخاطب بلدته نوى :
فلقد نشأ بك عالم لله أخلص ما نوى

== بالاجماع ، وإن كان بغير شهوة فلا يحرم عند الرافعي ، ويحرم عند النووي مطلقا سواء كان بشهوة أو خوف فتنة أم لا ، وما جرى عليه النووي هو المعتمد عند المتأخرين ولكن الأكثرين على خلافه ، قالوا : وضابط الشهوة ، أن كل من تأثر بجمال صورة الأمد بحيث يظهر من نفسه الفرق بينه وبين الملتحي فهو لا يحل له النظر ، ولو انتفت الشهوة ، ولكن خيفت الفتنة حرم النظر أيضا ، قال ابن الصلاح : وليس المعنى بخوف الفتنة أغلبة الظن بوقوعها ، بل يكفي أن لا يكون ذلك نادرا ، والأمد هو الشاب الذي لم يبلغ أو ان النبات ، بخلاف من بلغه ولم تثبت له لحية ، فانه لا يقال له أمد ، وإنما يقال له ثلث بالثناء المثلثة أهـ . حاشية اعانة الطالبين على فتح المعين ٢٦٣/٣ ، وحاشية الباجوري على القاسمي ٩٩/٢ ، وتحفة الحبيب شرح نظم غايصة التقريب ص ١٩٣ .

(١) السخاوى ص ٥٢ .

(٢) المضهاج ص ١ .

وأما الدعاء الى جميع الاوصاف المذكورة ، فقد كان الغرض الاساسي في مؤلفاته الارشادية ، حيث كان لا يقصد بها إلا نفع المسلمين ابتغاء وجه الله تعالى .

وأما النصيحة لكتاب الله تعالى ، فلم يأل جهدا عن النصح له بكل ما ذكر من صفة النصح له ، وقد عبر عن ذلك بكتابه النفيس الذي لا يستغنى عنه — خصوصا القارئ والمقرئ^(١) ، وهو " التبيان في آداب حملة القرآن " الذي ضمنه جميع ما ذكر من النصيحة لكتابه بل وأرى على ذلك الكثير .^(٢)

وأما النصيحة لرسوله — صلى الله عليه وسلم — فقد كان منها بحيث يعجز القلم عن وصفها ، على النحو الذي تكون به هذه النصيحة المتقدم ذكرها ، فقد كان بجميع ذلك موفيا ، ولكماله مؤديا ، ولا ريب ، فانه معدود من علماء السلف ، الذي كان لهم الفضل العظيم في احياء السنن ، ومحاربة البدعة ، ونشر الشريعة وبث الدعوة ونفى التهمة عنها ، وقد كان له — رحمه الله — الحظ الأوفر في ذلك ، اذ كتبه كلها تدعو الى ذلك ، ولا يكاد يمر سنة دشرت أو بدعة حدثت إلا ونبه على ذلك احياء أو امانة .^(٣)

وقد كان كثير التعظيم لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلا يذكر اسمه إلا رفع صوته بالصلاة والسلام عليه^(٤) ، وحينما حج مع والده عام واحد وخمسين وستمئة ، مكث بجواره — صلى الله عليه وسلم — شهرا ونصفا^(٥) وكان ذلك حاله

(١) السخاوى ص ١٢ .

(٢) وانظر الباب السابع منه ص ١٠٧ .

(٣) وانظر على سبيل المثال انكاره للبدع والحوادث في كتابه الايضاح في المناسك ص ١٠٢ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ورسالته الآتية لنائب السلطنة في شان صلاة الاستسقاء ، والتبيان في آداب حملة القرآن ص ٧٥ ، ٧٦ ، وفي غير هذين الكتابين .

(٤ ، ٥) السخاوى ص ٦ .

مع أصحابه - رضوان الله عليهم - فلا يذكر اسم أحدهم ، إلا رفع صوته بالتراضي عنهم ،
وأمسك لسانه عن الحديث فيما شجر بينهم ، أعظاما لهم ووفاء بحقهم ، ولعل
كتابه مختصر أسد الغابة ، من أصدق المثل على صدق هذا الجانب ، ومكانته فيه ،
فأسأل الله أن يمن علينا بالاطلاع عليه والاستفادة منه .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين ، فقد كان له معهم تاريخ مشهود ، ولا سيما
مع سلطان عصره الظاهر بيبرس ، فقد كانت له معه مواقف لم يخش فيها
إلا الله تعالى .

لأن نصيحته لهم لم يكن يدفعها رغبة ولا رهبة ، بل يدفعها قوة
الايان ، وثبات الجنان ، وابتغاء الرضوان ، من الملك الديان . فأعانهم على الحق
وأطاعهم فيه ، وذلك حينما يهتدون اليه ، وأما اذا لم يهتدوا اليه ، فأنهم
يأمرهم به ، وينبهم اليه بلطف ورفق ان نفع ، كما فعل حينما أمسكت السماء عن
المطر في أرض الشام سنة ثمان وستين وستمائة . فانه كتب الى نائب السلطنة (١)
يأمره فيها أن يأمر الناس بالاجتماع لصلاة الاستسقاء ، وأن يأمر الناس بصيام
ثلاثة أيام قبل الخروج الى الاستسقاء ، وأن يأمرهم برد المظالم ، والتوبة
النصوح ، وسقه في رسالته هذه من اعترض على هذه السنة ورد عليه ردا غليظا ،
فكان مما قاله في هذه الرسالة :

(خدمة الشرع العلماء بدمشق المحروسة ينهون أن الله سبحانه وتعالى
أخذ عليهم العهد بتبليغ الشرع الى المكلفين ، ونصيحة الله تعالى وكتابه ورسوله
- صلى الله عليه وسلم - وولاية الأمر بتبليغهم شرائع الأحكام ، وإرشادهم الى
شعائر الاسلام ، بفعلها ونشرها ، الى أن قال مفندا قول من اعترض على ذلك :

(١) هو الأمير آقوش النجيمي الصالحي النجيمي الأيوبي ، الذي ولاه الملك
الظاهر نياحة دمشق سنة ٦٦٠ هـ وعزله سنة ٦٧٠ هـ ، انظر ولاية دمشق
في عهد المماليك ص ٦١ .

فهذا المخذول، مخطئ، جاهل بل ان اعتقد هذا كان كافرا لأن ما فعله —
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو الحق والصواب الذي يجب على كل مكلف
الانقياد له والمصارعة إلى قبوله، وانشرّاح الصدر له ، ثم استدل على ذلك بقوله
تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في
أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ ^(١) ، ويقول تعالى : ﴿ انما كان
قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا
وأولئك هم المفلحون ﴾ ^(٢) ، قال : وكل ما خالف سنة رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — هو البدعة ، والضلالة ، والخبالة ، والجهالة ، والسفاهة ،
والرذالة ، قال : بل هذه طريقة الكفار ، في مدافعة دين الاسلام ، ﴿ ويأبى
الله إلا أن يتمّ نوره ، ولو كره الكافرون ﴾ ^(٣) ، قال : ويجب على ولي الأمر وفقه الله
لطاعته اذا سمع هذا الزاعم الجاهل الضال الغاشم المتجاهل ، وغيره ممن يقول
نحو هذا القول ، في مدافعة الحق ، والاعتراض على سنن رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — أن يؤدّبه تأديبا بليغا ، ينزجر به هو وأمثاله ، ويشهر
أمره ، لينكف أهل الجهالة والضلالة عن مثل فعله . قال : وليعلم أن المراد
بالاستسقاء امتثال أمر الله تعالى والافتداء برسول الله —
صلى الله عليه وسلم — وهو مصلحة فاخرة ، وسعادة معجلة ، ومنه من الله تعالى ،
يشكر على التوفيق لها ، وأما نزول المطر ، فهو الى الله تعالى ، وليس المراد
بالاستسقاء تيقن نزول المطر ، فإن علم الخيب وانزال الخيث وغيره من
الكائنات الى رب العالمين . الى أن قال : وليعلم أنه ليس للاستسقاء شروط
تعتبر في صحته ، سوى اجتماع الناس ، والصلاة ، وهذا متيسر لا مانع منه .

(١) النساء آية ٦٥ .

(٢) النور آية ٥١ .

(٣) التوبة ٣٢ .

لكن قال العلماء : يستحب لولى الأمر أن يأمر الناس قبل الخروج للاستسقاء بالتوبة من المعاصي، ومصالحة الأعداء، والصدقة، وصيام ثلاثة أيام ويخرجون في اليوم الرابع صياماً، قال : وهذا أدب مستحب، ليس بواجب، ولا شرط، لو ترك صح الاستسقاء، ومع هذا فهو هين لا كلفة فيه . فان معناه، أن ولى الأمر يأمر بعض نوابه، أن ينادى في الناس بذلك، وليس معناه أن يحكم على قلوبهم بفعله، فان ذلك لا يقدر عليه إلا رب العالمين . الى أن قال : لاسيما وقد من الله تعالى وله الحمد والنعمة، على المسلمين بما وفق له السلطان زاده الله فضلاً وخيراً، وتمكيناً وعلواً ونصراً، وأدامه ظاهراً على أعداء الدين، وسائراً المخالفين، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكرات، مبطلاً للحوادث، مظهرها للمحاسن، والخيرات بما فعله من إزالة هذا المنكر العظيم^(١) الفاحش الجسيم الذى لم يسبق الى إزالته، (ولينص من الله من ينصره^(٢)) قال : فهذه نصيحة الخدمة أنبهوها الى الأمير . وهم راجون من فضل الله تعالى، مسارعته الى هذه المصلحة، وقد ضاق الوقت عن تأخيرها، وهذه المصلحة لا تحصل بفعل آحاد الناس، بل باجتماع الناس كلهم، ومنهم العلماء، والصالحون، والصغار، والضعفاء، والمساكين، والمضطرون، قال : وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : ((هل تتصرون وترزقون إلا بضعفائكم))^(٣) والله يوفق الأمير لكل مكربة ويدبره آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، حاثاً على الاهتمام بشعائر الدين، ومصالح المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .^(٤)

(١) لم أهتم الى معرفة ذلك المنكر المشار اليه . (٢) سورة الحج آية ٤٠

(٣) رواه البخارى في الجهاد باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ٤٤/٤، وأحمد في المسند ١٩٨/٥ .

(٤) السخاوى ص ٤٧ - ٤٩ .

ولما وصلت الرسالة الى ولي الأمر، فعل ما أمره به، ثم سقوا بعد ذلك بسبعة أيام سقيا عامة، وترادفت أمطار كثيرة، بعد أن حصل لكثير من الناس قنوط، وسقيت كذلك في الوقت المذكور البلدان الذي أمر فيها الوالي باقامة الاستسقاء في اليوم الذي يستسقى فيه أهل دمشق (١).

ومن أوضح الصور في نصحه لأئمة المسلمين، ومعاونتهم على الحق وأمرهم بالمعروف، رسالته التي بعث بها الى السلطان الظاهر، تتضمن العدل في الرعية، وإزالة المكوس عنهم، ووقع عليها غير واحد من الشيوخ وغيرهم، والتي جاء فيها ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله يحيى النوى سلام الله ورحمته وبركاته ، على المولى المحسن ، ملك الأمراء ، بدر الدين أدام الله له الخيرات ، وتولاه بالحسنات ، وبلغه من خيرات الآخرة والأولى كل آمله ، وبارك له في جميع أحواله آمين .

ونهي الى العلوم الشريفة ، أن أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش ، وضعف حال ، بسبب قلة الأمطار ، وغلاء الأسعار ، وقلة الغلات والنبات ، وهلاك المواشي ، وغير ذلك ، وأنتم تعلمون أنه تجب الشفقة على الراعي والرعية ، ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم ، فإن الدين النصيحة ، وقد كتب خدمة الشرع الناصحون للسلطان - المحبون له ، كتابا يذكره النظرة في أحوال رعيته ، والرفق بهم . وليس فيه ضرر ، بل هو نصيحة محضة ، وشفقة تامة ، وذكرى لأولى الألباب ، والمسئول من الأمير أيده الله تعالى ، تقديمه الى السلطان أدام الله له الخيرات ، ويتكلم عايه من الإشارة بالرفق بالرعية بما يجده مدخرا له عند الله تعالى ، (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه) (٢) وهذا الكتاب

(١) السخاوى ص ٤٩ .

(٢) آل عمران آية ٣٠ .

الذى أرسلته العلماء الى الأمير، أمانة ونصيحة للسلطان أعز الله أنصاره، وأنتم
مستوون عن هذه الأمانة، ولا عذر لكم في التأخر عنها، ولا حجة لكم فـي
التقصير فيها عند الله تعالى، وتسألون عنها ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴾^(١)
﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرء منهم يومئذ شأن
يغنيه ﴾^(٢) قال :

وأنتم بحمد الله، تحبون الخير وتحرسون عليه، وتسارعون اليه، وهذا من
أهم الخيرات، وأفضل الطاعات، وقد أهلتم له، وساقه الله اليكم، وهو فضل من
الله . ونحن خائفون أن يزداد الأمر شدة، إن لم يحصل النظر في الرفق بهم،
قال الله تعالى : ﴿ أن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فإذا هم مبصرون ﴾^(٣) . وقال تعالى : ﴿ وما تفعلوا من خير فإن الله به
عليم ﴾^(٤) . قال : والجماعة الكاتبة ينتظرون ثمرة هذا، فما فعلتموه وجدتموه عند الله
﴿ أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾^(٥) والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته^(٦) .

بهذا الأسلوب الرقيق، والتلفظ المحسوس، الذي يفتح سامع قلب قارئه
وسامعه، يكون خطابه للملوك والأمراء، عندما يتوقع أن يكون لكلامه صدى
وتأثير، وحصول المأمول .

أما اذا علم أن في المسألة عنادا - ومكابرة - وأن أسلوب الرفق لا يجدى
معهم، فإن أسلوبه يتغير، ويتكلم من منطلق الثقة بالله، والرغبة فيما عنده،

(١) الشعراء آية ٨٨ .

(٢) عبس آية ٣٤ - ٣٧ .

(٣) الأعراف آية ٢٠١ .

(٤) البقرة " ٢١٥ .

(٥) النحل " ١٨٢ .

(٦) السخاوى ص ٤٠ .

والزهد في الدنيا ، لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا جور سلطان ظالم ، أو عدو غاشم .
 فيواجههم بالنصح مشافهة تارة ، ومكاتبة أخرى ، فقد واقف السلطان
 الظاهر غير مرة في دار العدل بسبب الخوطة التي أراد أن يجعلها على
 بساتين أهل دمشق ، وأغلظ له القول في ذلك ، فلما خرج قال : اقطعوا وظائف
 هذا الفقيه ورواتبه . فتيل له : أنه لا وظيفة له ولا راتب . قال : فمن أين يأكل ؟
 قالوا : مما يبعث إليه أبوه فقال : والله لقد هممت بقتله فرأيت كأن أسدا
 فاتحاه بينى وبينه . لو عرضت له لالتقمني . (١)

وبعد أن وصل الى الظاهر الكتاب السابق ذكره ، في طلب العدل في
 الرعية وإزالة المكوس عنهم ، ورد جوابه رداً غنياً مؤلماً ، كتب النووى رداً عليه
 بما صورته . :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، اللهم صل على
 محمد وعلى آل محمد ، من عبد الله يحبى النووى ، ينهى أن خدمة الشرع
 كانوا كتبوا ما بلغ السلطان أعز الله أنصاره ، فجاء الجواب بالانكار والتوبيخ
 والتهديد ، وفهمنا منه أن الجهاد ذكر في الجواب على خلاف حكم الشرع ،
 وقد أوجب الله إيضاح الأحكام عند الحاجة اليها . فقال تعالى : ﴿ واذ أخذ
 الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ . (٢)

فوجب علينا حينئذ بيانه وحرم علينا السكوت .

قال تعالى : ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون
 ما ينفقون حرج إذا انصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
 غفور رحيم ﴾ . (٣)

(١) المضاج السوى ١ / ٣ .

(٢) آل عمران آية ١٨٢ .

(٣) التوبة آية ٩١ .

وذكر في الجواب ، أن الجهاد ليس مختصاً بالأجناد ، وهذا أمر لم ندعه ،
ولكن الجهاد فرض كفاية ، فإذا قرّر السلطان له أجنادا مخصصين ولهم أخياز
معلومة من بيت المال كما هو الواقع ، تفرغ باقي الرعية لمصالحهم ومصالح
السلطان والأجناد وغيرهم من الزراعة والصنائع وغيرها ، الذي يحتاج الناس كلهم
اليها ، فجهاد الأجناد مقابل بالأخياز المقررة لهم ، ولا يحل أن يؤخذ من
الرعية شيء ، مادام في بيت المال شيء من نقد ومتاع أو أرض أو ضياع تباع أو غير
ذلك . قال : وهو علماء المسلمين في بلاد السلطان أعزّ الله أنصاره
متفقون على هذا ، وبيت المال بحمد الله معمور زاده الله عمارة وسعة وخيرا
ومرّة في حياة السلطان المقرونة بكمال السعادة له والتوفيق والتسديد
والظهور على أعداء الدين ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ ^(١) وإنما يستعان
في الجهاد وغيره ، بالافتقار إلى الله تعالى واتباع آثار النبي
— صلى الله عليه وسلم — وملازمة أحكام الشرع . قال : وجميع ما كتبناه أولا وثانيا ،
هو النصيحة التي نعتقدها ، وندين لله تعالى بها ، ونسأله الدوام عليها
حتى نلقاه ، والسلطان يعلم أنها نصيحة له وللرعية ، وليس فيها ما يلام
عليه . ولم نكتب هذا للسلطان ، إلا لعلنا بأنه يحب الشرع ، ومتابعة أخلاق
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في الرفق بالرعية والشفقة عليهم وإكرامه
لآثار النبي — صلى الله عليه وسلم — .

وكل ناصح للسلطان ، موافق على هذا الذي كتبناه ، وأما ما ذكر في
الجواب من كوننا لم ننكر على الكفار حين كانوا في البلاد ، فكيف تقاس ملوك
الاسلام وأهل الايمان بطغاة الكفار بأي شيء كما نذكر طغاة الكفار وهم
لا يعتقدون شيئا من ديننا ؟

(١) آل عمران آية ١٢٦ ، والأنفال آية ١٠ .

وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا، وتهديد طائفة، فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه، وأى حيلة لضعفاء المسلمين، الناصحين نصيحة للسلطان ولهم ، ولا علم لهم به ، وكيف يؤخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ، وأما أنا في نفسي، فلا يضرني التهديد ولا أكثر منه، ولا يضرني ذلك من نصيحة السلطان، فاني أعتقد أن هذا واجب على وعلى غيري ، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله ، ﴿ إنما هذه الحياة الدنيا متاع، وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ ^(١) ، ﴿ وأفوض أمري الى الله أن الله بصير بالعباد ﴾ ^(٢) ، وقد أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نقول الحق حيثما كنا وأن لانخاف في الله لومة لائم ^(٣) ، قال : ونحن نحب للسلطان معالي الأمور، وأكمل الأحوال، وما ينفعه في آخرته ودنياه، ويكون سببا في دوام الخيرات له ، ويبقى ذكره له على مرّ الأيام، ويخلد في سننه الحسنة، ويجد نفعا ————— يوم تجسد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾ ^(٤) .

قال : وأما ما ذكر في تمهيد السلطان البلاد، وإدامته الجهاد، وفتح الحصون، وقهر الأعداء، فهو بحمد الله من الأمور الشائعة، التي اشترك في العلم بها الخاصة والعامة، وسارت في أقطار الأرض ولله الحمد، وثواب ذلك مدّخر للسلطان

(٢٥١) غافر آية ٣٩ ، ٤٤ .

(٣) أخرج البخاري في الأحكام من صحيحه باب كيف يبایع الامام الناس ٩٦/٩ ، وسلم في المغازی ٢٢٨/١٢ بشرح النووي من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة في المشط والمكروه ، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم، أو نقول، بالحق حيثما كنا لانخاف في الله لومة لائم .

(٤) آل عمران آية ٣٠ .

الى * يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا * (١) قال :

ولاحجة لنا عند الله اذا تركنا النصيحة الواجبة علينا . والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته . (٢)

فانظر الى هذا الأسلوب الحكيم ، الذي سلكه حيث كانت غايته ابطال الفكر ،
الذي كان سيحكم الرعية ، غير مبال بما وُجِّه اليه من توبيخ وتهديد ، لأن له
غرضاً يريد تحقيقه ، ونفسه ليست مقصودة بالمصلحة ، فلم يعبأ بالتوبيخ والتأنيب ،
ولذلك كانت رسالته ، رسالة من يرجو الثواب ، ولا يخشى العقاب ، فيتلطف في
الطلب ، لتحقيق الإرب ، ويشير الى عدم المبالاة بالنفس وما يلحقها من
أذى ، ليعلم المخاطب قوة ايمانه ، وأنه لا يبالي بافساد حياته في سبيل واجبه ،
لأن ذلك في سبيل الله ، وما ناله في سبيل الله فهو خير كما قال في رسالته
السابقة : وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة فضل عند الله تعالى ،
فرحمه الله ، لقد كان يستعذب الأذية في سبيل الله تعالى وكأنني به كان
يتخيل عبد الله بن رواحة - رضى الله عنه - وهو يقول ان كان يواجه الروم
في غزوة موءتة :

هل أنت إلا أصبح دميت وفي سبيل الله مالقيت (٣)

فيزداد به ثباتا ولما عند الله يقينا .

(١) آل عمران اية ٣٠ .

(٢) السخاوى ص ٤١ - ٤٣ .

(٣) هذا بيت من أربع أبيات قالهن الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة
ابن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري ، أحد النقباء ليلة
الحقبة ، شاعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، شهد بدرًا وما بعدها
الى أن استشهد بموءتة في السنة الثامنة من الهجرة ، وكان من خبره في
هذه الغزوة أنه بعدما استشهد جعفر بن أبي طالب - رضى الله تعالى عنه
===

ومن أبرز الصور الكاشفة عن شعوره بواجب النصيحة لولاة المسلمين رسالته التي بعث بها إلى الظاهر لما احتيط على أملاك دمشق بعد أن أنكر عليه (١) مواجهة والتي جاء فيها مانعته :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ وَذُكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(۲) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ ^(۳) ، وَقَالَ تَعَالَى :

=== آخذ الراية كما رتبهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ولما رأى كثرة الروم وقلة المسلمين . أنشأ يقول :

أقسمت يا نفس لتتزلزلي — لتتزلزلي أو لتكهرقني — الأبيات ،
ثم قال بعد ذلك محقرا بما أصابه من جراح :

هل أنت إلا أصبح دميت
يا نفس الآ تقلى تموتي
ان تسلمي اليوم فلن تفوتي
وما تميت فقد اعطيت

وفي سبيل الله ما لقيت
هذا حياض الموت قد صليت
او تبتي فطالما عوفيت
ان تفعلي فعلهما هديت

(١) ثم قاتل حتى قتل - رضى الله عنه - (انظر الاصابة ٣٠٦/٢ ، وسيرة ابن هشام مع الروض الأنف ٧٠/٤ ، وديوان عبد الله بن رواحة ص ٩٩ .)
وكان السبب في هذه الحوطة أن السلطان الظاهر بيبرس لما ورد دمشق بعد قتال التتار ونزوحهم عن البلاد ، ولّى وكالة بيت المال شخصاً من الحنفية فقال : إن هذه الأملاك التي بدمشق كان التتار قد استولوا عليها فتملكوها على مقتضى مذهب أبي حنيفة - رحمة الله تعالى - فوضع السلطان الظاهر يده عليها فقام جماعة من أهل العلم في ذلك ، من أبرزهم الامام النووي اه ترجمة السخاوى ص ٤٥ .

(۲) سورة الذاریات آية ۵۵ .

(۳) سورة آل عمران آية ۱۸۷.

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ ^(١) وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان أعز الله أنصاره ، ونصيحة عامة المسلمين ، ففي الحديث الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ((الدين النصيحة لله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم)) ^(٢) ، قال : ومن نصيحة السلطان وفقه الله لطاعته وأولاه بكرامته أن ينهى إليه الأحكام اذا جرت على خلاف قواعد الاسلام وأوجب الله تعالى الشفقة على الرعية والاهتمام بالضعفة وازالة الضرر عنهم . قال الله تعالى : ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ ^(٣) وفي الحديث الصحيح قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((انما تتصرون وترزقون بضعفائكم)) ^(٤) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : ((من كشف عن مسلم كربة من كرب الدنيا كشف الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)) ^(٥) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : ((اللهم

(١) سورة المائدة آية ٢ .

(٢) تقدم تخريجه ص ١٥٩

(٣) الحج آية ٨٨ .

(٤) تقدم تخريجه ص ١٦١

(٥) لم أجده بهذا اللفظ ولفظ البخارى في المظالم ١٦٨/٣ ، وسلم في البر ١٣٤/١٦ بشرح النووى ، وأبي داود في الأدب ٥٢١/٢ ، والترمذى في الحدود ٣٤/٤ ، وأحمد في المسند ٩١/٢ ، كلهم من حديث ابن عمر ((من فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)) .

وأخرجه مسلم في الذكر ٢١/١٧ ، بشرح النووى ، والترمذى في الحدود ٣٤/٤ ، وابن ماجه في المقدمة ٨٢/١ ، وأحمد في المسند ٢٥٢/٢ ، ٢٩٦ ، من حديث أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - ((من نقص عن مسلم كربة من كرب الدنيا نقص الله عنه كربة من كرب))
===

(١) من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارق به ومن شق عليهم فاشقق عليه)) .

(٢) وقال - صلى الله عليه وسلم - : ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : ((إن المقسطين على منابر من نور عن يمين

الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)) . (٣) قال :

وقد أنعم الله علينا وعلى سائر المسلمين، بالسلطان أعز الله أنصاره،

فقد أقامه لنصرة الدين، والذب عن المسلمين، وأذل به الأعداء من جميع

الطوائف، وفتح عليه الفتوحات المشهورة، في المدة اليسيرة، وأوقع الرعب

منه في قلوب أعداء الدين، وسائر الماردين، ومهد له البلاد والعباد، وقمع

بسببه أهل الزيغ والفساد، وأمدّه بالاعانة، واللفظ والسعادة، فله الحمد على

هذه النعم الظاهرة، والخيرات المتكاثرة، ونسأل الله الكريم دوامها له

والمسلمين، وزيادتها في خير وعافية آمين .

قال : وقد أوجب الله تعالى شكر نعمه ووعد الزيادة للشاكرين فقال تعالى :

=== الآخرة ، ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله

في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

(١) رواه مسلم في الامارة ٢١٢/١٢ بشرح النووي ، من حديث عائشة

- رضي الله تعالى عنها - ، ووقع عند النووي تقديم وتأخير وهو

عند مسلم ((اللهم من ولي من أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه

ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارق به)) .

(٢) رواه البخاري في الجمعة ٦/٢ ، ومسلم في الامارة ٢١٣/١٢ بشرح

النووي ، وأبوداود في الخراج واللفي ، والامارة ١١٢/٢ ، والترمذي

في الجهاد ٢٠٨/٤ ، وأحمد في المسند ٥/٢ ، ٥٤ ، كلهم من

حديث ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - .

(٣) رواه مسلم في الامارة ٢١١/١٢ بشرح النووي ، وأحمد في المسند ١٦٠/٢

من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله تعالى عنهما - .

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ^(١) ، وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على أملاكهم أنواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها ، وطلب منهم اثباتا لا يلزمهم ، فهذه الحوطة لا تحل عند أحد من علماء المسلمين ، بل من في يده شيء فهو ملكه ، لا يحل الاعتراض عليه ، ولا يكلف باثباته ، وقد اشتهر من سيرة السلطان أنه يحب العمل بالشرع ، ويوصي نوابه به فهو أولى من عمل به ، والمسئول إطلاق الناس من هذه الحوطة ، والأفراج عن جميعهم ، فأطلقهم أطلقك الله من كل مكروه فهم ضعفة ، ومنهم الأيتام والأرامل والمساكين والضعفة والصالحون ، ومنهم تنصر وتغاث ، وترزق . وهم سكان الشام المبارك ، جيران الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . وسكان ديارهم ، فلمهم حرمان من جهات . قال : ولو رأى السلطان ما يلحق الناس من الشدائد ، لاشتد حزنه عليهم ، وأطلقهم في الحال ، ولم يؤخرهم ، ولكن لانتهى إليه الأمور على وجهها ، فبالله أغث المسلمين يغثك الله ، وأرفق بهم يرفق الله بك ، وعجل لهم الافراج ، قبل وقوع الأمطار وتلف غلاتهم ، فإن أكثرهم ورثوا هذه الأملاك من أسلافهم ، ولا يمكنهم تحصيل كتب شراء ، وقد نهبت كتبهم ، وإذا رفق السلطان بهم ، حصل له دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن رفق بأمته ، ويظهره على أعدائه فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ^(٢) وتتوفر له من رعيته الدعوات ، وتظهر في ملكته البركات ، ويبارك له في جميع ما يقصده من الخيرات . وفي الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة)) ^(٣) .

(١) ابراهيم آية ٧ .

(٢) محمد آية ٧ .

(٣) رواه مسلم في العلم من حديث جرير بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه -

فنسأل الله الكريم، أن يوفق السلطان، للسنن الحسنة التي يذكر بها إلى يوم
القيامة، ويحميه من السنن السيئة . فهذه نصيحتنا الواجبة علينا للسلطان، ونرجوا
من فضل الله تعالى، أن يلهمه الله فيها القبول، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه .
فرحم الله الامام النووي ما أجود أسلوبه، وما ألد رسائله ، فإن هذا
الأسلوب الذي سلكه كفيل للداعية في استجابة دعوته، وتحقيق رغبته، ولا سيما
عند بعض الملوك والأمراء ، الذين يأنفون من قوة الأسلوب وشدته، ويمقتون
الداعية، فلا يجدى معهم العنف، كما لا يوءثرفيهم اللطف، بل لابد من الجمع
بين الأسلوبين للداعية، فإنه أنجح الوسائل لتحقيق المسائل، وأضيق السائل،
ولا ريب في دقة هذا الأسلوب وحكمته، وقد قيل في شأنه:

فقسى ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

وله رحمه الله تعالى رسائل على هذا النحو، تتعلق بالمسلمين، كلييات
وجزئيات، وفي أحياء سنن نيرات، وفي أمات بدع مثللمات، وكلام طويل في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكرات، مواجها به أهل الرتب العاليات ^(١) . ومنها
ما تقدم ذكرها . ومنها ما هي آتية ، ومنها ما أغفلنا الحديث عنها
خشية الملل والاطالة .

فهذا طرف من نصائحه لأئمة المسلمين التي يراها النووي لازمة عليه وعلى
سائر علماء الاسلام .

وهذه الصورة بناء على أن أئمة المسلمين هم الولاة ، فكان له معهم أروع
الأمثلة في النصح والارشاد .

ولكن قد تقدمت الإشارة، إلى أن أئمة المسلمين أعم من ذلك، فدخل فيهم

(١) السخاوى ص ٤٣ - ٤٥ .

(٢) السخاوى ص ٤٧ .

أئمة الاجتهاد وأن النصح لهم ببث علومهم، ونشر مناقبهم، وتحسين الظن بهم، وقبول ما روه، وتقليدهم في الأحكام، فهل نصح لهم النووى كما نصح لولاة المسلمين ؟

الاجابة عن هذا التساؤل بديهية بعد معرفة ما تقدم ذكره عنه، ان لا يمتوى أحد في نصح الامام النووى لأئمة الاجتهاد بهذا المفهوم، وله في كل فقرة من ذلك حديث مستفيض لو أريد التحدث عنه، ولكن حسبي أن أشير الى ذلك اشارة موجزة لوضوح هذه الخلال فيه، فلا تحتاج الى مزيد بيان .

فأما من حيث بث علومهم، فقد كان له في ذلك اليد الطولى، والقدر المعلى، حيث أسهم في نصحهم تأليفا وتدريسا، فلقد أرت مؤلفاته على الخمسين في معظم الفنون، وانقطع للعلم مدة حياته، طالبا ومطلوبا، ومكث في دار الحديث الأشرفية عدة سنين، ينشر العلم لطالبيه، لا يضعه عن ذلك أهل ولا ينون، ونشر في ذلك علما كثيرا . ومن بين ذلك كتاباه القيمان النافعان طبقات الفقهاء، وتهذيب الأسماء . الذين نشر فيهما مناقب العلماء وفنائهم فأصبحا مرجعين للطلاب، ومصدرين للكاتبين، لما أجاد فيهما وأفاد وحالفه التوفيق والسداد، فنفع الله بهما العباد، وانتشرا في سائر البلاد .

وكان مع ذلك حسن الاعتقاد في العلماء، جميل الثناء عليهم، اذا ذكرهم ذكرهم بتعظيم وتوقير واحترام، وذكر مناقبهم وكراماتهم واكتسب من أحوالهم .
(١)
قاله اللخمي والذهبي .

أما أقوالهم فقد كانت عنه بمحل القبول، اذا وافقت صحيح المنقول مع صريح المعقول، فيعتمد عليها في مؤلفاته وتقريراته، ويستشهد بها عند الحاجة اليها، ويدعم بها قوله عند تعارض الأقوال. ومن نظر لأى كتاب من كتبه

يجد ذلك واضحاً وبما ذكرت لأثحا .

غير أنه اذا ما كانت تلك الأقوال غير مسندة بالدليل، أو واهية التعليل، فإنه لا يبالى في نقدها، وبيان بطلانها، مهما كان قائله، إلا أن يكون نبياً أو صاحبياً ، ومن نظر الى كتابه المجموع وجد ذلك جلياً .

ولاسيما ان كان القول يدعو الى فساد، أو ناشطاً عن غاد، فإنه لا يهدأ له بال، حتى يبين مافيه من الضلال، ويدحض مافيه من الأباطيل العظام كما فعله مع بعض علماء عصره ، وستاتي الإشارة اليه ان شاء الله تعالى .

ومن نصحه للعلم أنه كان اذا جاءه شاب ليقرأ عليه ، أرشده الى الامام أبي العباس أحمد بن عبد الله بن عبد الجبار الأشتر ، ت ٦٨١ هـ ليقرأ عليه ، لعلمه بديانته وأمانته . (١)

أما نصحه لعامة المسلمين ، فقد كان ديدنه وهمه ، بل هو الباعث الرئيسي لقيامه بنصح ولاية الأمر في تحسين أحوال رعيتهم، وإزالة الضرر عنهم، كما علمت من رسالته التي بعث بها الى السلطان الظاهر تتضمن العدل في الرعية وإزالة المكوس عنهم ، وذكر له حال أهل الشام في تلك السنة ، من ضيق العيش، وضعف الحال، بسبب قلة الأمطار وغلاء الأسعار، وقلة الغلات والنبات، وهلاك المواشي . وما كتبه اليه بسبب الحوطة، التي احتاطها على بساتين أهل دمشق الذي تقدمت الإشارة اليه ، وكان بدمشق شخص يقال له ابن النجار سمى في أحداث أمور على المسلمين باطلة ، فقام الشيخ ومعه جماعة من العلماء حتى أزالوها، فغضب ابن النجار وراسل الشيخ يتهدده ويقول له : انت الذي حركت العلماء بهذا ، فكتب اليه الشيخ النووي كتاباً زاجراً وراذعاً جاء فيه :

الحمد لله رب العالمين ، من يحيى النووى ، اعلم أيها المقصر في التأهب لمعاد ،
التارك مصلحة نفسه ، في تهيئة جهنمه وزاده ، انى كنت لا أعلم كراحتك لنصرة
الدين ونصيحة السلطان والمسلمين ، حملا مني لك على ما هو شأن المؤمنين من
احسان الظن بجميع الموحدين ، الرسالة بطولها . (١)

وأما ارشادهم الى مصالحهم وتعليمهم ما يجهلونه ، فإن للنووى رحمه الله
منة في علق المسلمين ، لما أسداه اليهم من الارشاد والتعليم ، وذلك من
بسلوكه وموالاته ، أما سلوكه فقد كان نبزاسا يبتدى به من أراد الهدى ،
والبعد عن طرق الخواية والردى ، فلا ترى أحدا يسمع بسيرته إلا حمدها
وتنمى أن يكون ناهجا نحوها .

وأما موالاته فانها مصابيح هدى ، ومضارات الاهتداء ، لا يكاد يقرأ فيها
أحد إلا عاد عليه منها الخير والنفع ، ولا سيما كتبه الارشادية كرىاض
الصالحين ، والأذكار ، والتبيان ، وبستان العارفين وغيرها ، وذلك لما جعل الله
لكلامه من القبول لدى كل القلوب حتى لا يعلم نظيره في قبول مقاله عند سائر
أرباب الطوائف كما قال الحافظ بن حجر (٢) ، وقد كان أنموذجا صالحا لكل
ما ذكر من النصح للمسلمين ، والمطلع على سيرته يعلم منه ذلك جيدا . وبالجملة
فقد كان مؤثرا بنفسه وماله للمسلمين ، عالما بحقوقهم وحقوق ولاية أمورهم قائما
بالنصح والدعاء في العالمين ، كما وصفه بذلك تلميذه ابن العطار . (٣)

(١) السخاوى ص ٥٠ - ٥٥ .

(٢) " ص ٢٧ .

(٣) تحفة الطالبين ٢/ب .

مكانته بين أهل العلم وثناؤهم عليه :

إن الحديث عن مكانة الامام النووي العلمية لا يكاد يجهله أحد لاسيما من وقف على ترجمته ، فإنه ان اطلع على ذلك سيعلم حتما أنه امام في الزهد ، امام في الورع ، امام في العلم ، امام في العمل .
ولا ريب بأن هذه الخلال ، تؤهل من اتصف بها لحيازة مكانة سامية في قلوب المسلمين ، وأوساط المثقفين .

وحيث إن الامام النووي - رحمه الله تعالى - قد نال تلك الخلال كلها ، فهو حري إذاً أن تكون مكانته عالية ومقامه رفيع .

قال المحدث أبو العباس بن فرج ^(١) : كان الشيخ قد صارت إليه ثلاث مراتب كل مرتبة منها لو كانت لشخص لشدت إليه الرحال .

المرتبة الاولى : العلم .

المرتبة الثانية : الزهد .

المرتبة الثالثة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ^(٢)

فعلت من هذا أن الامام النووي قد تبوأ هذه المكانة من قبل أن يتحدث عنه قلبي .

(١) هو أبو العباس أحمد بن فرج بن أحمد الاشبيلي الشافعي الحافظ الزاهد العالم شيخ المحدثين ، ولد سنة ٦٢٤ هـ ، وسمع من الشيخ ابن عبد السلام وعدة ، وعنى بفن الحديث ، وكانت له حلقة اقراء للحديث وفنونه وتخرج به جماعة ، ومات سنة ٦٩٩ هـ ، ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٨٦/٤ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥١٨ ، وشذرات الذهب ٤٤٣/٥ ، والمعبر للذهبي ٣٩٥/٣ .
(٢) السخاوي ص ٣٤ .

فما أحراه بعدئذ بأفخم عبارات الشاء ، التي تسفر عن حقيقته ومكانته كثناء
تلميذه ابن العطار حيث قال : شيخى وقدوتي ، الامام ذو التصانيف المفيدة
والمؤلفات الحميدة ، وحيد دهره وفريد عصره الصوام القوام الزاهد في الدنيا
الراغب في الآخرة ، صاحب الأخلاق الرضية ، والمحاسن السنية ، العالم الرباني ،
المتفق على علمه وامامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيانتة في أقواله
وأفعاله وحالاته . له الكرامات الطافحة ، والمكرمات الواضحة ، والمؤثر بنفسه
وماله للمسلمين القائم بحقوقهم وحقوق ولاية أمورهم ، بالنصح والدعاء في العالمين
مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه ، والعمل بدقائق الفقه ، والاجتهاد عن الخروج
من خلاف العلماء ، ولو كان بعيدا . والمراقبة لأعمال القلوب ، وتصفيتهما من
الشوائب ، يحاسب نفسه على الخطرة بعد الخطرة ، وكان محققا في علمه
وكل شئونه ، حافظا لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عارفا بأنواعه
كلها من صحيحه ، وسقيمه ، وغريب ألفاظه ، وصحيح معانيه ، واستباط فقهه ،
حافظا لمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه ، ومذاهب الصحابة والتابعين ،
واختلاف العلماء ، ووقائعهم ، واجتماعهم ، وما اشتهر من جميع ذلك ، سالكا
في كل ذلك طريق السلف ، قد صرف أوقاته كلها في أنواع العمل ، فبعضها
للتصنيف ، وبعضها للتعليم ، وبعضها للصلاة ، وبعضها للتلاوة والتدبير والذكر
لله تعالى وبعضها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . (١)

وكتناء التقى محمد بن الحسن اللخمي عليه بقوله : انه كان عالما بالفقه
وفروعه من أقوال الشافعي - رحمه الله - وأوجه أصحابه ، مكث نحو عشرين
سنة يفتي ويحلم الناس العلم والفقه والحديث والأدب والزهد ، و ليس في

(١) السخاوى ٥٥ - ٥٦ ، وانظر تحفة الطالبين ٢ / ب .

عصره في بلاد المسلمين مثله محققا حافظا متقنا ورعا مدققا في الحديث عالما بصحيحه وحسنه وسقيمه وغريبه وأحكامه ، عارفا بلفته وأسماء رجاله وضبطهم وجرحهم وتعديلهم ومواليدهم ووفياتهم ، محققا في الألفاظ المشككة ، له في متونه يد طويلة ، كثير النقل جدا مداوما للمطالعة والتأليف ، عارفا بفن التصريف وفن العربية واللغة كثير النقل فيهما عارفا بالأصلين معرفة جيدة بالقراءات السبع وغيرها كثير الخبرة بمذاهب العلماء المشهورة والمهجورة لبن القلب ، سالكا طريق السلف في الزهد في الدنيا والمبالغة في الخشوع والورع ، غزير الدمعة كثير الصمت حافظا للسانه أشد الحفظ ، غاضا للطرف ، طويل الفكر حسن الأخلاق جدا اذا آذاه أحد يقول له : يا مبارك الحال . مثابرا على الصوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أشد المواطن وأصعبها ، محاسبا لنفسه حافظا لأوقاته قد جزء كل وقت منها لنوع من العمل فغالبيها للاشتغال بالعلم ومعظمها للتعليم والعبادة كالصلاة بالليل والتسبيح والقراءة بالتدبر ، أتى عليه الأئمة الصلحاء والعلماء العارفون ، وتأسف المسلمون بعد مماته أسفا بليغا وجزعوا عليه جزعا شديدا ، الخاص منهم العام ، والمادح في حال حياته والذام . (١)

(٢) وكثناء الشيخ شمس الدين محمد بن الفخر عبد الرحمن بن يوسف البعلبي

(١) جزء ترجمته للنووي ١/٦ ، ٢/٢ .

(٢) أحد الموصوفين بالذكاء المفرط وحسن المناظرة والتقدم في الفقه وأصوله والعربية والحديث ، ولد سنة ٦٤٤ هـ ، وسمع الكثير بحماسة وتفقه وبرع ، وكان من فضلاء الحنابلة ، وتوفي سنة ٦٩٩ هـ . ترجمته في شذرات الذهب ٥/٤٥٢ ، والعبر ٣/٤٠٢ ، والنجم الزاهرة ٨/١٩٣ .

بقوله : كان اماما بارعا حافظا مفتيا ، آتقن علوما شتى ، وصنف التصانيف الجمة ، مع شدة الورع والزهد ، وكان أمارا بالمعروف ناهيا عن المنكر على الأمراء والملوك والناس عامة . فנסأل الله أن يرضى عنه ويرضى عنا به .^(١)

وكتناء الشيخ قطب الدين موسى اليونيني الحنبلي^(٢) بقوله : المحدث الزاهد العابد الورع المفتخر في العلوم ، صاحب التصانيف المفيدة ، كان أوحده زمانه في الورع والعبادة والتقلل من الدنيا والاكباب على الافساد والتصنيف مع شدة التواضع وخشونة الملبس والمأكل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .^(٣)

وكتناء الكمال جعفر الأدفوي^(٤) عليه بالزهد والورع . وقال : انه صنف تصانيف مفيدة حصل النفع بها ، ودارت عليه الفتوى بدمشق ، قال : ومآثره عزيزة غزيرة ، ونهى على جميل وسداد .

قال : وكان فقده من أعظم المصائب ، وعدمه بليّة رمت العباد بسهم من البلاء صائب ، رحمه الله ونفعنا ببركته وحشرنا معه في آخرته في دار كرامته .^(٥)

وكتناء الحافظ الذهبي^(٦) علي

(١) ترجمة اللخمي ٧/ب . (٢) تقدمت ترجمته ص ١٣٩

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢٨٢/٣

(٤) هو كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي من صعيد مصر ، ولد سنة ٦٨٥ هـ وأخذ عن ابن دقيق العيد ، وكان من فضلاء أهل العلم ، له الطالع السعيد في ترجمة علماء الصعيد وغيره ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ ، ترجمته في الشذرات ١٥٣/٦ ، والدرر الكامنة ٥٣٥/١ ، والأعلام ١٢٣/٢ .

(٥) السخاوي ص ٥٨ .

(٦) هو الامام الحافظ محدث العصر وخاتمة الحفاظ ومؤرخ الاسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قيمان الزكمانى ثم الدمشقي ،

في سير النبلاء^(١) بقوله : الشيخ الامام القدوة الحافظ الزاهد العابد
 الفقيه المجتهد الرثاني ، شيخ الاسلام حسنة الانام محيي الدين ، صاحب
 التصانيف التي سارت بها الركبان واشتهرت بأقصى البلدان . الى أن قال :
 لازم الاشتغال والتصنيف محتسبا في ذلك مبتغيا وجه الله تعالى مع التعبّد
 والصوم والتهجد والذكر والأوراد . وحفظ الجوارح وضم النفس والصبر على
 العيش الخشن ملازمة كلية لا مزيد عليها . قال : وكان مع ملازمته التامة
 للعلم ، ومواظبته لدقائق العمل ، وتزكية النفس من شوائب الهوى وسيء الأخلاق
 ومحققها من أغراضها . عارفا بالحديث ، قائما على أكثر فنونه ، عارفا
 برجاله ، رأسا في نقل المذهب ، متضلعا من علوم الاسلام .^(٢)
^(٣)
 وقال في تاريخ الاسلام : مفتي الأمة شيخ الاسلام الحافظ النبيه الزاهد ، أحد
 الأعلام علم الأولياء .
 وقال في تذكرة الحفاظ :^(٤) الامام الحافظ الأوحّد القدوة شيخ الاسلام

=== ولد سنة ٦٧٣ هـ ، وطلب الحديث وله ثماني عشرة سنة فسمع الكثير ورحل
 وعنى بالحديث وتعب فيه وخدمه ، الى أن رسخت فيه قدمه ، وألف
 فيه مؤلفات كثيرة وكبيرة ، وتوفى سنة ٧٤٨ هـ . ترجمته في طبقات
 الحفاظ للسيوطي ص ٥٢١ ، والدرر الكامنة ٢٣٦/٤ ، وشذرات
 الذهب ١٥٣/٦ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢١٦/٥ ،
 والاعلام ٣٢٦/٥ ، والبدر الطالع للشوكاني ١١٠/٢ .

(١) لم يطبع الجزء الأخير من السير الذي فيه ترجمته ، وآخر ما صدر
 الى الآن هو الجزء الثالث والعشرون الذي ينتهي بسنة ٦٥٤ .
 وما نقلته هنا هو من السخاوي في جزء الترجمة ص ٥٨ .

(٢) السخاوي ص ٥٨ .

(٣) " " .

(٤) " ١٤٧٠/٤ .

علم الأولياء صاحب التصانيف المفيدة ١٠هـ

وكناء اليافعي عليه بقوله : شيخ الاسلام مفتي الانام المحدث المتقن المدقق النجيب الحبر المفيد القريب والبعيد ، محرر المذهب وضابطه ومرتبته ، أحد العباد الورعين الزهاد ، العالم العامل المحقق الفاضل ، الولي الكبير السعيد الشهير ، ذو المحاسن العديدة والسير الحميدة والتصانيف المفيدة الذي فاق جميع الأقران وسارت بمحاسنه الركبان واشتهرت فضائله في سائر البلدان وشوهدت له الكرامات وارتقى في أعلى المقامات ، ناصر السنة ومعتمد الفتاوى ذو الورع الذي لم ييلغنا مثله عن أحد في زمانه ولا قبله . قال : ولقد بلغني أنه كان يجري دمه في الليل ويقول :

لئن كان هذا الدم يجري صباية على غير ليلي فهم — دمع ضييع
قال : وقد رأيت له مقامات تدل على عظم شأنه ودوام ذكره لله تعالى وحضوره
وعماره أوقانه وشدة هيئته وتعظيم وعده ووعدده .
(١)

وكناء التاج السبكي^(٢) عليه في الطبقات الكبرى^(٣) بقوله : الشيخ الامام

(١) مرآة الجنان ١٨٢/٤ .

(٢) هو قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧ هـ وسمع بمصر من جماعة ، ثم قدم دمشق مع والده وسمع بها من الذهبي والمزى ، وتخرج بالذهبي وطلب بنفسه ودأب في الطلب حتى فاق الأقران ، فأفتى ودرس وحدث وصنف وأفاد ، وحصل له من المناصب ما لم يحصل لأحد قبله ، وجرى له من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض قبله ، وتوفى سنة ٧٧١ هـ شهيدا بالطاعون ، ترجمته في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ١٠٤/٣ ، والمبـدـر الكاظم ٤٢٥/٢ ، والبداية والنهاية ٣١٦/١٤ ، والشذرات ٢٢١/٦ ، والبدر الطالع ٤١٠/١ ، ومعجم المؤلفين ٢٢٥/٦ ، والاعلام ١٨٤/٤ .

(٣) ١٦٦/٥ .

العلامة محيى الدين أبوزكريا شيخ الاسلام أستاذ المتأخرين وحجة الله على
 اللاحقين والداعي الى سبيل السالفين . كان يحيى - رحمه الله - سيدا وحصورا
 وليثا على النفس هصورا ، وزاهدا لم يبال بخراب الدنيا اذ صير دينه رعا
 معمورا ، له الزهد والقناعة ، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة ،
 والمصابرة على أنواع الخير لا يصرف ساعة في غير طاعة . قال : هذا مع
 اليقين في أصناف العلوم فقها ومتون أحاديث وأسماء رجال ولغة وغير ذلك .

وقال في الطبقات الوسطى : الشيخ الامام شيخ الاسلام أستاذ المتأخرين ،
 حجة الله على اللاحقين ، مارأت الأعين أزهد منه في يقظة وضام ولا غابنت
 أكثر إتباعا منه لطرق السالفين من أمة محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام -
 له التصانيف المفيدة والمناقب الحميدة والخصائل التي جمعت طارف كل فضل
 وتليده ، والورع الذى خرب به دنياه وجعل دينه معمورا ، والزهد الذى كان
 يحيى به سيدا وحصورا ، قال : هذا الى قدر في العلم لو أطل على المجرة
 لما ارتضى سريا في اعطائها أو جاور الجوزاء لما استطاب مقاما في أوطانها
 أو حل في دائرة الشمس لأنف في مجاورة سلطانها ، وطال لها فاه بالحق ،
 لا تأخذه لومة لائم ، ونادى بحضرة الأسود الضراغم ، وصدع بدين الله بمقال
 ندى سريرة يخاف يوم تبلى السرائر ، ونطق معتمضا بالباطن الظاهر غير
 ملتفت الى الملك الظاهر ، وقبض على دينه والجمري لتهب ، وصمم على مقالته
 والصارم للأرواح يفتهب ، لم يزل طول عمره على طريقة أهل السنة والجماعة ،
 مواظبا على الخير لا يصرف منه ساعة في غير طاعة .
 (١)

وكنشاء ابن كثير عليه في التاريخ بقوله : الشيخ الامام العالم العلامة شيخ
المذهب وكبير الفقهاء في زمانه ، ومن حاز قصب السبق دون أقرانه ، كان من
الزهادة والعبادة والتحرى والورع والامتناع عن الناس والتخلي لطلب العلم
والتخلي به ، على جانب لا يقدر عليه غيره ، ولا يضيع شيئا من أوقاته .^(١)

وقال في طبقات الشافعية : الشيخ الامام العلامة الحافظ الفقيه النبيل
محرر المذهب ومهذب وضابطه ومرتبته ، أحد العباد والعلماء الزهاد ، قال :
وكان على جانب كبير من العلم والعمل والزهد والتقشف والاقتصاد في العيش
والصبر على خشونته والتورع الذي لم ييلفنا عن أحد في زمانه ولا قبله بدهر طويل .^(٢)

وكنشاء الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي^(٣) عليه بقوله : كان فقيه الأمة وعلم
الأئمة وأوحد زمانه تبحرا في علوم جمعة مع شدة الورع والزهادة وكثرة الصلاح
والعبادة ، والقناعة بالعيش الأخشن ، واللباس الأدثر ، والقيام بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر . قال : وكانت عليه هبة ووقار باهر ، حتى كان
يخاف منه الملك بيبرس الظاهر .^(٤)

ومن لطيف ما قيل فيه من الشعر ، قول الامام جارا لله أبو اليمن بن

(١) السخاوى ص ٦١ .

(٢) " " .

(٣) هو الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد
الدمشقي ، ولد سنة ٧٧٧ هـ ، وطلب الحديث ، وسمع من الحافظ
أبي بكر بن المحب ، ولزم الشيوخ وكتب الطبايع وسمع من خلق ، منهم
بدر الدين بن قوام وآخرين يطول ذكرهم ، وصنف تصانيف حسنة ، وتخرج
به ابن فهد ، وتوفي سنة ٨٤٢ هـ ، ترجمته في ذيل تذكرة الحفاظ

للسيوطي ص ٣٧٨ ، والشذرات ٢٤٥/٧ ، والرسالة المستطرفة ص ١١٩ .
(٤) السخاوى ص ٦٣ .

(١) عساكر:

أمخيمين على نوى أشتاقتكم شوقا يجدد لى الصبابة والجوى
 وأروم قريكم وأنى يرتجى ياسادتي قرب المقيم على نوى
 وذلك حينما لقيه ابن العطار في مكة وأقرأه سلام شيخه النووى عليه
 فسأله ابن عساكر أين تركته ؟ فأخبره أنه تركه في بلده نوى ، فأنشأ البيتين
 ارتجالا . (٢)

فهذه قطوف من عبارات الثناء عليه من العلماء الأعلام الذين لا يطلقون الكلام
 من اللسان حتى يوزن بالميزان ، فيعطون كل واحد حقه من غير زيادة ولا نقصان ،
 فيأخذ مكانته بين بني الانسان ، فيحسب امرئ عبارة واحدة من العبارات
 السابقة ، فكيف بها مجتمعة ، وما تركت أكثر ، وكلها تدل على علو كعبه في
 العلم والعمل ، وأن له القدر المعلى فيهما ، وفي الاخلاص والتضحية والنصيحة
 وفي كل خلق نبيل وفضل جزيل ، فرحمه الله ما أكرم عصره وأطيب ذكـره .

-
- (١) هو أمين الدين أبو اليمى عبد الصمد بن عبد الوهاب بن زين الأمناء ،
 أبو البركات الحسن بن محمد بن عساكر الدمشقي ، ثم المكي ، كان صالحا
 خيرا قوى المشاركة في العلم ، بديع النظم صاحب توجه وصدق ، ولد
 سنة ٦١٤ هـ ، وتوفى سنة ٦٨٠ هـ ، ترجمته في الشذرات ٣٩٥/٥ ، والبداية
 والنهاية ٣١١/١٣ ، ومعجم المؤلفين ٢٣٦/٥ ، ومروءة الجنان ٢٠٢/٤ .
 (٢) برنامج الوادى آشي ص ٨٧ .

وفاته :

لم يكن الامام النووي وان علت منزلته وعظم قدره إلا عبدا مملوكا لله الواحد القهار الذي بيده ملكوت كل شيء ، فيتصرف بما شاء خلقا وايجادا وحياة وموتاً ، وقد كتب أن هذه الحياة فانية وأنها ليست بدار نعيم وبقاء ، بل دار ابتلاء وفتنة ، ولذلك قضى لأهل هذه الحياة بالانتقال منها إلى دار البقاء الذي يجازى العبد فيها بفعله ولا يظلم ، ولما علم الله أن هذه الحياة فانية وان طال أمد فنائها ، لم يرسلها لأنبيائه وأوليائه وأحبابه بل جعل حطهم منها يسيرا وعمر أحدهم فيها قصيرا ، ولو كانت دار اكرام لكان أحق الناس بالبقاء فيها أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين (١) والشهداء والصالحين * ولكن هي عند الله لاتزن جناح بعوضة ولذلك كان حظ من لم يؤمن بالله منها أكثر ممن آمن بالله واليوم الآخر ، ولو كانت تزن عنده تبارك وتعالى جناح بعوضة ماسقى منها كافرا شربة ماء كما ورد في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢) وابن ماجه (٣) من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - .

فلهذا كان حظ الامام النووي من هذه الحياة قليلا ، اذ لم تتم له خمسة عقود حتى فارقها ولحق بالرفيق الأعلى ، وذلك في الرابع والعشرين من شهر رجب الأصم سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة ، وخرج منها وكأنه لم يكن من أهل الدنيا اذ لم يمتّع فيها بشيء يعنى .

(١) سورة النساء آية ٦٩ .

(٢) في الزهد ٥٦٠/٤ وقال : صحيح غريب من هذا الوجه .

(٣) في الزهد ١٣٢٧/٢ ، وقال في الزوائد : في اسناده زكريا بن منظور

وهو ضعيف . قال : وأصل المتن صحيح أهد .

ولا غرو في ذلك ، فهى (سجن المؤمن وجنة الكافر) كما ثبت عن النبى
 - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه . (١)
 ولذلك لما شعر - رحمه الله - بدنو أجله ، أعد نفسه للرحيل وهياً للسفر
 عدته ولم يجزع لذلك ولم يتبرم ، بل تقبل ذلك بنفس راضية مطمئنة تود الانتقال ،
 من دار المحنة والزوال الى دار النعيم وبلوغ الآمال ، الذى طالما حبست نفسها
 وتضرعت الى الله كي تنال نعيمها ، فبينما هو جالس في غرفته بالرواحية وتجاهه
 طاقة وهو مستقبل القبلة ، ان مرّ عليه شخص في الهواء من غرب المدرسة الى
 شرقها ، وقال له : قم سافر لزيارة القدس ، فأخبر تلميذه ابن العطار بذلك ،
 قال ابن العطار : وكنت حملت كلام الشيخ على ظاهره ، ثم تبين لى أنه عنى
 السفر الحقيقي ، قال : فلما انتهى من حكايته ذلك قال لى : قم حتى نودع
 أصحابنا وأحبابنا قال : فخرجت معه الى المقبرة التى بها بعض شيوخه ، فزار
 وقرأ شيئاً ودعى ويكى ثم زار أصحابه الأحياء كالشيخ يوسف البقاعي والشيخ محمد
 الأخميني (٢) والشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وسافر صبيحة ذلك اليوم الى
 نوى ثم زار القدس والخليل - عليه السلام - ثم عاد الى نوى ومرض عقب زيارته بها
 وهو في بيت والده . قال ابن العطار : فبلغني مرضه فتوجهت من دمشق لعيادته
 فسُرّ بذلك ثم أمرني بالرجوع الى أهلى . قال : فودعه بعد أن أشرف على العافية

(١) رواه مسلم في الزهد ٩٣/١٨ بشرح النووى ، والترمذى في الزهد ٥٦٢/٤ ،
 وابن ماجه في الزهد أيضا ١٣٧٨/٢ ، والامام أحمد في المسند ٣٢٣/٢ ،
 ٤٨٥ ، ٣٨٩ .

(٢) هو محمد بن محمد بن الحسن بن اسماعيل الأخميني ، الزاهد ، الطقب
 بشرف الدين ، كان صاحب توجه وتعبد ، توفى سنة ٦٨٤ هـ ، ترجمته في
 العبر ٣٥٧/٣ ، والشذرات ٣٨٩/٥ ، والبداية والنهاية ٣٠٦/١٣ ،
 ومرآة الجنان ٢٠١/٤ .

في يوم السبت العشرين من رجب ، فلما كانت ليلة الثلاثاء في الرابع والعشرين منه سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة ، انتقل الى جوار ربّه - رحمه الله تعالى - .

قال ابن العطار : وكان قبل قوله أذن لي في السفر بأيام يسيرة أرسل اليه فقير إبريقا فقبله وقال : قد أرسل الى فقير آخر زبيلًا ، قال : وهذا إبريق وذلك آلة السفر (١) .

وقال التاج السبكي في الطبقات الوسطى ونقله السخاوي : أنّه قبل ظهوره الى نوى ردّ الكتب الستة من الأوقاف جميعها (٢) .

وحكى اللخمي عن غير واحد من العلماء بدشق أنّه لما خرج منها الى نوى خرج معه جماعة من العلماء وغيرهم لظاهر دشق وسألوه متى الاجتماع ؟ فقال : بعد مائتي سنة ، فعلموا أنّه عنى القيامة (٣) .

فهكذا كانت حياة النوى وهكذا كانت وفاته ، فلم تغرّ الحياة الدنيا بزخارفها ، كما لم يههم الموت ومفارقة الحياة ، لأنّه قد عاش خمسا وأربعين سنة معمورة بالصالحات من عبادات وموالات ، فلقد عبد الله حقّ عبادته حتى آتاه اليقين ، ونشر العلم تعليما وتأليفا حتى قيل : لو قسمت موالاته على عدد أيامه لكان حظ كل يوم منها كراسا (٤) ، فما يحزنه بعدئذ على حياة قد جعلها كلها مزرعة شجرة للأخرة ، من صيام وقيام وزهد وورع وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وعلم لا ينقطع ثوابه بالموت بل يجري له ثوابه مادام ينتفع به ، فهو اذا الى اجتناء ثمار هذه المزرعة أشد شوقا من غائب طال غيابه عن وطنه حين تتبدّى له أطلال بلدته وديرة أهله .

وأبّح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الخيام من الخيام

(١) تحفة الطالبين ١٠/ب ، ١١/أ .

(٢) السخاوي ص ٧٤ .

(٣) جزء ترجمته له ٧/ب .

(٤) السخاوي ص ٢٤ .

غير أن غيابه عن هذه الحياة والا نقطاع عنها بالمات ، له أثر في الأنفس الزاكيات والأفئدة المحبة له ، فسيترك فيها أبلغ الوجد عليه وأشد الحنان اليه ، وذلك ما حدث فعلا ، فما أن بلغ دمشق خبر موته حتى ارتجت وما حولها بالبكاء عليه ، وصُلِّي عليه هناك صلاة الغائب ، وتأسف المسلمون عليه أسفا شديدا الخاص منهم والعام ، والمادح والذام ، وأحيوا ليالي كثيرة لسنته وراثاء أكثر شعرا^(١) وقتنه بأكثر من ستمائة بيت كما قاله الذهبي ونقله السخاوي .^(٢) منهم تلميذه أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن مصعب^(٣) ، بقصيدة رائعة قال فيها :

أكنتم حزني والمدامع تبدييه	لغقد امرى كل البرية تبكيه
رأى الناس منه زهد يحيى سميّه	وتقواه فيما كان يبدى ويخفيه
ولم يرض بالدينيا ولا مال لحظة	الى عيشها فالله لا شك يرضيه
تحلّى بأوصاف النبي وصحبه	وأتباعه هدى فمن ذا يدانيه
حديث رسول الله والغفر له أبه	يضيغه في هذا وهذا يرويه
يرى الموت يحيى في اماتة بدعة	وكم سنة أحيى بحسن ساعيه
شكلا فقد علم الحديث وحفظه	وأهلوه والكتب الصحاح وقاريه
ولاح على وجه العلوم كآبة	يخبر أن الدين قد مات محييه
إذا عدم الاسلام أشراف أهله	فلا غرو أنّا في المصاب نعزيه ^(٣)

ومنهم أبو الفضل يوسف بن محمد بن عبد الله الكاتب قارى دار الحديث فسي قصيدة له يهرش بها أشياخه فذكر ابن الصلاح والسخاوي وأبا شامة وغيرهم ثم قال :

وكذاك محبى الدين فاق بزهد	وبفقه الفقه مع الزهاد
القانت الأبواب والحبر الذى	نصر الشريعة دائما بجهد

(١) السخاوى ص ٧٥ .

(٢) ترجمته في الحوافي بالوفيات ٢٢١ / ٦ .

(٣) المنهاج السوى ١ / ٣١ .

تبيكه دار للحديث وأهلها
لم يبق بعدك للصحيح معرف
من ذا يبين سنداً من مرسل
أو كان مقطوعاً ضعيفاً معضلاً
أو من يبين منكراً في متنه
من زالدفع المنكرات وقد غدت
ونصرت دين الله وحدك جاهداً
ودفعت عنه شبهة المراد (١)

ومنهم العلامة شيخ الأرب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن شاعر الحنفي
الأربلي في قصيدة رائعة . قال فيها :

عز العزاء وعم الحادث الجلل
واستوحشت بعد ما كنت الأنيس بها
أسلى قوامك عن قوم مضوا بدلا
بمثل فقدك ترتاع العقول به
وكنت تتلو كتاب الله معتبرا
قد كنت للدين نورا يستضاء به
وكنت في سنة المختار مجتهدا
وكنت زينا لأهل العلم مفتخرا
زهدت في باطل الدنيا وزخرفها
أعرضت عنها احتقارا غير محتفل
وخاب بالموت في تعميرك الأصل
وساءها فقدك الأسحار والأصل (٢)
وعن قوامك لا مثل ولا بسدل
وفقد مثلك جرح ليس ينسدل
لا يعتريك على تكراره ملل
مسدد منك فيه القول والعمل
وأنت باليمن والتوفيق شتمل
على جديد كساهم ثوبك السمل (٣)
عزما وحزما فمضروبك المشل
وأنت بالسعى في آخراك محتفل

(١) المنهاج السوى ٣٢/أ - ب .

(٢) الأصل جمع الأصيل وهو بعد العشى ، وجمعه أيضا آصال وأصايل ،

مجل اللغة ٩٧/١ .

(٣) السمل ، الثوب الخلق . مجل اللغة ٤٧٤/٢ .

عزفت عن شهوات ما يعلم فتى بهما سواك اذا عنت له قبل
 أسهرت في العلم عينا لم تذق سنة ألا وأنت به في الحلم مشتغل
 ترى درى تربه من غيبوه به أو نعشه من على أعواده حملوا
 يامحبي الدين كم غادرت من كبد حرى عليك وعين دمعها هطل
 وكم مقام كحد السيف لاجل يقوى على هوله فيه ولا جـد ل
 أمرت فيه بأمر الله متضيقا سينا من العزم لم يصنع له خلل
 وكم تواضعت عن فضل وعن شرف وهمة هامة الجوزاء تنتعل^(١)
 فجعت بالأمس ليلا كنت ساهره لله والنوم قد خيطت به المقل^(٢)
 رجاك نور نهار كنت صايما به اذا الهجير^(٣) بنا را الشمس تشتعل
 يالاهيا لاهيا عن هول مصرعه وضاحك السن منه يضحك الأجل
 لا تخل نفسك من زاد فانك من حين الولاد مع الأنفاس مرتحل^(٤)
 وما مقام يد يد السير يتبعه الى محل تلاء سائق عجـل

-
- (١) الهامة ، الرأس ، والجوزاء اسم نجم سمي بذلك لأنه يعترض في جـوز
 السماء أى وسطها . مجمل اللغة ٨٩٧/٤ ، ٢٠٢/١ .
 (٢) المقلة ، العين . وهى ناظرها ، وجمعها مقل ، مجمل اللغة ٨٣٦/٣ .
 (٣) الهجير والهجرة ، نصف النهار عند اشتداد الحر ، مجمل اللغة ٨٩٩/٣ .
 (٤) المضهاج السوى ١/٢٩ .

الفصل الخامس

في بيان آثاره العلمية

وفيه مبحثان :

- الأول / في ذكر تلاميذه وترجمة المبرزين منهم .
- الثاني / في ذكر مؤلفاته في فنون الشرع المتفرقة .

تلاميذه :

كان النورى - رحمه الله - قد انقطع للحلم انقطاعا كاملا لا يشغله عنه أهل ولا مال ولا ولد ، بل كانت أوقاته كلها مقسمة بين العبادة والعلم ، فإذا أدى العبادة ، صرف وقته بعدئذ للعلم ، تدرسا وتأليفا ، أما التدريس فقد انشغل به من مراحل الأولى في طلب العلم وذلك حينما عينه شيخه الكمال اسحاق المغربي معيدا في حلقة لسائر الطلبة ، ثم لم يزل يشغل نفسه في التعليم والافادة كلما نما علمه وازدادت معرفته ، ودرس في عدة مدارس (١) ، كان آخرها دار الحديث الأشرفية التي ولى مشيختها نحو من اثنتى عشرة سنة ، ونشر في كل ذلك علما جما لكثير من طلاب العلم من أهل دمشق والوافدين عليها في أكثر من عشرين سنة ، ولا ريب أن حصيلة تلاميذ أكثر من عشرين سنة كبيرة ، ولكن حسبى أن أذكر أبرز تلاميذه وأترجم لهم تراجم موجزة ، وأن أشير الى طائفة أخرى من تلاميذه كما يقتضيه الحال .

أما أبرز تلاميذه ، فأولهم :

١ - علاء الدين بن العطار ٦٥٤ - ٧٢٤ هـ :

هو الحافظ الزاهد علاء الدين على بن ابراهيم بن داود بن سليمان

أبو الحسن بن العطار الشافعي . (*)

(١) تقدمت الإشارة اليها ص ١٢٦

(*) له ترجمة في الدرر الكامنة ٥/٣ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٥٠٤ ،

وشذرات الذهب ٦/٦٣ ، وطبقات الشافعية ٦/١٤٣ ، الحسينية ، ومرآة

الجنان ٤/٢٧٢ ، والبداية والنهاية ١٤/١١٢ ، والأعلام ٤/٢٥١ ،

وبرنامج الوادى آشى ص ٨٦ ، وذيل العبر ٤/٧١ .

سمع على أحمد بن عبد الدائم ، واسماعيل بن أبي اليسر ^(١) ، والكمال بن عبد ^(٢) ، وجمال الدين بن مالك ^(٣) ، وابن أبي الخير ^(٤) ، والكمال بن فارس ^(٥) وغيرهم ، وسمع بالحرمين ونابلس والقاهرة من عدة أشياخ يزيدون على المائتين ، وخرج له أخوه لأمه من الرضاة الشيخ شمس الدين الذهبي معجماً ^(٦) في مجلده ، وهو الذي استجاز للذهبي سنة مولده ، فانتفع الذهبي بعد ذلك بهذه الاجازة انتفاعاً شديداً ، ونسخ الشيخ علاء الدين الأجزاء وكتب الطباق وغلب عليه الفقه .

-
- (١) مسند الشام الكاتب المنشئ ، ولد سنة ٥٨٩ هـ ، وروى الكثير عن الخشوعي فمن بعده ، وتوفي سنة ٦٢٢ هـ . ترجمته في العبر ٣ / ٣٢٥ ، والشذرات ٥ / ٣٣٨ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٢٦٢ .
- (٢) هو المسند الثقة أبو نصر عبد العزيز بن عبد المنعم ، الدمشقي ، ولد سنة ٥٨٩ هـ ، وسمع من الخشوعي ، وعبد اللطيف بن أبي سعد وغيرهما ، وتوفي سنة ٦٢٣ هـ . ترجمته في العبر ٣ / ٣٢٥ ، والشذرات ٥ / ٣٣٨ .
- (٣) تقدمت ترجمته ص ١١٧
- (٤) هو أبو العباس أحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم الدمشقي الحداد الحنبلي ، ولد سنة ٥٨٩ هـ ، وسمع من الكندي ، وأجاز له خليل الداراني وابن كليب ، والبوصيري ، وخلق ، وعمر ، وروى الكثير ، توفي سنة ٦٢٨ هـ . ترجمته في الشذرات ٥ / ٣٦٠ .
- (٥) هو أبو اسحاق إبراهيم بن الوزير نجيب الدين أحمد بن اسماعيل بن فارس التميمي ، ولد سنة ٥٩٦ هـ ، وهو آخر من قرأ بالروايات على الكندي ، وكان فيه خير وتدين ، ترجمته في العبر ٣ / ٣٣١ ، والشذرات ٥ / ٣٥١ .
- (٦) انظر ذيل العبر ٤ / ٧١ .

وصحب الامام النووى مقتصرا عليه دون غيره نحو ست سنوات ، واشتغل عليه وحفظ التبيه بين يديه حتى كان يقال له : مختصر النووى ، وقد يختصر فيقال : المختصر . (١)

وهو أشهر أصحاب النووى وأخصهم به ، لزمه طويلا وخدمه وانتفع به كما حكى هو عن نفسه بقوله : وكانت مدة صحبتي له مقتصرًا عليه من أول سنة سبعين وقبلها بمسير الى حين وفاته ، قال : قرأت عليه الفقه تصحيحا وعرضا وشرحا وضبطا ، خاصا وعامًا ، وقرأت عليه كثيرا من تصانيفه ضبطا واتقانًا ، وأذن لي في اصلاح ما يقع في تصانيفه ، فأصلحت بحضرته أشياء أقرني عليها وكتبها بخطه ، قال : وكان رفيقا بي شفيقا على ، لا يمكن أحدا من خدمته غيرى على جهد منى في طلب ذلك منه ، مع مراقبته لي في حركاتي وسكناتي ، ولطفه بي في جميع ذلك وتواضعه معي في جميع الحالات ، وتأديبه لي في كل شيء حتى الخطرات . قال : وأعجز عن حصر ذلك ، (٢)

وولى ابن العطار درس الحديث بالنورية (٣) ، والقوصية (٤) ، والعلمية (٥) ، وكانت مدة مشيخته للنورية كما قال ابن كثير ثلاثين سنة (٦) ، قال الحافظ : ولم يكن بالماهر مثل الأقران الذين نبغوا في عصره . (٧)

(١) السخاوى ص ٣٠ ، والشذرات ٦٣/٦ .

(٢) تحفة الطالبين ١/٥ ، والسخاوى ص ٣٠ .

(٣) نسبة لمنشئها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وأنشأها

سنة ٦٣٥ هـ ، وقيل إن الذى أنشأها ولده الملك الصالح اسماعيل .

الدارس ٦٠٢/١ .

(٤) كانت حلة بالجامع الأموى لم يعلم لها واقف ، الدارس ٤٣٨ / ١ .

(٥)

(٦) البداية والنهاية ١١٢/١٤ .

(٧) الدرر الكامنة ٦/٣ .

قال ابن كثير : وله مصنفات وفوائد ومجاميع وتخاريج ^(١) . وقال الذهبي : وكان صاحب معرفة حسنة وأجزاء وأصول خرجت له مجما في مجلد ^(٢) .

وأصيب بالفالج سنة ٧٠١ هـ ، وكان يحمل في محفة ويطاف به مجالس العلم ليلقى على الطلاب دروسهم .

وعده في الحفاظ العلامة بن ناصر الدين وأثنى عليه ^(٣) .

(١) البداية والنهاية ١١٢ / ١٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٥٠٤ / ٤ .

(٣) شذرات الذهب ٦٤ / ٦ .

٢ - الحافظ المزي ، ٦٥٤ - ٧٤٢ هـ :

هو الامام الحافظ ، محدث الشام جمال الدين أبو الحجاج يوسف

ابن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي القضاعي ثم الكلبي دمشقي الشافعي . (*)

ولد بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وستمائة ، ونشأ بالمزة وحفظ القرآن وتفقه

قليلا ، ثم أقبل على علم الحديث ، فسمع من ابن أبي الخير (١) كتاب الحلية ، وصحيح

مسلم من الاربلي (٢) ، وسمع من العز العراقي (٣) ، وأبي بكر بن الأنماطي ،

والفخر بن البخاري (٤) ونحوهم من أصحاب ابن طبرزد ، والكندی والحريستاني ،

(*) له ترجمة في تذكرة الحفاظ ١٤٩٨/٤ ، والدرر الكامنة ٤٥٧/٤ ، وطبقات

الشافعية ٢٥١/٦ ، وشذرات الذهب ١٣٦/٦ ، والوفيات ٣٩٥/١ ،

والدارس ٣٥/١ ، والبداية والنهاية ١٩١/١٤ ، وطبقات الحفاظ

للمسيوطي ص ٥٢١ ، وذيل العبر ١٢٦/٤ ، وطبقات ابن قاضي

شهبه ٧٤/٣ ، والبدر الطالع ٣٥٣/٢ ، وروكلمن ٦٤/٢ ، ومعجم

المؤلفين ٣٨/١٣ ، ومقدمة تحفة الأشراف ص ٢٢ .

(١) تقدمت ترجمته ١٩٤

(٢) هو القاسم بن أبي بكر بن غنيم - تقدمت ترجمته ص ١٠٣

(٣) هو عبد العزيز بن عبد الضعم بن علي الصيقل . قال الذهبي : مسند

الوقت ، روى عن أبي حامد بن جوالق ، ويوسف بن كامل ، وطائفة ،

وأجاز له ابن كليب ، وتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، ترجمته في العبر ٣٦٢/٣ ،

والشذرات ٣٩٦/٥ ، والبداية والنهاية ٣١٠/١٣ .

(٤) هو مسند الدنيا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي

المقدسي الصالحي الحنبلي ، ولد سنة ٥٩٥ هـ ، وسمع من حنبل ،

وابن طبرزد والكندی ، وخلق . وأجاز له أبو المكارم اللبّان ، وابن الجوزي

وخلق كثير ، وطال عمره ، ورحل الطلبة اليه من البلاد ، وألحق الأسباط

بالأجداد في علو الاسناد ، وتوفى سنة ٦٦٩ هـ . ترجمته في العبر ٣٧٣/٣ ،

والشذرات ٤١٤/٥ ، والبداية والنهاية ٣٢٤/١٣ .

وسمع الكتب الطوال كالأمهات الست ^(١) ، والسند ^(٢) ، والمعجم الكبير ^(٣) ،
وتاريخ الخطيب ^(٤) ، والنسب للزبير ^(٥) ، والسنن الكبير ^(٦) ، والمستخرج على
مسلم ^(٧) ، والحلية ^(٨) ، والدلائل ^(٩) . ومن الأجزاء ألوفاً ، ومشيخته نحو
ألف شيخ .

وسمع بالحرمين وحلب وحماة وبعليك وغير ذلك .
ونسخ بخطه المتقن الطبع كثيرا لنفسه ولغيره ، ونظر في اللغة ومهر فيها ،
وفي التصريف ، وقرأ العربية . وأما معرفة الرجال ، فهو حامل لوائها والقائم
بأعبائها ، لم تر العيون مثله ، عمل كتاب تهذيب الكمال ^(١٠) في مائتي جزء
وخمسين جزءاً ، وعمل كتاب الأطراف ^(١١) في بضعة وثمانين جزءاً .

وولى المشيخة بآماكن منها الدار الأشرفية ثلاثا وعشرين سنة ، قال ابن
تيمية : لم يلها من حين بنيت الى الآن أحق بشرط الواقف منه ، لقول الواقف
فان اجتمع من فيه الرواية ومن فيه الدراية قدم من فيه الرواية . ^(١٢)

-
- (١) هو صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وسنن الترمذى ،
وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه .
(٢) للإمام أحمد .
(٣) للطبراني .
(٤) البغدادى ، تاريخ بغداد .
(٥) ابن بكار .
(٦) للبيهقي .
(٧) لعله مستخرج أبي عوانة الاسفراييني .
(٨) لأبي نعيم .
(٩) دلائل النبوة للبيهقي .
(١٠) في أسماء الرجال .
(١١) تحفة الأشراف في معرفة الأطراف ، تقع في أربعة عشر مجلدا .
(١٢) شذرات الذهب ١٣٦/٦ .

وكان ثقة حجة كثير العلم ، حسن الأخلاق ، كثير السكوت قليل الكلام ،
جدا ، صادق اللهجة لم تعرف له صبوة ، وكان متواضعا حلما صبورا مقتصدا
(١)
في ملبسه ومأكله كثير المشي في مصالحه .

توفي - رحمه الله في الثاني عشر من شهر صفر لسنة اثنتين وأربعين
وسبعمائة بعد أن مرض أياما يسيرة مرضا لا يشغله عن شهود الجماعة وحضور
(٢)
الدروس واسماع الحديث .

(١) تذكرة الحفاظ ١٤٩٨ / ٤ •

(٢) البداية والنهاية ١٩١ / ١٤ •

٣ - ابن النقيب ٦٦١ - ٧٤٥ هـ :

محمد بن أبي بكر بن إبراهيم ، القاضي شمس الدين بن
(*)

النقيب الشافعي الدمشقي .

سمع من الفخر بن البخاري ، وأحمد بن شيان (١) ، وأبي حامد بن
الصابوني (٢) ، وزينب بنت مكي (٣) وغيرهم . ولزم الشيخ محيى الدين النووي حتى
حفظ عنه أنه قال : يا قاضي شمس الدين لا بد أن تلى درس الشامية ، فوليها بعد
مدة (٤) ، وكان يظن أنه يلي قضاء الشام فولى قضاء حمص ثم طرابلس ثم حلب

(*) له ترجمة في الدرر الكامنة ٣/ ٣٩٨ ، وطبقات السبكي ٦/ ٤٤ الحسينية ،
المختصر في أخبار البشر ٤/ ١٤٣ ، ومروءة الجنان ٤/ ٣٠٢ ،
والدارس ١/ ٢٨٥ ، والوفيات ١/ ٥٠٤ برقم ٤٢٧ ، والأعلام ٦/ ٢٨٠ ،
وذيل العبر ٤/ ١٣٦ .

(١) بن تغلب بن حيدرة بدر الدين أبو العباس الشيباني الصالحي العطار ،
راوى مسند الامام أحمد ، أكثر عن حنبل وابن طبرزد وجماعة ، وأجاز له جعفر
الصيدلاني وخلق ، ومات سنة ٦٨٥ هـ . ترجمته في العبر ٣/ ٣٥٨ ،
والشذرات ٥/ ٣٩٠ ، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٢ .

(٢) هو الحافظ أبو حامد محمد بن علي بن محمود شيخ دار الحديث النورية ،
ولد سنة ٦٠٤ هـ ، وسمع من أبي القاسم الحرستاني ، وخلق كثير ، وكتب
العالي والنازل ، وجمع وصنف ، واختلط قبل موته بسنة أو أكثر ، وتوفى
سنة ٦٨٠ هـ - رحمه الله - . ترجمته في الشذرات ٥/ ٣٦٩ .

(٣) ابن علي بن كامل الحراني ، الشيخة المعمرة العابدة ، سمعت من
حنبل وابن طبرزد وطائفة ، وازدحم عليها الطلبة ، وعاشت أربعاً
وتسعين سنة ، وماتت سنة ٦٨٨ هـ . ترجمتها في العبر ٣/ ٣٦٦ ،
والشذرات ٥/ ٤٠٤ ، ومروءة الجنان ٤/ ٢٠٧ .

(٤) وهذه فراسة منه - رحمه الله تعالى - .

ثم رجع الى دمشق فولى الشامية وحدث ، قال الحافظ ابن حجر : وخرجت له
 مشيخة . قال : سمع منه البرزالي وجماعة غيره ، ونقل الحافظ عن العماد بن
 كثير قوله فيه : كان شيخا عالما دينا ، قليل الشر والغيبة . وعن ابن رافع (١)
 قوله فيه : كان كريم النفس ، محبا في الصالحين . وقد أفتى ودرس ، الى أن
 قال : وكان من قضاة العدل وبقايا السلف . (٢)

وأثنى عليه السبكي ثناء حسنا فقال عنه : شيخنا قاضي القضاة شمس الدين
 ابن النقيب . الى أن قال : وصاحب النووى وأعظم بتلك الصحبة رتبة عليّة ، وله
 الديانة والعفة والورع الذى طرد به الشيطان وأرغم أنفه ، وكان من أساطين
 المذهب وجمرة نار ذكاء ألا أنه لا يلتهب . (٣)

توفى - رحمه الله تعالى - يوم الجمعة ثاني عشر ذى القعدة سنة خمس
 وأربعين وسبعمائة . (٤)

(١) هو الحافظ المحدث المشهور تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع بن
 هجرس السّلامى ، ولد سنة ٧٠٤ هـ ، وسمع من التقي سليمان وغيره ،
 وأجاز له الدمياطي وغيره ، وحُبب اليه علم الحديث فأكثر عن شيوخ مصر
 والشام ، وجمع معجما في أربع مجلدات وهو في غاية الضبط والاتقان ،
 مشحون بالفوائد ، قاله السيوطي ، ومات سنة ٧٧٤ هـ . ترجمته في
 طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٣٨ ، وشذرات الذهب ٢٣٤/٦ ، وأنباء
 الغمر لابن حجر ٤٧/١ ، والدرر الكامنة ٤٣٩/٣ ، وذيل تذكرة
 الحفاظ للسيوطي ص ٣٦٦ .

(٢) الدرر الكامنة ١٩/٤

(٣) الطبقات الكبرى ٤٤/٦

(٤) الدرر الكامنة ٣٩٨/٣

٤ - خطيب داريا أبو الربيع الهاشمي ٦٤٢ - ٧٢٥ هـ :

القاضي سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن حصيب الجعفرى ،
الهوراني ، الملقب بصدر الدين ، يكنى بأبي الربيع الهاشمي ، وكان يذكر
نسبه الى جعفر الطيار . (*)

قدم دمشق مراهقا وحفظ القرآن بمدرسة أبي عمر ، ثم قدم بعد سنة
سبع وستين فلزم الشيخ محيى الدين النووى ، والشيخ تاج الدين الفزارى ،
وأتمن الفقه وسمع ابن أبي اليسر ، والمقداد القيسي (١) وغيرهما ، وحديث ،
وولى خطابة داريا (٢) ، وأعاد بالناصرية ، وناب في دار الحديث الأشرفية عن
ابن الشريشي ، وولى نيابة القضاء لابن صصرى (٣) ، وكان متواضعا جدا ربما
توجه الى بعض الخصوم عوض الرسول ، والى الشاهد لسمع شهادته ، واستسقى

(*) ترجمته في الدرر الكامنة ١٦٥/٢ ، والشذرات ٦٢/٦ ، وطبقات
السبكي ١٠٦/٦ ، الحسينية ، وفوات الوفيات ٨٢/٢ ،
والدارس ٤٦٥/١ ، مرآة الجنان ٢٧٤/٤ ، وذيل العبر ٧٤/٤ .
(١) هو أبو المرفع المقداد بن أبي القسم هبة الله بن علي القيسي ،
ولد سنة ٦٠٠ هـ ، وسمع من ابن الأخضر ، وأحمد بن الدبيشي ،
ويمكنه من ابن الحصرى ، وابن النجاروى الكثير ، وكان عدلا خيرا تاجرا ،
مات سنة ٦٨١ هـ . ترجمته في الشذرات ٣٧٥/٥ .
(٢) وهى قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة والنسبة اليها داراني ،
معجم البلدان ٤٣١/١ .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سالم بن حسن بن صصرى الثعلبي
الشافعي ، ولد سنة ٦٥٥ هـ ، سمع أباه وعميه وابن عبد الدايم ، وأفتى
ودرس وولى القضاء احدى وعشرين سنة ، ومات سنة ٧٢٣ هـ ، ترجمته في
ذيل العبر ٦٦/٤ ، وشذرات الذهب ٥٩/٦ ، والبداية
والنهاية ١٠٦/١٤ .

في الناس في سنة جدب فسقوا ، وكان لا يدخل الحمام ولا يتنعم بمأكل ولا ملبس .^(١)
 قال الذهبي : كان يتزهد في ثوبه وعمامته الصغيرة ، وفيه تواضع وترك للرياسة
 والتصنع وفراغ عن الرعنات وسماحة ومروءة ورفق .^(٢)

قال الحافظ ابن حجر : رجع مرة من خطابة داريا على بهيمة فرأى صعلوكة تحمل
 خطبا ، فنزل وحمل خطبها على دابته الى باب الجابية ، قال : ومحاسنه
 غزيرة ، ونقل عن البرزالي قوله فيه : انه فقيه فاضل ، أثنى عليه النووي وابن
 الفركاح . وكانت وفاته في ثامن ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبعمائة .^(٣)

(١) الدرر الكامنة ١٦٥/٢ .

(٢) ذيل العبر ٧٤/٤ .

(٣) الدرر الكامنة ١٦٥/٢ .

٥ - ابن أبي الدر ٦٤٥ - ٧٢٦ هـ :

سالم بن عبد الرحمن بن عبد الله الشافعي أمين الدين بن أبي الدر (*) .
 سمع من أحمد بن عبد الدائم وغيره ، وتفقه على النووي ولازمه وانتفع به ،
 فلما توفي أخذ عن شرف الدين المقدسي (١) ، وزين الدين الفارقي (٢) وغيرهما .
 وأم بمسجد ابن هشام وحدث بالكُرسي به ، وأعاد بعدة مدارس ، ودرس بالشامية
 الجوانية (٣) ، واستمر فيها إلى أن توفي ، وناب في الحكم وكان ذا دهاء وخبرة
 بالدعوى والحكومات ، وكتب الحكمة ، مشهورا بالمرورة والعصبية ، ونقل الحافظ
 في الدرر الكامنة (٤) أن البرزالي قال عنه في معجمه : فقيه فاضل بلغ رتبة

(*) ترجمته في الدرر الكامنة ١٢٣/٢ ، والدارس ٣٠٦/١ ، والوافي
 بالوفيات ٨٠/١٥ ، وطبقات السبكي ١٠٧/٦ ، وطبقات ابن قاضي
 شهبه ٢١٥/٢ .

(١) هو عبد الله بن حسن بن عبد الله قاضي الحنابلة ، قرأ على ابن عبد الهادي
 واليلداني وغيرهم ، وأجاز له جماعة ، وطلب بنفسه وتفقه وأفتى وناب
 في الحكم عن أخيه ثم وليه استقلالاً في آخر عمره ، ودرس بالصالحية ،
 وولى مشيخة دار الحديث بالصادرية والعالمية ، ومات سنة ٧٣٢ هـ .
 ترجمته في ذيل العبر ٩٣/٤ ، والشذرات ١٠٠/٦ .

(٢) هو عبد الله بن مروان بن عبد الله الشافعي الفارقي ، ولد سنة ٦٣٣ هـ ،
 سمع من ابن الصلاح والسخاوي وجماعة ، وكان ذا مهابة وفصاحة ، ولى
 خطابة دمشق ، ودار الحديث الأشرفية بعد النووي وعمرها بعد
 خرابها في فتنة غازان ، وسمع الحديث الكثير واشتغل ودرس وأفتى مدة
 طويلة . وتوفي سنة ٧٠٣ هـ . ترجمته في الدرر الكامنة ٣٠٤/٢ ،
 والشذرات ٨/٦ ، وبرنامج الوادي آشي ص ١٤٢ ، وذيل العبر ص ٨ ،
 والبداية والنهاية ٣٠/١٤ .

(٣)

(٤) ١٢٣/٢ .

التدريس والفتيا ، وذهنه جيد وفيه نهضة وكفاية ، ومروءة ، قال : درس بالشامية
 الجوانية . ورتب - رحمه الله - صحيح ابن حبان ونسخ بعض مسموعاته ،
 وعاش اثنتين وثمانين سنة ، وتوفي في سابع شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة .
فهذه نماذج لمن لازم النووي وأخذ عنه العلم واستفاد من سلوكه
 العمل والاخلاص لله الأجل ، وقد ذكر السخاوي وغيره ، كثيرا من تلاميذه
 ممن اشتهروا بالعلم والفضل ، مثل أبي العباس أحمد بن فرج الاشبيلي ^(١) ،
 وأحمد الضرير الواسطي أبي العباس الملقب بالخلال ^(٢) ، وشهاب الدين أبي العباس
 أحمد بن محمد بن سلمان بن حمائل الجعفرى ^(٣) ، وأبي العباس أحمد بن
 ابراهيم بن مصعب ^(٤) ، وشهاب الدين أحمد بن محمد بن عباس بن جعوان ^(٥) ،
 واسماعيل بن المعلم الحنفي الرشيد ^(٦) ، والنجم اسماعيل بن ابراهيم
 ابن سالم الخباز ^(٧) ، والشيخ الناسك جبريل الكردي ^(٨) ، والقاضي جمال الدين

- (١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٢٨٦/٧ ، وطبقات الشافعية ١٢/٥ الحسينية ،
 ومراة الجنان ٢٣١/٤ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٨٦/٤ ، وشذرات
 الذهب ٤٤٣/٥ ، ودرة الحجال ٣٦/١ ، وتقدمت في هذه الرسالة أيضا ص ٧٦
- (٢) انظر فوات الوفيات ٥٦/١ .
- (٣) ترجمته في الدرر الكامنة ٢٦٥/١ ، والبداية والنهاية ١٢٨ / ١٤ ،
 والوفيات ١٧١/١ .
- (٤) ترجمته في الوافي بالوفيات ٢٢١/٦ .
- (٥) ترجمته في الشذرات ٤٤٤/٥ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٦٨/٢ .
- (٦) ترجمته في الدرر الكامنة ٣٦٩/١ ، وشذرات الذهب ٣٣/٦ ، والبداية
 والنهاية ٧٢/١٤ ، وبغية الوعاة ص ١٩٢ ، والجواهر المضيئة ٤١٨/١ ،
 والطبقات السنية ١٩٥/٢ ، والوافي ١٥٥/٩ .
- (٧) ترجمته في الدرر الكامنة ٣٦٢/١ ، وشذرات الذهب ٨/٦ ، والوافي
 بالوفيات ٦٥/٩ برقم ٣٩٨٣ ، والدليل الشافي ١٢١/١ برقم ٤٢٣ .
- (٨)

سليمان بن عمر بن سالم الزرعي ^(١) ، وأبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن
 عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي ^(٢) ، وعبد الرحيم بن محمد بن يوسف
 السهودي ^(٣) ، والملا علي بن أيوب بن منصور المقدسي ^(٤) ، وشهاب الدين
 أبي حفص عمر بن كثير ^(٥) ، والبدر محمد بن ابراهيم بن جماعة ^(٦) ، والشهاب
 محمد بن عبد الخالق بن عثمان بن مظهر الأنصاري ^(٧) ، وأبي عبد الله محمد بن
 أبي الفتح الحنبلي ^(٨) ، ومنصور بن نجم بن زيان اللبشي ^(٩) ، وهبة الله بن
 عبد الرحيم البارزي ^(١٠) ، ويوسف بن محمد بن عبد الله المصري الدمشقي ، قارىء

-
- (١) ترجمته في الدرر الكامنة ١٥٩/٢ ، وشذرات الذهب ١٠٢/٦ ،
 والنجوم الزاهرة ٣٠٤/٩ ، والدليل الشافي ٣٢٠/١ برقم ١٠٩١ ،
 والبداية والنهاية ١٦٢/١٤ ، والأعلام للزركلي ١٣١/٣ .
 (٢) ترجمته في الدرر الكامنة ٤٤٣/٢ ، والوفيات ١١٠/٢ .
 (٣) ترجمته في الدرر الكامنة ٣٤٢/٢ ، وبغية الوعاة ص ٣٠٥ ، والطالع
 السعيد ص ٣١٣ ، ودرة الجبال ١١٥/٣ .
 (٤) ترجمته في الدرر الكامنة ٣٠/٣ ، وشذرات الذهب ١٥٣/٦ .
 (٥) ترجمته في البداية والنهاية ٣١/١٤ ، والدرر الكامنة ١٨٥/٣ ،
 والدليل الشافي ٥٠٣/١ برقم ١٧٥١ .
 (٦) ترجمته في الدرر الكامنة ٢٨٠/٣ ، وشذرات الذهب ١٠٥/٦ ،
 والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ ، وفوات الوفيات ١٧٤/٢ ، والأعلام ٢٩٨/٥ ،
 وتقدمت ص ٦٥ (٧)
 (٨) ترجمته في الشذرات ٢٠/٦ .
 (٩) ترجمته في الدرر الكامنة ٣٦٤/٤ .
 (١٠) ترجمته في الدرر الكامنة ٤٠١/٤ ، والبداية والنهاية ١٨٢/١٤ ،
 وطبقات السبكي ٢٤٨/٦ الحسينية ، والنجوم الزاهرة ٣١٥/٩ ،
 وشذرات الذهب ١١٩/٦ .

دار الحديث الأشرفية (١) ، وعد غيره (٢) من تلاميذه غير مذكور ، اكتفيت بترجمة تلك النخبة والاشارة الى نخبة أخرى ، سيرا مع منهج البحث ، وإلا فإن للامام النووي تلامذة كثيرين ، ذكر المؤرخون منهم مذكروا وأغفلوا الأكثر ، ولا ريب في هذا لمن علم أن النووي — رحمه الله — قضى حياته كلها بين التدريس والتأليف ، وولى مشيخة الأشرفية احدى عشرة سنة ينشر فيها العلم بين الطلاب ، اضافة الى تدريسه بالرواحية والأقبالية والركنية .

(١) ترجمته في العبر ٣/٣٦١ ، وشذرات الذهب ٥/٣٩٤ ، والبداية

والنهاية ١٣/٣٠٨ .

(٢) أى السخاوى .

مؤلفاته :

لم يمس على الامام النوى كبير وقت في الطلب حتى أحس في نفسه
اهلية التأليف ، فشرع في الاسهام بالمؤلفات النافعة ابتداءً من عام ستين
وستمئة^(١) ، تلبية لما قرره أهل العلم حيث ندبوا للطلاب أن يشتغل
بالتصنيف ، اذا تأهل له ، فقد قال الحافظ ابن الصلاح في النوع الثامن
والعشرين نقلاً عن الخطيب ما نصه : وليشتغل بالتخريج والتأليف والتصنيف
اذا استعد لذلك وتأهل له ، فإنه يثبت الحفظ ويذكي القلب ويشحن الطبع
ويجيد البيان ويكشف الملتبس ، ويكسب جميل الذكر ويخلده الى آخر الدهر .
وما يمهرفي علم الحديث ويقف على غوامضه ويستبين الخفي من فوائده إلا من
فعل ذلك .^(٢)

وهذا ما فعله صاحبنا - رحمه الله تعالى - فإنه كما قال الجمال الإسنى^(٣)
- رحمه الله تعالى - : لما تأهل للنظر والتحصيل رأى في السارعة الى
الخير، أن جعل ما يحصله ويقف عليه تصنيفاً ينتفع به الناظر فيه ، فجعل

(١) قاله الذهبي في العبر ٣٣٤/٣ .

(٢) علوم الحديث ص ١٥٥ .

(٣) هو الامام العلامة عبد الرحيم بن الحسن بن على الاسنوى ، ولد

سنة ٧٠٤ هـ ، وقدم القاهرة وسمع الحديث واشتغل في انواع العلوم

وبرع فيها ولا سيما الفقه ، وصنف التصانيف الحسان ، كالمهمات ،

والطبقات ، ومات سنة ٧٧٢ هـ . ترجمته في الدرر الكامنة ٣٥٤/٢ ،

والبدر الطالع ٣٥٢/١ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ٩٨/٣ ، وغية

الوعاة ص ٣٠٤ ، ومعجم المؤلفين ٢٠٣/٥ .

تصنيفه تحصيلًا ، وتحصيله تصنيفًا ، قال : وهو غرض صحيح وقصد جميل ، قال :
ولولا ذلك لم يتيسر له من التصنيف ما تيسر له . (١)

والأسنوى يشير بهذا الى كثرة مؤلفاته التي عجت بها المكتبات وحققته
رغبة أولى الرغبات ، ولا ريب فقد أرت مؤلفاته على الخمسين مؤلفًا ، هذا
ما ذكر منها ، ولعل ما لم يذكر منها أكثر ، وقد قيل : إن تصنيفه بلغ كل
يوم كراستين أو أكثر (٢) ، فقد حكى عنه تلميذه ابن العطار أنه أمره ببيع نحو
ألف كراسة كان قد كتبها بخطه بعد أن يقف على غسلها في الوراقاة ،
وخوفه ان خالف أمره ، قال : فما أمكنني إلا طاعته والى الآن في قلبي منها
حسرات . (٣)

ولامة في هذا العدد الكبير من مؤلفاته في زمن لم يتجاوز أكثر
من ست عشرة سنة ، لأنه قد كان — رحمه الله — في تصنيفاته كالجواد المسرع
حيث كان يكتب حتى تكل يده ، فاذا كلت يده ، وضع القلم وأنشد :

لئن كان هذا الدم يجري صباية على غير سعدى فهو دمع ضيع (٤)
ولا إخاله في هذا إلا أنه من أهل قوله تعالى : ﴿ والذين يؤتون مائة ألف وقلوبهم
وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسرعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ (٥)

وقد ترك لنا — رحمه الله — مؤلفات كثيرة في الحديث والفقه ،
والتربية ، واللغة والتاريخ . وكلها مؤلفات متينة محققة عمدة لدى العلماء ،

(١) الضهاج السوى ١١ / ب .

(٢) نقله السخاوى ص ٢٤ عن الأذري .

(٣) تحفة الطالبين ١٠ / أ .

(٤) السخاوى ص ٢٤ والبيت لمجنون ليلي . وقبله :
تشوقت ليلي حين غادرت أرضها فقلت وعيني عند ذلك تدمع

(٥) سورة (المؤمنون) آية ٦٠ ، ٦١ .

وحجة لدى مقارنة الخصماء .

ومع أن الله جلّت قدرته لم يمدّ في عمره حتى يتم كثيرا من مؤلفاته التي كان قد شرع فيها ، إلا أنه تبارك وتعالى ، لم يحرمه مأموله في مؤلفاته ، بل جعل تلك المؤلفات توتئ ثمارها ينتفع بها الخاص والعام ، وثمره ذلك عائدة عليه كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له)) (١)

وكانت جهوده - رحمه الله تعالى - منصبّة على الحديث وعلومه والفقه

والتربية واللغة والتراجم والسير .

أمّا الحديث ، فقد ألف فيه مؤلفات نافعة متقنة كشرح مسلم ، ورياض الصالحين ، والأربعين ، وخلاصة الأحكام والسنن ، وشرح البخاري ، وكتاب الاذكار . وهي كلها عمدة المحدثين إذ أن كل واحد في باب عديم النظير .

شرح مسلم المسمى (بالزهج) شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح عظيم لم يشرح الصحيح بمثله على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى تفصيلا ، فانه شرح وسط ملئ علما جمع فيه مع عدم الاطناب ما يحتاجه الطالب ويطمح اليه الباحث من غرر الفوائد ودرر الفرائد التي اختصّ بها صحيح مسلم .

وأمّا رياض الصالحين ، فانه الكتاب الأوحى من بين كتب الهدى والارشاد ، الذي نال رضا المسلمين وعنايتهم به ، لما جمع فيه ما يحتاج اليه المسلم في سائر الأحوال ، واشتمل على ما ينبغي التخلق به من الأخلاق ، والتمسك به من الأقوال والأفعال ، من كتاب الله وسنة نبيه سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - في الوصية ٨٥ / ١١ بشرح النووي ، وأبوداود في الوصية ١٠٦ / ٢ ، والترمذي في الأحكام ٦٥٠ / ٣ ، والنسائي في الصايا ٢٥١ / ٦ ، وأحمد في المسند ٣٧٢ / ٢ .

وأما الأربعين النووية ، فهي الأربعون الوحيدة التي نالت غاية العلماء واهتمامهم والثناء البالغ منهم من بين الأربعينيات الكثيرة ، لما جمع فيها من أحاديث عليها مدار الاسلام ، تعد قواعد من قواعد الأحكام . وأما خلاصة الأحكام من مهلت السنن وقواعد الاسلام ، فإنه كتاب عديم النظير ، لما جمع فيه من أحاديث الأحكام مرتبة على أبواب الفقه ، مميزا الصحيح من الضعيف من الأحاديث التي جرى الفقهاء على الاحتجاج بها في مصنفاتهم ، فهو كتاب عديم النظير كما قال ابن الملقن ، وقال غيره : لا يستغنى المحدث عنها ، خصوصا الفقيه . (١)

وأما شرح البخارى ، فقد كان على نحو ما مر من الكلام على شرح مسلم ، غير أنه كتب منه جزءا يسيرا ، ولو قد رله التمام أو مقارنة ذلك لعم النفع به كما عم بنظيره على مسلم ، غير أن الغية حالت بين ذلك وبين ما يشتهون .

وأما الأذكار ، المسمى (حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار) فهو كتاب عظيم عم نفعه وكبرت فائدته واشتهر ذكره ، لما جمع فيه من عمل اليوم والليلة من الأذكار والأدعية التي تجعل الانسان دائم الصلة بربه ، بأدعية قرآنية وأذكار نبوية ، رافعا أكف الضراعة اليه كما يحب مولانا عز وجل من الإلحاح في الدعاء ، وقد كتبت في هذا المجال كتب كثيرة ، غير أنها لم تحظ بالقبول والرضى كما حظى به هذا الكتاب .

وأما ما ألفه في علوم الحديث : فهو الإرشاد ، والتقريب ، والإشارات الى بيان الأسماء المبهمة .

وهذه الكتب غدت من مراجع العلماء ، ومواضيع دراسة الطلاب الفهماء ،

منها ينبلون ، وبها ينجبون ، ذلك شأنها منذ أن وضعها النـووى
— رحمه الله — .

وأما ما ألفه في الفقه ، كالروضة ، والمجموع ، والنفهاج ، والايضاح ،
والتحقيق ، وغيرها . فأنها عمدة المذهب ، بل ما حرر مذهب الشافعي ونقح
وهذب وصحح الآبها ، فصارت الفروع الفقهية عند علماء الشافعية لا يقرر
فيها ولا يفتى إلا بما قرره الامام النووى أو الامام الرافعي — رحمهما الله تعالى — .

وأما ما ألفه في التربية والسلوك ، كالتبيان في آداب حملة القرآن ،
وستان العارفين ، والأذكار ، كذلك ، فأنها كتب قيمة تهدي الى سنة
النبي — صلى الله عليه وسلم — ونهج السلف الصالح ، خالية عن شطحات
المتصوفة ، ونزعات المبتدعة ، بل كل ما فيها نور وهدى ، ودلالة على طريقة
الأصفياء من عباد الله المصطفين الأخيار .

وأما ما ألفه في التراجم والسير ، كتهديب الأسماء ، وطبقات الفقهاء ،
فهى كتب نافعة ، جمع فيها من التراجم الكثير بأسلوب شائق ، ومنهج واضح
مبين ، وهى من الكتب المعتمدة المعول عليها عند أهل هذا الفن .

وأما كتب اللغة ، كالقسم الثاني من تهذيب الأسماء واللغات ، الذى
هو القسم اللغوى ، وتحرير التنبيه ، فهى كتب نافعة وهادفة بين فيها
الألفاظ اللغوية خدمة لكتب فقهية معينة ، يحتاج اليها طلاب العلم
ولا يستغني عنها اللغويون ، لما فيها من التحرير وصحة النقل عن أهل
هذا الشأن .

وبالجملة ، فإن كتبه كلها حازت الرضا والقبول لدى الكافة ، والجميع
من أهل العلم ينهل من معينها ، ولا ترى أحدا يأنف من الرجوع اليها ،
بل إن من رجع اليها ، فقد عَضَّ رأيه وقوى حجته ، وما من انسان
يقف على مؤلفاته إلا لهج بمدحها —

والثناء والترحم عليه جزاء خدمته للعلم وأهله بتلك المصنفات المتقنة ،
 — فرحمه الله رحمة الأبرار — .

هذا مجمل القول عن مصنفاته ، وسأوفقك الآن على ذكر مؤلفاته واحدا
 واحدا ، موثقا نسبتها إليه ، ومعرفا بها ، ومبيناً مذهبها فيها . وخدمة
 العلماء لها ، مقدما الكتب الفقهية ، فالتربوية ، فكتب التراجم ، ثم كتب
 اللغة . ومؤخرا الكتب الحديثية لجعلها في القسم الثاني من قسمي
 الرسالة لمناسبتها هناك .

الكتب الفقهية :

- ١ - الأصول والفوايد ط .
- ٢ - الايضاح في المناسك .
- ٣ - التحقيق ق .
- ٤ - دقائق المنهاج .
- ٥ - روضة الطالبين وعمدة المفتين .
- ٦ - الفتاوى .
- ٧ - المجموع .
- ٨ - منهاج الطالبين .

(١) - الأصول والضوابط :

عزاه اليه ابن العطار ^(١) ، وابن قاضي شهبه ^(٢) ، والسيوطي ^(٣) ،
والبغدادى ^(٤) وغيرهم .

وقد طبع في دار البشائر الاسلامية عام ١٤٠٦ هـ بتحقيق الدكتور / محمد
حسن هيتوا ، تكلم فيه على تسع مسائل علمية وهى :

- ١ - مذهب أهل الحق في الايمان بالقدر .
- ٢ - العقود الجائزة واللازمة ، واللازمة من جهة وجائزة من أخرى ، واللازمة
من أحدهما مع خلاف في الآخر .
- ٣ - الأسباب المقتضية لفسخ البيع .
- ٤ - ما يقوم فيه الوطء مقام اللفظ .
- ٥ - حكم الضمان في العقود الفاسدة والصحيحة .
- ٦ - ضبط المقدرات الشرعية ، تحديدا وتقريبا وما اختلف فيه .
- ٧ - أقسام الرخص .
- ٨ - أنواع رخص السفر .
- ٩ - ومسألة تعارض الأصل والظاهر ، أو أصلا .

وهو كتاب نفيس في بابه ، ولو قدّر له اتمامه لكانت فائدته أعم وأكثر ،
غير أنه كتب هذه المسائل فقط في أوراق قلائل ومات ولم يتمه ، ويبدو أن ما هو
مطبوع بين أيدينا هو بعضه وليس كل ما وضعه النووى ، فقد رأيت نقولا عنه

-
- (١) تحفة الطالبين ١٠ / ١ .
 - (٢) الطبقات ٢ / ١٥٧ ، وقال : أنه مشتمل على كثير من قواعد الفقه وضوابطه ، ألف
منه أوراقا قلائل .
 - (٣) المنهاج السوى ص ١٨ / أ .
 - (٤) هداية العارفين ٢ / ٥٢٤ .

للمتأخرين وليست موجودة فيما هو مطبوع ^(١) . وقد دعاه الى تأليفه حاجة طالب المذهب بل طالب العلوم مطلقا الى هذه القواعد الجامعة والضوابط المطردة ، وجمع المسائل المتشابهة ، والتمثيل بفروع مستخرجة من أصل أومينية عليه . كما نبّه عليه في مقدمته . ^(٢)

(١) عزب عن ذهني الذي نقل من هذا الكتاب ، وكنت قد وضعته على مقربة مني لأذكره ، ولكن خانتني الذاكرة عن مكانه وصاحبه وعسى الله أن يأتيني بفتح من عنده .

(٢) ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) - الايضاح في المناسك :

(١) أشار اليه في المجموع .
 وعزاه اليه غالب من ترجم له كابن العطار (٢) ، والذهبي (٣) ، وابن قاضي شهبه (٤) ، والسيوطي (٥) ، وحاجي خليفة (٦) ، وابن العماد (٧) ، والبغدادى (٨) ، والزركلي (٩) وغيرهم .
 وهو كتاب قد طبع عدة طبعات ، آخرهن طبعة دار الكتب العلمية في بيروت عام ١٤٠٥ هـ .

وهو الكتاب المشهور من مناسكه التي بلغ بها ابن العطار ستة ، وابن قاضي شهبه خمسة ، والذهبي أربعة . ولم يسم أحد منهم غير هذا إلا ابن العطار ، فإنه ذكر أن أحدها يسمى الأيجاز وأن أحد تلك المناسك خاص بالنسوان .
الباعث على تأليفه :
 قد أبان - رحمه الله - عن سبب تأليفه لهذا الكتاب فذكر أن الحج أحد أركان الدين ومن أعظم الطاعات لرَبِّ العالمين ، وهو شعار أنبياء الله

-
- (١) ٤٧٦/٧ .
 (٢) تحفة الطالبين ١٠/أ .
 (٣) تذكرة الحفاظ ١٤٧٢/٤ .
 (٤) الطبقات ١٥٢/٢ .
 (٥) المضاجج السوى ١٧/أ .
 (٦) كشف الظنون ٢١٠/١ .
 (٧) شذرات الذهب ٣٥٦/٥ .
 (٨) هداية العارفين ٥٢٤/٢ .
 (٩) الاعلام ١٤٩/٨ .
 (١٠) تحفة الطالبين ١٠/أ .

وسائر عباد الله الصالحين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - . قال : فمن أهم الأمور بيان أحكامه وإيضاح مناسكه وأقسامه ، وذكر مصححاته ومفسداته وواجباته وآدابه ومسئولياته ، وسوابقه ولواحقه ، وظواهره ودقائقه ، وبيان الحرم ومكة والمسجد والكعبة وما يتعلق بهما من الأحكام ، وما تميزت به عن سائر بلاد الاسلام ، قال : وقد جمعت هذا الكتاب مستوعبا لجميع مقاصدها مستوفيا لكل ما يحتاج إليه من أصولها وفروعها ومعاهدها الخ .^(١)

وقد رتب الكتاب على ثمانية أبواب :

الباب الأول - في آداب السفر .

الباب الثاني - في الاحرام ومحرماته وواجباته ومسئولياته .

الثالث - في دخول مكة - زادها الله شرفا - وما يتعلق به ، وهو معظم الكتاب ، وفي آخره بيان أركان الحج وواجباته وسننه وآدابه .

الرابع - في العمرة .

الخامس - في المقام بمكة وطواف الوداع ، وفيه جمل مستكثرات مما يتعلق بمكة والحرم والكعبة والمسجد وأحكامها .

السادس - في زيارة مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يتعلق بالمدينة .

السابع - في ما يجب على من ترك في حجه مأمورا أو ارتكب محظورا . وفيه نفائس كثيرة .

الثامن - في حج العبد والصبي ومن في معناهما ، ومعه فصول في آداب الرجوع من السفر ، وآخر في الولاية على الحجيج ، وآخر في أذكار تستحب في كل وقت .

(١) الايضاح ص ٤ وقوله: معادها أراد به ما فيه تعقيد وصعوبة .

أما منهجه فيه :

فقد ذكر فيه من النفائس كل ما تدعو الحاجة اليه ، بحيث لا يخفى على الحاج
 شيء من أمر المناسك في معظم الأوقات ، ولا يحتاج الى السؤال لاحد عن
 شيء من ذلك في أكثر الحادثات ، بأوضح عبارة أو أوجز إشارة بحيث يفهمها
 العامي ولا يستبشعها الفقيه ، ويحذف الأدلة في معظم الأحوال ايثارا للاختصار ،
 وخوفا من الملل بالاكثار .^(١) وإذا ذكرها بين مخرجيها والحكم عليها غالبا ،
 مقتصرافيه على ذكر مذهب الشافعي ، وقلما تعرض لغير مذهبه ، ذاكر القول
 المعتمد في المذهب ، ويشير كثيرا الى الأقوال الأخرى فيه .

ولم يقتصر فيه على ما يحتاج اليه في الغالب ، بل ذكر فيه أيضا كل ما تدعو
 اليه حاجة الطالب ، بحيث لا يخفى عليه شيء من أمر المناسك في معظم
 الأوقات ، ولا يحتاج الى السؤال لأحد عن شيء من أمر المناسك في أكثر
 الحادثات ، قال النووي : وقصدت فيه أن يستغنى به صاحبه عن استفتاء غيره
 عما يحتاج اليه ، قال : وأرجو أن لا يقع له شيء من المسائل إلا وجده فيه
 منصوبا عليه .

ولعله - رحمه الله - أراد من المسائل التي يكثر وقوعها والاستفسار
 عنها ، يحتاج اليها كل أحد . والافلو وازنا هذا الكتاب بالكتب الأخرى في
 الموضوع كعمدة الأبرار في أحكام الحج والاعتمار ، للشيخ على بن عبد البر بن
 عبد الفتاح الحسنى الونائي ت ١٢١٢ هـ . لوجدنا أن الامام النووي قد ترك
 كثيرا من المسائل التي قد يحتاج اليها ، بحيث لا يقع الايضاح إلا نحواً من
 ثلث عمدة الأبرار ، غير أن صاحب العمدة لم يكن قصده كقصد النووي من
 ايضاح العبارة وتقريبها بحيث تغني صاحبها عن السؤال ، بل قصد جمع

(١) انظر الايضاح ص ٥ .

مسائل الحج والعمرة وما يترتب عليها ومالها تعلق بها ليستفيد منها الفقيه والمبتدئ ، ولا يستغنى عنها المنتهى ، فهي بمثابة موسوعة لمسائل الحج ومتعلقاته ولا يدرك فهمها إلا الفقيه أو الطالب النبيه ، وهذا ما لم يقصده النووي كما علمت ، فلذلك ، لم يخل بشرطه ، فأنه ما من مسألة من مسائل الحج أو العمرة أو مالها تعلق بهما التي يكثر وقوعها ، ويحتاج الى فهمها كل أحد ، إلا وهي مودعة في الايضاح بأوضح عبارة أو أيسر إشارة .

أصل هذا الكتاب :

أما أصل هذا الكتاب ، فهو لابن الصلاح كما أفاد ذلك النووي نفسه في المقدمة ، حيث قال : وقد صنف الشيخ الامام أبو عمرو بن الصلاح — رحمه الله تعالى — في الضاسك كتابا نفيسا ^(١) ، وقد ذكرت مقاصده في هذا الكتاب وزدت فيه مثله أو أكثر من النفائس التي لا يستغنى عن معرفتها من له رغبة من الطلاب . ^(٢)

هذا ، وقد فرغ النووي — رحمه الله — من تأليف هذا الكتاب في العاشر من شهر رجب الفرد سنة سبع وستين وستمائة ، كما أفاد هو في آخر الكتاب . ^(٣)

(١) هو صلة الناسك في آداب الضاسك ، انظر مقدمة فتاوى ابن الصلاح ص ٧ ،

وكشف الظنون ٢١٠/١ .

(٢) الايضاح مع الحاشية ص ١٠ .

(٣) ص ٥٧٢ مع الحاشية .

عناية العلماء بالايضاح :

حظي الايضاح في المناسك للامام النووي من العناية ماتتاله سائر كتبه ،
فقد شرحه الشيخ الامام نور الدين علي بن عبد الله السهمودي ت ٩١١ هـ .
(١) ولكن هذا الشرح غير مطبوع ولا أعلم موضع وجوده .

وشرحه أيضا العلامة ابن حجر الهيتمي ت ٩٢٣ هـ ، وضعه على هيئة
حاشية ، وهو مطبوع ، وهو شرح مفيد جدا ملئ علما ومباحث مفيدة ، أثنى في
مقدمته على النووي ثناء بالغا فقال : هذا ما اشتدت اليه حاجة المتفهمين
لايضاح الشيخ الامام ، والصدوق الهمام ، محيي السنة والدين ، وعلم منار الأئمة
المحققين ، سيد وقته وحكيمه ، ومحرر المذهب وعليه ، كيف وقد أجمعت الأئمة
بعده على أنه البالغ في العرفان والاجتهاد ، الغاية القصوى .
(٢)

كما قام أخيرا فضيلة الشيخ عبد الفتاح راوه - نفع الله به - بعمل شرحا
مختصرا على الايضاح لخصه من حاشية ابن حجر ، واقتصر منها على ما لا بد منه
وسماه (الافصاح عن معاني الايضاح) وهو مطبوع .

وشرحه العلامة محمد بن علان الصديقي المكي ت ١٠٥٢ هـ بشرح كبير
يقع في مجلدين ، سماه فتح الفتاح بشرح الايضاح (٣) ، ويوجد عند بعض
علماء اليمن ، وينقل منه صاحب عمدة الأبرار كثيرا ، وهو شرح ملئ بالفائدة
والعلم كما وصفه شيخنا - عافاه الله تعالى وأدام النفع به - .

(١) كشف الظنون ٢١٠/١ ، وهداية العارفين ٢٤٠/١ .

(٢) مقدمة حاشية ابن حجر على الايضاح ص ٣ .

(٣) هداية العارفين ٢٨٣/٢ .

(٣) - التحقيق :

عزاه اليه ابن العطار^(١) ، وابن قاضي شهبه^(٢) ، والسيوطي^(٣) ،
والبغدادى^(٤) وغيرهم .

وهو كتاب نفيس ذكر فيه غالب ما في شرح المذهب ، كما ذكره ابن قاضي
شهبه والسخاوى^(٥) ، وذكر فيه مسائل كثيرة محضة وقواعد وضوابط لم يذكرها
في الروضة ولا غيرها^(٦) . غير أن الله لم يمكّنه من اتمامه بل وصل فيه الى باب صلاة
المسافر .

وهو من الكتب التي مازالت في عالم المخطوطات ، وقد عثرت بحمد الله
تعالى على صورة من مخطوط له في مكتبة جامعة برنستون الأمريكية ، ويبدو من
الصورة التي بين يدي أن الأصل المخطوط ذا خطر رد ، تستوجب قراءته التكلف والعناء .
سبب تأليفه :

وقد ألفيته ذكر في مقدمته الباعث له على تأليفه فقال بعد البسملة
والحمد له : وقد ضعفت الهمم في هذه الأعصار عن حفظ المبسوطات ، بل قل من
يعتني بادامة مطالعة مهماتها المشهورات ، ويحتوى على كتب الشافعي وأئمة
أصحابنا المتقدمين والمتأخرين ، ويحفظ نفايسها البديعات . وقد علم أهل
الاطلاع والعناية ما في هذه الكتب من اختلاف الآراء والاختيارات وتعارض

(١) تحفة الطالبين ١/٩ .

(٢) الطبقات ١٥٦/٢ .

(٣) الضهاج السوى ١٢/ب .

(٤) هداية العارفين ٢/٢٤٥ .

(٥) ، (٦) في الترجمة ص ١٤ .

أقوالهم في الترجيحات بحيث لا يحصل لمتورع الوثوق بأن ما يراه في كتابين
أو ثلاثة هو مذهب الشافعي - رحمه الله - حتى يراه ، وله خبرة في المذهب في
عدة من المصنفات المعتمدة .

قال : فينبغي لقاصد التصنيف ومريد النفع بالتأليف أن يسلك ما هو أنفع
للتالبيين ، وما ينهضهم أولى الخزم من الراغبين ، فهذا شأن من أراد نصح
المسلمين . وإشاعة ما هو سبب لبقاء أحكام الدين . قال : فاستخرت الله
الكريم الرؤوف الرحيم ، في جمع مختصر في معنى جمل من المبسوطات أجمع فيه
إن شاء الله جميع المهمات والمقاصد المطلوبة ما في كتب الشافعي
- رحمه الله تعالى - الحاضرة عندي كالأم ، ومختصرات البويطي ، والمزني ،
والربيع وغيرها من كتبه المعروفة ، وما في كتب متقدمي أصحابنا وتأخيرهم ،
وقد حصل منها عندي - بحمد الله - نحو مائة مصنف من مشهور وغريب ،
وما بين ذلك ، وما في كتب أصحابنا من غريب الفروع ، ككتب الأصول ، وشرح
الحديث ، والطبقات وغيرها من مسائل الفروع المدرجة فيها ، وما في فتاوى
أئمة أصحابنا المتقدمين والمتأخرين من المهمات المستفادة وغير ذلك مما ستقر
به إن شاء الله ، أعين أولي البصائر ، وأدرج فيه مهمات شرح الوجيز للإمام
أبي القاسم الرافعي - رحمه الله - ومما ضمت إليه في الروضة الذي اختصرته
منه ، وألخص فيه متفرقات كلام الأصحاب مع نصوص الشافعي - رحمه الله تعالى -
واضحات متفرقات منقحات ، وأذكر فيه من الفروع المتكاثرات والقواعد
الجامعات ، والأصول المحررة والضوابط المهدبات ، وجميع النفائس المتناسات
والنظائر المتشابهات ، ما لم يجتمع مثله في غيره من المصنفات ، محققا
إن شاء الله كل ذلك بالعبارات الواضحات ، الخ ما ذكر من خطبته
(١)
ومنهجه الكبيرتين .

(١) أنشئت الصفة على سبيل التخليب .

وقد أسهبت في نقل هذه العبارة ، لأنّ الكتاب عظيم وهو مخطوط لا يعلمه
 إلّا الخواص ، ومن علمه لا يعرف أكثر من كونه كتابا فقهيا ، خافيا عليه منزلته بين
 كتب المذهب .

وأغفلت ذكر منهجه فيه ، لأنّ الكتاب مخطوط غير متداول بين الناس على
 أنّها لا تختلف كثيرا عن خطته في المجموع ، والروضة ، والمنهاج .
 وسيأتي بيانها ان شاء الله .

والله أسأل أن يوفق من شاء من عباده لتحقيق هذا القدر من الكتاب
 وإخراجه الى أيدي العلماء والطلاب ليستفيدوا منه ويعلموا قدره .

(٤) - دقائق المنهاج :

أشار اليه في مقدمة المنهاج فقال : وقد شرعت في جمع جزء لطيف على صورة الشرح لدقائق هذا المختصر ، قال : ومقصودى به التبيه على الحكمة في العدول عن عبارة المحرروفي الحاق قيد أو حرف أو شرط للمسألة ونحو ذلك . (١)

وقد عزاه اليه ابن العطار (٢) ، والزركلي (٣) ، ورضا كحاله (٤) ، وهو جزء

صغير مطبوع يقع في ٣٣ ص من القطع الوسط .

قال في مقدمته بعد الحمد له : أما بعد ، فهذا كتاب في شرح دقائق ألفاظ المنهاج والفرق بين ألفاظه وألفاظ المحرر . (٥)

وهو كتاب نفيس في بابه شرح فيه المفردات الغامضة وأبان فيه النكات الخفية في المنهاج ، ونبه على الفائدة في مخالفته للرافعي في المحرر بزيادة قيد أو تقديم أو تأخير . وهذه الأمور قد تخفى على العلماء فضلا عن التلاميذ إذ لا تدرك إلا لمن كان ماهرا في الفقه متمكنا في المذهب ، وقد أدرك النووي هذا فبسط كتابه ذلك بوضع هذه الدقائق فعمت به الفائدة .

وقد طبع الكتاب بمكة المكرمة عام ١٣٥٣ هـ بالمطبعة الماجدية باسم

شرح دقائق المنهاج ، وكتب على طرته بيتان بديعان لم يعلم قائلهما

(١) المنهاج مع السراج الوهاج ص ٧ .

(٢) تحفة الطالبين ١٠ / ١ .

(٣) الاعلام ١٤٩ / ٨ .

(٤) معجم المؤلفين ٢٠٢ / ١٣ .

(٥) ص ٢ .

وهما :

إذا رمت للضباح فهم الدقائق فبادر هديت الرشد نحو الدقائق
 كتاب جليل كم به من دقائق ولكنه يقرى بهضغ دقائق (١)

(١) يحمل البيت الأول والثاني جناسا تاما ، وذلك لأن قوله : الدقائق في صدر البيت الأول جمع دقيقة وهي المسألة المهمة الخفية ، والدقائق في عجزها أراد به الكتاب المتحدث عنه . وقوله : دقائق في الشطر الأول من البيت الثاني جمع دقيقة ، وهي المسألة المهمة الخفية أيضا ودقائق في الشطر الثاني من البيت الثاني جمع دقيقة ، وهي الزمن المعروف .

(٥) - روضة الطالبين وعمدة المفتين :

- (١) أشار النووي - رحمه الله - الى تأليفه لها في شرح مسلم
وتهذيب الأسماء واللغات . (٢)
- وعزاها اليه جل من ترجم له كابن العطار ت ٧٢٤ هـ ، (٣) والذهبي
ت ٧٤٨ هـ ، (٤) والياضي ت ٧٦٨ هـ ، (٥) وابن كثير ت ٧٧٤ هـ ، (٦) وابن
قاضي شهبه ت ٨٥١ هـ ، (٧) والسيوطي ت ٩١١ هـ ، (٨) وحاجي
خليفة ت ١٠٦٨ هـ ، (٩) وابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ ، (١٠) والبغدادى
ت ١٣٣٩ هـ ، (١١) والزركلي (١٢) . اختصرها مؤلفها - رحمه الله تعالى -
من شرح الوجيز للرافعي ت ٦٢٣ هـ ،سمى بفتح العزيز على كتاب الوجيز
للغزالي .

-
- (١) ١٨٣/١ .
(٢) ٤٣ ، ٣٨/١ .
(٣) تحفة الطالبين ١/١٠ .
(٤) تذكرة الحفاظ ١٤٧٢/٤ .
(٥) مرآة الجنان ١٨٢/٤ .
(٦) البداية والنهاية ٢٧٩/١٣ .
(٧) طبقات الشافعية ٢٥٧/٢ .
(٨) الضهاج السوى ١/١٢ .
(٩) كشف الظنون ٩٢٩/١ .
(١٠) شذرات الذهب ٣٥٧/٥ .
(١١) هداية العارفين ٥٢٤/٦ .
(١٢) الاعلام ١٤٩/٨ .

سبب تأليفها :

أما الباعث على تأليفها ، فقد بينه في مقدمتها ، فقال بعد أن أثنى على فتح العزيز ثناء بالغاً مانصه : لکنه كبير الحجم لا يقدر على تحصيله أكثر الناس في معظم الأوقات ، فألهمني الله سبحانه وله الحمد أن أختصره في قليل من المجلدات ، فشرعت فيه قاصدا تسهيل : طريق الانتفاع به لأولى الرغبات منهجها فيها : أما منهجها فيها فقد بينه بقوله : أسلك فيها إن شاء الله طريقة متوسطة بين المبالغة في الاختصار والايضاح ، فأنتها من المطلوبات ، وأحذف الأدلة في معظمه ، وأشير إلى الخفي منها : اشارات ، واستوعب جميع فقه الكتاب حتى الوجوه الغريبة المنكرات ، وأقتصر على الأحكام دون الملاحظات اللفظيات ، وأضمت إليه في أكثر المواطن تفريعات ومتممات وأذكر مواضع يسيرة على الإمام الرافعي فيها استدراكات منيها على ذلك قائلا في أوله : قلت : وفي آخره : والله أعلم ، في جميع الحالات ، وألتزم ترتيب الكتاب إلا نادرا لغرض من المقاصد القليلات . قال : وأرجوان تم هذا الكتاب أن من حصله ، أحاط بالمذهب وحصل له أكمل الوثوق به ، وأدرك جميع ما يحتاج إليه من المسائل الواقعات ، قال : وما أذكره غريبا من الزيادات غير مضاف إلى قائله قصدت به الاختصار ، وقد بينتها في شرح المذهب وذكرتها فيه مضافات ، ثم بين اصطلاحه فيه في التعبير عن الأقوال في المذهب ، فقال : حيث أقول على الجديد ، فالقديم خلافة ، أو القديم ، فالجديد خلافة ، أو على قول على الصحيح أو الأصح ، فهو من الوجهين . وحيث أقول على الأظهر ، أو المشهور ، فهو من القولين . وحيث أقول على المذهب ، فهو من الطريقين أو الطرق ، وإذا ضعف الخلاف ، قلت : على الصحيح ، أو المشهور ،

واذا قوى ، قلت : على الأصح ، أو الأظهر ، قال : وقد أصرّح ببيان الخلاف في بعض المذكورات ^(١) .

قال السيوطي : ورأيت بخطه فيها أنه ابتداء في تأليفها يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان سنة ست وستين وستمئة ، قال : وختمها يوم الأحد خامس عشر ربيع الأول سنة تسع وستين ^(٢) ، فكانت مدة تأليفه لها سنتين وستة أشهر تقريبا ، وتقع في اثني عشر مجلدا من القطع المتوسط طباعة المكتب الاسلامي في سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف ، وهي عمدة المذهب وروضة كاسمها .

(١) الروضة ٨ / ٥ - ٦ ، وهذا هو الاصطلاح الذي سلكه في الضهاج أيضا .

(٢) الضهاج السوي ١٢ / ١ ، وقد نصّ المؤلف على تاريخ الفراغ في نهاية

الكتاب ٣١٦ / ١٢ .

ثناء العلماء على الروضة :

إن ثناء العلماء على الروضة كثير ، وذلك دال على مكانة هذا الكتاب ،
وساقتطف بعضاً من عباراتهم في ذلك ، .

فقال الاسنوى في المهمات^(١) كما ذكر السيوطي مانصه : (وكانت ، أنفس ما تؤثر من
تصانيفه ، لبركات أنفاسه ، وتأثر من ثمرات غراسه ، غرس فيها أحكام الشرع
ولقحها ، وضم إليها فروعا كانت منتشرة فهذبها ونقحها ، فلذلك حلا
ينبوعها ، وسقت فروعها ، وطابت أصولها ، ودنت قطوفها . الى أن قال :
وتلك منقبة قد أطاب الله ذكرها وثناها ، وموهبة قد نرفع سمكها ونهاها ،
ومن أسر سريرة ألبسه الله رداءها .^(٢)

ونقل السيوطي عن الجواهر^(٣) قوله : فإن الروضة لما جمعت أشات
المذهب ، وقطعت علق أسباب المطلب ، لاشتمالها على أحكام الشرع الكبيره
واختصاصها بزيادات أحجم عنها الكثير ، وردت من قبول الكافة موردا لا مصدر
فيه لبعض ، وعقد لوقوفهم عند حكمها موثقاً فلن تبرح الأرض ، فلذلك تمسكوا
بفروعها وأغصانها ، وتعلقوا بأصولها وأقبالها ، حتى صارت منزل قاصدهم ،
وضهل واردهم .^(٤)

ومن اتنى على الروضة ، أحمد بن حمدان الأذري ت ٧٨٣ هـ ، في
كتابه " التوسط والفتح بين الروضة والشرح " ^(٥) ، فقال : هي عمدة أتباع

-
- (١) على الروضة ، انظر كشف الظنون ١٩١٤/٢ وسيأتي الحديث عنها .
 - (٢) المضهاج السوى ١٢/ب .
 - (٣) لعله يريد جواهر البحرين في الفروع لجمال الدين عبد الرحيم الاسنوى ،
المتحدث عنه الآن . انظر كشف الظنون ٦١٣/١ .
 - (٤) المضهاج السوى ١٢/ب .
 - (٥) كشف الظنون ٩٣٠/١ .

المذهب في هذه الأمصار ، بل سار ذكرها في النواحي والأقطار ، فصارت كتاب
 المذهب المطول ، واليهما المفزع في النقل وعليهما المعول ، فاليهما يلجأ
 الطالب النبيه ، وعليهما يعتمد الحاكم في أحكامه ، والمفتي في فتاويه ، وما ذاك
 إلا لحسن النية وإخلاص الطوية^(١) .

ولما كانت الروضة بهذه المكانة عند أرباب المذهب ، اعتنى بها العلماء
 فمن مختصر لحجتها الكبير ، وناقذ بصير ، ومدافع خبير ، ومزيد عليها النزر
 اليسير ، ومفرد زياداتها عن الشرح الكبير ، مما دل على مبلغ العناية بها
 وعظم مكانتها وعظمة مؤلفيها .

(١) السخاوي ص ٢٣ .

(٢٣٠)

فتمن غنى باختصارها :

- ١ - القطب محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي ت ٧٢٢ هـ ، لكنه لم يكمل . (١)
- ٢ - وعلى بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن مفرج الأنصاري ت ٧٤٠ هـ . (٢)
- ٣ - والشمس محمد بن عبد المنعم المنفلوطي المعروف بابن السبعين ت ٧٤١ هـ . (٣)
- ٤ - والشمس محمد بن أحمد بن عبد المؤمن اللبان ت ٧٤٩ هـ ، لكنه لم يشتهر لغلاظة لفظه . (٤)
- ٥ - والنجم عبد الرحمن بن يوسف أبو القاسم الأصبهاني ت ٧٥١ هـ . (٥)
- ٦ - والجمال محمد بن أحمد بن محمد الشريشي ت ٧٦٩ هـ . (٦)
- ٧ - وفتح الدين محمد بن علي بن اسماعيل البستاني قاضي المرتاحية ت . في مجلد ين لطيفين . (٧)
- ٨ - والشرف أبو الروح عيسى بن عثمان الغزي مصنف أدب القضاء ت ٧٩٩ هـ . (٨)
- ٩ - والشمس محمد بن علي بن جعفر البلالي ت ٨١٢ هـ . (٩)

-
- (١) السخاوي ص ٢٢ ، وهداية العارفين ١٤٥/٢ .
 - (٢) الدرر الكامنة ٩٩/٣ ، ومعجم المؤلفين ١٨٢/٢ .
 - (٣) السخاوي ص ٢٢ ، وكشف الظنون ٩٣٠/١ .
 - (٤) السخاوي ص ٢٢ ، وهداية العارفين ١٥٥/٢ .
 - (٥) السخاوي ص ٢٢ ، وكشف الظنون ٩٣٠/١ .
 - (٦) السخاوي ص ٢٢ ، وكشف الظنون ٩٢٩/١ ، والدرر الكامنة ٣٥١/٣ .
 - (٧) السخاوي ص ٢٢ .
 - (٨) البدر الطالع ٥١٥/١ ، ومعجم المؤلفين ٢٨/١٤ ، والسخاوي ص ٢٣ .
 - (٩) السخاوي ص ٢٣ ، ومعجم المؤلفين ٣١٣/١٠ .

- ١٠ - والزين أبو العباس أحمد بن الشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد بن محمد البكري ت ٨١٩ هـ ، بكتاب سماه (عمدة المفيد وتذكرة المستفيد) . (١)
- ١١ - وكان قد اختصرها من قبله والده لكنه لم يكمل . (٢)
- ١٢ - ومحيى الدين أحمد بن النحاس ت ٨١٤ هـ نزيل دمياط لكنه لم يكمل . (٣)
- ١٣ - وشرف الدين اسماعيل بن أبي بكر المعروف بابن المقرئ اليماني ت ٨٣٢ هـ . وهو أشهر مختصرات الروضة وأكثرها تداولاً وعاية عند العلماء وأسماء الـروض . (٤)

- (١) السخاوى ص ٢٣ ، وايضاح المكنون ١٢٤/٢ .
- (٢) السخاوى ص ٢٣ .
- (٣) الضوء اللامع ٢٠٣/١ - ٢٠٤ ، وانباء الغمر ٢٤/٢ - ٢٥ ، وانظر رسالة محمد خالد الاسطنبولي لتحقيق مشاريع الأشواق الى مصارع العشاق ، ومثير الغرام الى دار السلام لأحمد بن ابراهيم بن محمد المشهور بابن النحاس ص ١٢
- (٤) السخاوى ص ٢٣ ، وكشف الظنون ٩١٩/١ ، ولأهمية هذا المختصر اعتنى به العلماء فاختره الحافظ ابن حجر ت ٨٥٢ هـ ثم شرحه شرحاً جامع فيه فوائد لاتحصى أسماء ...
- وشرح الروض ، القاضي زكريا بن محمد الانصارى ت ٩٢٩ هـ شرحاً بليغاً أسماء (أسنى المطالب شرح روض الطالب) .
- وممن اختصر الروض التقى يحيى بن يوسف الكرمانى ولد شارح البخارى . وممن شرح الروض ، تلميذه ابن المقرئ سراج الدين عمر بن محمد الزبيدى ت ٨٨٢ هـ ، وسماه (الالهام لما فى الروض من الأوهام) . انظر كشف الظنون ٩١٩/١ ، وهداية العارفين ٧٩٤/١ ، والبدر الطالع ٥١٣/١ ، ومعجم المؤلفين ٣١٤/٧ .

- ١٤ - والشهاب بن رسلان أحمد بن الحسين الرملي ت ٨٤٤ هـ . (١)
- ١٥ - والشمس محمد بن محمد بن محمد الحجازي القليوبي ت ٨٤٩ هـ ، ووصف مختصره بأنه مختصر حسن وأنه زاد عليها أشياء مفيدة . (٢)
- ١٦ - والشيخ برهان الدين بن موسى الكركي الشافعي ت ٨٥٣ هـ . (٣)
- ١٧ - وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١ هـ ، كما أفاده بنفسه في المنهج السوي عند ذكر الروضة بقوله : وقد شرعت في تلخيص أحكامها من غير ذكر الخلاف ، وضمت اليها زيادات شرح المذهب وبقية تصانيفه - يعني النووي - وتصانيف من بعده كابن الرفعة والسبكي والاسنوي وغيرهم .
- قال في كشف الظنون : تسمى : الغنية ولم يتم . (٥)

-
- (١) السخاوي ص ٢٣ ، وكشف الظنون ٩٣٠/١ .
- (٢) السخاوي ص ٢٣ ، وكشف الظنون ٩٣٠/١ ، وهداية العارفين ١٩٦/٢ .
- (٣) كشف الظنون ٩٢٩/١ ، ومعجم المؤلفين ١١٨/١ .
- (٤) ص ١/١٣ .
- (٥) كشف الظنون ٩٢٩/١ .

وأما من اعتنى بشرحها فكثيرون منهم :

- ١ - شهاب الدين أحمد بن حمدان الأذري ت ٨٧٣ هـ ، في كتاب أسماه التوسط والفتح بين الروضة والشرح ^(١) ، يقع في عشرين مجلداً .
- ٢ - للبدر الزركشي أبي عبد الله محمد بن البهادر ت ٧٩٤ هـ كتاب اسمه خادم الشرح الكبير والروضة ^(٢) ، يقع في أربعة عشر مجلداً شرح فيه مشكلات الروضة وفتح مغلفات فتح العزيز وشخه بالفوائد الزوائد من المطلب لابن الرقعة وغيره ^(٣) .
- ٣ - وجاء أحمد بن عبد الله الدلحي المصري ت ٨٣٨ هـ فعمل الجمع بين التوسط للأذري ، والخادم للزركشي ، مع زيادات في مجلدين ^(٤) .
- ٤ - وعمل محمد بن أحمد بن زهرة الدمشقي ت ٨٤٨ هـ تعليقا على الشرح والروضة في ثمان مجلدات ^(٥) .
- ٥ - وألف عز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة ت ٨١٩ هـ نكتا عليهم ^(٦) .

-
- (١) كشف الظنون ٩٣٠/١ ، وشرذات الذهب ٢٧٨/٦ .
 - (٢) شرذات الذهب ٣٣٥/٦ ، هدية العارفين ١٧٥/١ ، والمستدرک علی معجم المؤلفين ص ٦١٣ .
 - (٣) الدرر الكامنة ١٧/٤ ، ومقدمة البرهان له ٧/١ .
 - (٤) إيضاح المكنون ٣٦٦/١ .
 - (٥) البدر الطالع ٢٧٦/٢ ، وهداية العارفين ١٩٥/٢ ، ومعجم المؤلفين ٩٨/١٢ .
 - (٦) بغية الوعاة ص ٢٦ .

٦ - وشرح الحافظ ابن حجر قطعا منها .^(١)

وَألف محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الغزى ت ٩٨٤ هـ ،
كتابا لتحريير الخلاف في الروضة أسماء " فتح المغلق لما في الروضة من
الخلاف المطلق " .^(٢)

أما الذين اعتنوا بزوائد الروضة فمنهم :

١ - نجم الدين محمد بن عبد الله بن قاضي عجلون ت ٨٧٦ هـ في كتاب سماه
" التاج في زوائد الروضة على الفهاج " .^(٣)

٢ - وجلال الدين السيوطي في كتاب سماه " ينبوع فيما زاد على الروضة من
الفروع) " .^(٤)

كما قام الامام السيوطي - رحمه الله - بنظم الروضة ، فنظم من أولها الى
الحيف ، ومن الخراج الى السرقة ، وسمى هذا النظم " الخلاصة " ، ثم
شرح هذا النظم بكتابه سماه " رفع الخصاصة " .^(٥)

(١) السخاوى ص ٩٣ .

(٢) معجم المؤلفين ٢٧٠/١١ .

(٣) كشف الظنون ٩٣٠/١ ، ومعجم المؤلفين ٢٢٣/١٠ ، والبـ د ر

الطالع ١٩٢/٢ .

(٤) كشف الظنون ٩٢٩/١ .

(٥) " " ٩٢٩/١ .

وأما من كتب حواشي عليها فكثيرون منهم :

- ١ - عمر بن أبي الحزم بن عبد الرحمن بن يونس الكثاني ت ٧٣٨ هـ ، قال^(١) :
السخاوى : وولع بمناقشة النووى فيها وجرد هذه الحواشي بعض أصحابه
من غير علمه ، قال : وليس فيها كبير طائل بل في غالبها تعنت ، قال :
ورقني التقي السبكي على بعضها . وأجاب عن كلامه .^(٢)
- ٢ - ومنهم سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ت ٨٠٥ هـ ، قال في كشف^(٣)
الظنون : ولم يكملها وجمعها . ولده علم الدين صالح بن عمر ت ٨٦٨ هـ .^(٤)
- ٣ - ومنهم جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني ت ٨٢٤ هـ ،
ولد سراج الدين المارآنفا ، وجرد لها أخوه علم الدين صالح بن عمر
المقدم ذكره ، وجمع بينهما وبين حواشي والدهما - رحمة الله
عليهم أجمعين - .^(٥)
- ٤ - ومنهم برهان الدين إبراهيم بن أحمد البيجورى ت ٨٢٥ هـ .^(٦)
- ٥ - ومنهم جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١ هـ كتب
عليها حاشيتين كبيرى وصغرى ، وسمى الكبرى أزهار الفضة .^(٧)

-
- (١) كشف الظنون ٩٢٩/١ ، وشذرات الذهب ١١٢/٦ ، وطبقات
السبكي ٢٤٥/٦ ، ومعجم المؤلفين ٢٨٠/٢ .
 - (٢) السخاوى ص ٢٣ .
 - (٣) السخاوى ص ٢٣ ، وكشف الظنون ٩٣/١ ، ومعجم المؤلفين ٢٨٤/٢ .
 - (٤) كشف الظنون ٩٣٠/١ .
 - (٥) السخاوى ص ٢٣ .
 - (٦) كشف الظنون ٩٣٠/١ ، ومعجم المؤلفين ٧/١ .
 - (٧) كشف الظنون ٩٢٩/١ .

وكما اعتنى العلماء بالروضة شرحا وتعليقا واختصارا وتبيين زوائد هـ ،
اعتنوا بتصحيحها وتعقب عليها .

فألف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ كتابا أسماه
(تصحيح الروضة) .^(١) كتب فيه ثلاثة مجلدات فقط .

وَألف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١ هـ كتابا أسماه
(العذب السلسل ، في تصحيح الخلاف المرسل في الروضة) .^(٢)

وَألف محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الغزى ت ٩٨٤ هـ ،
كتابا سماه (فتح المغلق لما في الروضة من الخلاف المطلق) .^(٣)

وَألف جمال الدين عبد الرحيم بن حسن بن علي الاسنوى ت ٧٧٢ هـ كتابا
تعقب فيه النوى في الروضة والرافعي في الشرح الكبير ، وسماه المهمات
والتقيح فيما يرد على التصحيح) .^(٤) أكثر فيه من الاعتراض عليهم وقصد
تخطئتهما ، فلفت بذلك انتباه العلماء وأنعموا النظر في كلامه وتحروا الصواب
من مرامه ، فاهتموا بهذه المهمات وبينوا ما فيها من مدلهات ، فمن مختصر
لها وشارح موضح مرامها ، وتعقب مبين عورها وزيفها .

وذلك لأن الاسنوى امام جليل وأورد الكلام قصدا ، ولو أورده ساذجا لم
يلتفت اليه .^(٥)

(١) كشف الظنون ٩٣٠ / ١ ، ومقدمة فتح الباري ١٥ / ط ك ، ومقدمة
المطالب العالية ص (ز) .

(٢) كشف الظنون ٩٣٠ / ١ .

(٣) معجم المؤلفين ٢٢٠ / ١١ .

(٤) طبقات الاسنوى ٥ / ١ ، والبدر الطالع ٣٥٢ / ١ ، وهداية العارفين ٥٦١ / ١ ،

وكشف الظنون ٩٣٠ / ١ ، الاعلام ٣٤٤ / ٣ ، والدرر الكامنة ٤٦٣ / ٢ .

(٥) كشف الظنون ١٩١٥ / ٢ .

فكان أول من اهتم بهذه المهمات هو علاء الدين مغلطاي بن قليش بن عبد الله المصري الحنفي ت ٧٦٢ هـ ، فرتبها على أبواب الفقه . (١)
ثم جاء أحمد بن موسى بن الوكيل ت ٧٩١ هـ ، فعمل كتابا اختصر فيه المهمات وسماه (مختصر المهمات) . (٢)

واختصرها كذلك شمس الدين محمد بن عبد الله الصرخدي ت ٧٩٢ هـ . (٣)
واختصرها أيضا أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي ت ٨٢٦ هـ . (٤)
واختصرها سراج الدين عمر بن محمد اليمني الزبيدي المعرف بالفتي ت ٨٨٢ هـ . اختصارا حسنا ، اقتصر فيه على ما يتعلق بالروضة خاصة مع مباحثة الاسنوى واستدراك كثير . (٥)

ولخصها تلخيصا حسنا أحمد بن عبد الله الغزي ت ٨٢٢ هـ . (٦)
كما لخصها تقي الدين أبو بكر بن محمد الحصني الدمشقي ت ٨٢٩ هـ في مجلدين . (٧) وعلق عليها ، وبعضهم يقول شرحها شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد الأذري ت ٨٧٣ هـ . (٨) غير أنه لم يكمله .

-
- (١) كشف الظنون ١٩١٥/٢ ، والبدر الطالع ٣١٢/٢ .
(٢) " " ١٩١٥/٢ ، بغية الوعاة ص ١٧١ ، ومعجم المؤلفين ١٨٩/٢ .
(٣) كشف الظنون ١٩١٥/٢ ، هداية العارفين ١٧٤/٢ ، وشذرات الذهب ٣٢٥/٦ ، ومعجم المؤلفين ٣٢٥/٦ .
(٤) كشف الظنون ١٩١٥/٢ ، هداية العارفين ١٢٣/٢ ، وشذرات الذهب ١٧٣/٢ .
(٥) كشف الظنون ١٩١٥/٢ ، هداية العارفين ٧٩٤/١ ، والبدر الطالع ٥٩٣/١ ، ومعجم المؤلفين ٣١٤/٢ .
(٦) كشف الظنون ١٩١٥/٢ ، ومعجم المؤلفين ٢٨٥/١ ، وشذرات الذهب ١٥٣/٢ .
(٧) كشف الظنون ١٩١٥/٢ ، والبدر الطالع ١٦٦/١ ، ومعجم المؤلفين ٧٤/٣ .
(٨) " " ١٩١٥/٢ ، هداية العارفين ١١٥/١ .

وكتب عليها عز الدين حمزة بن أحمد الدمشقي الحسيني ت ٨٧٤ هـ
(١)

تتمت .

ورد عليه - أي الاسنوى - الشيخ شرف الدين عيسى بن عثمان
ت ٧٩٩ هـ ، بكتاب سماه " مدينة العلم " . (٢)

وكتب سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ت ٨٠٥ هـ عليها حواشي سماها
(٣)
(معرفة الملهمات برد المهمات) .

كما استدرك عليه زين الدين بن عبد الرحيم بن حسين العراقي ت ٨٠٦ هـ ،
(٤)
بكتاب سماه (مهمات المهمات) .

وكتب أحمد بن العماد الأقفهسي ت ٨٠٨ هـ تعليقا عليها أكثر فيه من
تخطئة الاسنوى ونسبه الى سوء الفهم وفساد التصور ، وسماه (التعقبات على
المهمات) (٥) ولم يضمنه من ذلك تلمذته للاسنوى ، ابتغاء للهدى واتباعا للحق ،
ووصف الرشيدى هذه التعقبات بقوله :-

(٦)
وكتب على مهمات شيخه كتابا حافلا ، فيه تعقبات نفيسة .

(١) كشف الظنون ١٩١٥/٢ ، وهداية العارفين ٣٣٧/١ .

(٢) " " ١٩١٥/٢ ، وهداية العارفين ٨١٠/١ ، والبدر

الطالع ٥١٥/١ ، وهداية العارفين ٨٠٩/١ .

(٣) كشف الظنون ١٩١٥/٢ ، وهداية العارفين ٧٩٢/١ ، ومعجم

المؤلفين ٢٨٤/٧ .

(٤) كشف الظنون ٩٣٠/١ ، وهداية العارفين ٥٦٢/١ ، والبدر

الطالع ٣٥٥/١ .

(٥) كشف الظنون ١٩١٥/٢ ، وهداية العارفين ٩٣/١ ، والبدر

الطالع ٩٣/١ .

(٦) بلوغ المراد على فتح الجواد شرح منظومة ابن العماد في المعقولات ص ٣ .

ونكت عليها القاضي تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن شهبه ت ٨٥١ هـ ،
 بكتاب سماه (المسائل المعلمات بالاعتراضات على المهمات)^(١) رد فيه على
 تعقبات الاسنوى على الشيخين الرافعي والنووي .

كما نكت عليها عز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة ت ٨١٩ هـ .^(٢)
 وناقشه سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد الزبيدي البيهقي المعروف
 بالفتي ت ٨٨٢ هـ في مختصره للمهمات واستدرك عليه كثيرا .^(٣)

وأفرد الفتى المذكور تعقباته عليه بمصنف سماه (التبيكات الواردة على
 مواضع من المهمات)^(٤) .

ومن غنى بتتبع الاسنوى في مهماته ، الامام أحمد بن محمد بن علي بن حجر
 الهيتمي ت ٩٢٤ هـ . في كتابه (تحفة المحتاج بشرح المنهاج) - منهاج
 الطالبين للنووي الآتي ذكره - حيث تعقبه في جل مهماته بالتضعيف والتفليط ،
 وكتابه (تحفة المحتاج) هو مرجع المتأخرين من أصحاب الشافعي وعليه المعول ،
 بالاضافة الى (النهاية) للرملي ، لكون هذين الكتابين حررا المذهب وأتيا
 بحاصل كلام الشيخين الرافعي والنووي مع زيادة تحرير ودققة تعبير .
 وكتب عليها عز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة ت ٨١٩ هـ نكتا عليها .^(٥)

(١) كشف الظنون ١٩١٥/٢ ، ومقدمة طبقات الاسنوى ٧/١ ، ومعجم

المؤلفين ٢٣٢/٨ ، وايضاح المكنون ٤٧٥/٢ .

(٢) كشف الظنون ١٩١٥/٢ .

(٣) " " ١٩١٥/٢ ، والبدر الطالع ٩٣/١ ، وهداية

العارفين ٧٩٤/١ ، ومعجم المؤلفين ٣١٤/٧ .

(٤) بغية الوعاة ص ٢٦ .

(٥) " " ص ٢٦ .

وكما نقد الاسنوى الروضة بكتابه (المهمات) ، نقدها كذلك الأذري في كتابه (التوسط) ، غير أنه لم يعن بنقدها كما فعل الاسنوى ، وإنما أشار في مقدمة الكتاب المذكور الى نقده لها ، فقال بعد أن أثنى عليها بما تقدم ذكره : غير أنه اختصرها من كتاب الامام الرافعي - رحمه الله - من نسخ فيها سقم فجاء في مواضع منها خلل ، فأنه اعتمد في اختصاره على نسخة الامام البادرائي ، واستعان عليها بنحوها . قال : فحصل بذلك نقص وخلل يخفى على المبتدى ويشكل على المفتي . (١)

كان هذا هو نقد أحمد بن حمدان الأذري للروضة ، ولا ريب أن من تأمله وهو يعلم مكانة الامام النووي من حيث التحقيق والتدقيق أنه لا يستسيغ هذا النقد لأمر :

الأول : أن النووي - رحمه الله - ما كان ليخفى عليه مدى صحة النسخ التي اعتمد عليها في اختصار الأصل ، لما علم عنه من سعة الاطلاع وامامته في المذهب ، فدعوى أنه اعتمد على نسخة سقيمة ، بعيدة ، ان كيف يصدر منه ذلك وهو يريد أن يحرر كتابا يجعله عمدة المذهب ، كما عبر عن ذلك في مقدمة الكتاب بقوله : وأرجوان تم هذا الكتاب أن من حصله احاط بالمذهب وحصل له أكمل الوثوق به ، وكما أفهمه من اسمها حيث سماها (روضة الطالبين وعمدة المفتين) ، واحتمال عدم اطلاعه على سقمها أبعد لما أشرت الى امامته وتبحره في المذهب حتى غدا شيخ المذهب في عصره بلا منازع ، ويدفع هذا الاحتمال بمن هو أقل منه شأنا ، فكيف به ؟ .

الثاني : سلطنا أنه اعتمد على أصول سقيمة ، فكيف يتجاسر على اعتمادها في كتاب أراد أن يكون عمدة المذهب ، أليس ذلك دليلاً على كمال الوثوق بالأصل والاحاطة بالمذهب بحيث لا يخفى عليه الاخلال والسقط فيأمن معه غوائل سقم الأصل حيث يقوم باصلاحه واتمامه ؟ .

الثالث : أن هذا النقد يدعو الى عدم اعتماد الروضة في المذهب لكونها غير موثوقة بها ، لأنها متولدة من أصل سقيم ، ولا يطلع من السقيم إلا أشد سقماً . وهذا يخالف ما عليه جمهور الشافعية من عهد النووي الى عصرنا هذا ، حيث اعتمدوا الروضة اعتماداً كاملاً وأصبحت من أهم بل أهم كتب المذهب ولو كانت كما زعم الأذري ، لما احتلت هذه المكانة ونالت ذلك الاهتمام الذي تقدمت الإشارة اليه .

فان قيل : أن ارادة النووي - رحمه الله - غسلها قبل موته ، وقوله : في نفسي منها شيء دليل على صحة زعم الأذري .

أجيب : بأن النووي - رحمه الله تعالى - إنما أراد ذلك لأنه أرادها أن تكون عمدة المذهب ، ولما كان شأنها كذلك ، وهو يعلم ماتعنى هذه الارادة من أن تبعثها عظيمة .

والحال ، أنه - رحمه الله - ألفها في مدة وجيزة لاتزيد عن سنتين ونصف السنة ، ولم يتهياً له مراجعتها وانعام النظر فيها حتى لا يبقى لمتعقب كلام ، ويجعل لمتعنت لجسام ، فلما كان الأمر ما ذكر ، راودته الفكرة تلك ان صح نقلها ليبراً من تبعثها ويأمن زلة القدم وسبق اللسان الذين لم يعصم منهما إلا المعصوم - صلى الله عليه وسلم - وكان ذلك ورعاً منه . غير أنه لما علم أنها قد سارت بها الركبان ، أحجم عن ارادته تلك ، ورضى بعمله ذلك ، واحتسب

أجره عند الله ، ولو كان يعلم أنها لا تصلح لما أراد منها ، لما أعجزه أن يرجع عنها ويبرأ من مسئوليتها ، ولو كانت قد بلغت بين المشرقين ، وله في إمامه الشافعي - رحمه الله - أسوة في ذلك ، حيث رجع عن مذهب قد انتشر في الأرض فلا ينسب إليه منه شيء إلا مسائل معدودة .

هذا ، وقد فرغ النووي - رحمه الله - من تأليف الروضة في يوم الأحد الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وستمائة للهجرة ، كما وجد في آخر الكتاب . والحمد لله رب العالمين .

٦ - الفتاوى :

هذا الكتاب من كتبه المهمة النافعة الفقهية . وقد عزاه اليه ابن العطار^(١) ،
والذهبي^(٢) ، وابن قاضي شهبه^(٣) ، والسيوطي^(٤) ، والبغدادى^(٥) ، والزركلى^(٦) ،
وغيرهم .

غير أن عنوانه كان محل خلاف بينهم ، فبينما يذكره ابن العطار بالعنوان
الذى ذكره ، يذكره غيره بخلافه ، فذكر السيوطي أن عنوانه " المسائل المنثورة " .
قال : وهى المعروفة بالفتاوى . وذكره حاجي خليفة بعنوان " المنثورات " ، وعيون
المسائل المهمات^(٧) ، وتبعه البغدادى^(٨) فى ذلك ، وذكر الزركلى أن
اسمه " المنثورات " . قال : وهو كتاب فتاواه ، وغير هؤلاء ممن تقدم ذكرهم
كالذهبي ، وابن قاضي شهبه . ذكره بالعنوان الذى ذكره ابن العطار وهو
" الفتاوى " .

وسبب هذا الخلاف عائد الى عدم التصحيح على تسميته من المؤلف
- رحمه الله - كما هى عادته فى سائر مؤلفاته ، ان لم ينص على تسمية شىء
منها فى مقدماتها غير المجموع ، وهذا مما يبعث على الخلاف فى عنوان
الكتاب عند المتأخرين ، ان قد يسميه بعضهم بما يراه ملائما لمادته العلمية

-
- (١) تحفة الطالبين ١/١٠ .
 - (٢) تذكرة الحفاظ ١٤٧٢/٤ .
 - (٣) الطبقات ١٥٧/٢ .
 - (٤) المضاج السوى ١٨/ب .
 - (٥) هداية العارفين ٥٢٤/٢ .
 - (٦) الأعلام ١٤٩/٨ .
 - (٧) كشف الظنون ١١٥٩/٢ .
 - (٨) هداية العارفين ٥٢٤/٢ .

وقد يخالفه غيره فيختلف التعبير عنه .

غير أن الخلاف هذا ليس جوهريا ، لأن الذين عنوانوا له خلافا لابن العطار أفصحوا على أن المراد به " الفتاوى " . وذلك يزيل اللبس عنه وضعف احتمال أن يراد به غيره .

نعم ، قد يفهم التعدد من صنيع البغدادى في هداية العارفين ^(١) ، ولعله فهم ذلك ، حيث شطر العنوان وهو يعدد مؤلفاته فعدّ أولا " عيون المسائل المهمة " ، ثم ذكر بعد ستة عناوين عنوانا آخر هو " المنشورات وعيون المسائل المهمات " ، وتبعه رضا كحالة فعمل نحوه ^(٢) .

ولا أدري ، أهو وهم وقع فيه أم حقيقة خفيت على غيره ، والذي جعلني أتردد في ذلك ، أن السخاوى ذكر في أواخر سلسلة مؤلفاته مانصه : "فتاوى آخر رتبها بخطه مما لم يذكر في فتاويه" ^(٣) ، فسنح في فكرى أنه لعل ما ذكره البغدادى بعنوان " عيون المسائل المهمة " هو اسم لفتاواه الأخرى التي انفرد بذكرها ابن العطار ، غير أنني لم أجده من أشار إلى ذلك ، فلم يزل التردد قائما عندي حتى تجلّى المسألة بنص واضح ان شاء الله تعالى .

وبالجملة ، فإن عنوان الكتاب هو " الفتاوى " عند من اختصر التسمية ، أو " المسائل المنشورات وعيون المسائل المهمات " عند من أطلهم . هذا عن عنوانه ، أما الكتاب من حيث هو ، فإنه كتاب شامل لمسائل كثيرة من سائر أبواب الفقه بحسب ما اقتضت الحاجة إلى تبينه آن ذاك .

(١) ٥٢٤/٢

(٢) المستدرك على معجم المؤلفين ص ٨٣٧

(٣) السخاوى ص ١٥

وليس قاصرا على المسائل الفقهية ، بل وتضمّن كذلك فتاوى تفسيرية وحديثية وعقدية ورقائق .

أما التفسيرية ، فعددتها خمس ، وأما الحديثية فسبع وثلاثون مسألة أجاب فيها عن أحاديث رفعت اليه ليبيّن مكانتها من حيث الصحة والضعف أو شرح ما استغلق من معانيها ومدلولاتها ، وهي أجوبة تدل على حفظه وإمامته في هذا الفن وكل من قرأها لابد أن يفهم منها ذلك .
ولعل أن يكون لي عودة لأفرد هذه الفتاوى بالحديث ان شاء الله تعالى .

(٧) - المجموع شرح المهدّب :

- أشار إليه في كثير من مؤلفاته كشرح مسلم ^(١) ، ومقدمة
 الروضة ^(٢) ، وتهذيب الأسماء ^(٣) ، وستان العارفين ^(٤) ، وشرح البخاري ^(٥) ،
 وفي الترخيص بالقيام ^(٦) .
 وعزاه له جلد من ترجم له كابن العطار ^(٧) ، والذهبي ^(٨) ، وابن كثير ^(٩) ،
 والياقعي ^(١٠) ، وابن قاضي شهبه ^(١١) ، وحاجي خليفة ^(١٢) ، وابن العماد ^(١٣) ،
 والبغدادى ^(١٤) ، والزركلي ^(١٥) ، ورضا كحاله ^(١٦) وغيرهم .

-
- (١) ١٧٩/٣ ، ٢٠٠ ، ٧٤/٤ .
 (٢) ص ٦ .
 (٣) ٢٥٩/٢ .
 (٤) ص ١٧٣ ، ١٤٦ .
 (٥) ص ٨٥ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ٢١٨ .
 (٦) ص ١٧٣ .
 (٧) تحفة الطالبين ١٠/أ .
 (٨) تذكرة الحفاظ ١٤٧٢/٤ .
 (٩) البداية والنهاية ٢٢٩/١٣ .
 (١٠) مرآة الجنان ١٨٢/٤ .
 (١١) الطبقات ١٥٧/٢ .
 (١٢) كشف الظنون ١٩١٢/٢ .
 (١٣) شذرات الذهب ٣٥٦/٥ .
 (١٤) هداية العارفين ٥٢٤/٢ .
 (١٥) الأعلام ١٤٩/٨ .
 (١٦) المستدرک علی معجم المؤلفين ص ٨٣٧ .

وهو من الكتب المتواتر نقلها عنه .

شرح فيه المذهب لأبي اسحاق الشيرازي شرحا في غاية الحسن والجودة
 (١) كما قال الذهبي ، وقال السخاوي : لم يصنف في المذهب على مثل أسلوبه ،
 وقال العماد ابن كثير في تاريخه (٣) : انه لو كمل لم يكن له نظير في بابيه ،
 فانه ابداع فيه وأجاد وأفاد وأحسن الانتقاد ، وحرر الفقه في المذهب وغيره ،
 والحديث على ما ينبغي ، واللغة والعربية وأشياء مهمة لأعرف في كتب الفقه
 أحسن منه ، سلك طريقة وسطة حسنة مهذبة سهلة جامعة لأشتات الفضائل
 وعيون المسائل ومجامع الأوائل ومذاهب العلماء ومفردات الفقهاء وتحريير
 الألفاظ ، ومسالك الأئمة الحفاظ ، وبيان صحة الحديث من سقمه ، ومشهوره
 من عكسه .

وبالجملة فهو كتاب ماروئى على منواله لأحد من المتقدمين ولا حذى على
 مثاله متأخر من المصنفين . (٤)

وقد وصفه النووي نفسه فقال : وأرجوان تم هذا الكتاب أن يستغنى به
 عن كل مصنف ، ويعلم به مذهب الشافعي علما قطعيا ، ان شاء الله تعالى . (٥)

(١) السخاوي ص ٢١

(٢) ترجمة السخاوي ص ٢١ .

(٣) البداية والنهاية ١٣ / ٢٧٩ .

(٤) ترجمة السخاوي ص ٢١ .

(٥) مقدمة المجموع ١ / ٤٧ .

سبب تأليفه :

وقد ذكر في مقدمته الباعث له على تأليفه ، وهو أنّ دروس المدرسين وبحث المحصلين المحققين وحفظ الطلاب المعتمدين منصب على التنبيه للشيرازي والوسيط للفرزالي ، فرأى أنّ من أهم الأمور العناية بشرحها ، لأنّ فيهما مواضع كثيرة أنكرها أهل المعرفة ، وأنه قد ألقت فيه مؤلفات غير أنّ منها ما وقعت بالمراد ، ومنها ما لم تف به ، وأنّ فيهما من الأحاديث واللغات وأسماء النقلة والرواة والاحترازا والمساائل المشكلات ، والأصول المفتقرة الى فروع وتتمات ، ما لا بد من تحقيقه وتبيينه بأوضح العبارات .

منهجه فيه :

أما منهجه فيه ، فقد بيّن - رحمه الله تعالى - أنّه سيذكر
ان شاء الله تعالى جملا من علومه الزاهرات ، ويبين فيه أنواعا من فنونه
المتعددات . ومن ذلك تفسير الآيات الكريما والأحاديث النبوية والآثار
الموقوفات ، والفتاوى المقطوعات ، والأشعار الاستشهاديات ، والأحكام
الاعتقادية والفروعية ، والأسماء واللغات ، والقيود والاحترازا وغير ذلك ،
وأنّه يبين من الأحاديث صحيحها ، وحسنها ، وضعيفها ، ومرفوعها ، وموقوفها ،
متصلها ومرسلها ، ومنقطعها ، ومعضلها ، وموضوعها ، ومشهورها ،
وغريبها ، وشاذها ، ومنكرها ، ومقلوبها ، ومعللها ، ومدرجها وغير ذلك .
الخ ما ذكر من منهجه في هذا الكتاب العظيم .

ثم قال : واعلم أنّ هذا الكتاب وان سميته " شرح المذهب " فهو شرح للمذهب
كله ، بل لمذاهب العلماء كلهم ، وللحديث ، وجمل من اللغة والتاريخ والأسماء .
قال : وهو أصل عظيم في معرفة صحيح الحديث وحسنه وضعيفه وبيان علله
والجمع بين الأحاديث المتعارضات وتأويل الخفيات واستباط المهمات .

ولأهمية المباحث الحديثية فيه ، فقد أفرد الأدلة الحديثية الواردة فيه في كتاب سماه " خلاصة الأحكام والسنن من أمهات السنن وقواعد الاسلام " ، وأضاف إليها غيرها كما سيأتي الحديث عنه ان شاء الله .

وقد قدم للمجموع بمقدمة نفيسة ذكر فيها نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - الشريف ونسب الشافعي وجملته من أخباره ، وترجم لصاحب المذهب ثم ذكر فصولا مهمة في فضل العلم وأهله وآداب طلبته تذكرة للمنتهي ولا يستغنى عنها المبتدئ حيث جمع هذا المبحث فأوعى واستقصى أطرافه فلم يترك لضحرف دعوى (١) .

وبالجملة فإن هذا الكتاب لانظيره حيث لم يصنف مثله ولكنه ما أكمله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، اذ لو أكمله لما احتيج الى غيره في هذا الباب ، وبه عرف قدر مؤلفه واشتهر فضله ، قاله العثماني (٢) . وقال ابن الملقن : وليته أكمله وانخرمت باقي كتبه . (٣)

وكانت الضية قد اخترته بعد أن كتب منه ربع العبادات بأكمله بثمان

(١) وتقع هذه المقدمة في احدى وسبعين صفحة من القطع الكبير ، وقد درس هذه المقدمة الدكتور / حسن ابراهيم عبد العال ، وأصدر هذه الدراسة في بحث نشرته مجلة الخليج العربي عدد ٩٤ ، ويقع في ثماني عشرة صفحة تحت عنوان (أصول البحث العلمي وآدابه عند الامام النووي) بين فيه المناحي التربوية التي بينها النووي - رحمه الله - في هذه المقدمة . وهو بحث مفيد . جزى الله مؤلفه خيرا . وانظر المقدمة ص ٣-٦ .

(٢) ترجمة السخاوي ص ٢١ .

(٣) " " ص ٢١ .

مجلدات ومائة وخمس وأربعين صفحة من المجلد التاسع من القطع الكبير مذيلة بحاشيتين صغيرتين يأخذان غالباً ربع الصفحة .

وكتب من المعاملات كتاب البيوع بكامله ، وغالب باب الربا في بقية المجلدة التاسعة ، ولعله كان قد شعر بدنو أجله قبل أن يتم هذا الكتاب ، فكان يجمع النظائر في موضع ويقول : لعلنا لانصل الى محله . وكان يستعظم انخراجه لعدم حصول المأمول منه ، فأوعز الى تلميذه ابن العطار باتمامه اذا قدرت له الوفاء ، ودفع له ورقة بتعيين مواده فيه غير أنه لم يقدر لابن العطار كذلك . . . (١)

ثم شرعت محاولات أخرى لاتمامه ، غير أنه لم يتهياً اتمامه لأحد ممن انتدب لذلك ، لا العماد اسماعيل الحسباني ، ولا التقى السبكي ، ولا الشهاب ابن النقيب ، ولا السراج البلقيني ، ولا الزين العراقي ، ولا ولـــــــه — رحمة الله عليهم أجمعين — ، قاله السخاوي : ^(٢) أما التقى على بن عبد الكافي السبكي ت ٧٥٦ هـ ، فقد شرع في اتمامه بعد أن طلب ذلك منه وألح عليه فيه وكان يرى نفسه غير أهل لاتمامه لما تقدم ذكره ^(٣) ، وسطره في مقدمة تكلمته ^(٤) فلم يقبل منه عذر ، ثم أنه أقدم على ذلك بعد أن استخار الله رجاء بركة صاحبه ، فكتب عليه من حيث وقف الامام النووي في باب الربا الى أثناء التفليس في ثلاث مجلدات مذيلة بفتح العزيز و تلخيص الحبير على النحو الذي تقدم في الأصل .

(١) تحفة الطالبين ١/٥ ، قال السخاوي ص ١٣ : وليته ذكر أسماءها لمن

بعده ، وان كان يعلم تعيينها من الشرح ، ولكن كان ذلك أسهل وأضبط .

(٢) ص ٢٢ .

(٣) ص ١٢٧ .

(٤) تكملة المجموع ٣/١٠ .

وهي أحسن تكملة للمجموع على ما فيها من اختلاف النفس وقصور عن مضاهاة
الأصل . (١)

ثم أتم هذه التتمة العلامة المطيعي ت ١٤٠٦ هـ فشرع من حيث وقف التقى
السبكي الى آخر كتاب المهذب ، وتقع في ثمان مجلدات ، وتكلمته جيدة لاسيما
في عصر قل فيه من يحمل مثل عمله .

أما الشهاب أحمد بن لؤلؤ بن النقيب ت ٧٦٩ هـ ، فلم أجد من أشار الى
محاويله لاتمامه غير السخاوي بما تقدم ذكره .

وأما العماد اسماعيل بن خليفة بن عبد المال الحسيني النابلسي
ت ٧٧٨ هـ ، فقد أشار الى شروعه في تكملة شرح المهذب ابن قاضي شهبه في
طبقاته (٢) ، ولم يزد على ذلك .

وأما السراج البلقيني ت ٨٠٥ هـ ، فقد ذكر السخاوي (٣) ، أنه شرع فيه
وكتب مجلدا واحدا وسماه " النبوغ " في تكملة المجموع .

وأما الزين العراقي ت ٨٠٦ هـ ، فأشار السخاوي الى أن له محاولة
لاتمام المجموع .

وذكر نحو ذلك الشوكاني ولم يشر الى أين وصل منه . (٤)

وأما ولده أحمد بن عبد الرحيم ت ٨٢٦ هـ ، فلم أجد من أشار الى
محاويله لذلك غير ما تقدمت الاشارة اليه من السخاوي .

(١) كشف الظنون ١٩١٢ / ٢ .

(٢) ٨٣ / ٣ .

(٣) ص ٢٢ ، والخزائن السنية من مشاهير الكتب الفقهية لأئمتنا الفقهاء

الشافعية ص ٢٥ .

(٤) البدر الطالع ٣٥٥ / ١ .

(٨) - منهج الطالبين :

- (٢) عزاه إليه غالب من ترجم له كابن العطار (١) ، والذهبي (٢) ،
 والياقعي (٣) ، وابن قاضي شهبه (٤) ، والسيوطي (٥) ، وحاجي خليفة (٦) ،
 وابن العماد الحنبلي (٧) ، والبغدادى (٨) ، والزركلي (٩) ، ورضا كحالة (١٠) ،
 وغيرهم كثير .

اختصره من كتاب المحرر للامام أبي القاسم الرافعي ت ٦٢٣ (١١) ، قال
 السيوطي : ورأيت بخطه أنه فرغ من تأليفه تاسع عشر من شهر رمضان سنة تسع
 وستين . قال : وهو الآن عمدة الطالبين والمدرسين والمفتين . (١٢)

-
- (١) تحفة الطالبين ١/١٠ .
 (٢) البداية والنهاية ١٣/٢٢٩ .
 (٣) مرآة الجنان ٤/١٨٢ .
 (٤) الدبقة ٢/١٥٧ .
 (٥) المنهاج السوى ١٥/ب .
 (٦) كشف الظنون ٢/١٨٧٤ .
 (٧) شذرات الذهب ٥/٣٥٦ .
 (٨) هداية العارفين ٢/٥٢٤ .
 (٩) الأعلام ٨/١٤٩ .
 (١٠) المستدرک علی معجم المؤلفين ص ٨٣٧ .

- (١١) كشف الظنون ٢/١٦١٢ ، والمحرر مختصر من الوجيز للغزالي ، والوجيز
 مختصر من الوسيط ، والوسيط مختصر من البسيط . كلاهما للغزالي ،
 والبسيط مختصر من النهاية لامام الحرمين ، والنهاية مختصرة من الأم
 للامام الشافعي .
 (١٢) المنهاج السوى ١٥/أ .

سبب تأليفه :

وقد أشار في مقدمته للسبب الباعث الى تأليفه بعد أن أشاد بفضل العلم ولا سيما الفقه في الدين . فقال : وقد أكثر أصحابنا - رحمهم الله - من التصنيف من المبسوطات والمختصرات ، وأتقن مختصر المحرر للإمام أبي القاسم الرافعي - رحمه الله تعالى - ذى التحقيقات ، قال : وهو كثير الفوائد عمدة في تحقيق المذهب . الى أن قال : لكن في حجمه كبير يعجز عن حفظه أكثر أهل العصر إلا بعض أهل العناية ، فرأيت اختصاره في نحو نصف حجمه ليسهل حفظه مع ما أضف اليه ان شاء الله تعالى من النفاث المستجادات .^(١) ثم ذكر طرفا من تلك النفاث ، ثم بين منهجه وطريقة عرضه للأقوال والأوجه والطرق في المذهب حتى يتضح لقارئه المراد ، ويلهم التوفيق والسداد ، وهو منهج لا يختلف عن المنهج الذى سلكه في الروضة وتقدم ذكره .

ولما برز هذا الكتاب الى عالم الوجود ، لم يلبث حتى استطار ذكره في هذا العالم المشهود ، وتلقته الأمة بالتلقى المحمود ، وتسابق المجدون الى اقتنائه ونسخه ، وعكف الطالبون على حفظه ودرسه ، فحفظه بعد موته خلائق ، ومن حفظه ازدان بالانتساب اليه ، وفخر بالانتماء اليه ، قال السخاوى : ومن وفور جلالته وجلالة مؤلفه انتساب جماعة ممن حفظوه اليه فيقال له : المنهاجي . قال : وهذه خصوصية لأعلمها الآن لخيره من الكتب .^(٢)

ولم يزل طلبة العلم في ابتداء طلبهم يهتمون بحفظ المنهاج كله أو غالبه الى عصر قريب وذلك في البلاد التي مازال العلم يدرس فيها على نمطه

(١) المنهاج مع السراج الوهاج ص ٣ .

(٢) ترجمة السخاوى ص ٢١ ، وممن اشتهر بهذه النسبة ، العلامة محمد بن

أحمد بن علي بن عبد الخالق الأسيوطي ثم القاهري الشافعي ،

المنهاجي ت ٨٨٠ هـ . انظر ترجمته في الضوء اللامع ١٣٣ / ٧ .

القديم في المساجد ومنازل العلماء كاليمين ، ولا جرم فإن المضهاج جدير بأن يحفظه الطالبون ، بل والمنتهمون ، وذلك لحسن اختصاره وعذوبة ألفاظه ، ويشهد لذلك أن حجة العرب الجمال ابن مالك ، أثنى على حسن اختصاره وعذوبة ألفاظه حتى قال : والله لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لحفظته . (١)

ثناء العلماء عليه :

وأثنى عليه فطاحل العلماء ثناء قلما يشئ نحوه على كتاب سواء فسي
المذهب .

ومن ذلك الثناء العاطر قول الاسنوى فيه :

دقت دقائق فكره وحقائقه	ياناهجا مضهاج خير ناسك
ياحبذا مضهاجه ودقائقه	بادر لمحبي الدين فيما رمته

وقال البرهان الجعبرى أيضا :

أبدى لنا من فتاوى الفقه مضهاجا	للهدى زاهدا ورع
على الرياض تزييد الحسن امهاجا	ألفاظه كعقود الدر ساطعة
علم المحرر تأويلا وادلاجا	فاسلكه تحضى بأحكام تنيف على
بحرا من الفقه عذب الورد ثجاجا	وانهل من الروضة الغناء زاهرة
بما تنوع من تصنيفه تاجا	أحيا لنا الدين محييه فألبسه
نورا يسير به في المعرض ثجاجا	ثوب حمى يحيى وشم له
مع الذى نال في مسراه معراجا	بواه ربك في الفردوس منزلة

وقيل في مدحه شعرا غير هذا كثيرا . (٣)

(١) السخاوى ص ١٦ .

(٢) " ص ١٦ .

(٣) انظر مثلا المضهاج السوى ورقة ١٥ .

وقال العلامة الامام شمس الدين محمد بن أحمد الرملي في مقدمة كتابه
النهاية شرح الضهاج : وأجل مصنف له - أى النووى - في المختصرات وتسكب
على تحصيله العبرات ، كتاب الضهاج من لم تسمح بمثله القرائح ولم تطمح الى النسيج
على ضوالة المطامح ، بهر به الألباب ، وأتي فيه بالعجب العجائب ، وأبرز مخبئات
المسائل بيض الوجوه كريمة الأحساب ، أبدع فيه التأليف وزينه بحسن الترتيب
والترصيف ، وأودعه المعاني الغزيرة بالألفاظ الوجيزة وقرب المقاصد البعيدة
بالأقوال السديدة ، فهو يساجل المطولات على صغر حجمه ، ويباهل المختصرات
بغزارة علمه ، ويطلع كالقمر سناء ، ويشرق كالشمس بهجة وضياء . قال : ولقد
أجاد فيه القائل حيث قال :

قد صنف العلماء واختصروا فلم يأتوا بما اختصروه كالضهاج
(١) جمع الصحيح مع الفصح ونساق بالترجيح عند تلاطم الأمواج .

ولما كان كتاب الضهاج بهذه المثابة ، تبارت أقلام ذوى السيادة ، ففى
خدمته شرحا وتهميشا وتعليقا ، وتصحيحا ، وتنكيئا ، وتدقيقا ، وجمع الزوائد ،
وتحرير الفوائد ، بحيث لا يحصون كثرة على توالي الأيام وممر العصور والأعوام .
(٢) فكان أول من غنى بخدمته هو الامام النووى نفسه في كتابه دقائق الضهاج
(٣) الذى جعله شرحا لدقائق ألفاظه والفرق بين ألفاظه وألفاظ المحرر .
(٤)

ثم شرحه البهاء أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن عرام الأسـوانى ثم
الاسكندرى المتوفى سنة ٧٢٠ هـ ، بشرح أسماه (السراج الوهاج في إيضاح
الضهاج) . (٤)

(١) النهاية ٦ / ١ .

(٢) مقدمة الضهاج ص ٧ .

(٣) الدقائق ص ٢ .

(٤) السخاوى ص ١٢ ، والدرر الكامنة ١١١ / ١ .

ثم شرحه معاصره البرهان ابراهيم بن التاج عبد الرحمن بن ابراهيم بن
الفرکاح ت ٧٢٩ هـ . (١)

وشرحه أيضا مجد الدين أبو بكر بن اسماعيل الزنكلوني ت ٧٤٠ هـ ، لكنه
لم يكمل ، بل وصل الى الطلاق يقع في ثمانية أجزاء ، وشرع ولده أبو حامد
أحمد في اكماله فمات أيضا قبل أن يتم . (٢)

وشرحه نور الدين فرج بن محمد الأردبيلي ت ٧٤٩ هـ ، وصل فيه الى
أشياء بيع البيوع في ستة مجلدات .
قال في الدرر الكامنة : ماله نظير في التحقيق . (٣)
ومحمد بن علي العلوي ت ٧٥٠ هـ له شرح عليه أيضا . (٤)

وشرحه تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ت ٧٥٦ هـ أسماء الايضاح
شرح المضاج ، ولم يكمله بل وصل الى الطلاق ، وكمله ابنه بهاء الدين
أحمد ت ٧٧٣ هـ . (٥)

وللتقى المذكور شرح آخر عليه اسمه التجبير المذهب في تحرير المذهب ،
وهو شرح مبسوط ابتدأ فيه من كتاب الصلاة فعمل قطعة نفيسة . (٦)

-
- (١) السخاوي ص ١٧ .
(٢) السخاوي ص ١٧ ، وكشف الظنون ٨٢٣/٢ ، وشذرات الذهب ١٢٥ / ٦ ،
والابتهاج في بيان اصطلاح المضاج ص ١٠ .
(٣) السخاوي ص ١٧ .
(٤) الدرر الكامنة ٣١٢/٣ ، وطبقات السبكي ٢٤٦/٦ الحسينية ، وكشف
الظنون ١٨٧٤/٢ ، ومعجم المؤلفين ٥٨/٨ .
(٥) الابتهاج في بيان اصطلاح المضاج ص ١٠ .
(٦) طبقات السبكي ٢١٣/٦ الحسينية ، وكشف الظنون ١٨٧٣/٢ ،
والسخاوي ص ١٩ ، والابتهاج ص ١٠ .
(٧) طبقات السبكي ٢١٣/٦ الحسينية .

وشرحه جمال الدين محمد بن أحمد الشريشي ت ٧٦٩ هـ ، اعتمد فيه على الشرح
الصغير للرافعي . (١)

وشرحه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن النقيب ت ٧٦٩ هـ ، قال
السخاوي : لم يكمل ولا اشتهر . (٢)

وكتب عليه مضموما مع غيره تاج الدين أبو نصر السبكي ت ٧٧١ هـ في كتابه
التوشيح على التنبيه والتصحيح (٣) والمضاهج (٤) .

وشرحه جمال الدين عبد الرحيم بن حسن بن علي الاسنوي ت ٧٧٢ هـ في
كتابه الفرق بلغ فيه الى المساقاة (٥) ، أثنى عليه في الدرر الكامنة ، فقال : أنه
مذهب منقح وأنه أنفع شروح المضاهج مع كثرتها ، وأكمله البدر الزركشي ت ٧٩٤ هـ
ثم استأنف فصا شرحه مستقلا (٦) وأسماء الديباج في شرح المضاهج (٧) .
قال السخاوي : لكن التكملة أكثر تداولاً . وشرحه عماد الدين اسماعيل بن
خليفة الحسباني ت ٧٧٨ هـ بشرح يقع في عشرين مجلدا ولكن لم يشتهر . (٨) (٩)

-
- (١) الدرر الكامنة ٣٥١/٣ ، ومعجم المؤلفين ٣١٦/٨ .
(٢) ص ١٨ .
(٣) تصحيح السخاوي لابن الملقن .
(٤) السخاوي ص ٢١ ، وشذرات الذهب ٢٢١/٦ ، وانباء الغمر ٢٢/٨ .
(٥) الدرر الكامنة ٤٦٥/٢ ، كشف الظنون ١٨٧٤/٢ ، وهداية
العارفين ٥٦١/١ .
(٦) السخاوي ص ١٨ .
(٧) كشف الظنون ١٨٧٤/٢ ، وشذرات الذهب ٣٣٥/٦ ، ومعجم
المؤلفين ٢٠٥/١٠ ، ومقدمة البرهان في علوم القرآن ص ١٠ .
(٨) السخاوي ص ١٨ .
(٩) لا تــــه كان ظنيما به لكثرة ما فيه من النقول والمباحث ، ثم
أن ولده لم يمكن أحدا منه حتى احترق ، انظر انباء الغمر ٢٠٣/١ ،
وطبقات ابن قاضي شهبه ٨٣/٣ ، وشذرات الذهب ٢٥٦/٦ ، والدرر
الكامنة ٣٦٦/١ .

وشرحه أحمد بن حمدان بن عبد الواحد الأذري ت ٧٨٣ هـ بكتابين ،
أحدهما اسمه (قوت المحتاج) ، ويقع في عشر مجلدات ، والآخر يسمى
(غنية المحتاج) ^(١) ، وحجمه قريب من الأول ، وفي كل منهما ما ليس في الآخر ،
إلا أنه كان في الأصل وضع أحدهما لحل الفاظه فقط فما انضبط له ذلك بل
انتشر جدا . ^(٢)

وشرحه شرف الدين عيسى بن عثمان الخزى ت ٧٩٩ هـ بشروح ثلاثة: كبير
يقع في عشر مجلدات ، ومتوسط ، وصغير يقع في مجلدين ^(٣) لخصه من
كلام الأذري مع فوائد كثيرة من الأنوار . ^(٤)

وشرحه سراج الدين عمر بن علي بن الملقن ت ٨٠٤ هـ وأسماء (عمدة
المحتاج) يقع في ثلاث مجلدات . ^(٥)

وشرحه أحمد بن عماد بن يوسف الاقفسي المشهور بابن العماد ت ٨٠٨ هـ
بشرحين ، أحدهما أسماء البحر العجاج في شرح الضهاج) ، وصل فيه الى
صلاة الجمعة ويقع في ثلاث مجلدات ، والآخر أسماء (التوضيح) ويقع في
مجلدين . ^(٦)

(١) كشف الظنون ١٨٧٣/٢ ، وهداية العارفين ١١٥ / ١ ، والبدر

الطالع ٣٥ / ١ ، ومعجم المؤلفين ٢١١ / ١ ، والابتهاج ص ١٠ .

(٢) السخاوى ص ١٨ .

(٣) كشف الظنون ٨٢٤ / ٢ ، والبدر الطالع ٥١٥ / ١ ، والابتهاج ص ١١ ،

ومعجم المؤلفين ٢٨ / ٨ .

(٤) السخاوى ص ١٨ .

(٥) كشف الظنون ١٨٧٣ / ٢ ، والابتهاج ص ١٠ .

(٦) كشف الظنون ١٨٧٤ / ١ ، وهداية العارفين ١١٨ / ١ ، وايضا

المكون ١٦٣ / ١ ، والبدر الطالع ٩٣ / ١ ، ومعجم المؤلفين ٢٦ / ٢ ،

والسخاوى ص ١٨ .

وشرحه الشيخ كمال الدين محمد بن موسى الدميري ت ٨٠٨ هـ بكتاب
أسماء (النجم الوهاج) ويقع في أربع مجلدات ، لخصه من شرح السبكي والاسنوى
وغيرهما ، وعظم الانتفاع به خصوصا بما طرزه به من التتمات والخاتمات والفكت
البديعة ، وابتدأه من المساقاة بناء على قطعة شيخه الاسنوى التي تقدم
ذكرها ، فانتهى في ربيع الآخر سنة ٧٨٦ هـ ثم استأنف شرحه ثانيا (١) .

وشرحه الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الخضر الزبيدي العيزري ،
ت ٨٠٨ هـ بشرحين : أحدهما يسمى " كنز المحتاج الى ايضاح المنهاج " ،
والآخر يسمى " السراج الوهاج في حل المنهاج " (٢) .

وشرحه الجمال عبد الله بن محمد بن طيمان الطيماني ت ٨١٥ هـ واختصره
من شرح الشرف الغزى (٣) ، لكنه لم يشتهر لخلاقة لفظه واختصاره . قاله
السخاوى (٤) .

وشرحه عز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة ت ٨١٩ هـ وأسماء " المنهاج
الوهاج في شرح المنهاج " (٥) وله عليه حواشي أسماها " القصد الوهاج في
حواشي المنهاج " (٦) .

وشرحه الشيخ برهان الدين أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن عيسى بن
خطيب عذراء ت ٨٢٥ هـ (٧) ولم يتم ، وأكمله محمد بن عبد الرحمن بن عمر

(١) كشف الظنون ١٨٧٥/٢ ، وهداية العارفين ١٢٨/٢ ، والبـدر
الطالع ٢٩/٢ .

(٢) السخاوى ص ١٩ .

(٣) السخاوى ص ١٩ ، شذرات الذهب ١١١/٢ ، ومعجم المؤلفين ١٢٤/٦ .

(٤) السخاوى ص ١٩ .

(٥) " ص ٢٠ .

(٦) " ص ٢٠ ، ومعجم المؤلفين ١٠٣/١ .

(٧) معجم المؤلفين ١٤٦/١ .

- (١) . الدمشقي ت ٨٢١ هـ .
- وكتب عليه مضموماً مع التنبيه والحاوي ، الشيخ ولي الدين أبوزرع —
(٢) . العراقي ت ٨٢٦ هـ .
- وشرحه أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني ت ٨٢٩ هـ بشرح يقع في
(٣) . خمس مجلدات .
- وشرحه أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي المعروف بابن قاضي
(٤) . شهبه ت ٨٥١ هـ . ووصل فيه الى الخلع .
- وشرحه أبو الفتح محمد بن أبي بكر المرافي المدني ت ٨٥٩ هـ وسماه المشرح
(٥) . الروي في شرح منهاج النووي " يقع في ثلاث مجلدات أو أربع .
- وشرحه جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ت ٨٦٤ هـ وأسماء كـ
(٦) . الراغبين شرح منهاج الطالبين . وهو مختصر يقع في مجلدين في غاية
(٧) . التحرير . قاله السخاوي .

-
- (١) معجم المؤلفين ١٤٦/١ .
- (٢) السخاوي ص ٢١ ، وانباء الخمر ٢٢/٨ .
- (٣) السخاوي ص ٢١ ، والبدر الطالع ١٦٦/١ ، ومعجم المؤلفين ٧٤/٣ .
- (٤) السخاوي ص ٢١ ، " " ١٦٤/١ ، وشذرات
الذهب ٢٦٩/٧ ، وكشف الظنون ١٨٧٦/٢ .
- (٥) كشف الظنون ١٨٧٦/٣ ، والبدر الطالع ١٤٦/٢ ، ومعجم
المؤلفين ١٠٨/٩ ، والسخاوي ص ١٨ .
- (٦) كشف الظنون ١٨٧٣/٢ ، والبدر الطالع ١١٥/٢ ، وشذرات
الذهب ٣٠٣/٧ ، والمستدرک علی معجم المؤلفين ص ٥٩٥ ، والابتهاج
في بيان اصطلاح المنهاج ص ١٠ .
- (٧) ص ٢٠ .

وشرحه الشيخ محمد بن عثمان بن علي بن فخر الدين الأبار المارديني

ت ٨٢١ هـ بشرح اسمه " البحر الموج " يقع في أربعة عشر مجلدا . (١)

وشرحه بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر المعروف بابن شهبـ

الأسدي ت ٨٢٤ هـ وسمى شرحه " بداية المحتاج في شرح المنهاج " . (٢)

وشرحه أبو الفضل محمد بن عبد الله بن قاضي عجلون ت ٨٢٦ هـ بشرحين

أحدهما سماه " مغني الراغبين في شرح منهاج الطالبين " والآخر اسمه

" التحرير " يقع في أربع مائة كراسة . (٣)

ويذكر بعضهم أن له عليه شرحا آخر اسمه " هادي الراغبين الى منهاج

الطالبين " ذكره حاجي خليفة والشوكاني والبغدادى (٤) ، ولا أدري أهو المغني ،

واختلفت التسمية ، أم هو غيره ؟ وهو الأظهر .

وشرحه تقي الدين أبو بكر بن محمد الحصري ت ٨٨٩ هـ . (٥)

وشرحه جلال الدين محمد بن عمر التصيني ت ٩٢١ هـ أو ٩١٦ هـ سماه

الابهاج ، أو الابتهاج شرح المنهاج ، يقع في أربع مجلدات . (٦)

(١) كشف الظنون ١٨٢٥/٢ ، ومعجم المؤلفين ٢٢٤/١٠ .

(٢) " " ١٨٢٥/٢ ، " " ٢٣٢/٨ ، وايضا ح

المكون ١٦٩/١ .

(٣) هداية العارفين ٢٠٢/٢ ، ومعجم المؤلفين ٢٢٢٣/١٠ .

(٤) " " ٢٠٢/٢ ، وكشف الظنون ١٨٢٥/٢ ، والبـدر

الطالع ١٩٢/٢ .

(٥) كشف الظنون ١٨٢٥/٢ ، والبدر الطالع ١٦٦/١ ، ومعجم

المؤلفين ٧٤/٣ ، والسخاوى ص ٢٠ .

(٦) كشف الظنون ١٨٢٤/٢ ، شذرات الذهب ٧٥/٨ ، ومعجم المؤلفين ٩٢/١١ .

(١) وشرحه شيخ الاسلام زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ت ٩٢٦ هـ .

وشرحه أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي ت ٩٢٤ هـ وأسماء

" تحفة المحتاج " ^(٢) يقع في أربع مجلدات . ط .

وشرحه شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ت ٩٢٢ هـ بكتاب

سماه " مغني المحتاج الى معرفة معاني ألفاظ المنهاج " يقع في أربع مجلدات ط . ^(٣)

وشرحه شمس الدين العلامة محمد بن أحمد بن حفصة الرملي ت ١٠٠٤ هـ ،

بشرح سماه " نهاية المحتاج الى شرح المنهاج " ^(٤) يقع في أربع مجلدات ضخمة ط .

وهذه الشروح الثلاثة الأخيرة بالإضافة الى شرح المحلى المتقدم ذكره

أنفا ، هي التي يعول عليها متأخرو الشافعية ، فأنها من أحسن الشروح

المذكورة ولا سيما التحفة لابن حجر ^(٥) ، والنهاية للرملي .

وشرحه أيضا الشيخ إبراهيم بن محمد المأموني المكي وكان حيا سنة ١٠٣٩ هـ . ^(٦)

وشرحه البدر الساري الأكمل السيد محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل

ت ١٢٩٨ هـ بشرح سماه " إغانة المحتاج الى شرح المنهاج " شرح فيه الى
الطلاق ، ومات قبل إتمامه وتوجد مخطوطاته عند بعض علماء اليمن . ^(٧)

(١) الابتهاج في بيان اصطلاح المنهاج ص ١١ ، والنور السافر في علماء

القرن العاشر ص ١٢٣ .

(٢) كشف الظنون ١٨٢٦/٢ ، وشذرات الذهب ٣٢٠/٨ ، والابتهاج ص ١٤ .

(٣) كشف الظنون ١٨٢٦/٢ ، وشذرات الذهب ٣٨٤/٨ ، ومعجم

المؤلفين ٢٦٩/٨ ، والابتهاج ص ١١ .

(٤) كشف الظنون ١٨٢٦/٢ ، ومعجم المؤلفين ٢٥٦/٨ ، والأعلام ٧/٦ .

(٥) الابتهاج ص ١١ ، وسلم المعلم المحتاج الى معرفة رموز المنهاج ص ٢٠ .

(٦) الابتهاج ص ١١ ، وكشف الظنون ١٨٢٥ / ٢ ، ومعجم

المؤلفين ١٠٥/١ .

(٧) سلم المتعلم المحتاج ص ١٩ ، وانظر مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٢٧٥ .

وشرحه شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرح الحـدوى
ت سنة بشرح يقع في ثلاثة أسفار. (١)

(٢) وشرحه الشيخ بهاء الدين بن قاضي يراة الدمشقي ت سنة
وشرحه أبو البركات محمد بن محمد بن رضى الدين الغزى ت
وأسماء " ابتهاج المحتاج " وله شرح آخر عليه . (٣)
(٤) وشرحه يحيى بن أحمد المصرى ت سنة شرحا لطيفا جمع فيه فوائد .
ومن آخر من شرحه العلامة الكوهجي بشرح أسماء " زاد المحتاج " ويقع في
أربعة مجلدات جمعه من الشروح السابقة فجاء مختصرا مفيدا ، وهو مطبوع .

-
- (١) السخاوى ص ٢٠ .
(٢) كشف الظنون ١٨٧٦/٢ .
(٣) " " ١٨٧٤/٢ ، والابتهاج في بيان اصطلاح المنهاج ص ١١ .
(٤) " " ١٨٧٥/٢ .

أما الذين كان شرحهم لأجزاء متفرقة منه فكثيرون منهم :

الكمال أبو المعالي محمد بن علي بن عبد الواحد بن الزمكاني ت ٧٢٧ هـ
(١) شرح قطعا متفرقة منه .

والشرف المناوي ت ٧٥٧ هـ شرح قطعة من المنهاج . (٢)

وبرهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم بن البدر بن جماعة ت ٧٩٠ هـ شرح
(٣) قطعة منه في مجلد .

وأبو حفص عمر بن رسلان البلقيني ت ٨٠٥ هـ كتب على ربح الخراج كتابة
(٤) أطلال فيها النفس في خمس مجلدات .

والجمال يوسف بن الحسن بن محمد الحموي خطيب المنصورية ت ٨٠٩ هـ
(٥) شرح فرائض المنهاج في مجلد .

والشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد المعروف بابن
الهائم القرظي ت ٨١٥ هـ شرح خطبة المنهاج شرحا مطولا . (٦)

وعز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة ت ٨١٩ هـ شرح فرائض المنهاج
وأسماءه " وسائل الابتهاج في شرح فرائض المنهاج " . (٧)

(١) طبقات السبكي ٢٥١/٥ الحسينية ، والسخاوي ص ١٧ ، ومعجم

المؤلفين ٢٥/١١ .

(٢) ترجمة السخاوي ص ٢٠ .

(٣) " " ص ١٨ .

(٤) " " ص ١٨ .

(٥) " " ص ١٩ ، وشذرات الذهب ٨٧/٧ ، والبلد

الطالع ٣٥٢/٢ ، ومعجم المؤلفين ٢٩٢/١٣ .

(٦) ترجمة السخاوي ص ٢٠ .

(٧) د د د

- (١) ومحمد بن علي بن يعقوب القاياتي ت ٨٥٠ هـ شرح خطبته والى التيمم .
 وشيخ الاسلام أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ،
 شرح مناسكه ومواضع فيه . (٢)
 وتاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن محمد الحسيني ت ٨٢٥ هـ شرح
 فرائضه . (٣)
 وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكفرسوسي الدمشقي
 ت ٩٣٢ هـ شرح فرائضه وأسماؤه " اغاثة اللهاج " . (٤)
 والسيد محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل ت سنة ١٢٩٨ هـ شرح
 خطبته وأسماؤه " ارشاد الراغبين شرح خطبة منهاج الطالبين " . (٥)

-
- (١) كشف الظنون ١٨٢٣/٢ ، وهداية العارفين ١٩٦/٦ ، وشذرات
 الذهب ٢٦٨/٧ ، ومعجم المؤلفين ٦١/١١ .
 (٢) ترجمة السخاوي ص ٢٠ ، ونظم العقيان في تراجم الأعيان ص ٤٩ .
 (٣) كشف الظنون ١٨٢٥/٢ ، وهداية العارفين ٦٣٩/١ .
 (٤) " " ١٨٢٥/٢ ، وشذرات الذهب ١٨٨/٨ ، ومعجم
 المؤلفين ١٤٩/١٠ .
 (٥) مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٢٢٥ .

وأما الذين نكتوا عليه أو خرجوا أحاديثه أو كتبوا عليه تصحيحاً وتوجيهاً فكثيرون منهم:

البرهان إبراهيم بن التاج عبد الرحمن بن إبراهيم ابن الفركاح ت ٧٢٩ هـ
سماها " بعض غرض المحتاج "، وهي نكت صغيرة الحجم .^(١)

وشهاب الدين أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله ابن النقيب المصري ت ٧٦٩ هـ
وتقع في ثلاث مجلدات . قال ابن العماد : وهي كثيرة الفائدة .^(٢)

وجلال الدين البلقيني ت ٨٠٥ هـ كتب عليه نكتاً لكثرتها لم تكمل بل وصل
إلى الخراج .^(٣)

وشمس الدين محمد بن محمد بن الخضر العيزري ت ٨٠٨ هـ وسماها
" الارتجاج على المضهاج " .^(٤)

والشيخ عز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة ت ٨١٩ هـ .^(٥)

وخرج أحاديثه الإمام الزركشي محمد بن عبد الله بن بهادر ت ٧٩٤ هـ
في كتاب وسماه " المعتبر في تخريج أحاديث المضهاج " .^(٦)

وسراج الدين عمر بن علي بن الملقن ت ٨٠٤ هـ في كتاب سماه " تحفة
المحتاج إلى أدلة المضهاج " .^(٧) ويقع في مجلدين ، قام بتحقيقه عبد الله

(١) ترجمة السخاوي ص ١٢ .

(٢) " " ص ١٨ ، وشذرات الذهب ٢١٣/٦ ، كشف

الظنون ١٨٧٣/٢ ، ومعجم المؤلفين ٥٥/٢ .

(٣) ترجمة السخاوي ص ٢٠ .

(٤) معجم المؤلفين ٢٧٦/١١ .

(٥) ترجمة السخاوي ص ٢٠ .

(٦) معجم المؤلفين ٢٠٥/١٠ ، ومقدمة البرهان في علوم القرآن ١٣/١ .

(٧) كشف الظنون ١٨٧٣/٢ .

ابن سماع اللحياني ونال به درجة علمية من جامعتنا هذه أم القـــــرى .
 وكم خدم ابن الملقن - رحمه الله - الضهاج ، فاضافة الى شرحـــــه
 المتقدم وتخريجه لأحاديثه المارآنفا ، له عليه كتب أخرى .

(١)

فله ، نهاية المحتاج لتوجيه الضهاج .

(٢)

وله عليه كتاب اسمه " العجالة " ويقع في مجلد .

(٣)

وله الاشارات الى ما وقع في الضهاج من الأسماء والمعاني واللغات .

(٤)

وله تصحيح الضهاج ، يقع في مجلد .

وألف في أدلته أيضا عبد الملك بن الفزي الباري الحلبي المشهور بعبيد
 الضرير ، وسماه " دلائل الضهاج من كتاب رب العالمين وسنة المرسلين " (٥)

وحققه فضيلة الشيخ / السيد قاسم بن محمد بن قاسم الأهدل - عافاه الله - .

وكتب عليه تصحيحا ، سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان البلقيني

(٦)

ت ٨٠٥ هـ أكمل منه الربع الأخير ووصل الى ربع النكاح ولم يكمل .

وكتب عليه البدر أبو الفضل محمد بن أبي بكر بن قاضي شهبه الأسدي

(٧)

ت ٨٢٤ هـ كتابا أسماه " كفاية المحتاج الى توجيه الضهاج " .

(١) السخاوى ص ١٣ .

(٢) ذيل طبقات الحفاظ لابن فهد ص ٢٠٠ .

(٣) كشف الظنون ١٨٧٣/٢ ، والسخاوى ص ١٨ ، والابتهاج ص ١٠ .

(٤) كشف الظنون ١٨٧٣/٢ .

(٥) الأعلام ١٦١/٤ .

(٦) شذرات الذهب ٥١/٧ ، وكشف الظنون ١٨٢٤/٢ ، وهداية

العارفين ٢٩٢/١ .

(٧) ايضاح المكنون ٣٧٣/٢ ، ومعجم المؤلفين ١٣٢/٨ .

وذكر في البدر الطالع ، أن لأبي الفضل محمد بن عبد الله بن قاضي
عجلون ت ٨٧٦ هـ تصحيح المنهاج في مطول ومختصر ومتوسط . (١)

ولما كان المنهاج أحد متون الفقه الذي يشتغل الطالبون بحفظه عن ظهر
قلب ليسهل عليهم استحضار مسائله عند الحاجة اليها ، وكان حفظ النثر غير
يسير لدى كثير من الراغبين ، ولا سيما مع تأخير الزمان وتأخير الهمم بتأخيره ،
لما كان الأمر ما ذكر ، وجد العلماء أن تيسير حفظه لأولي الرغبات واجب في
أغناقهم ، فعمدوا إلى فعل ذلك ، ليتسنى للطالبين السير في تلك المسالك ،
وذلك بصياغته شعراً ، لأنه أيسر للحفظ وأسرع للاستذكار وأمرأً للأنفس ، فنظمه
كثيرون . منهم :

- محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي ت ٧٧٤ هـ . (٢)
- وشهاب الدين أحمد بن محمد الطوخي ت ٨٩٣ هـ . (٣)
- وجلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ وسماه " الابتهاج " إلا أنه لم يتم . (٤)
- وناصر الدين محمد بن محمد بن يوسف المبدلي المعروف بابن سويد
ت هـ نظم فرائضه وسماه " وجهة المحتاج ونزهة المنهاج " . (٥)
- والشهاب أحمد بن ناصر الباغوني قاضي دمشق ت هـ . (٦)
- وجمال الدين يوسف ولد قاضي دمشق ت هـ . (٧)

(١) ١٩٢/٢ .

(٢) كشف الظنون ١٨٢٤/٢ ، وبغية الوعاة ص ٩٨ ، ومعجم المؤلفين ١١/٢٣٥ ،

والدارس ٩٥/١ .

(٣) كشف الظنون ١٨٢٥/٢ .

(٤) " " ١٨٢٤/٢ .

(٥) السخاوي ص ٢٠ .

(٦) السخاوي ص ٢٠ .

(٧) " ص ٢٠ .

كما عمد أنير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ت ٧٤٥ هـ إلى
اختصاره ، فاختصره بكتاب أسماه " الوهاج في اختصار المنهاج " (١)
للفرض السابق ذكره ، وهو تيسير حفظه للطلاب لوجازة حجمه عندئذ .

وأما الكتابة عن المنهاج في مواضيع متفرقة تدعو الحاجة إليها فكثيرة ،
وفي أبحاث متفرقة .

فكتب جلال الدين السيوطي في مشكل أعرابه كتابا سماه " درة التاج في
أعراب مشكل المنهاج " . (٢)

وعمل العلامة أحمد بن أبي بكر بن سميط العلوي الحضرمي ت
رسالة صغيرة في بيان اصطلاح أسماها " الابتهاج في بيان اصطلاح المنهاج " ط
وكتب العلامة أحمد الميقرى شmile الأهدل ت ١٣٩٠ هـ رسالة في بيان
رموزه سماها " سلم المتعلم المحتاج إلى معرفة رموز المنهاج " ط .
ونظم قيلاته المعتمدة شيخنا العلامة عبد الله بن سعيد اللحجبي
— عافاه الله تعالى — .

هذه هي الكتب الفقهية التي طبعت أو عثرت عليها من المخطوطات ، وهي
كلها عمدة الفقهاء والباحثين ، بل وكل منتسب إلى الشافعي نسبة مذهب .
ولكن للعلماء في اعتماد مؤلفات النووي ترتيب يجب أن يراعى ،
وذلك لما قد يكون بينها من اختلاف يقتضيه اختلاف المدرك أو تغير الاجتهاد . (٣)

(١) كشف الظنون ١٨٢٤/٢ ، وبغية الوعاة ص ١٢١ ، وشذرات

الذهب ١٤٥/٦ ، و ترجمة السخاوي ص ٢٠ .

(٢) كشف الظنون ١٨٢٤/٢ ، والمستدرک علی معجم المؤلفين ص ٣٥٠ ،

ودليل مخطوطات السيوطي ص ١٠٥ .

(٣) وانظر انموذجا لذلك في الفوائد المدنية ص ٦٥ .

كما هو شأن كثير من العلماء المجتهدين ، فإنه قد ينقل لأحدهم في المسألة أكثر من قول كما هو مشهور عن الامام الشافعي ، والامام أحمد وغيرهم من مجتهدي الأمة . ويرجع في تمييز المعتمد منها الى المتأخر من أقواله أو مؤلفاته ، لكون ذلك يحكى ما استقر عليه رأيه ، بل هو كالناسخ لما تقدم له من قول مخالف في المسألة ، وحال الامام النووي هو كذلك كما قرره العلماء ، فقد قال العلامة أحمد بن حنبل المهيتمي في حاشية الايضاح ^(١) عندما سئل عما اذا اختلفت كتب النووي ، فما الذى يعتمد منها ، فأجاب بقوله : قلت : أما المتبحر فلا يتقيد بشيء ، وأما غيره فيعتمد المتأخر منها الذى يكون تتبعه فيه لكلام الأصحاب أكثر كالمجموع ، فالتحقيق ، فالتتبع ، فالروضة ، فالمنهاج ، قال : وما اتفق عليه الأكثر من كتبه مقدم على ما اتفق عليه الأقل منها غالباً ، وما كان في بابه مقدم على ما في غيره غالباً أيضاً ، أهـ .

وقال نحو ذلك في التحفة ^(٢) ، وقال نحوه أيضاً الجمال الرملي كما نقله الكردي ^(٣) ، وذكره الكردي أيضاً عن ابن علان ^(٤) نحو ما تقدم .

(١) ص ١١ .

(٢) وانظر الفوائد المدنية ص ٣٣ .

(٣) في الفوائد المدنية ص ٣٥ عن شرح الايضاح للرملي .

(٤) في شرح الايضاح ، انظر الفوائد المدنية ص ٣٥ .

الكتب التربوية

- (١) - الأذكار .
- (٢) - بستان العارفين .
- (٣) - التبيان في آداب حملة القرآن .
- (٤) - الترخيص بالقيام .
- (٥) - حزب أدعية وأذكار .

(١) - الأذكار :

- أشار إليه في تهذيب الأسماء^(١) ، والمجموع^(٢) ، وفي شرح مسلم^(٣) ،
وفي شرح البخاري^(٤) .
- وعزاه إليه بهذه التسمية غالب من ترجم له كابن العطار^(٥) ، واللخمي^(٦) ،
والذهبي^(٧) ، وابن كثير^(٨) ، والياقعي^(٩) ، وابن قاضي شهبه^(١٠) ، والسيوطي^(١١) ،
وابن العماد^(١٢) . وذكره حاجي خليفة باسم " حلية الأبرار وشعار الأخيار في
تلخيص الدعوات والأذكار " وقال : مشهور بأذكار النووي^(١٣) ، وتبعه على ذلك
البغدادى^(١٤) ، والزركلي^(١٥) ، ورضا كحاله^(١٦) ، وأفاد الزركلي بأنه المعروف

-
- (١) ١١/١ ، ٤٣ .
(٢) ٢٦٨/١ ، ٣٦/٢ ، ٣٩٦/٤ .
(٣) ٨٢/٤ ، ١٧٦ ، ١٩٦/٥ .
(٤) ص ١٥٤ ، ١٧٧ ، ٢٦٦ .
(٥) تحفة الطالبين ١٠/١ .
(٦) في ترجمته للنووي ١/٥ ، ووصفه بأنه نفيس لا يستغنى عنه .
(٧) تذكرة الحفاظ ١٤٧٢/٤ .
(٨) البداية والنهاية ١٣ / ٢٧٩ .
(٩) مرآة الجنان ٤ / ١٨٢ .
(١٠) الطبقات ٢ / ١٥٦ .
(١١) الفهراج السوى ١٦ / ب .
(١٢) الشذرات ٥ / ٣٥٦ .
(١٣) كشف الظنون ١ / ٦٨٨ .
(١٤) هداية العارفين ٢ / ٥٢٤ .
(١٥) الأعلام ٨ / ١٤٩ .
(١٦) المستدرک علی معجم المؤلفین ص ٨٣٧ .

بالأذكار النووية^(١) ، فعلم من ذلك أن السمي واحد وزال احتمال التعدد .

وقد طبع الكتاب عدة طبعات لعل أسبقها طبعة المطبعة الميمنية بالقاهرة

سنة ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠١ م . ثم وليتها طبعات أخرى في القاهرة منها طبعة

المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٣ هـ الموافق ١٩٠٥ م .

ومنها طبعة دار الكتب العربية الكبرى عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٢ م .

ومنها طبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه عام ١٣٧٥ هـ الموافق ١٩٥٥ م .

ومنها طبعة مكتبة القاهرة في عام ١٣٧٨ هـ الموافق ١٩٥٨ م .

ثم توالى طباعته في دمشق وبغروت والرياض وغيرهن^(٢) منها طبعة دار التراث

العربي في عام ١٤٠٦ هـ بمراجعة محمد الأنور أحمد البلتاجي الذي أعد فهرسه

ورقم أحاديته ، وهى الطبعة التي رجعت اليها في احالاتي .

والكتاب من أجل مؤلفاته وأعظمها نفعا ، قال عنه في شرح مسلم :^(٣)

لا يستغنى متدين عن مثله ، وقال في المجموع^(٤) : لا يستغنى طالب الآخرة عن

مثله ، فقصده — رحمه الله — بتأليفه تسهيل عمل اليوم والليلة من الأذكار على

الراغبين ، لأن الذين سبقوه الى ذلك كانت مؤلفاتهم مطولة بالأسانيد والتكرار

فضعفت عندها هم الطالبين ، فجمع لهم هذا الكتاب تسهيلا للراغبين وتقريبا

للمعتنين لحديث مسلم عن أبي هريرة — رضى الله عنه — : ((من دعا الى هدى

كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا يتقص ذلك من أجورهم —————

(١) طبع بهذا الاسم في دمشق / دار الملاح للطباعة ، بتحقيق عبد القادر

الأرنؤوط سنة ١٣٩١ هـ — ١٩٨١ م ، وثيقة طبعاته عنون بالاسم الذى

ذكرهنا .

(٢) انظر فهرس مكتبات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

بالرياض ١١٠١/٣ — ١١٠٣ .

(٣) ٨٢/٤ .

(٤) ٣٦/٢ .

(١) . شَيْئًا .

ولما كان هذا هو الغرض من تأليفه ، حذف منه الأسانيد إلا نادرا لما ذكر من الاختصار ، ولكنه موضوعا للمتعبدين وليسوا الى معرفة الأسانيد متطلعين بل يكرهونه وان قصر ، إلا الأقلين ، لأن المقصود به معرفة الأذكار والعمل بها وإيضاح مضامنها للمسترشدين . (٢) وذكر - رحمه الله - بلامن الأسانيد ما هو أهم منها مما يحتاج الى معرفته جميع الناس إلا النادر . وهو بيان صحيح الأحاديث وحسنها وضعفها ومنكرها ، فإن هذا الجانب أهم ما يجب الاعتناء به . (٣)

ولم يقتصر على ذلك ، بل ضم اليه جملا من النفاث من علم الحديث ودقائق الفقه ومهمات القواعد ورياضات النفوس والآداب التي تتأكد معرفته على السالكين . (٤)

(١) أخرجه مسلم من طريق يحيى بن أيوب ، وقتيبة بن سعيد ، وعلي بن

حجر ٢٢٧ / ١٦ بشرح النووي .

وأخرجه أبو داود من طريق يحيى بن أيوب ٣٦٢ / ١٢ بشرح معون المعبود .

وأخرجه الترمذي من طريق علي بن حجر ٤٣٧ / ٧ بشرحه تحفة الأحوذى ،

وأخرجه ابن حبان من طريق أبي يعلى ١٦٢ / ١ (الاحسان بترتيب صحيح

ابن حبان) .

(٢) انظر مقدمة الأذكار ص ١٠ .

(٣) " " " " ص ١٠ .

(٤) مقدمة الأذكار ص ١١ .

مُهْجَم :

أما منهجه فيه ، فقد بيّنه بقوله :

أذكر في أول الكتاب فصلا مهمة يحتاج إليها صاحب هذا الكتاب وغيره من المعتنين ، وإذا كان من الصحابة من ليس مشهورا عند من لا يعتني بالعلم نبهت عليه ، فقلت : روي عن فلان الصحابي لثلا يشك في صحبته ، قال : وأقتصر في هذا الكتاب على الأحاديث التي في الكتب المشهورة التي هي أصول الاسلام وهي خمسة : صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، (١) وقد أروى يسيرا من الكتب المشهورة غيرها ، وأما الأجزاء أو المسانيد فليست أنقل منها شيئا إلا في نادر من المواطن ، ولا أذكر من الأصول المشهورة أيضا من الضعيف إلا النادر مع بيان ضعفه ، وإنما أذكر فيه الصحيح غالبا ، قال : فلهذا أرجو أن يكون هذا الكتاب أصلا معتمدا ، ثم قال : ثم لا أذكر في الباب

(١) ولم يعد ابن ماجه منهم مع أن الاصطلاح كان قد جرى على عده سادس الكتب المذكورة منذ أواخر القرن الخامس حينما أضافه إليها الحافظ محمد بن طاهر المقدسي ت ٥٠٧ هـ في كتابه " أطراف الكتب الستة " ، وشروط الأئمة الستة ، وتبعه الحافظ عبد الخني المقدسي ت ٦٠٠ هـ ، والحافظ أبو القاسم بن عساكر ت ٥٧١ هـ ، فتبعهم على ذلك أصحاب الأطراف والرجال ولا سيما المشاركة ، أما المغاربة ، فانهم يجعلون السادس هو الموطأ للإمام مالك بن أنس - رحمه الله - . انظر ما تمس إليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجه ص ١٣٩ - ١٤٥ ، كما أنه لم ينص على جعله سادس الكتب الستة عند كل ما يذكر الكتب المذكورة ، مما يدل على عدم جريه على هذا الاصطلاح ومخالفته له ، غير أنني لم أشر على نص له على ذلك ، فلن أبحث هذه المسألة لعدم النص الجلي لرأيه فيها ، بل أكتفي بهذا التبيه .

من الأحاديث إلا ما كانت دلالة ظاهرة في المسألة . (١)

وقد وفى - رحمه الله تعالى - بجميع ما التزمه .

فقد حذف أسانيد مروياته في هذا الباب ولم يسند منها إلا الحديث الأول ، والآخر ، أما الأول ، فهو حديث ((اتما الأعمال بالنيات)) فرواه مسنداً من طريق شيخه الامام الحافظ أبي البقاء خالد بن يوسف النابلسي (٢) ، وذكر السند عن علقمة بن وقاص الليثي (٣) عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ، وأما الآخر ، فهو حديث أبي ذر ، القدسي (٤) ((يا عبادى إني حرمت الظلم)) ، رواه من طريق شيخه المذكور باسناد عال كل رجاله دمشقيون ، ولم يسند غيرهما من مروياته ، بل يروى ذلك غالباً بصيغة " رويتم " وهى الصيغة التى اذا ضبطت بضم الراء المهملة وتشديد الواو المكسورة بالبناء للمفعول ، أفادت أنه روى له ذلك سماعاً أو إقراءً أو إجازةً أو غيرها من باقى أنواع التحمل (٥)

(١) مقدمة الأذكار ص ١١ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٩١

(٣) اختلفوا في صحبته ، وذكره الدارقطني في كتابه ذكر أسماء التابعين ٢٧٩/١ ،

كما ذكره الذهبي في تجريد أسماء الصحابة ٣٩٢/١ ، ولم يعده

الصاغاني فيمن اختلف فيهم في كتابه " نقة الصديان " ، وقال ابن

عبد البر وغيره : ولد على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وثقه

النسائي وغيره ، وتوفى في المدينة في زمن ولاية عبد الملك . انظر

الاستيعاب بهامش الإصابة ١٢٦/٣ ، وتهذيب التهذيب ٢٨٠/٧ .

(٤) نسبة الى الذات المقدسة وهو ما يرويه النبي - صلى الله عليه وسلم - عن

ربه تبارك وتعالى بواسطة جبريل - عليه السلام - .

(٥) واذا ضبطت بفتح الواو مخففة وهو الأشهر أفادت أن ذلك نقلاً عن غيره ،

الفتوحات الربانية ٢٩/١ .

من مشايخه بأسانيدهم الى من أسندوا عنهم ، فكان تقديم اسناده في ذلك الحديث اشارة الى أن الأحاديث الأخرى التي لم يسندها هي مسندة لديه من ذلك الطريق أو من غيره ، وأتى ببعضها ليحلم اسناده الى تلك الكتب كما فعل ذلك مع كتاب عمل اليوم والليلة لابن السنّي . حيث قدّم اسناده اليه لأنّه عمدته في هذا الكتاب ، حيث أفاد أنّه سينقل منه جملا لكونه أجمع الكتب في هذا الفن ، فذكر أنّه يرويه من طريق شيخه الامام الحافظ أبي البقاء خالد بن يوسف المتقدم ذكره آنفاً ، وذكر اسناده اليه ، قال : وإنما خصصت ذكر اسناد هذا الكتاب لكونه أجمع الكتب في هذا الفن ، والآف جميع ما أذكره لي فيه روايات صحيحة بسماعات متصلة بحمد الله تعالى الآ الشاذ النادر ، قال : فمن ذلك ما أنقله من الكتب الخمسة التي هي أصول الاسلام وهي الصحيحان ، البخاري ومسلم ، وأبي داود ، والترمذي ، والنسائي . ومن ذلك ما هو من كتب المسانيد والسنن كموطأ الامام مالك ، وكمسند الامام أحمد بن حنبل ، وأبي عوانة ، وسنن ابن ماجه ، والدارقطني ، والبيهقي ، وغيرها من الكتب ومن الأجـزاء مما ستراه ان شاء الله تعالى . قال : وكل هذه المذكورات أرويهها بالأسانيد المتصلة الصحيحة الى مؤلفيها . (١)

غير أنّه - رحمه الله - لما كان غرضه تيسير العمل للمتعبدين لا الرواية ، حذف تلك الأسانيد لأنّها قد علمت بعد الاشارة اليها في أول الكتاب فحصل العلم أنّ ما تضمنه الكتاب هو مسند عنده ، ولا غشاضة عليه في هذا ، فقد قالوا : من أسند فقد أحالك ، ومن أرسل فقد تكفل لك (٢) ، وكأنّه - رحمه الله - كان يدعم هذا القول ويعمل به ، ولا ريب أنّ دعمه له يكتسب قوة وتأيداً لأنّه من

(١) الأذكار ص ٢٥ .

(٢) انظر فتح المنيث ١٣٣/١ .

أئمة الفن ومبرزهم ، ألا أنه لا استطاع القول بتدعيم هذا الرأي بمجرد هذا الاستبطاء ، ولكن يستأنس بصنيعه هذا على قبوله لهذا الرأي - والله أعلم - .
ولذلك لم ير الاستغناء عن بيان الحكم على الأحاديث من حيث الصحة والحسن والضعف ، ولا عن تخريجها وعزوها الى مظانها ، بل رأى أن ذلك من المهمات ، فلا ينبغي الإخلال به ، لأن معرفة الحكم على الحديث يبنى عليه اعتقاد ثبوته عند العمل به اذا كان صحيحا أو حسنا ، واعتقاد الثبوت يستلزم أن يكون العمل على وجه القربى اتباعا للشرع الخفيف ، وإن كان ضعيفا لم يحمل به إلا في فضائل الأعمال اذا توفرت فيه ثلاثة شروط هي : أن لا يشتد ضعفه ، وأن يندرج تحت أصل عام ، وأن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، وإنما يعمل به احتياطاً . (١)

بل بين النووي - رحمه الله - ذلك ، فلا يكاد يورد حديثاً إلا وبين من رواه من الصحابة - رضى الله عنهم - ومن أخرجه من أهل المصنفات وحكمه اذا كان في غير الصحيحين .

نعم قد يترك بعض ذلك اذا كان الحديث مشهورا اعتمادا على شهرته ، وينبئ على تركه ذلك غالبا كقوله في باب المدح بعد أن أورد ثلاثة أحاديث في النهي عن المدح في وجه المدوح ، قال : وأما أحاديث الاباحة فكثيرة لا تنحصر ، ولكن نشير الى أطراف منها ، فذكر طائفة منها ثم قال : وكل هذه الأحاديث التي أشرت اليها في الصحيح مشهورة فلم أضعفها . (٢)

وقد لا ينبئ على تركه ذلك ، اعتمادا على شهرة الحديث ، ولكن هذا

(١) انظر التقريب والتيسير بشرحه تدريب الراوى ٣٩٨ / ١ .

(٢) ص ٣٢٨ - ٣٣١ ، ونحوه ص ٤٢٠ .

نادر ، كحديث ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله —
 - صلى الله عليه وسلم - : ((اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض
 الجنة يا رسول الله ؟ . قال : حلق الذكر)) الحديث . (١)

(٢)
 وقد يسكت عن بيان حكمه لذهول عن ذلك وغيره كما نبه عليه في المقدمة ،
 غير أنه ان لم يكن صحيحا أو حسنا ، فلا يخرج عن دائرة الضعف المعمول به
 في موضوع كتابه ، كالحديث الذى تقدم ذكره عن ابن عمر - رضى الله عنهما -
 وسكت عنه ولم يبين من أخرجه ولا حكمه ، والحديث أخرجه أبو نعيم في
 الحلية (٣) ، وقال : غريب من حديث مالك لم نكتبه إلا من حديث محمد بن
 عبد الله بن عامر ، غير أن الحديث له أصل أصيل من حديث أبي هريرة
 - رضى الله عنه - عند البخارى ومسلم (٤) ، أن رسول الله —
 - صلى الله عليه وسلم - قال : ((أن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون
 أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تتادوا هلموا الى حاجتكم)) ،
 الحديث . وله شاهد من حديث جابر عند الامام أحمد ، وأحمد بن حنبل ،
 وعبد بن حميد ، وأبي يعلى ، والبزار ، وابن أبي الدنيا (٥) ، والحاكم وصححه .
 (٦)
 ومن حديث أنس - رضى الله عنه - عند الترمذى ، وأحمد ، والدارقطنى ،

(١) الأذكار ص ١٦ ، وسيأتي تخريجه قريبا .

(٢) ص ٦٤ .

(٣) ٣٥٤/٦ .

(٤) البخارى في الدعوات - باب فضل ذكر الله عز وجل ١٠٧/٨ ، ومسلم ١٤/١٢ .

بشرح النووى ، والترمذى في الدعوات ٥٧٦/٥ ، وأحمد في

المسند ٢٥٢/٢ ، ٣٥٩ ، ٣٨٢ . والبغوى في شرح السنة ١١/٥ ، ١٢ .
 (٥) انظر المطالب العالقة ٢٤١/٣ .

(٦) المستدرک ١/٤٩٥ ، وأقره الذهبى . وقال الحاكم والذهبي أيضا : أخرجه
 مسلم مختصرا .

وابن عدى في الكامل ، وأبي يعلى ^(١) .
 ومن حديث أبي هريرة ^(٢) وابن مسعود ^(٣) - رضى الله عنهما - عند أحمد ،
 - رحمه الله تعالى - فتبين أن الحديث بأصله وشواهد يصلح للعمل به ،
 لكونه اعتضد بمجموع تلك الروايات بطرق مختلفة .
 وكحديث الترمذى - رحمه الله - من رواية أبي سعيد الخدري
 - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل أى العبادة
 أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ، قال : ((الذاكرون الله كثيرا)) قلت :
 يا رسول الله ، ومن الغاوى في سبيل الله عز وجل ؟ قال : ((لو ضرب بسيفه في
 الكفار والمشركين حتى ينكسر لكان الذاكرون الله أفضل منه)) ^(٤) ، قال
 الترمذى : هذا الحديث غريب لم نعرفه إلا من حديث دراج ^(٥) ، والحديث
 أخرجه أحمد ^(٦) ، والبخارى في شرح السنة ^(٧) ، وابن عدى في الكامل ^(٨) في
 أحاديث أنكرها عليه وقال : أرجو إذا أخرجت أحاديثه هذه أن يكون كما قال
 ابن معين ^(٩) ، فسكت عنه النووى لأنه يرى أنه من الضعيف الذى يحتج به

(١) نتائج الأفكار ١٨/١ - ٢٠ .

(٢) المسند ٢٥١/٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٨٢ .

(٣) المسند ٣٨٢/١ ، ٤٥٢ .

(٤) الأذكار ص ٣١ رقم الحديث (٣١) .

(٥) الترمذى في الدعوات ٤٥٨/٥ .

(٦) ٢٥/٣ .

(٧) ١٢/٥ .

(٨) ٩٨١/٣ .

(٩) يعني ثقة كما رواه عنه عثمان بن سعيد الدارمي في تاريخه ص ١٠٧ ، لكنه

تعقبه فقال : قال أبو سعيد : دراج ليس بذاك وهو صدوق ، قال

الحافظ في التقریب : صدوق من الرابعة ، في حديثه عن أبي الهيثم

في هذا الباب ، ولعله رأى له هذه المكانة بالنظر الى أحاديث أخرى تشهد له ، منها : ما ذكره عقبه عن الترمذي ^(١) ، وابن ماجه ^(٢) من حديث أبي الدرداء - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ؟ قالوا : بلى قال : ذكر الله تعالى)) ^(٣) .

قال النووي : قال الحاكم أبو عبد الله في كتابه المستدرک على الصحيحين ^(٤) : هذا حديث صحيح الاسناد . أهـ

=== ضعف ص ٢٠١ ، وهذا الحديث يرويه الأئمة المذكورون من طريقه .

(١) في الدعوات ، في فضل الذكر ٤٥٩/٥ .

(٢) في الأدب ، باب فضل الذكر ١٢٤٥/٢ .

(٣) الأذكار ص ٣٢ برقم (٣١) .

(٤) ٤٩٦/١ ، وأقره الذهبي .

وأخرج الحديث أيضا مالك في الموطأ موقوفا على أبي الدرداء ١٦٥/١ ، بشرحه تنوير الحوالك .

وأحمد في المسند ١٩٥/٥ .

والبغوي في شرح السنة ١٥/٥ .

وتمام الحديث عند الجماعة غير البغوي . قال معاذ بن جبل : ماشى أنجى من عذاب الله ، من ذكر الله !!

قال شيخ الاسلام العز بن عبد السلام في قواعد ص ٣٠ هذا الحديث .

مما يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات ، بل

قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها ،

فإذا الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف ، قال : ويدل على ذلك

أيضا ، حديث مسلم عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - قال : ((من قال حين يصبح وحين يمسي

سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به

إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه . أهـ بتصرف .

وكحديث أبي هريرة عند ابن السني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
 ((ما من عبد يقول حين ينتبه من نومه : الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة ،
 الحمد لله الذي بعثني سالماً سويّاً أشهد أنّ لا إله إلا الله يحيى الموتى وآتاه
 على كل شيء قدير ، إلا قال الله صدق عبدي)) (١)

فإنّ هذا الحديث غريب ، كما قاله الحافظ في نتائج الأفكار ، قال :
 (٢) ومحمد بن جعفر مختلف فيه .

وقد أخرج له مسلم حديثاً واحداً في المتابعات (٣) ، وشيخه (٤) ما تحققت
 حاله . قال : وقد وجدت لبعضه شاهداً أخرجه أبو نعيم في كتاب عمل اليوم
 والليلة . من طريق فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ،
 قال : وهذه الترجمة يحسنها الترمذي في المتابعات (٥) . أ هـ

فهذه نماذج لما سكت عنه في الأذكار ، وهي صالحة للعمل بها
 في الفضائل .

غير أن هناك أحاديث واهية جداً سكت عليها وهي غير صالحة للعمل بها

-
- (١) الأذكار ص ٣٤ برقم (٣٩) ، وعمل اليوم والليلة لابن السني ص ١٥ .
 (٢) قال أحمد : لا بأس به ، وقال أبو داود : ليس به بأس ، وقال أبو حاتم :
 يكتب حديثه ولا يحتج به ، وذكره ابن حبان في الثقات . أ هـ ، تهذيب
 التهذيب ٩ / ٩٨ ، وفي التقريب : صدوق فيه لين من التاسعة ص ٤٧٢ .
 (٣) قال في التهذيب : له في مسلم حديث جابر في الصلاة في الثوب
 الواحد . أ هـ ٩ / ٩٩ ، ولم أجده هناك ، وفي رجال مسلم لابن
 منجويه روى عن ورقاء بن عمر في الصلاة ، وعنه حجاج ابن
 الشاعر أ هـ ١ / ١٢٠ .
 (٤) هو محمد بن عبيدة .
 (٥) نتائج الأفكار ١ / ١١٥ .

في الفضائل على الشرط في العمل بها وهو أن لا يشتد ضعفها ، وذلك كحديث عائشة - رضي الله عنها - عند ابن السني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((ما من عبد يقول عند رَدِّ الله روحه : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الا غفر الله تعالى له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر)) (١) .

قال الحافظ : هذا حديث ضعيف جدا ، أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده عن عبد الوهاب بن الضحاک . قال : وعبد الوهاب كذبه أبو حاتم الرازي ، وأبو داود وغيرهما ، وقال النسائي : وغيره متروك (٢) ، وفي سند الحديث إسماعيل بن عياش وهو مختلف فيه . قال : لكن اتفقوا على أن روايته من غير الشاميين ضعيفة . وهذا منها . (٣)

قال الحافظ : وقد وجدت الحديث في مسند الحارث بن أبي أسامة ، أخرجه من طريق الليث بن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن موسى بن ابن وردان به . قال : وإسحاق ، ضعيف جدا . (٤) ، ولعل إسماعيل سمعه (٥)

- (١) الأذكار ص ٣٣ برقم (٣٨) ، وعمل اليوم والليلة لابن السني ص ١٤ .
- (٢) نتائج الأفكار ١١٢/١ ، وانظر تهذيب التهذيب ٤٤٦/٦ ، وفي التقريب ، متروك كذبه أبو حاتم ص ٣٦٨ ، وقال ابن أبي حاتم : سمع من ——— أبي بالسلمية وترك حديثه ، والرواية عنه ، وقال : كان يكذب . أهد الجرح والتعديل ٧٤/٦ .
- (٣) نتائج الأفكار ١١٢/١ ، وانظر تهذيب التهذيب ٣٢١/١ ، وفي التقريب ، صدوق في روايته عن أهل بلده ، مغلط في غيرهم ، ص ١٠٩ .
- (٤) انظر تهذيب التهذيب ٢٤٠/١ ، وفي التقريب متروك ، من الرابعة ص ١٠٢ .
- (٥) ابن أبي عياش المذكور في السند السابق .

منه فظنه عن ابن اسحاق ^(١) . قال : وموسى المذكور في اسناده مختلف فيه ^(٢) ، وكذا شيخه ^(٣) .

قال : ورأيت للحديث شاهدا في صحيح ابن حبان بزيادة فيه ^(٤) ، والله أعلم .
فهذا الحديث قد اشتد ضعفه ، فلا يكون حينئذ من الأحاديث التي يعمل بها في الفضائل لاختلال شرطها ، اللهم إلا أن يقال أن النووي - رحمه الله - قد قواه بالشاهد الذي أشار إليه الحافظ عند ابن حبان ، وصححه الهيثمي ، فيقبل حينئذ ، والله أعلم .

- (١) صاحب المغازي ، وهو صدوق يدلّس ، روى بالتشيع والقدر ، من صفار الخامسة ، مات سنة خمسين ومائة أ هـ . (تقريب ص ٤٦٢) .
- (٢) وثقه العجلي وأبو داود ، وقال أحمد فيه : لا أعلم إلا خيرا ، وقال أبو حاتم : لا بأس به ، وقال في موضع آخر : ليس بالمتين ، يكتب حديثه ، وفي التقريب ، صدوق ربما أخطأ ، من الثالثة ، مات سنة سبع عشرة . أ هـ انظر تاريخ الثقات للعجلي ص ٤٤٥ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٣٢٦ ، وتقريب التهذيب ص ٥٥٤ .
- (٣) هو يزيد صاحب العباء ، كما في عمل اليوم واللييلة لابن السني ص ١٤ ، ولم أجده من ذكره بهذا اللقب .
- (٤) نتائج الأفكار ١١٢/ ١ ، ورواية ابن حبان هي : (عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((إذا آوى الرجل - إلى فراشه آتاه ملك وشيطان ، فيقول الملك : اختتم بخير ، ويقول الشيطان : اختتم بشر ، فان قال : الحمد لله الذي ردّ عليّ نفسي ولم يمتها في منامها ، الحمد لله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، إلى آخر الآية ، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه)) ، فان وقع من سريره فمات دخل الجنة) الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٢/ ٤٢٥ ، وقال نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن الحجاج الشامي ، وهو ثقة ، مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٣ .

وإذا سكت عن الحديث ، لذهول أو نحوه ، فإنه لا يدل على ضعف الحديث ، بل أنه قد سكت عنه وهو صحيح أو حسن . كحديث عائشة - رضي الله عنها - عند أبي داود ^(١) ، قالت : ((كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا هب من الليل ، كبر عشرا ، وحمد عشرا ، وقال : سبحان الله وبحمده عشرا ، وقال : سبحان^{الله} القدوس عشرا ، واستغفر عشرا ، وهلل عشرا . ثم قال : اللهم انني أعوذ بك من ضيق الدنيا عشرا ، وضيق يوم القيامة عشرا ، ثم يفتتح بالصلاة)) ^(٢) . قال الحافظ : هذا حديث حسن أخرجه أبو داود هكذا ^(٣) ، وأخرجـــــــــــــــــه النسائي في الكبرى ، وفي عمل اليوم والليلة عن عمرو بن عثمان ، عن بقيقة ، قال : وبقيّة صدوق ، لكنه يدلّس ويسوّى عن الضعفاء ، وقد أمّن ذلك في هذا الاسناد ، فإنه وقع في رواية النسائي تصريحه بتحديث شيخـــــــــــــــــه له به . قال : وشيخه عمر بن جعشم ، روى عنه جماعة ولم أقف فيه على جرح ولا تعديل ، إلا أن ابن حبان ذكره في الثقات . وشيخ شيخه شريك : بوزن عظيم ماروى عنه

(١) في الأدب ٦١٢/٢ .

(٢) الأذكار ص ٣٤ برقم ٤٠ .

(٣) من طريق كثير بن عبيد ، أخبرنا بقيقة بن الوليد ، عن عمر بن جعشم قال : أخبرنا أزهر بن عبد الله الحرازي ، قال : حدثني شريف الهوزني ، قال : دخلت على عائشة فسألتها بم كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفتتح إذا هب من الليل ؟ ، قالت : لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، وذكرت الحديث . . . وكثير بن عبيد ثقة من العاشرة . تقريب ص ٤٦٠ ، وبقيّة بن الوليد صدوق كثير التدليس عن الضعفاء ، من الثامنة . تقريب ص ١٢٦ ، وعمر بن جعشم مقبول ، من الخامسة . تقريب ص ٩٨ ، وشريك الهوزني مقبول ، تقريب ص ٤١٠ ، وأزهر ابن عبد الله الحرازي صدوق ، تكلموا فيه للنصب . من الخامسة ، تقريب ص ٢٦٦ .

سوى أزهر — ولم أقف فيه على جرح ولا تعديل^(١) . قال : ولكن وجدت له متابعا ، وذكر سنده الى ربيعة الجرشي ، قال : سألت عائشة — رضى الله عنها — ما كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول اذا قام يصلي من الليل ؟ ، وما اذا كان يفتح ؟ ، قالت : كان يكبر عشرا ، ويحمد عشرا ، ويسبح عشرا ، ويهلل عشرا ، ويستغفر عشرا . ويقول : اللهم اغفر لي واهدني وارزقني ، عشرا ، ويقول : اللهم اني أعوذ بك من الضيق يوم الحساب عشرا ، قال : هكذا أخرجه النسائي^(٢) ، ورجاله موثقون ، وسنده أقوى من الذي قبله ، لكنه يحتضد به .^(٣)

فهذا حديث سكت عنه النورى ، وهو حديث صحيح ، فدل على أنه لا يسكت على الضعيف فقط ، بل وغيره .

وكحديث عائشة — رضى الله عنها — عن أبي داود^(٤) — رحمه الله —

(١) كذا قال هنا ، وقد تقدم كلامه عليه في التقريب أنه مقبول .

(٢) في عمل اليوم والليلة ص ٤٩٨ ، من طريق أبي داود سليمان بن سيف ، ثنا يزيد بن هارون ، ثنا الأصمغ بن زيد ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، ثنا ربيعة الجرشي ، وسليمان بن سيف ثقة حافظ ، من الحادية عشرة . تقريب ص ٢٥٢ ، ويؤيد بن هارون ثقة متقن عابد ، من التاسعة ، تقريب ص ٦٠٦ ، والأصمغ بن زيد صدوق يغرب ، من السادسة ، تقريب ص ١١٣ ، وثور بن يزيد ثقة ثبت ، من السابعة ، تقريب ص ١٣٥ ، وخالد بن معدان ثقة عابد يرسل كثيرا ، من الثالثة ، تقريب ص ١٩٠ ، وربيع الجرشي مختلف في صحبته ، وثقه الدارقطني وغيره ، تقريب ص ٢٠٨ .

(٣) نتائج الأفكار ١/ ١١٩ .

(٤) في الأدب ، من طريق حامد بن يحيى ، أخبرنا أبو عبد الرحمن ، أخبرنا سعيد ، يحيى ابن أبي أيوب ، قال : حدثني عبد الله بن الوليد ، عن
===

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ : ((لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا وَلَا تَزِرْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً أَنْتَ الْوَهَّابُ)) .

قَالَ الْحَافِظُ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْكُبْرَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضَالَةَ ، عَنْ الْمُقْرِيِّ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ الْمُقْرِيِّ ^(١) ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ ، عَنْ سَمِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ ، قَالَ : وَرَجَّاهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ ، إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْوَلِيدِ ، فَإِنَّهُ مَصْرِيٌّ مُخْتَلَفٌ فِيهِ . أَهـ

وقد وثقه ابن حبان ، وقال الدارقطني : لا يمتنع بحديثه ^(٣) ، وتوسط فيه الحافظ . فقال : لين الحديث ، ^(٤) فلا ينزل الحديث عن درجة الحسن ان شاء الله .

== سعيد بن المسيب ، عن عائشة - رضی اللہ عنہا - ، سنن
أبي داود ٦٠٩/٢ .

وحامد بن يحيى ، ثقة حافظ ، من العاشرة ، تقريب ص ١٤٩ ، وأبو عبد الرحمن ،
هو عبد الله بن يزيد العدوي المقرئ المكي ، ثقة فاضل ، من التاسعة ،
تقريب ص ٣٣٠ ، وتهذيب التهذيب ٦ / ٨٣ ، وسعيد بن أبي أيوب ثقة
ثبت ، من السابعة ، تقريب ص ٢٣٣ . وعبد الله بن الوليد ، لين الحديث ،
من السادسة ، تقريب ص ٣٢٨ . وسعيد بن المسيب ، أحد العلماء
الأثبات الفقهاء الكبار ، من كبار الثانية ، تقريب ص ٢٤١ .
ولم أجده من رواية ابن وهب عند أبي داود كما قال الحافظ ، وإنما
الذي رأيته عنده ، هو ما ذكرته من رواية أبي عبد الرحمن المقرئ .
(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد العدوي المقرئ المكي ، الذي
تقدم ذكره آنفاً ، وابن حبان لم يخرج له من طريقه ، إنما أخرجه من
طريق ابن وهب ٤٢٤ / ٧ ، فلعل ما حصل في كلام الحافظ سبق نظر
من النسخ ، فوضعوا ابن وهب في طريق أبي داود ، والمقرئ في طريق
ابن حبان ، والواقع هو العكس .

(۲) نتائج الافكار ص ۱۱۶ •

(٣) تهذيب التهذيب ٦٩/٦ .

(٤) تقریب ص ٣٢٨ رقم ٣٦٩١ .

فهذه نماذج لما سكت عنه النووي في الأذكار ، يتبين منها أنه جار فيه على القاعدة التي أشار إليها في مقدمة الكتاب ، وهي العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، وعبارته فيها هي : " قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم : يجوز ويستحب العمل في الفضائل ، والترغيب والترهيب ، بالحديث الضعيف ، ما لم يكن موضوعا ، وأما الأحكام ، كالإحلال والحرام ، والبيع ، والنكاح ، والطلاق ، وغير ذلك ، فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح أو الحسن ، إلا أن يكون في احتياط في شيء من ذلك ، كما إذا ورد حديث ضعيف بکراهة بعض البيوع أو النكحة ، فإن المستحب أن يتزهد عنه ، ولكن لا يجب ، قال : وإنما ذكرت هذا الفصل لأنه يجيء في هذا الكتاب أحاديث أنص على صحتها أو حسننها أو ضعفها ، أو أسكت عنها لذهول عن ذلك وغيره ، قال : فأردت أن تتقرر هذه القاعدة عند مطالع هذا الكتاب " .^(١)

فأقارن في هذه العبارة أن ما كان في كتابه من ضعيف الحديث ، فإنه مقبول في باب الفضائل ، فعمم الحكم من غير زيادة بيان ، كما فعل في التقريب تبعاً لابن الصلاح ، حيث قال هناك : يجوز عند أهل الحديث التساهل في الأسانيد الضعيفة ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله والأحكام . أهـ^(٢) ، وذلك جرياً على عادة كثير من المحدثين الذين يطلقون مثل هذه العبارة من غير تقييد بشرط آخر كما يفهم ذلك من عباراتهم التي ذكر بعضها منها الخطيب البغدادي في الكفاية ، فقال : قد ورد عن غير واحد من السلف ، أنه لا يجوز حمل الأحاديث المتعلقة بالتحليل والتحريم ، إلا عن كان بريئاً من التهمة ، بعيداً عن الظنّة ،

(١) الأذكار ص ١٦ .

(٢) التقريب والتيسير ، مع التدريب ٢٩٨/١ .

وأما أحاديث الترغيب والموعظ ونحو ذلك ، فإنه يجوز كتبها عن سائر المشايخ . ثم ذكر طائفة من أقوال أهل العلم في ذلك ، فروى بسنده إلى الإمام أحمد - رحمه الله - أنه قال : الأحاديث الرقائق يحتمل أن يتساهل فيها حتى يجيء شيء فيها حكم ، وروى عنه أيضا أنه قال : إذا روينا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحلال والحرام ، والسنن والأحكام ، تشددنا في الأسانيد ، وإذا روينا عنه - صلى الله عليه وسلم - في فضائل الأعمال ، وما لا يوضح حكما ولا يرفعه ، تساهلنا في الأسانيد . وروى عن أبي زكريا يحيى ابن محمد العنبري قوله : الخبر إذا ورد ولم يحرم حلالا ، ولم يحل حراما ، ولم يوجب حكما ، وكان في ترغيب أو ترهيب أو تشديد أو ترخيص ، وجب الإغماض عنه ، والتساهل في روايته . وروى نحوه ذلك عن سفيان الثوري وعن ابن عيينه .^(١)

وأخرج البيهقي في المدخل ، عن ابن مهدي قوله : إذا روينا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحلال والحرام والأحكام ، شددنا في الأسانيد ، وانتقدنا في الرجال . وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب ، سهلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال .^(٢)

وقال ابن عبد البر : أحاديث الفضائل تسامح العلماء قديما في روايتها عن كل ، ولم ينتقدوا فيها كانتقادهم في أحاديث الأحكام .^(٣)

فاقتضت هذه الأخبار أنه لا يشترط للحديث الضعيف إلا شرط واحد ، وهو أن يكون في الترغيب والترهيب والمغازي والسير ونحوها ، أما الأحكام ، والعقائد ، فلا يقبل فيها إلا ما صح ، وهذا ما صرح به العراقي من المتأخرين ، حيث قال : أما غير الموضوع ، فجوزوا التساهل في أسناده وروايته من غير بيان

(١) الكفاية في أصول الرواية ص ٢١٣ ، وانظر فتح المغني ١ / ٢٦٢ - ٢٦٨ .

(٢) الأجوبة الفاضلة ص ٥٠ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٤٥ ، وانظر هذا البحث في الأجوبة الفاضلة ص ٣٦ - ٥٨ .

ضعفه اذا كان في غير الأحكام والعقائد ، بل في الترفيب والترهيب : من المواعظ والقصص فضائل الأعمال ونحوها ، أما اذا كان في الأحكام الشرعية ، من الحلال والحرام ، وغيرهما ، أو في العقائد كصفات الله تعالى ، وما يجوز وما يستحيل عليه ونحو ذلك ، فلم ير التساهل في ذلك ، قال : وممن نصر على ذلك من الأئمة عبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد بن حنبل ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم . (١)

فتبين من ذلك ، أن ماجرى عليه النووي هو عرف المتقدمين في إطلاقهم القول بقبول ضعيف الحديث في الفضائل من غير مزيد شرط ، غير أن الذي تأصل عند المتأخرين ، أن للعمل بالحديث شروطاً أخرى غير ما ذكر . قال السيوطي — رحمه الله — عقب ما تقدم نقله عن النووي في التقريب : لم يذكر ابن الصلاح والمصنف هنا وفي سائر كتبه ، لما ذكر ، سوى هذا الشرط ، وهو كونه في الفضائل ونحوها . قال : وذكر شيخ الإسلام له ثلاثة شروط :

أحدها : أن يكون الضعف غير شديد ، فيخرج من انفراد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلظه .

الثاني : أن يندرج تحت أصل معمول به (فيخرج ما يخرع ويحيث لا يكون له أصل ، أصلاً) .

الثالث : أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط ، لئلا

ينسب إليه — صلى الله عليه وسلم — ما لم يقله ، .
 قال : ونقل الأخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد . (٢)
 قال السخاوي : والأول نقل العلائي الاتفاق عليه . (٣)

قال السيوطي : وقيل لا يجوز العمل به مطلقاً ، قاله أبو بكر العربي .

(١) التبصرة والتذكرة ٢٩١/١ .

(٢) تدريب الراوي ٢٩٨/١ .

(٣) القول البدیع ص ٢٥٨ .

وقيل : يعمل به مطلقا ، قال : وتقدم عزو ذلك الى أبي داود وأحمد ، وأنهما يريان ذلك أقوى من رأى الرجال . قال : وعبارة الزركشي ، الضعيف مردود مالم يقتض ترغيبا أو ترهيبا ، أو تتعدد طرقه ، ولم يكن المتابع منحطا عنه ، وقيل : لا يقبل مطلقا ، وقيل : يقبل ان شهد له أصل واندرج تحت عموم . قال السيوطي : ويعمل بالضعيف أيضا اذا كان فيه احتياط . (١)

فتحصل أن في العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب لا يعمل به مطلقا ، يعمل به مطلقا ، يعمل به في الفضائل بشروط ، وهو الذي عليه الجمهور . قاله السخاوي في القول البديع . (٢)

هذا ماجرى عليه المتأخرون من تفصيل القول في العمل بالحديث الضعيف .
وعليه ، فما جرى عليه النووي - رحمه الله - من تضمين كتابة الأذكار أحاديث ضعيفة ، يتنزل على كلام الامام أحمد وابن مهدي والسفيانيين وغيرهم الذين أطلقوا القول بقبول ضعيف الحديث في غير العقائد والأحكام ، فيندفع عنه الاعتراض . والله أعلم .

على أنه لم يترك بيان ضعفها ، بل ينبّه غالبا الى ضعف الحديث ، كما التزم به . (٣)

وقد يفوته البيان أحيانا لذهول عن ذلك ونحوه ، كما نبّه عليه في المقدمة ، غير أن الله قد قيض له الحافظ ابن حجر ، فخرج أحاديثه في مجالس املاء ، وجمعه في كتاب أسماه " نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار " ، بين فيه

(١) تدريب الراوى ٢٩٩/١ ، وأقرأ حاشية الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف

على هذا الموضوع .

(٢) ص ٢٥٨ .

(٣) وانظر مثلا الأحاديث ذات الأرقام التالية ٦٠ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

٧٩ ، ١١٣ ، ٣٦٦ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦ من الطبعة التي

أخرجها محمد الأنور أحمد البلتاجي ، التي رجعت اليها .

مرتبة كل حديث ودرجته ، غير أنه لم يتم ، وقد صدر منه الجزء الأول بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي في عام ١٤٠٦ هـ من بغداد ، فبين الأحاديث التي أودعت في هذا الكتاب المبارك بأسانيد إلى مفتهاها ، وكانت تتحصل له موافقة عالية غالباً ، وأحياناً يحصل له بدلاً عالياً وهو كثير أيضاً .

ووصل في أماليه تلك ، إلى باب الاستئذان ، ثم لحق بالملك الديان - تغشاه الله بالرحمة والرضوان - ، كما نبّه عليه العلامة ابن علان ^(١) ، ولا ريب أن عمل الحافظ في هذا الكتاب كعمله في سائر كتبه من حيث التحرير والتدقيق ، والاحاطة والشمول ، هو في غنى عن الإشارة إليه . وانظر إلى الأحاديث التي سكت عنها النووي ^(٢) . ثم قبض الله العلامة محمد بن علان الصديقي المكي سنة ١٠٥٧ هـ ، فشرحه شرحاً لم تكتحل عين الزمان بمثله ، من حيث الشرح والايضاح ، ويقع في سبعة أجزاء ، وأسماه " الفتوحات الربانية على الأذكار النووية " . فضمنه تخريج الحافظ ابن حجر ، حيث نقل كلامه فيه على تخريج الأحاديث والحكم عليها . ولما انتهى كلام الحافظ بعد مضي ثلثي الكتاب تقريباً ، انبرى هو لتخريج الأحاديث ، لكنه قصر في الحكم عليها ، فلا يكاد يذكر حكم حديث سكت عنه النووي .

(١) في الفتوحات الربانية ٣٧١/٥ .

(٢) في المجالس والصفحات الآتية من الجزء الأول الذي تم نشره :

المجلس ١١٩/٢٣ - ١٢٠ ، ٢٤/م - ١٢٣ ، ٢٤/م - ١٢٤ ، ٢٦/م - ١٣٥ - ١٣٦ ، ٢٨/م - ١٤٤ - ١٤٦ ، ٢٩/م - ١٥٠ - ١٥٥ ، ٣٣/م - ١٧١ - ١٧٢ ، ٤٣/م - ٢١٩ - ٢٢٣ ، ٥٧/م - ٢٨٢ ، ٥٢/م - ٢٨٤ ، ٥٨/م - ٢٨٨ ، ٦١/م - ٣٠٠ ، ٧٤/م - ٣٦٧ ، ٧٥/م - ٣٧٠ - ٣٧٢ ، ٧٥/م - ٣٧٢ ، ٧٧/م - ٣٧٧ - ٣٧٨ ، ٧٨/م - ٣٧٢ - ٣٨٤ ، ٧٨/م - ٣٨٤ - ٣٨٦ ، ٧٩/م - ٣٨٩ - ٣٩١ ، ٨٠/م - ٣٩١ - ٣٩٥ ، ٨٦/م - ٤٢١ - ٤٢٢ .

وبالجملة ، فقد خدمت أحاديث الكتاب من حيث التخريج ، وأما الحكم على ما سكت عنه ، فمن حيث وقف الحافظ ، يحتاج الى بيان ، فلعل الله أن يهني له من يتم عمل الحافظ انه على كل شيء قدير .

هذا ، وقد اشتمل الكتاب على سبعة عشر كتابا ، وأربع وأربعين وثلاثمائة بابا ،
وشمانية عشر ومائتي فصلا تقريبا .

وذيله بنفائس مهمة ، منها باب عقده لتعقب من سبقه في الفاظ كرهوها من غير مستند لهم في ذلك ، أو كان استنادهم الى أدلة واهية ، فبين فيها وجه الصواب ، وكشف عن حقائقها النقاب ، وذلك لئلا يغتر بها من وقف عليها اعتمادا على قائلها ، لأن منهم من يركن الى قوله لا ماته وصلاحه ، إلا أن الخطأ لا يسلم منه بشره ، إلا من اصطفاهم الله برسالاته . (١)

ومن تلك النفائس ، أن ذيله بفصل ضمنه الأحاديث التي عليها مدار الاسلام ، رأى أن يتم به محاسن الكتاب ان شاء الله تعالى . قال : وقد اختلفت العلماء فيها اختلافا منتشرا ، وقد اجتمع من تداخل أقوالهم مع ما ضمنته اليها ثلاثون حديثا ، فذكرها مبينا من أخرجها موضحا درجتها من حيث الصحة والحسن ، وغالب هذه الأحاديث ، هي من الأربعين حديثا التي جمعها في أربعينيتها . (٢)
عناية العلماء به :

لقد اعتنى أهل العلم بهذا الكتاب عناية فائقة ، وذلك لما احتل من المكانة العالية في قلوبهم ، التي عبر عنها ابن علان بقوله : انه كتاب عظيم

(١) انظر هذا الكتاب من ص ١٧٠ - ١٧٢ ، وأما قلت أن هذا جعله ذिला

للكتاب ، لأنه ليس من موضوع الكتاب ، وأما ذكره هناك لما رأى من دعوة الحاجة اليه ، فنبه على ذلك نصحا وارشادا .

(٢) المشهورة بالأربعين النووية .

المقدار ، سامي الفخار ، ذكر مؤلفه بذلا للنصيحة لا من باب الافتخار ، أنه لا يستغنى عنه طالبوا الآخرة الأخيار ، وقال غيره من العلماء الذين عليهم المدار : بع الدار واشتر الأذكار ، وقال غيره من السادة الأخيار : ليس يذكر من لم يقرأ الأذكار . (١)

فكانت غاية الناس بخدمته متفرقة .

فالحافظ ابن حجر ، خرج أحاديثه في كتابه الذي تقدمت الإشارة إليه ، لكنه لم يقدّر له التمام ، حيث توفي قبل اتمامه ، غير أنه كان قد أتى على ثلثي الكتاب تقريبا .

ثم أراد السخاوي أن يتم عمل شيخه ، فأملى عدة مجالس ثم توفي ، قال ابن علان : ومجموع الأملى في نحو ثلاث مجلدات . (٢)

ولما كان الكتاب يحتوى على كثير من الأحكام والآداب ونحوها مما ليس هو من غرض الكتاب ، فقد اعتنى كثير من العلماء بتمييز الأذكار عن غيرها ، فخلصه الحافظ جلال الدين السيوطي سنة ٩١١ هـ بكتاب سماه " أذكار الأذكار " ثم شرح هذا الملخص . (٣)

(١) الفتوحات الربانية ٤/١ ، وهاتان العبارتان المراد بهما الحث على اقتناء هذا الكتاب والاستفادة منه ، لأنه يجعل المسلم دائما متعلقا بربه ، داعيا متضرعا في كل شئونه وأحواله ، لأنه لا يخلو حال من الأحوال يستغنى فيه المرء عن ربه ، فكان هذا الكتاب منيرا له طريق الهدى ، عمن بعث بالهداية ليلهج بالأدعية الماثورة ، فيجد مأموه ، ان شاء الله ، وليس المراد منهما ظاهرا لفظهما ، والله أعلم .

(٢) الفتوحات الربانية ٤/١ .

(٣) كشف الظنون ٦٨٩/١ .

(١)
 وكان قد اختصره قبله شهاب الدين أحمد بن حسين الرملي سنة ٨٤٤ هـ .
 واختصره كذلك العلامة محمد بن عمر بن مبارك بن عبد الله الحميري الحضرمي
 الشهير "ببحرق" سنة ٩٣٠ هـ ، وسماه " الأسرار النبوية في اختصار الأذكار
 (٢)
 النووية .

وأخيرا اختصره فضيلة الشيخ محمد بن علي الصابوني وسماه " المنتقى المختار
 من كتاب الأذكار " حذف منه كثيرا من الحكايات ، وجملا من الأحكام والآداب ،
 وقد طبع الكتاب طبعة جيدة في مجلد يقسع في إحدى عشرة وأربعمئة صفحة
 من القطع الوسط .

غير أن جانب الشرح لم يحظ به إلا العلامة محمد بن علان سنة ١٠٥٧ هـ
 وقد تقدمت الإشارة إليه .

(٣)
 وعمل عليه الجلال السيوطي نكتا سماها " تحفة الأبرار بنكت الأذكار "

وعمل عليه نكتا أيضا ، شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي ت

(٤)

وسماه " اتحاف الأخيار في نكت الأذكار " .

(٥)
 قال حاجي خليفة : ولبعض الأعاجم ترجمته بالفارسية فرغ منها سنة ١٢٧٦ هـ .

(١) كشف الظنون ٦٨٩ / ١

(٢) معجم المؤلفين ٨٩ / ١١ ، وهداية العارفين ٢٣٠ / ٢ ، والنور

السافر ص ١٤٧ .

(٣) كشف الظنون ٦٨٩ / ١

(٤) " " " "

(٥) " " " "

(٢) - بستان العارفين :

غزاه اليه ابن العطار ^(١) ، والسيوطي ^(٢) ، وحاجي خليفة ^(٣) ،
والزركلي ^(٤) ، والبغدادى ^(٥) وغيرهم .

وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه محمد الحجار ، وطبع بمطبعة مصر للطباعة ،
ولم يذكر لطبعته تاريخ .

سبب تأليفه :

وقد ذكر النووى الباعث على تأليفه ، وهو أنّ الدنيا دار نفاد لا دار اخلاذ ،
ودار عبور لا دار حبور ، ودار فناء لا دار بقاء ، ودار انصرام لا دار دوام ، وأنّ
الأدلة العقلية والنقلية قد تواترت على ذلك ، وأنه قد جاء في القرآن العزيز
من التحذير والركون اليها ، والاغترار بها ، والاعتماد عليها ، ما هو أعرف من
أن يذكر ، وأشهر من أن يشهر ، فكان حقاً على الانسان أن يسلك طريق
العقلاء ، ويذهب مذهب البصراء ، ولما كان أمر الدنيا مازكر ، أراد أن يجمع
كتاباً مبيناً لسلوك طريق العقلاء ، وسبيلاً الى التخلص بالأخلاق الجميلة ^(٦) .

-
- (١) تحفة الطالبين ١٠/١ .
 - (٢) الضهاج السوى ١٨/١ .
 - (٣) كشف الظنون ٢٤٤/١ .
 - (٤) الأعلام ١٤٩/٨ .
 - (٥) هداية العارفين ٥٢٤/٢ .
 - (٦) انظر مقدمة الكتاب من ص ١٤ - ١٨ .

منهجه فيه :

أما منهجه فيه ، فقد أشار اليه بقوله : أذكر فيه ان شاء الله تعالى جملاً من نفائس اللطائف ، وحقائق المعارف ، وأنشر ما أذكره فيه ، نشرًا ، ليكون أبعد لمطالعته عن الملل ، وأقرب للذكرى ، ولا ألتزم فيه ، ترتيبه على الأبواب ، فإن ذلك مما يجلب الملل للناظر في الكتاب ، وأذكر فيه — ان شاء الله تعالى — من الآيات الكريمات ، والأحاديث النبويات ، وأقاويل السلف النيرات ، ومستجدات المأثور عن الأخيار من عيون الحكايات ، والأشعار المستحسنة الزهديات ، وأبيات في أكثر الأوقات ، صحة الأحاديث ، وحسنها ، وحال روايتها ، وبين ما يخفى وما يشكل من معانيها ، وأضبط ما يحتاج الى تقييد حذرا من التصحيف ، وفرارا من التغيير والتحريف .

ثم ذكر أنه يذكر الأحاديث مسندة تارة ، لكونه أوقع في النفوس ، ويحذف الاسناد تارة أخرى ، خوفا من التطويل والاكثار ، ولأن الكتاب موضوع للمتعبدين ، وهم ليسوا الى معرفته محتاجين . مع أن تلك الأخبار مسندة لديه . وذكر أنه سيشرح الغريب ويضبط الأسماء ، ويشرح ما يحتاج الى شرح ، وأنه سيذكر جملاً من اللطائف الحديثية والفقهية ، والآداب الدينية ، وطرفا من علم الحديث . ودقائق الفقه الخفية ، ومهمات من أصول العقائد وعيون من النفائس القواعد ، وغرائب لطيفة مما يستحسن في المذكرات ، ويستحب ذكره في مجالس الجماعات ، ومعارف القلوب وأمراضها وطبها وعلاجها . وذكر أنه قد يختصر ما يحتاج الى بسط ، ويحيل بسط شرحه الى مظنته من كتب العلماء والأخيار أو كتبه ، ارشادا للفائدة ، لالتبجح والافتخار ، ولا لظهار المصنفات والاستكثار .^(١)

وقد وقى - رحمه الله - بجميع ما التزم به ، على النحو الذى ذكره ، من ذكر جمل من نفائس اللطائف ، وحقائق المعارف ، من الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية ، وأقاويل السلف النيرات ، استهله ، بعد ذكر المنهج المتقدم ذكره بالحديث عن الاخلاص وذكر ما ورد في ذلك من القرآن الكريم ، وموضحاً غريبه ومدلوله ^(١) ، ثم ساق تسعة وعشرين حديثاً من الأحاديث التي عليها مدار الاسلام ، مذيلاً لكل حديث ما يحتاجه من تفسير غريب ، أو إيضاح دلالة ^(٢) ، ثم أعاد الحديث عن الاخلاص من القرآن والسنة وأقاويل السلف ^(٣) ، ثم تحدث عن الصدق ، من القرآن والسنة وأقاويل السلف ^(٤) ، ثم عقد فصلاً لاحتضار النية ، وأتى بأقوال العلماء في النية ، وما يترتب على احتضارها ، واخلاصها ، من ثواب ، وتوسع في ذكر ذلك من الحديث وآثار السلف الصالح ^(٥) ، ثم ذكر باباً في نفائس مأثورة ، وفوائد مفيدة متفرقة ، من الحديث وآثار السلف ، تنير القلب ، وتوقظ الضمير ، وتصفى الفطرة ، وتبعث الهمة * لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * ، ومن ليس كذلك * (فما لجرح يميت ، وإيلام) ^(٦) ثم تحدث بعد ذلك عن بعض الجوانب العقدية ، ككرامات الأولياء ، فتحدث عنها مثبتاً لها ، ومستدلاً عليها من الكتاب والسنة ، وتعرض للرد على المعتزلة ، في إنكارها ، وبين الفرق بين المعجزة والكرامة ، وبين السحر والكرامة ،

(١) من ص ٢١ - ٢٣ .

(٢) من ص ٢٤ - ٦٤ .

(٣) من ص ٦٤ - ٧٠ .

(٤) من ص ٧٠ - ٧٣ .

(٥) من ص ٧٣ - ٩٧ .

(٦) من ص ٩٧ - ١٤١ والآية في سورة قاف رقم ٣٧ .

وأنواع الكرامة ، ثم عرف الولي ، وبين أصل اشتقاقه ، وهل هو معصوم أم لا ؟ ،
 وهل يسقط الخوف عنهم أم لا ؟ ، وهل تحصل لهم رؤية الله ، وقرر في ذلك
 مذهب السلف من عدم العصمة لهم ، وعدم سقوط الخوف عنهم ، واستحالة
 رؤيتهم لله تعالى في الدنيا بالبصر ، ثم تعرض لسلب الولاية ، والفرق بين
 الكرامة والموهبة ، ثم ذكر عدة صور من الكرامات والمواهب .^(١)

ثم ختم الكتاب بباب في حكايات مستظرفة عن بعض العلماء المتقدمين
 عليه ، وبعض مشايخه ، وبعض معاصريه .^(٢)

وكان يسوق كثيرا من أحاديث الكتاب وآثاره بأسانيد^(٣) ، وحذف
 أسانيد الأكثر لما تقدم ذكره ، من غرض الاختصار مع كونها مسندة لديه .
 كما أنه كعادته غنى بتفسير ما يرد في الأحاديث والآثار من غريب أو ضيظ
 اسم أو دفع اشكال .

وبالجملة ، فهو كتاب نفيس ، عظيم الفائدة ، من أفضل كتب التربية
 والسلوك . قال السخاوي :- رحمه الله - : ما أبدعه ، وغنى به الفضلاء قراءة
 واستذكارا .^(٤)

وقد طبع الكتاب في مصر ، باخراج وتحقيق ، الشيخ محمد الحجار الحلبي ،
 ويقع في مائتي صفحة من القطع المتوسط ، مذيلة بحواشي للمحقق المذكور ، وقال السيوطي :
 إنه لم يتم .

(١) كل ذلك من ص ١٤١ - ١٨٨ . (٢) من ص ١٨٩ السخ .

(٣) انظر مثلاً : ٢٤ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ،

١٠٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،

١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٤) السخاوي ص ١٥ .

(٥) المنهاج السوي ١٨ / أ .

(٣) - التبيان في آداب حملة القرآن :

- أشار اليه في المجموع (١) ، وفي شرح مسلم (٢) .
وعزاء اليه غالب من ترجم له ، كابن العطار (٣) ، والذهبي (٤) ، وابن
كثير (٥) ، والياقعي (٦) ، وابن قاضي شهبه (٧) ، وحاجي خليفة (٨) ، وابن
العماد (٩) ، والبغدادى (١٠) ، والزركلي (١١) ، ورضا كحاله (١٢) ، وغيرهم .
ونسبته اليه مشهورة .

سبب تأليفه :

وكان الباعث له على تأليفه ، ما رآه من أهل بلده دمشق - حماها الله -
وسائر بلاد الاسلام ، من الاكثار من الاعتناء بتلاوة القرآن العزيز ، تعلما وتعلما ،
وعرضا ، ودراسته في جماعات وفردى ، مجتهدين في ذلك ، ليلا ونهارا ،

(١) ١٦٢/٢ ، ٣٩٦/٣ .

(٢) ٤٣/٨ .

(٣) تحفة الطالبين ١٠/١ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١٤٧٢/٤ .

(٥) البداية والنهاية ٢٧٩/١٣ .

(٦) مرآة الجنان ١٨٢/٤ .

(٧) الطبقات ١٥٦/٢ .

(٨) كشف الظنون ٣٤٠/١ .

(٩) شذرات ٣٥٦/٥ .

(١٠) هداية العارفين ٥٢٤/٢ .

(١١) الأعلام ١٤٩/٨ .

(١٢) معجم المؤلفين ٢٠٢/١٣ .

وأن من سبقه من الأعلام ، كانوا قد ألفوا في فضل تلاوته ، ولكن ضعفت الهمم عن حفظها ، بل عن مطالعتها ، فصار لا ينتفع بها إلا أفراد من أولي الأفهام ، فدعاه ذلك الى جمع مختصر في آداب حملته ، وأوصاف حفاظه ، وطلبته ، نصحا للكتاب العزيز ، كما أوجبه الله تعالى . وقد ضمن هذا الكتاب عشرة أبواب :

- ١ - في أطراف من فضيلة تلاوة القرآن وحملته .
- ٢ - في ترجيح القراءة والقارئ على غيرهما .
- ٣ - في إكرام أهل القرآن والنهي عن أذاهم .
- ٤ - في آداب معلم القرآن ومتعلمه ، وفيه واحد وعشرون فصلا .
- ٥ - في آداب حامل القرآن ، وفيه خمسة فصول .
- ٦ - في آداب القرآن ، وهو معظم الكتاب ومقصوده ، وفيه أربعة وخمسون فصلا .
- ٧ - في آداب الناس كلهم مع القرآن ، وفيه أحد عشر فصلا .
- ٨ - في الآيات والسور المستحبة في أوقات وأحوال مخصوصة ، وفيه سبعة فصول .
- ٩ - في كتابة القرآن وإكرام المصحف ، وفيه اثنا عشر فصلا .
- ١٠ - في ضبط ألفاظ الكتاب .

منهجه فيه :

أما منهجه فيه ، فقد بيّنه في مقدمته بقوله :

وأوثر فيه الاختصار ، وأحاذر التطويل والاكثار ، وأقتصر في كل باب على طرف من أطرافه ، وأرمز من كل ضرب من آدابه الى بعض أصنافه ، قال : فلذلك أكثر ما أتذكره بحذف أسانيده ، وإن كانت أسانيده - بحمد الله - عندي ، من الحاضرة العتيدة ، الى أن قال : ثم ما وقع من غريب الأسماء واللغات في الأبواب ، أفردته بالشرح ، والضبط الوجيز الواضح ، على ترتيب

وقوعه في باب في آخر الكتاب ، ليكمل انتفاع صاحبه ، ويزول الشك عن طالبه ، قال : ويندرج في ضمن ذلك ، وفي خلال الأبواب ، جمل من القواعد ، ونفائس من مهمات الفوائد ، قال : وأبين الأحاديث الصحيحة والضعيفة ، مضافات الى من رواها من الأئمة الأثبات .

وقد وقى — رحمه الله — بما التزمه من الاختصار والاقتصار في كل باب على طرف من أطرافه ، فتراه مثلا ، في الباب الأول في أطراف فضيلة القرآن وحملته ، لم يزد على ايراد آية وثلاثة عشر حديثا ، وأثرا واحدا ، مع أن هذا الباب واسع ، كتب فيه الحافظ ابن كثير ، كتابا صغيرا ، يقع في ثمان وثمانين ومائة ورقة من القطع الصغير ، وأسماه " فضائل القرآن " ، وإذا سرحت النظر في هذا الباب الذي عقده النووي في التبيان ، ثم نظرت الى كتاب الحافظ ابن كثير ، لعلمت براءة النووي في الاختصار ، فانه ألم بأطراف فضائل القرآن ، وأتى بحاصل ما ذكره ابن كثير من غير اخلال ، لأن الحافظ ابن كثير لم يقتصر على جمع شتات الموضوع من كتب السنن ، بل تعرض لمسائل إقحامها تحت ذلك العنوان فيه نظر ، بينما النووي كان موضوعيا في ذلك ، وإذا نظرت الى الباب الثاني ، والثالث من الكتاب ، فأنك ستجد أن النووي ، قد أتى بما لا مزيد عليه للمختصر ، وفي الأبواب الرابع والخامس والسادس ، التي هي مقصود الكتاب ، تتجلى براءة الامام النووي أيضا في ايراد مضامينها ، من غير تطويل ممل ، ولا إيجاز مخل ، مع سعة مباحثها ، وشتات أطرافها .

كما أنه قد خرج الأحاديث التي أوردتها في الغالب ، وحكم على ما يحتاج الي بيان حكمه في الغالب أيضا ، ومن غير الغالب ، بقيت أحاديث وآثار لم تخرج ، ولم يحكم عليها ^(١) ، وقد نبه في بيان منهجهم

(١) كما وقع في ص ٢٢ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ،

على أنها قد تفوت عليه لذهول أو نحوه .

ولكن الأحاديث التي سكت عن بيان حكمها ، أو تخريجها ، تعد قليلة جدا ، بجانب ما خرجته وحكم عليه ، إذ هي نحو عشرة أحاديث ، في جانب ما يقرب من تسعين حديثا . ثم أنه - رحمه الله - قد ضمن الكتاب جملا من القواعد ، ونفائس من مهمات الفوائد ، يحتاج إليها قارئ القرآن في غالب الأحوال ، كحكم من نام عن ورده ^(١) ، وحكم قراءة القرآن بغير العربية ^(٢) ، وجواز القراءة بالقرآآت السبع ^(٣) ، والتحذير من البدع الضكرة في القراءة ^(٤) ، وأحكام القراءة في الصلاة ^(٥) ، وحكم قراءة القرآن للحائض والجنب والمستحاضة ^(٦) ، وحكم سجود التلاوة ^(٧) . إلى غير ذلك من الأحكام ، والآداب ، والفضائل ، التي لها علاقة بالكتاب العزيز ، أو بحامله الكريم ، وهو بلاريب ، قد شفى وكفى ، وأتى بالخير والمبتدا ، وأسعف أولى الهمم فيما تبغي وتشاء ، وكان كما قال السخاوى : كتاب نفيس ، لا يستغنى عنه ، خصوصا القارئ والمقرئ ^(٨) ،
فرحمه الله وعفى عنه .

(١) ص ٥٢ .

(٢) ص ٦٦ .

(٣) ص ٦٦ .

(٤) ص ٧٥ ، ٧٩ .

(٥) ص ٨٣ .

(٦) ص ٥٤ - ٦٦ .

(٧) ص ٩١ .

(٨) السخاوى ص ١٢ .

عناية العلماء به :

وقد حظى هذا الكتاب بالعناية التامة من العلماء الأعلام ، من أهل الاسلام ، وأول من عنى به ، هو النووى نفسه ، حيث اختصره ليبالغ في تيسير حفظه ، وأسمى مختصره " مختار التبيان " (١) .

ونظمه ابن العماد الأقفهسي سنة ٨٠٨ هـ ، وسماه " تحفة الاخوان في نظم التبيان في آداب حملة القرآن " (٢) ، وترجمه الى الفارسية ، الشيخ محمد ابن محمد بن أبي سعيد الايجي ، وسماه " حديقة البيان " (٣) ، وأخيرا حققه الشيخ عبد العزيز عز الدين السيرواني ، وطبعه في دار النفائس اللبنانية ، عام ١٤٠٤ هـ ، ولعل طبعته هذه ، تكون أحسن الطبعات ، وهى التى رجعت اليها ، كما حققه منصور بن يعقوب البصارة ، وطبع في الكويت عام ١٤٠٢ هـ . وقد طبع عدة طبعات غير محققة .

وحققه أيضا الشيخ عبد القادر الارنؤوط ، ونشرته مكتبة دار البيان

سنة ١٤٠٥ هـ .

-
- (١) كشف الظنون ٣٤١/١ ، وانظر ص ٣٥ من هذه الرسالة .
 (٢) هداية العارفين ١١٨/١ ، ومقدمة آداب الأكل لابن العماد ، هذا ص ٤ .
 (٣) كشف الظنون ٣٤١/١ .

(٤) — الترخيص في الاكرام بالقيام لذوى الفضل والمزية من أهل الاسلام :

أشار اليه في المجموع ^(١) ، وفي شرح مسلم ^(٢) ، والتبيان ^(٣) ،
وعزاه ابن العطار ^(٤) ، والسيوطي ^(٥) ، والبغدادى ^(٦) ، ورضا كحاله ^(٧) ،
وحاجي خليفة ^(٨) .

وقد طبع الكتاب في دار الفكر بدمشق عام ١٤٠٢ هـ ، بتحقيق أحمد راتب حموش .

قال في مقدمته — بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله —
صلى الله عليه وسلم — : (أما بعد ، فإن الله تعالى أمر باللفظ بالمسلمين ،
واكرام أهل العلم والورع والدين ، فقال تعالى : ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ ^(٩)
قال : من اللطف بهم والاكرام ، أن يحترموا ، بالانة القول لهم ، والقيام ،
لا على طريق الرياء والاعظام ، بل على سبيل التكريم والاحترام ، وأن ذلك هو
الذى استمر عليه ما لا يحصى من علماء الاسلام ، وأهل الصلاح والورع وغيرهم ،
من الأماثل الأعلام . ثم قال : والذي يختار جواز القيام لأهل الفضل والمزية

(١) ٦٣٦ / ٤ .

(٢) ١٣٥ / ٤ ، ٩٣ / ١٢ .

(٣) ص ٨٢ — ١٢٣ .

(٤) تحفة الطالبين ١٠ / أ .

(٥) المنهاج السوى ١٨ / أ .

(٦) هداية العارفين ٢ / ٥٢٤ .

(٧) المستدرك على معجم المؤلفين ص ٨٣٢ .

(٨) كشف الظنون ١ / ٣٩٨ .

(٩) سورة الحجر آية ٨٨ .

من أهل العلم وطلبته ، والوالدين ، والصالحين ، وسائر أختيار البرية ، فقد جاءت بذلك جمل الأخبار وأقوال السلف الكرام الأبرار ، وأفعال العلماء والصلحاء وأهل الورع والزهد وغيرهم من الأختيار .

منهجه فيه :

أما منهجه في الكتاب ، فإنه ذكر جملاً مما يستدل به على جواز القيام لمن ذكر ، ليستدل بها على ما سواها ، مما حذفه من الأدلة الحديثية ، وأقاويل السلف النيرة الحكيمية .

وذكر أنه سيذكر كثيراً من ذلك بالاسناد ، لكونه أوقع في النفوس ، وأحسن عند الحفاظ النقاد ، وأنه يحذف الاسناد في كثير من ذلك ، ايشارا للاختصار ، وحذرا من حصول السآمة على مطالعته ، بترداد السند والتكرار ، وأن ما ذكره بغير اسناد ، يضيفه الى الكتب المعروفة المشهورة المتداولـة (١)
المألوفة .

وقد وثق — رحمه الله تعالى — بما التزمه ، فإنه — رحمه الله — ذكر غالب أدلته الحديثية مسندة ، ولم يحذف الاسناد ، إلا في نحو أربعة مواضع ، (٢)
غير أنه قد فاتته أن يخرج بعض تلك الأدلة التي ذكر أنه سيذكرها مسندة . (٣)

وبالجملة ، فهو كتاب نفيس ، أجساد فيه وأفاد ، وأحسن الانتقاد لمن نازع في ذلك على سبيل العناد ، وهدى المخالف الى السداد .
غير أن ابن الحاج ، قد ردّ على هذا الكتاب بكتاب اسمه " . . .

(١) انظر ص ٣٢ — ٣٣ .

(٢) انظر ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٦ .

(٣) كما في ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٦ .

ودفع هذا الرد ، العلامة أحمد بن محمد المقدسي ، المعروف بابن الهائم ، بكتاب أسماه " رفع الملام عن القائل باستحباب القيام " (١) .
أما مضمون الكتاب ، فإنه يشتمل على ما بين :

أحدهما : في الآثار الواردة في الرخصة في ذلك ، وما قاله فيها أهل العلم ، واحتج به فيها ، واعتمده فيها أولوا الفضل والفهم والحكمة . (٢)

والثاني : في الآثار التي يستدل بها على النهي عن القيام ، وما أجاب به عنها أهل الحذق والأفهام . (٣)

وأدرج في ضمن ذلك بعده ، جملا من القواعد ، ومهمات من النفائس الفوائد ، كحاصل ما يستدل به على جواز القيام لمن ذكر في السنة فعلا ، وأمره وتقريره ، ومن فعل جماعات من الصحابة - رضوان الله عليهم - وأئمة الناس في أعصارهم ، من محدثين ، وفقهاء ، وزهاد ، (٤) وذكره طرفا مما جاء في تنزيل الناس منازلهم في الكتاب والسنة ، ودفع ما قد يعتور هذه الأدلة من اشكالات . (٥)

وكبيانه أن القيام لغير أولي الفضل ، من ولاية وأئمة ، لفرض حمايتهم في مواضع الخوف ، جائز . (٦) وذكره فصلا في ضبط الأحرف التي احتوى عليها الكتاب ويخاف تصحيفها ، (٧) وخاتمة في ذكر شيء من مستطرف الحكايات والانشادات ، وما يتعلق بفضل طلب الحديث وطلبته ، على عادة الأئمة والحفاظ الاثبات . (٨)

(١) هداية العارفين ١/ ١٢٠ ، وإيضاح المكنون ١/ ٥٨٠ .

(٢) من ص ٣٤ - ٥٠ .

(٣) من ص ٦٤ - ٧٤ .

(٤) من ص ٥١ - ٥٢ .

(٥) من ص ٥٣ - ٦٢ .

(٦) ص ٦٣ .

(٧) من ص ٧٥ - ٨٨ .

(٨) من ص ٨٩ - ٩٤ .

(- حزب أدعية وأذكار :

ذكره السخاوي ^(١) ، ويعرف بحزب الامام النووي ، وهو مشهور ،
ولم يدونه الامام النووي على أنه مصنف من مصنفاته ، وإنما روى عنه شفاهية ،
رواه عنه تلاميذه ، ثم نقله تلاميذه بالرواية الى غيرهم .
وهو يشتمل على أذكار مأثورة وغير مأثورة ، جعله ليقرأ صباحا ومساء ،
وحظى بعناية العلماء وانتشر في الآفاق .

وشرحه العلامة قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري
الدمشقي الحنفي سنة ١١٦٢ هـ .

وشرحه أيضا حسن بن علي الخطاوي الشافعي ، الشهير بالمدايني
سنة ١١٧٠ هـ .

وشرحه حسن بن عمر بن معروق الشطي البغدادى الأصل الدمشقى
الحنبلى سنة ١٢٧٤ هـ ^(٢) .

وشرحه العلامة عبد الله بن سليمان الجرهمي الزبيدي سنة ١٢٠١ هـ
وسماه " فتح القوى شرح حزب النووي " ^(٣) .

وشرحه العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي الشرقي
سنة ١١٧٥ هـ بشرح نفيس ، طبع أخيرا بتحقيق بسام عبد الوهاب الجابري .
ويقع في ست عشرة ومائة صفحة من القطع المتوسط ، مع مقدماته الإضافية ، التي
تحدث فيها عن معنى الحزب ، وتاريخ نشوء الحزب ، وعلّة العمل بالأحزاب ،

(١) ص ١٥ .

(٢) كما دل على ذلك بسام بن عبد الوهاب الجابري في شرح حزب النووي
الآتي ذكره .

(٣) مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٣٣٤ .

وموقف ابن تيمية من الأحزاب ، وأقوال العلماء في تجويز الأحزاب ، وفائدة
الدعاء ، ومسألة قراءات آيات متفرقات من القرآن الكريم ، وخصوصيات الأحزاب ،
وأسانيدہ الى النووي لرواية الحزب ، كل ذلك في بضع وأربعين صفحة ،
ثم شرح تحليلي له في نحو ستين صفحة ، أما نص الحزب ، فهو في نحو صفحتين .
وقد طبع الحزب عدة طبعات عدا هذه الطبعة ، منها طبعة
ضمن مجموعة الأذكار والأوراد الماثورة التي جمعها الشيخ عبد الله بن ابراهيم
الانصارى . (١)

(١) من ص ١٠٦ - ١١٢ من هذا المجموع .

كتب التراجم واللغة

١ - منتخب طبقات الشافعية .

٢ - تهذيب الأسماء واللغات .

٣ - تحرير التبيين .

(١) - منتخب طبقات الشافعية :

(٢) أشار إليه في تهذيب الأسماء واللغات (١) ، وفي المجموع (٢) ،
 (٣) وفي شرح البخاري
 وعزاه إليه ابن العطار (٤) ، وابن كثير (٥) ، والذهبي (٦) ، والياقعي (٧) ،
 وابن قاضي شهبه (٨) ، والسيوطي (٩) ، وحاجي خليفة (١٠) ، والزركلي (١١) وغيرهم .
 وقد اختصر النووي - رحمه الله - هذا الكتاب من طبقات ابن الصلاح
 الذي كان قد عزم أن يجمع فيها ما تنهاه إليه علمه ، غير أن المنية حالت
 بينه وبين ذلك ، فمات قبل أن يتمه وهو مسودة .

فلما وقف عليه الامام النووي - رحمه الله تعالى - أخذه وزاد عليه
 زيادات ، وميزها بنسبتها إليه ، فيقول : قال النووي ، أو قلت ، أو قال يحيى
 ونحوه . وأسماء " منتخب طبقات الشافعيين ، ومات عنه مسودة ، ثم بيضه
 الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي ت سنة ٧٤٢ هـ .

-
- (١) ٢٩٧ / ٢ ، ٦ / ١ .
 (٢) ٣٧٩ / ٢ ، ٥٠٩ / ١ .
 (٣) ص ٢٣٢ .
 (٤) تحفة الطالبين ١ / ١٠ .
 (٥) البداية والنهاية ١٣ / ٢٧٩ .
 (٦) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٧٢ .
 (٧) مرآة الجنان ٤ / ١٨٢ .
 (٨) الطبقات ٢ / ١٩٨ .
 (٩) المضاجج السوي ١٧ / ب .
 (١٠) كشف الظنون ٢ / ١١٠١ .
 (١١) الأعلام ٨ / ١٤٩ .

ولم يزل مخطوطا ، ويوجد فيلم منه بمعهد احياء التراث رقم ١٩٩٩ وعدد
أوراقه ١١٢ ورقة . (١)

ويقوم حاليا الدكتور / موفق بن عبد الله بن عبد القادر بتحقيقه كما أخبرني .
والكتاب يحتوى على نحو من ثمانين ومائة ترجمة ، لأشهر علماء الشافعية ، غير
أنه قد فات عليهما كثير من أشهر المشاهير كالمزني ، وابن سريج ، والاصطخري ،
وامام الحرمين ، وابن الصباغ وجماعة . (٢) وذلك لأنهما كانا يتبعان التراجم
الغريبة ، أما المشهورة ، فرأيا أن الحاقها سهل ، فاخترتهما الغنية قبل اتمامه . (٣)
وبالجملة ، فهو كتاب مفيد جدا ، وتراجمه علمية نافعة ، حيث يذكر ترجمة
العلم ، بذكر اسمه ونسبه ومشايخه ، وطرفا من أحواله ، وموفاته ، ووفاته ،
غالبا . قال ابن كثير : لو كمل ، لم يكن له نظير في بابهِ .

منهج فيه :

أما منهجه فيه ، فقد سار فيه على نهج ابن الصلاح في ذكره الأعلام ،
مرتبين بحسب ترتيب حروف المعجم ، دون ذكرهم في طبقات ، كما قد يبدو من
ظاهر التسمية ، لكن هذا الترتيب أيسر تناولا وأكثر نفعا .
ولكنه قدّم من ذلك المحمّدين ، ثم الأحمدين ، تشريفا لهم بموافقتهم
اسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم سار بعد ذلك على ترتيب حروف
المعجم .

(١) وتوجد نسخة خطية له في مكتبة (عارف حكمت) بالمدينة المنورة برقم ١٦٦ ،

وكتبت سنة ٧٤٢ هـ ، كما في معجم المؤرخين الدمشقيين ص ١١٣ ،

وانظر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ٥٠ / ٣ .

(٢) انظر كشف الظنون ١١٠١ / ٢ .

(٣) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ١١٥ / ٢ .

(٢) - تهذيب الأسماء واللغات :

- أشار إليه في شرح مسلم ^(١) ، وفي المجموع ^(٢) ، وفي شرح البخارى ^(٣) ، وفي الترخيص بالقيام ^(٤) ، وفي التبيان ^(٥) .
- وعزاه إليه غالب من ترجم له ، كابن العطار ^(٦) ، واللخمي ^(٧) ، والسيوطي ^(٨) وابن كثير ^(٩) ، والياقضي ^(١٠) ، وابن قاضي شهبه ^(١١) ، وحاجي خليفة ^(١٢) ، والبغدادى ^(١٣) ، والزركلي ^(١٤) ، ورضا كحالة ^(١٥) وغيرهم .
- وهو من كتبه الشهورة ، وقد طبع عدة طبعات .

-
- (١) ١١٢/٥ ، ١٩١ ، وغيرها .
- (٢) ٤٣٢/١ ، ٤٨٢ ، ٢١٣/٢ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، وغيرها .
- (٣) ص ٢٤ ، ٧٢ .
- (٤) ص ٧٥ .
- (٥) ١٣٨/١ .
- (٦) تحفة الطالبين ١/١٠ .
- (٧) في ترجمة النووي ١/٥ .
- (٨) المنهاج السوى ١٦/ب .
- (٩) البداية والنهاية ١٣/٢٢٩ .
- (١٠) مرآة الجنان ٤/١٨٢ .
- (١١) الطبقات ٢/١٩٨ .
- (١٢) كشف الظنون ١/٥١٤ .
- (١٣) هداية العارفين ٢/٥٢٤ .
- (١٤) الأعلام ٨/١٤٩ .
- (١٥) معجم المؤلفين ١٣/٢٠٢ .

موضوع الكتاب :

وموضوعه الرئيسي ، هو خدمة الكتب الفقهية التالية : مختصر المزنبي ،
والمهذب - لأبي اسحاق الشيرازي ، والتبتيه له أيضا ، والوسيط للفـزالـي ،
والوجيز له أيضا ، والروضة للمصنف . وذلك لبيان الألفاظ اللغوية الموجودة في
هذه الكتب ، لكونها تجمع ما يحتاج اليه من اللغات ، وللتعريف بما فيها
من أسماء الرجال ، والنساء ، والملائكة ، والجن وغيرهم ممن لهم ذكر فيها ،
برواية وغيرها ، مسلما كان أو كافرا ، برّا كان أو فاجرا .

أما الباعث على تأليفه :

فقد أوضحه بقوله : أما بعد ، فإن لغة العرب ، لما كانت بالمحل الأعلى ،
والمقام الأسنى ، وبها يعرف كتاب رب العالمين ، وسنة خير الأولين والآخرين ،
الى أن قال : فلما كان أمرها ما ذكرت ، وجلالتهـا بالمحل الذي وصفت ، أردت
أن أسلك بعض طرق أهلها ، لعلني أنال بعض فضلها ، ووأدى بعض
ما ذكرته ، من فروض الكفاية ، وأساعد في معرفة اللغة من له رغبة من أهل
العناية .

أما منهجه فيه ، فقد بينه بقوله :

فأجمع - ان شاء الله الكريم الرؤوف الرحيم ذو الطول والاحسان ، والفضل
والامتنان - كتابا في الألفاظ الموجودة في مختصر أبي ابراهيم المزنبي ، والمهذب ،
والتبتيه ، والوسيط ، والوجيز ، والروضة .
قال : فإن هذه الكتب الستة ، تجمع ما يحتاج اليه من اللغات . وأضـم الى ما فيها ،
جملا مما يحتاج اليه ، مما ليس فيها ، ليعم الانتفاع به - ان شاء الله تعالى -
اللغات العربية والعجمية ، والمعربة ، والاصطلاحات الشرعية ، والألفاظ
الفقهية .

قال : وأضّم الى اللغات ما في هذه الكتب من أسماء الرجال والنساء والملائكة ، وغيرهم ، ممن لهم ذكر في هذه الكتب ، برواية وغيرها ، مسلما كان أو كافرا ، بـ (١)
كان أو فاجرا .

وقد رتب هذا الكتاب على قسمين ، الأول في الأسماء ، والثاني في اللغات ، ثم جعل الأسماء على ضربين . الأول في الذكور ، والثاني في الاناث ، وجعل الضرب الأول على ثمانية أنواع ، الأول في الأسماء الصحيحة ، الثاني في الكنى ، الثالث في الأنساب والقبائل ، والرابع ، ما قيل فيه ابن فلان أو ابن فلانة أو أخوه أو أخته أو عمه أو خاله ، الخامس ، ما قيل فيه فلان عن أبيه عن جده ، السادس ، ما قيل فيه زوج فلانة ، وزوجة فلان . السابع ، المبهمات ، كرجل ، وشيخ ، وبعض العلماء . الثامن ، ما وقع في الأسماء والأنساب غلطا .

وجعل الضرب الثاني سبعة أنواع على الترتيب المذكور في الضرب الأول ، وأسقط منه النوع الخامس ، اذ ليس في تلك الكتب التي عنى بها فلانة عن أمها ، عن جدتها ، أو عن أبيها عن جدتها .

ورتب كل ذلك على حروف المعجم ، لكن بدأ فيه بمن اسمه محمد ، كما فعل أبو عبد الله البخارى - رحمه الله - في تاريخه ، وجرى عليه العلماء بعده ، وذلك لشرف اسم النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ثم بعد فراغه من هذا الحرف عاد الى الترتيب المذكور ، وكان اعتماده في الترتيب على الحرف الأول ، ملاحظا هـ هذا الترتيب في الأسماء التي تليه أيضا ، ومضى على هذا النهج ، حتى فـ الكنى ، والأنساب ، والقبائل ، ورتب القسم الثاني منه ، وهو اللغات ، على ذلك الترتيب من مراعاة حروف المعجم ، معتبرا الحروف الأصلية ، من غير نظر الى الزوائد ، وربما عدل عن ذلك ، فذكر بعض الزوائد في غير بابها ، نظرا لمن قد يطالعه من لا يعرف التصريف ، فيبحث عن اللفظ في غير محله الأصلي ، متوهما أن حروفه كلها أصول ، فلا يجدها

هناك ، ولا يعلم مظنتها ، لكنه ينبّه على الحروف الزائدة عندئذ . وقصده في ذلك ، هو التسهيل على مثل هؤلاء ، قال : لأن خير المصنّفات ما سهلت منفعتها وتمكن منها كل أحد . (١)

والكتاب من حيث هو كتاب ، عظيم ، أجاد فيه وأفاد ، ترتاح له النفوس ،
وتبرد به الأكباد ، لأنه يعدّ موسوعة في الرجال ، ومعجما للغة .

أما الرجال ، فقد عني بهم عناية فائقة ، فترجم لكثير من الأنبياء —
صلوات الله وسلامه عليهم — والصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم من حملة
الأخبار ، وغيرهم ممن تتوق الى معرفة أخبارهم الأئمة ، ويستند اليهم —
أولوا الأعلام ، وكان مجموع من حواهم هذا السفر من الأعلام ثلاثين وتسعمائة علم ،
ترجم لغالبهم ترجمة شاملة ، فأفاض في التراجم كثيرا ، وربما اقتضب وأوجز ، (٢)
واذا كان العلم من أهل الرواية ، ذكر من وثقه أو ضعفه (٣) ، وكثيرا ما يحكي
الاجماع على ذلك ، وقد يحكم عليه هو بما يقتضيه حاله ، من غير أن يضيفه الى
أحد (٤) ، وربما سكت عن بيان حاله ، جرحا وتعدّلا . وهو كثير . وإذا ترجم
أمسك بعنان القلم ، فلا يطرى العلم ، ولا يغمطه حقه ، بل كلامه في ذلك موزون ،
ويغلب عليه التشدد ، ويرجع الى من سبقه الى ترجمته ، ولا يفلته من التعقيب
ان كان قد زل قلمه . (٥)

(١) مقدمة الكتاب ص ٥ .

(٢) ولكن غالبا ما يلم أطراف الترجمة ، والأمثلة على هذا كثيرة ، منها الأرقام

التالية : ٨٥ ، ٩٢ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، .

(٣) وهذا سائد في معظم التراجم .

(٤) كما في الأرقام التالية : ١١ ، ٣٤ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٤٨ .

(٥) من ذلك ما في التراجم التي تحمل الأرقام التالية من الجزء الثاني : ٩ ،

٤٢ ، ٦٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٦٣ ،

٢٦٦ ، ٢٩٩ ، ٥٦٧ ، ٥٨٠ .

وأما القسم الثاني ، وهو قسم اللغات ، فهو من أنفع كتب اللغة للفقهاء والمتفقه ، لأنه شرح فيه الألفاظ اللغوية التي تعتري الطالب في درسه ، والمدرس في مجلسه ، وليست فائدته قاصرة على الكتب الفقهية ، بل وغيرها ، لأن لغوياته تحتوي عليها كتب الفقه والحديث وغيرها ، فهو معجم لغوي وشرح جملي ، للألفاظ الغريبة في الكتب ، فيوضح مبناها الأساسي ، ومعناها الاصطلاحي ، بما يشفي العليل ، ويروى الغليل ، ويقنع الغبي ، ويشفي العبي ، ولا يزال النفع به تام ، وتداوله عام ، ولم يقتصر فيه على اللغويات ، بل وكان يذيل كل حرف بأسماء المواضع التي تبدأ بذلك الحرف . (١)

والكتاب مع نفعه هذا ورواجه ذاك ، لم يكتب للنووي إتمامه ، بل هذا الحاصل منه ، هو جملة منه ، ومات قبل إتمامه ، كما أفاد ذلك ابن العطار والذهبي ، ولو كتب له التمام ، لنال عليه المقام ، وكان حسنة الليالي والأيام ، وتبارى في خدمته العلماء الاعلام . ومع ذلك فإنه لم يعدم العناية ، من أهل العلم والدراية ، فقد اختصره الحافظ جلال الدين السيوطي ، ولخصه الشيخ عبد الرحمن بن محمد البسطامي ، وسماه " الفوائد السنية " ، وتوفي سنة ٨٥٨ هـ ، كما أن الشيخ محيي الدين عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي ت سنة ٧٢٥ هـ ، غير ترتيبيه ، فرتبه ترتيباً آخر .

(٢)
وغير ترتيبيه أيضا الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الحنفي ت سنة ٧٨٦ هـ .
وقد انتزع من مقدمته جزء صغير ، وطبع باسم " السيرة النبوية " ونشره عبد الرؤوف علي ، وسام الجابي ، وطبع في دار البصائر بدمشق عام ١٩٨٠ م ، ويقع في ست وتسعين صفحة . (٣)

(١) وقد بين الأستاذ علي جميل عباس جهود النووي في القسم اللغوي من هذا الكتاب ،

ببحث كتبه في مجلة آداب الرفادين الصادرة عن كلية الآداب بجامعة الموصل عدد

(٢) كشف الظنون ١ / ٥١٤ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٨٤ .

(٣) معجم المخطوطات المطبوعة ، للدكتور صلاح الدين المنجد ٥ / ١٢٤ .

(٤) - تحرير التنبيه :

(١) . أشار اليه في المجموع .

وعزاه اليه ابن العطار (٢) ، وابن كثير (٣) ، وابن قاضي شهبه (٤) ، والسيوطي (٥) ، وابن العماد الحنبلي (٦) وغيرهم .

وتوجد له خمس مخطوطات مصورة على الميكروفلم في معهد احياء التراث ، الأولى والثانية باسم " تحرير التنبيه " برقم ١١٤ ، ٢٩٦ ، والثالثة باسم " التحرير في شرح ألفاظ التنبيه " برقم ١١٥ ، والرابعة باسم " التحرير شرح ألفاظ التنبيه وتهذيب لغاتها واشتقاقها " ، برقم ٢٩٧ ، والخامسة باسم " بغية النبیه في تحرير التنبيه " برقم ٣٧٤ ، وكلها في فهرست كتب اللغة العربية .

موضوعه :

موضوع هذا الكتاب ، هو شرح ألفاظ التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي .

سبب تأليفه :

أما الباعث له على تأليفه ، فهو نصح الطالبين ، واسعاف الراغبين ، وهداية المسترشدين الى هذا الكتاب الجليل ، كما أشار الى ذلك في المقدمة حيث قال : انّ التنبيه من الكتب المشهورات ، المباركات النافعات ، الشائعات ، المنتشرات ، لأنّه كتاب نفيس حفيّل ، صنّفه امام معتمد جليل ، فينبغي لمريد

(١) ٣٤٥ / ٧ .

(٢) تحفة الطالبين ٩ / ب .

(٣) البداية والنهاية ١٣ / ٢٧٩ .

(٤) طبقات الشافعية ٢ / ١٥٧ .

(٥) المنهاج السوي ١٧ / ب .

(٦) الشذرات ٥ / ٣٥٦ .

نصح الطالبين ، وهداية المسترشدين ، والمساعدة على الخيرات ، والمصارعة الى المكرمات ، أن يعتني بتقريبه ، وتحريره وتهذيبه ، قال : ومن ذلك نوعان ، أهمها : ما يفتى به من مسائله ، وتصحيح ما ترك المصنف تصحيحه ، أو خولف فيه ، أو جزم به خلاف المذهب ، أو أنكر عليه من حيث الأحكام ، قال : وقد جمعت ذلك في كراسة قبل هذا .

والثاني ، بيان لغاته ، وضبط ألفاظه ، وبيان ما ينكر مما لا ينكر ، والفصح من غيره . فوضع له النووى كتابه هذا ، بعد أن استخار الله تعالى في ذلك . وقد طبع الكتاب باسم كتابه الآخر " تصحيح التنبيه " على هامش التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي ، بمصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، سنة ١٣٧٠ هـ . وقد كنت أحسب أنه التصحيح حقيقة ، غير أنه تبين لي عند الاطلاع على المخطوطات السابقة ، أنه ليس كذلك ، وأن وضع العنوان عليه باسم التصحيح خطأ ، بل هو التحرير نفسه ، فقد عرضت المطبوع على تلك المخطوطات ، فألقيتها مخطوطاته ، ولم أطلع على التصحيح في الكتب المخطوطة وفهارسها ، ثم أن التصحيح لم يتم ، وعليه انتقادات ، كما ستأتي الإشارة اليه ، والتحرير تام ، ولا ينطبق عليه ذلك النقد ، فعلمت أن وضع ذلك العنوان عليه ، هو من تصرف المطبعة . والله أعلم .

منهجه فيه :

أما منهجه فيه فقد بيّنه بقوله :

أذكر فيه - ان شاء الله - جميع ما يتعلق بالألفاظ التنبيه ، فأميز فيهِ اللغات العربية والمعربة ، والألفاظ المولدة ، والمقصود والمدود وما يجوزان فيه ، والمذكر والمؤنث وما يجوزان فيه ، والمجموع والمفرد والمشتق ، وعدد لغات

اللفظة ، وأسما^١ السمي الواحد المترادفة ، وتصريف الكلمة ، وبيان الألفاظ المشتركة ، ومعانيها والفرق بينها ، كلفظة الاحصان ، وما اختلف في أن^٢ حقيقة أو مجاز ، كلفظة النكاح ، وما يعرف مفرد^٣ ويجهل جمعه ، وعكسه ، وماله جمع وماله جموع ، وبيان جمل^٤ مما يتعلق بالهجاء ، وما يكتب بالواو والباء ، أو الألف ، وما قيل بجوازه بوجهين أو بالثلاثة كالربا ، قال : وأن^٥ على جمل من مهمات قواعد التصريف المتكررة ، وأذكر فيه جملا من الحدود الفقهية المهمة ، كحد^٦ المثلى ، وجه^٧ الغصب ونحوهما ، والفرق بين التشابهات كالهبسة والهدية ، وصدقة التطوع ، والرشوة والهدية ، وبيان ما قد يلحن فيه ، وأنكر على المصنف وعنه جواب ، ومالا جواب عنه ، وما غيره أولى منه ، وما هو الصواب وتوهم جماعة أنه غلط ، وما يذكر من جهة نظم الكلام وتداخله ، والعام بعد الخاص وعكسه ، وما صوابه أن يكون بالفاء دون الواو وعكسه ، وبيان جمل مهمة ضبطناها على نسخة المصنف هي صواب ، وفي كثير من النسخ خلافها ، وبيان ما أنكر على الفقهاء وليس منكرا ، وبيان جمل من صور السائل المشكلة مما له تعلق بالألفاظ ، وغير ذلك من النفاثات المهمة ، كما سترها في مواضعها واضحات . قال : والتزم فيه المبالغة في الايضاح مع الاختصار المعتدل ، والضبط المحكم المذهب ، وقد أضبط ما هو واضح ، ولكن قد يخفى على مبتدئين ، ومتى ذكرت ما فيه لغتان أو لغات ، قدمت الافصح ثم الذي يليه ، إلا أن أن^٨ عليه . قال : وما كان من لغاته ومعانيها وغريبها ، أضيفه غالبا الى ناقله ، ثم قال : وهذا الكتاب وان كان موضوعا للتنبيه ، فهو شرح لمعظم ألفاظ كتب المذهب ، وعلى الله اعتمادى ، واليه تفويضى واستنادى ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١)

وقد وفقى - رحمه الله تعالى - بجميع ما التزم به ، كما يعلم ذلك جلياً من

طالع التزامه ، ثم سرح النظر فيه ، فضلاً عن أن يطالعه .

وقد فرغ من تصنيفه يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ذى الحجة سنة

احدى وسبعين وستمائة ، وأجاز روايته لجميع المسلمين ، كما هو مبين في مخطوطاته

رقم ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٩٦ . بمعهد احياء التراث . والكتاب نفيس جداً ، لا يستغنى

طالب الفقه عنه ، لكونه أشبه ما يكون بمعجم للألفاظ التي تجرى على السنة

الفقهاء ، وما أجدره بأن يرتب ترتيب المعاجم اللغوية الفقهية ، فإن ترتيبه على ذلك

النحو ، تعظم به الفائدة ، ويستفيد منه الفقيه وغيره ، وإن كانت الفائدة منه

الآن كبيرة ، لكونه مرتباً على كتاب التنبية ، كتباً وأبواباً وفصولاً ، إلا أن ترتيبه

كترتيب المعاجم ، أكبر فائدة ، وأكثر نفعاً .

وقد أشى عليه العلماء شاء بالغاً ، فقال ابن الملقن ، ونقله السخاوى :

ما أكثر فوائده على إعواز بيئه في جزء ، قال : وقال قاضي صفد : ما أكثر فوائده

(١)

وما أعم نفعه ، لا يستغنى طالب علم عنه .

والكتاب كما علمت ، مطبوع على هامش التنبية باسم " تصحيح التنبية " ،

ويقع على هامش ست وستين ومائة صفحة ، أغلبها هوامش على ثلاثة أركان الصفحة

وملأها .

الكتب المخطوطة التي لم أعثر عليها :

- (١) - ابتدآء التاريخ في الاسلام ومناقب الشافعي والبخارى .
- (٢) - أجوبة عن أحاديث سئل عنها ، قال السخاوى : في دون كراسة .
- (٣) - قطعة من الأحكام .
- (٤) - الاشارات الى ما وقع في الروضة من الأسماء والمعاني واللغات .
- (٥) - أدب المفتى والمستفتي .
- (٦) - الايجاز ، قطعة من شرح أبي داود .
- (٧) - الايجاز في المناسك .

- (١) قال صلاح الدين المنجد : توجد مخطوطة بهذا الاسم في مكتبة أول جامع ، معجم المؤرخين الدمشقيين ص ١١٤ ، وذكره الدكتور رمضان ششن في نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ٤٧/٣ .
- (٢) ص ١٥ ، وانظر نوادر المخطوطات العربية في تركيا ٥٠/٣ .
- (٣) ذكرها الذهبي في تذكرة الحفاظ ١٤٧٢/٤ .
- (٤) ذكر السخاوى ص ١٥ ، أنه سماها بهذا الاسم وذكرها هو باسم دقائق الروضة ، ولعله تبع في ذلك اللخمي حيث سماها أيضا بهذا الاسم ٦/ب ، وسماها السيوطي في المنهاج السوى ١٧/ب ، وابن قاضي شهبه في الطبقات ١٥٢/٢ بالاسم المتقدم ذكره .
- (٥) قال السخاوى : أفردته في شرح المذهب ، قال : وهونفيس ص ١٥ ، وذكره أيضا اللخمي ص ٦/ب ، وقد مضت الإشارة الى مقدمة شرح المذهب .
- (٦) قال السخاوى : وصل فيها الى أثناء الضوء ، قال : سمعت أن زاهد عصره الشهاب بن رسلان ، أودعها في شرحه الذي كتبه على السنن وبنى عليها ١٢ ص من ترجمته ، وذكرها أيضا اللخمي ٦/ب ، والسيوطي في المنهاج السوى ١٨/أ ، وقال : أنه كتب منه اليسير .
- (٧) ذكره السخاوى ص ١٣ ، والسيوطي ١٦/ب ، وابن العماد في الشذرات ٣٥٦/٥ .

- الأما لي ، على حديث أنما الأعمال بالنيات . (١)
- أجوبة عن أحاديث سئل عنها . (٢)
- تحفة طلاب الفضائل . (٣)
- تحفة الطالب النبیه ، شرح على التبيه لأبي اسحاق الشيرازی . (٤)
- تحفة الوالد وبغية الرائد . (٥)
- جامع السنة . (٦)

- (١) ذكره اللخمي ص ٦ ، والسيوطي ١٨ / ١ ، غير أن السخاوى ذكره باسم
الاملاء ، ثم قال : قلت : وسمى بعضهم في تصانيفه كتاب الأما لي في
الحديث في أوراق ، وقال : أنه مهم نفيس ، صنّفه قرب موته ، قال
السخاوى : فلا أدري أهو الأول أو غيره . أه ص ١٢ .
- (٢) ذكره السخاوى وقال في دون كراسة ص ١٥ .
- (٣) ذكر السخاوى أنه ذكر فيه من التفسير والحديث والفقه وضوابط ومساائل
من العربية وغير ذلك . قال : وهو جليل في معناه ، ص ١٥ ، وذكره
أيضا اللخمي في الترجمة ٦ / ب .
- (٤) ذكره ابن قاضي شهبه وقال : أنه شرح مطّول ، وصل فيه الى اثنا
الصلاة ، الطبقات ١٥٢ / ٢ ، وذكره السيوطي مثله ، المنهاج
السوى ١٢ / أ .
- (٥) قال ابن قاضي شهبه : وصل فيه الى كتاب شروط الصلاة ، ونقل عن
الاسنوى قوله : أنه كتاب جليل من أواخر ما صنّف ، جعله مشتملا على أنواع
متعلقة بكلام الوسيط ، ولم يتعرض فيه لفروع غير فروع الوسيط . أه ،
الطبقات ١٥٢ / ٢ ، وذكره أيضا السخاوى ص ١٣ ، والسيوطي في
المنهاج السوى ١٢ / أ ، ومن قبلهما اللخمي ٦ / ب ، والذهبي في
تذكرة الحفاظ ١٤٧٢ / ٤ .
- (٦) أشار اليه في المجموع ٢٧٣ / ١ ، ٣١٥ ، ٤١١ ، ٤١٨ ، ٢٧٧ / ٢ ، وذكره
السخاوى وقال : أنه شرع في أوائله وكتب منه دون كراسة ، أه . ص ١٤ .

- جزء في الاستسقاء . (١)
- روح المسائل ، في الفروع . (٢)
- العمدة في تصحيح التبيين . (٣)
- عيون المسائل والفرائد . (٤)
- فتاوى . (٥)
- المبهم على حروف المعجم . (٦)
- مختصر أسد الغابة ، لابن الأثير . (٧)

- (١) ذكره في كشف الظنون ٣٧٦/١ ، وفي هداية العارفين ٥٢٤/٢ .
- (٢) ذكره البغدادى في هداية العارفين ٥٢٤/٢ .
- (٣) عزاه اليه ابن العطار في التحفة ٩/ب ، والذهبي في التذكرة ١٤٧٢/٤ ، وابن قاضي شهبه في الطبقات ١٥٧/٢ ، ونقل السخاوى ص ١٣ ، عن ابن الملقن قوله : ما أحسنه ، ولكنه أهمل قدره أو أكثر ، فالحقه من كلامه الاسنوى في التقيق والتذكرة ، قال : وقال غيره : أنه من قديم مؤلفاته ، فلا يعتمد على ما فيه مخالفا لحديث كتبه ، قال : وللقطب محمد بن عبد الصمد السنباطي سنة ٧٢٢ هـ استدراكات عليه ، وذكر نحوه هذا ابن العماد في الشذرات ٥٧/٥ .
- (٤) ذكره رضا كحاله في المستدرک على معجم المؤلفين ص ٨٣٧ ، ولعله روح المسائل الذى ذكره البغدادى ، والله أعلم .
- (٥) وهى غير الفتاوى التى تقدم الحديث عنها ، فإن هذه رتبها بخطه ، وتلك رتبها تلميذه ابن العطار ، السخاوى ص ١٥ .
- (٦) ذكره في هداية العارفين ٥٢٤/٢ ، وفي ايضاح المكنون ٤٢٥ / ٢ ، ولا أدرى ما موضوعه .
- (٧) أشار اليه في التقريب ص ٨٦ ، وذكره اللخمي ص ٥ ، والسخاوى ص ١٤ .

- مختصر الترمذى . (١)
- مختصر البسطة لأبي شامة . (٢)
- مختصر صحيح مسلم . (٣)
- مختصر التبيان (في آداب حملة القرآن) . (٤)
- مختصر قسمة الغنائم . (٥)
- مختصر تأليف الدارمي للمتخير . (٦)
- مختصر التبيين . (٧)
- مسألة نية الاعتراف . (٨)
- مناقب الشافعي التي لا يسع طالب العلم أن يجهلها . (٩)
- المنتخب في مختصر التذنيب للرافعي . (١٠)

- (١) ذكره السيوطي وقال : وقفت عليه بخطه مسودة ويظهر منها أوراقها ،
المنهاج السوى ص ١٨ / أ .
- (٢) ذكره السخاوى ص ١٥ ، وقال : رأيت بخطه ، قال : وهو في شرح
المهذب بتمامه ، وانظر شرح المهذب ٣ / ٣٣٢ - ٣٥٦ .
- (٣) ذكره السخاوى ص ١٤ ، ونقل عن ابن الملقن تردده فيه .
- (٤) ذكره اللخمي ٥ / أ ، والسخاوى ص ١٢ ، والزركلي في الأعلام ٨ / ١٤٩ .
- (٥) ذكره السخاوى ص ١٣ ، وابن قاضي شهبه ٢ / ١٥٧ ، والسيوطي ١٨ / أ .
- (٦) ذكره السيوطي ١٨ / أ .
- (٧) ذكره السخاوى ص ١٥ ، وقال : كتب منه ورقة ، وذكره السيوطي
أيضا ١٨ / أ .
- (٨) ذكره السخاوى ص ١٥ .
- (٩) ذكره السخاوى ص ١٥ ، وقال : اختصر فيها كتاب البيهقي الحافل
في ذلك بحذف الأسانيد في مجلد ، وذكره أيضا السيوطي ١٨ / أ ،
والزركلي في الأعلام ٨ / ١٤٩ .
- (١٠) ذكره الاسنوى وقال : أسقط منه في آخر الفصل السادس أوراقا تزيد على
الكراس فلم يختصرها ، وذكره أيضا السخاوى ص ١٥ ، وابن قاضي
شهبه ٢ / ١٥٧ ، والسيوطي ١٧ / ب .

- منسك ، ثالث ورابع وخامس وسادس ، غير الايضاح . (١)
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . (٢)
- مهمات الأحكام . (٣)
- نكت على الوسيط ، يقع في مجلدين . (٤)
- نكت المذهب . (٥)
- نكت التنبيه ، في مجلد . (٦)
- النهاية في الاختصار للغاية . (٧)

- (١) ذكرها السخاوى ص ١٣ وقال : أحدها خاص بالنسوان ، وذكرها أيضا السيوطي ١٦ / ب ، وابن العماد في الشذرات ٣٥٦ / ٥ .
- (٢) ذكره حاجي خليفة ، وقال : أنه مختصر ، لكنه من أدل الخلق ، ورتبه على فصول وأبواب ، كشف الظنون ١٦٤٨ / ٢ ، وذكره أيضا البغدادي في هداية العارفين ٥٤٤ / ٢ ، صلاح الدين المجدد في معجم المؤرخين الدمشقيين ص ١١٣ .
- (٣) ذكره السخاوى ونقل عن بعضهم قوله : أنه قريب من التحقيق في كثرة الأحكام إلا أنه لم يذكر فيه خلافا ، وقد وصل فيه الى أثناء طهارة البدن والثوب ، السخاوى ص ١٥ ، وذكره ابن قاضي شهبه ١٥٧ / ٢ ، والسيوطي ١٢ / أ .
- (٤) أشار اليه في مقدمة المجموع ص ٣ ، وذكره ابن قاضي شهبه ١٥٧ / ٢ ، والسيوطي ١٢ / أ .
- (٥) ذكره السيوطي ١٢ / ب .
- (٦) ذكره الأسنوى قال : وهي من أوائل ما صنف لا ينبغي الاعتماد على ما فيها من التصحيحات ، قال : ولعله جمعها من كلام شيوخه ، وذكره ابن قاضي شهبه ١٥٧ / ٢ ، والسيوطي ١٦ / ب .
- (٧) ذكره اللخمي ٥ / أ ، قال : وهو كتاب صغير نفيس رأيت له وهو غدي ، ولم يبين موضوعه .

(١) — رسالة فيما يعتقد السلف في الحروف والأصوات .

(٢) — وجوه الترجيحات في الأحاديث الموهمة التعارض .

كتب نسبت اليه :

(٣) نقل السخاوى عن الإسنى قوله : نسب ابن الرفعة ^(٣) اليه كتابا في أغاليط الوسيط ، يشتمل على خمسين موضعا ، بعضها فقهية ، وبعضها حدیثية ، قال : وليس هو له ، وإنما هو لشخص حموى ، قال السخاوى : وكذا قال ابن الملقن : الظاهر أنها ليست له ، وإن عزاها اليه صاحب المطلب وغيره ، قال السخاوى : يعنى كالكمال الأدوى ، فانه سماه " البدر السافر " من تصانيفه مع اشكالات على المذهب ، وقال : انهما لم يكملأ ، وزعم غيره أنه كامل ، حيث ذكر في تصانيفه ايضاح الأغاليط الموجودة في الوسيط .

(١) ورد ذكرها معزوة اليه في مجلة أخبار التراث العدد ٢٨ ، وجاء فيها أنها ، عشرون ورقة ، وصلت الى معهد احياء التراث في الكويت الذى يصدر المجلة ، من جامعة الملك سعود ، ومازلت أنتظر وصولها .
(٢) أشار في مقدمة مسلم ص ٣٥ الى أنه جمعها مختصرة من كتاب الناسخ المنسوخ لأبي بكر الحازمي .

(٣) هو نجم الدين أحمد بن محمد بن على بن مرتفع الأنصارى ، كان شافعي زمانه وامام أوامه ، ولد سنة ٦٤٥ هـ ، وسمع الحديث من أبي الحسن ابن الصواف ، وعبد الرحيم بن الدميرى ، وتفقه على الشيخين السديد ، والطهير ، التزمنتين ، والشرىف العباسى ، وصنف الكفاية ، شرح فيها التنبیه ، والمطلب ، شرح فيه الوسيط نحو أربعين مجلدا ، ومات ولم يكمله ، وتوفى سنة ٧١٠ هـ ، ترجمته في طبقات الاسنوى ٢٩٦/١ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ٢١١/٢ ، والدرر الكامنة ٢٨٤/١ ، والشذرات ٢٢/٦ ، والبدر الطالع ١١٥/١ .

والغاية في الفقه ، قال ابن الملقن : وعندى ، أنها ليست له ، قال :
وان كانت له ، فلعلها مما صنّفه في أول أمره ، قال السخاوى : وسماها غيره ،
(١)
النهاية في الاختصار للغاية ، قال : وجزم الاسنوى بأنها ليست له .

وعد الشيخ اسماعيل باشا البغدادى ت سنة ١٣٣٩ هـ في كتابه :
هداية العارفين ، وايضاح المكنون ، (٢) من مؤلفاته ؛ غيث النفع في القراءات السبع ،
وليس هو له ، وإنما هو لولى الله على بن محمد بن سليم النورى السفاقسى
(٣)
ت سنة ١١١٢ هـ .

وهو مطبوع على هامش سراج القارى المبتدىء لأبي القاسم على بن عثمان
ابن محمد الناصح العذرى ، شرح منظومة حرز الأمانى لأبي القاسم بن خلف
الرغيني ، والله أعلم .

(١) السخاوى ص ١٥ .

(٢) هداية العارفين ٥٢٤/٢ ، وايضاح المكنون ١٥٢/٢ .

(٣) انظر معجم المؤلفين ٢٠١/٢ ، والأعلام ١٤/٥ .

القسم الثاني

في بيان آثار الإمام النووي في الحديث
وفيه فصلان

تمهيد في تاريخ تدوين السنة الشريفة :

لقد امتنَّ الله عزَّ وجلَّ على هذه الأمة الإسلامية ببعثه نبيِّها المصطفى
سيدنا محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - الذي أرسله الله الى هذه
الأمة : ﴿ شهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ﴾ ^(١) ، وأنزل عليه كتابا
﴿ يهدي للتي هي أقوم ويبشِّر المؤمنين الذين يحملون الصالحات أن لهم
أجرا كبيرا ﴾ ^(٢) ، فبلغ رسالة ربِّه على النحو الذي يحبه ويرضاه ، متمثلا لقوله
جلَّ ذكره : ﴿ يا أيُّها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربِّك ﴾ ^(٣) .

وكان الذي يتلقى عنه هذا البلاغ ، هم الذين كان يتنزل الوحي بيمين
ظهيرانيهم ، الصفوة المختارة ، لمؤازرته - صلوات الله وسلامه عليه - لتبليغ دعوته ،
وهم الصحابة الأبرار من المهاجرين والأنصار - رضي الله عنهم - ، فتلقوا عنه
ما أنزل اليه من ربِّه من القرآن العظيم ، وما أوحى اليه به من الهدى النبوي
الكريم ، بأذان صاغية ، وقلوب واعية ، وأفئدة متعطشة ، وأحاسيس مرهفة ،
وفطر سليمة . بحيث كانت صدورهم أوعية لكتاب الله وسنة رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - ، أفرغوها في أفئدة آبائهم واخوانهم من الأتباع ، عملا
بقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((فليبلغ الشاهد الغائب فربَّ مبلغ أوعى من
سامع)) ^(٤) . وقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((نضر الله امرأ سمع منا حديثا
فحفظه حتى يبلغه فربَّ حامل فقه الى من هو أفقه منه ، وربَّ حامل فقه ليس
بفقيه)) ^(٥) .

(١) سورة الأحزاب آية ٤٥ - ٤٦ .

(٢) سورة الاسراء آية ٩ .

(٣) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٤) رواه البخاري في الحج ، باب الخطبة أيام منى ، من حديث أبي بكر -
رضي الله عنه - . ٢١٦/٢ .

(٥) رواه أبو داود في العلم ، باب فضل نشر العلم من حديث زيد بن ثابت ٢٨٩/٢ .

وتلقى الأتباع ، ذلك منهم بمثل تلقى الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم -
 من الصفات الأنفة الذكر ، على أن الصحابة - رضى الله تعالى عنهم -
 لم يقتصرُوا فحسبى ذلك التلقى - على
 حافظاتهم ، بل استخدموا إضافة الى ذلك ، الكتابة التي يؤمن معها صروف
 الزمان ، وغوائل الحداث ، ولكن اقتصر هذا النوع في عهد -
 - صلى الله عليه وسلم - على القرآن الكريم ، دون الحديث النبوى ، بنهى منه
 - صلى الله عليه وسلم - عن كتابة شئ سوى القرآن ، وأمره من كتب شيئا من السنة
 أن يحرقه ^(١) ، وذلك خشية اختلاط القرآن بالسنة ، أو يشتغل عن القرآن بسواه ،
 أو يضاها بكتاب الله غيره ^(٢) .

غير أن بعض الصحابة ، قد كتبوا شيئا من سنن رسول الله -
 - صلى الله عليه وسلم - باذن خاص من النبى - صلى الله عليه وسلم - كعبد الله
 ابن عمرو بن العاص ^(٣) ، وأبي شاذٍ اليماني ^(٤) ، ورافع بن خديج ^(٥) وغيرهم .

=== والترمذى في العلم من حديثه أيضا وحسنه ٣٣/٥ ، وابن ماجه في
 المقدمة من حديث جبير بن مطعم ص ٨٥ ، ورواه الامام أحمد ٤٣٧/١
 من حديث ابن مسعود - رضى الله عنه - وفي ٢٢٥/٣ ، من حديث
 أنس وفي ٨٠/٤ من حديث جبير بن مطعم وفي ١٨٣/٥ من حديث زيد بن
 ثابت - رضى الله عنه - ، وذكره الكتاني في نظم المتناثر من الحديث
 المتواتر ص ٢٤ ، وذكر أنه ورد عن تسعة عشر صحابيا ، ونقل عن شرح
 المواهب قوله نقلا عن الحافظ : أنه مشهور ، وعده بعضهم متواترا ، لأنه
 ورد عن أربعة وعشرين صحابيا ، وعده في المتواتر أيضا السيوطي في قطف
 الأزهار المتناثرة ص ٢٨ ، والزبيدي في لقط اللآلي المتناثرة في
 الأحاديث المتواترة ص ١٦١ .

(١) أخرج الامام مسلم - رحمه الله - من حديث أبي سعيد الخدري
 - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
 ===

.....

- === * لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار ، ١٢٩ / ١٨ بشرح النووي .
- (٢) انظر تقييد العلم ص ٥٧ ، وشرح مسلم ١٣٠ / ١٨ .
- (٣) أخرج الدارمي في سننه ١٢٥ / ١ ، والخطيب في تقييد العلم ص ٧٤ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٧١ / ١ عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : كنت أكتب كل شيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أريد حفظه ، فنهتني قریش ، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشر يتكلم في الغضب والرضا ؟ ، قال : فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأومأ بأصبعه الى فيه ، وقال : ((اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق)) ، ورواه أبو داود في العلم ٢٨٦ / ٢ ، والحاكم في المستدرک وقال : رواة هذا الحديث قد احتجوا بمثلهم عن آخرهم غير الوليد ، قال : وأظنه الوليد بن أبي الوليد الشامي ، فان كان كذلك ، فقد احتج به مسلم ، وأقره الذهبي على هذا ، المستدرک ١٠٦ / ١ .
- (٤) فقد أذن النبي - صلى الله عليه وسلم - للصحابة أن يكتبوا له خطبته - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة ، كما جاء في الصحيح ٣٨ / ١ - كتاب العلم ، وأبي داود في العلم أيضا ٢٨٧ / ٢ ، وابن عبد البر في الجامع ٧٠ / ١ .
- (٥) كما روى الخطيب في تقييد العلم أنه قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا رسول الله ، أنا نسمع منك أشياء أفكتبها ؟ ، قال : اكتبوا ولا حرج ، تقييد العلم ص ٧٢ ، والمحدث الفاضل ص ٣٦٩ ، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٦ / ١ الى الطبراني في الكبير ، وأعله بأحد رواته وهو أبو مدرک ، وقال عنه : لم أر من ذكره .

لأنه - صلى الله عليه وسلم - من أن يقعوا في الخلط بين السنة والقرآن ،
 بل أن بعض الصحابة - رضوان الله عنهم - علموا علة النهي ، وأمضوا غائلته ،
 فاتخذوا لأنفسهم صحائف جمعوا فيها ما تيسر لهم من حديث رسول الله
 - صلى الله عليه وسلم - ، كالصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص
 سنة ٦٥ هـ ، وصحيفة أبي موسى الأشعري سنة ٥٠ هـ ، وصحيفة جابر بن
 عبد الله الأنصاري سنة ٢٨ هـ ، وصحيفة سعد بن عبادة الأنصاري سنة ١٥ هـ
 وصحيفة عبد الله بن أبي أوفى سنة ٨٧ هـ ، ونسخة سمرة بن جندب سنة ٦٠ هـ .
 ولكن كانت هذه صحف خاصة ، وميزات قاصرة ، ولم تنزل السنة غير مدونة
 تدويناً رسمياً ، خشية أن تحدث العلة ، التي من أجلها كان المنع من
 تدوينها .

فلما أمن ذلك بعد أقول شمس النبوة ، وانقطاع الوحي ، دونت السنة
 تدويناً رسمياً ، على رأس المائة الأولى ، بأمر من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
 - رضي الله عنه - ، وذلك حينما خشي على السنة الاندثار والضياع بموت
 حامليها من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فمن بعدهم ، فكتب
 إلى عامله بالمدينة يقول له : انظر ما كان من حديث رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة ، فاكتبه ، فاني خفت
 دross العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبي -
 صلى الله عليه وسلم - ، وليفشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن
 العلم لا يهلك حتى يكون سراً . (١)

وكتب أيضاً إلى الآفاق يقول : انظروا .

(١) ذكره البخاري في العلم ، باب كيف يقبض العلم ٣٥ / ١ .
 وأخرجه الدارمي في العلم ١٢٦ / ١ ، وابن سعد في الطبقات ٣٨٢ / ٢ ،
 والخطيب في تقييد العلم ص ١٠٥ .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاجمعوه ^(١) ، فلقى أمر أمير المؤمنين قيسولا
 تاما من العلماء ، فتباروا في استجابته ، وكان على رأسهم محمد بن شهاب
 الزهري ت سنة ١٢٤ هـ ، حيث جمع حديث المدينة ، وقدمه الى عمر بن
 عبد العزيز - رضي الله عنه - ، فبعث الى كل أرض دفترا من دفاتره .
 (٢)

أما أبو بكر بن حزم ، فإن الفية لم تهمل عمر - رضي الله عنه - حتى
 يصل اليه طلبه منه ، حيث توفي قبل ذلك سنة ١٠١ هـ ، ثم تضافرت همم
 العلماء على جمع السنة على اختلاف بلدانهم ، وطبقاتهم ، فصنف في ذلك ،
 أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ت ١٥٠ هـ بمكة ، ومحمد بن
 اسحاق ت ١٥١ هـ بالمدينة ، ومعمربن راشد ت ١٥٣ هـ باليمن ، وسعيد بن
 أبي عروبة ت ١٥٦ هـ بالبصرة ، وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ت ١٥٦ هـ
 بالشام ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب ت ١٥٨ هـ بالمدينة ، والربيع
 ابن صبيح ت ١٦٠ هـ بالبصرة ، وشعبة بن الحجاج ت ١٦٠ هـ بالبصرة
 أيضا ، وسفيان بن سعيد الثوري ت ١٦١ هـ بالكوفة ، والليث بن سعد
 ت ١٧٥ هـ بمصر ، وحامد بن سلمة بن دينار ت ١٧٦ هـ بالبصرة ، والامام
 مالك بن أنس ت ١٧٩ هـ بالمدينة ، وعبد الله بن المبارك ت ١٨١ هـ بخراسان ،
 وهشيم بن بشير ت ١٨٨ هـ بواسط ، وجريز بن عبد الحميد الضبي ت ١٨٨ هـ
 بالرى ، وسفيان بن عيينه ت ١٩٨ هـ بمكة ، وعبد الرزاق بن همام ت ٢١١ هـ
 باليمن .

(١) ذكره الحافظ في الفتح ٢٩٧/١ ط ك .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢٧٦/١ ، وانظر مقدمة مسند عمر بن عبد العزيز ،

للحافظ أبي بكر بن محمد بن سليمان الباغدي ، بتحقيق فضيلة الشيخ

محمد عوامه - نفع الله به وحفظه - ١٩ - ٢٣ .

وكانت طريقتهم في تصنيفهم هذه ، أن جمعوا الأحاديث المتناسبة في باب واحد ، ثم يضمون جملة من الأبواب بعضها الى بعض ، ويجعلونها في مصنف واحد ، ويخلطون الأحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين (١) وحملت عناوين ، مثل : " مصنف " ، و " سنن " ، و " مؤطا " ، و " جامع " (٢) أما مادتها ، فأنها كانت من الأجزاء والصحف التي دوت قبل مرحلة التصنيف (٣) وفي القرن الثالث الهجري ، استمر نشاط العلماء في التدوين ، وبدءوا يقصرون المصنفات على الأحاديث ، حاذفين أقوال الصحابة والتابعين ، ورتبوا الأحاديث على طريقة المسانيد ، وهي جمع أحاديث كل صحابي على حدة ، وان تباينت المواضيع التي تناولتها (٤) ، ومن عرف من أوائل المصنفين للمسانيد ، هم :

عبد الملك بن عبد الرحمن الذماری ت ۲۰۰ هـ ، وأبو داود الطيالسي
ت ۲۰۴ هـ ، ومحمد بن يوسف الفريابي ت ۲۱۲ هـ ، وأسد بن موسى الأموي
ت ۲۱۲ هـ ، وعبد الله بن موسى العبسي ت ۲۱۳ هـ ، وعبد الله بن الزبير
الحميدي ت ۲۱۹ هـ ، وأحمد بن منيع البغوي ت ۲۲۴ هـ ، ونعيم بن حماد

(١) الحديث والمحدثون ص ٢٤٤ .

(٢) والفرق بين هذه المصطلحات ، أن المصنف ، هو الكتاب المرتب على أبواب الفقه دون سائر أبواب الدين من سير ومغازي ، ومناقب ، وفضائل ونحوها ، ويشتمل أيضا ، على الآثار النبوية ، وآثار الصحابة والتابعين • والموطأ نحوه • أما السنن ، فهي الكتب المرتبة على أبواب الفقه ، وليس فيها شيء من الموقوف ، ولا المقطوع ، لأنه ليس بسنة في اصطلاح المحدثين • (انظر فهرست علم الحديث ص ١٤ - ١٥)

(٣) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٣٤ .

• ۲۳۴ ص " " " " " (۳)

الخزاعي ت ٢٢٨ هـ ، وسدد بن سرهد البصري ت ٢٢٨ هـ ، وأبو الحسن
علي بن الجعد الجوهري ت ٢٣٠ هـ ، وعبد الله بن محمد الجعفي المسندي
ت ٢٢٩ هـ ، ويحيى بن معين ت ٢٣٣ هـ ، وأبو خيثمة زهير بن حرب ت ٢٣٤ هـ
وأبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي شيبة ت ٢٣٥ هـ ،
واسحاق بن راهويه ت ٢٣٨ هـ ، وأحمد بن حنبل ت ٢٤٠ هـ ، وخليفة بن
خياط ت ٢٤٠ هـ ، واسحاق بن إبراهيم بن نصر السعدي ت ٢٤٢ هـ ،
وأبو محمد الحسن بن علي الحلواني ت ٢٤٢ هـ ، وعبد بن حميد ت ٢٤٩ هـ ،
واسحق بن منصور ت ٢٥١ هـ ، وعبد الله بن محمد الدارمي ت ٢٥٥ هـ ،
وأحمد بن سنان القطان الواسطي ت ٢٥٩ هـ ، ومحمد بن مهدي ت ٢٧٢ هـ ،
وبقي بن مخلد ت ٢٧٦ هـ ، والচারث بن محمد بن أبي أسامة ت ٢٨٢ هـ ،
وأبو بكر محمد بن عمرو البزار ت ٢٩٢ هـ ، وإبراهيم بن معقل النسفي ت ٢٩٥ هـ ،
وأبو العباس الحسن بن سفيان بن عامر النسوي ت ٣٠٣ هـ ، وأبو يعلى أحمد
ابن علي بن المثنى التميمي الموصلي ت ٣٠٧ هـ ، وأبو بكر محمد بن هارون
الرويانى ت ٣٠٧ هـ ، وأبو حفص عمر بن محمد بن بجير الهمداني ت ٣١١ هـ ،
وأبو العباس محمد بن اسحاق السراج ت ٣١٣ هـ ، وأبو محمد عبد الرحمن
ابن أبي حاتم الرازي ت ٣٢٧ هـ ، وأبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح
الشاشي ت ٣٣٥ هـ . (١)

ولعل أن يكون هناك الكثير مما لم أهتم اليها .

وتشمل هذه المسانيد ، الصحيح وغيره من الحديث ، مما جعل الاستفادة
منها قاصراً على العلماء المحدثين ، الذين يقدرون على تمييز الصحيح من
الضعيف .

(١) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٣٤ - ٢٣٨ .

كما أن طريقة ترتيبها ، تعمّر الوقوف على أحاديث حكم معين ، لأنها لم ترتب على أبواب الفقه ، فكانت الحاجة ماسة الى وضع مصنفات حديثة تختلف عن طريقة المسانيد ، بأن تكون قاصرة على الصحيح ، ومبوبة تبويبها ، فقمها ، حتى تسهل الاستفادة من كتب السنة المشرفة ، ويسهل العمل بها ، فانبرى لذلك الامام محمد بن اسماعيل البخارى ت ٢٥٦ هـ ، فوضع كتابه — " الصحيح " الذى انتقاه من مائة ألف حديث ، ثم تلاه الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى ت ٢٦١ هـ ، فعمل كتابه " الصحيح " ، على النحو الذى نهجه البخارى ، من الاختصار على الصحيح والترتيب على كتب الفقه وأبوابه — ثم تابعهم على ذلك الترتيب دون الاختصار على الصحيح ، كل من أبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ ، فوضع سننه المشهورة — ثم أبى عيسى محمد بن سورة الترمذى السلمى ت ٢٧٩ هـ ، فألف جامع — المشهور أيضا ، ثم أبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى ت ٢٧٣ هـ فصنف سننه المشهورة أيضا ، ثم أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ت ٣٠٣ هـ ، فصنف سننه الشهيرة أيضا .

فنالت هذه الكتب الستة الرضا والقبول والاعتماد ، وأصبحت مرجع الفقهاء وملاد العلماء ، واصطلح على تسميتها " بالأهيات الست " ، لمينا جمعتها من غالب أحاديث الأحكام ، بطريقة يسهل الرجوع اليها على البستى والمنتهى ، وهى طريقة ترتيب أحاديثها على أبواب الفقه ، بحيث أغت أولي الرغبات عن التطلع الى الزيادات .

فهذه صورة عن جهود العلماء لخدمة السنة في القرن الثالث ، ولعلمه قد اتضح لك أن القرن الثالث ، كان أسعد عصور السنة وأزهارها ، وهو الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين ^(١) ، إذ فيه دونت الكتب الستة التي غدت

عمدة الأمة ، وأمهات الاسلام ، ونشطت فيه رحلة العلماء ، وكان الاعتماد فيه على الحفظ والتدوين معا ، وبرز فيه العلماء النقاد ، بحيث لم يكن دور العلماء في القرون التالية له ، إلا مكمما لهذا النشاط الزاهي ^(١) ، حيث سلك جماعة من كبار المحدثين سبيل سابقهم من علماء القرن الثالث ، فحاولوا مضاهاتهم في التصنيف ، غير أنهم لم ترق الى ذلك المستوى على سبيل الاجمال .

فألف الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري ت ٣١١ هـ ، صحيحة المعروف بـ "صحيح ابن خزيمة" ، وألف الامام أبو حاتم بن حبان البستي ت ٣٥٤ هـ صحيحة المعروف بـ "صحيح ابن حبان" ، جاريا فيهما صحيحة البخاري ومسلم ، غير أنهم لم ينالا مرتبتهما ، وام يضاهاهما ، لكنهما لم يلتزما شروطهما ولا ترتيبهما ، بل توسعا في ذلك ، بحيث امتزج الصحيح بغيره . وألف الحافظ الامام علي بن عمر الدارقطني ت ٣٨٥ هـ كتابه السنن الشهيرة بـ "سنن الدارقطني" ، والحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ هـ سننه المعروفة بـ "السنن الكبرى" ، نهجا فيهما نهج أصحاب السنن ، وأودعا فيهما الصحيح وغيره .

وألف الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠ هـ ، معاجمه الثلاثة ، "الكبير" ، والأوسط ، والصغير" ، سلك فيها مسلك كتب علم رجال الحديث ، وذلك بترتيب أسماء الصحابة على حروف المعجم ، وتخرج أحاديثهم ، كما فعل في المعجم الكبير ، أو ترتيب شيوخه على ذلك أيضا ، وتخرج ما رواه عنهم أو بعضه ، كما فعل في الأوسط والصغير .

ثم قصرت الهمم بعد ذلك على خدمة الكتب الستة ، أو هي وغيرها من كتب القرون الثلاثة الأولى ، من استدراك عليها ، أو اخراج أحاديثها ، أو جمع

(١) انظر بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٣٩ .

بين كتبها ، أو اختصارها بحذف الأسانيد ، أو تهذيبها ، أو إعادة ترتيبها ،
أو تخريج زوائدها .

كما فعل الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ت ٣٨٥ هـ في كتابه
الالزامات والتتبع " . والحافظ أبو عبد الله أحمد بن عبد الله ، الحـاكم
النيسابوري ت ٤٠٥ هـ ، في كتابه " المستدرک " .

وكما فعل أبو بكر الاسماعيلي ت ٣٧١ هـ ، في كتابه " المستخرج على
صحيح البخاري " ، وأبو عوانة الاسفراييني ت ٣١٦ هـ في كتابه " المستخرج على
صحيح مسلم " .

وكما فعل محمد بن نصر الحميدى ت ٤٨٨ هـ ، في كتابه " الجمع بين
الصحيحين " ، والامام الحسين بن مسعود البغوى ت ٥١٦ هـ في كتابه
" مصابيح السنة " ، والحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٢٤ هـ في كتابه
" جامع المسانيد والسنن " ، والحافظ جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ في
كتاب " جمع الجوامع " .

وكما فعل الحافظ عبد الغنى المقدسي الجماعلي ت ٦٠٠ هـ في كتابه
" عمدة الأحكام " ، والحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ،
في كتابه " بلوغ المرام " .

وكما فعل الحافظ محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠ هـ في كتابه " تهذيب
الآثار " ،

وكما فعل الحافظ ابن عساكر الدمشقي ت ٧٥١ هـ في كتابه " الأطراف " .
والحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي بن عبد الرحمن بن يوسف المزى ت ٧٤٢ هـ
في كتابه " تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف " .

والحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ في كتابه " اتحاف المهــرة

بأطراف العشرة " ، والشيخ عبد الغني النابلسي ت ١١٤٣ هـ في كتابه
 " ذخائر المواريث " . وكالحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ في كتابه
 " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، والحافظ أحمد بن محمد البوصيري ت ٨٤٠ هـ
 في كتبه " مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه " ، و " فوائد المتقى لزوائد
 البيهقي " ، و " اتحاف السادة المهرة الخيرة بزوائد المسانيد العشرة " ،
 والحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ في كتابه " المطالب العالية بزوائد
 المسانيد الثمانية " .

فهذه قطوف من جهود العلماء في القرون المتأخرة عن القرن الثالث،
 وهي كما رأيت ، منصبة على العناية بكتب القرون الأولى لخدمتها ، وتيسير
 الاستفادة منها ، وهي جهود عظيمة متضافرة ، أشادت بعمل المتقدمين
 ويسرت السبل لللاحقين .

ولما كان الامام النووي من أولئك الحفاظ الأعلام في القرون المتأخرة ،
 كان لابد وأن يشارك في خدمة كتب السنة المشرفة المعتمدة ، بما تقتضيه الحاجة
 ويدعو اليه النصح لهذا الدين والسنة المشرفة ، فساهم في ذلك بعدة
 مؤلفات ، نالت مكانة عالية ، عند علماء السنة وطلابها ، بل والمسلمين عامة ،
 لكبر وقعها ، وعظم فائدتها .

وسأحدث عنها واحدا واحدا ان شاء الله تعالى .

الفصل الأول

في بيان أثره في :

علم الحديث
« رواية »

وفيه مبحث واحد :

في بيان مؤلفاته في هذا العلم

مؤلفاته في علم الحديث رواية

وهي :

- ١ - الأربعين النووية
 - ٢ - خلاصة الأحكام والسنن
 - ٣ - رياض الصالحين
-

(١) - الأربعين في مباني الاسلام وقواعد الأحكام :^(١)

أشار اليها في شرح مسلم^(٢) ، وفي شرح البخارى^(٣) ، وفي
المجموع^(٤) ، وفي تهذيب الأسماء^(٥) .
وعزاها اليه غالب من ترجم له ، كابن العطار^(٦) ، والبخاري^(٧) ،
والذهبي^(٨) ، والياقعي^(٩) ، والسيوطي^(١٠) ، وحاجي خليفة^(١١) ، والزركلي^(١٢) ،
ورضا كحالة^(١٣) وغيرهم . وشهرتها اليه تخفى عن توثيقها ، حيث اقتضت
بنسبته ، فلا تكاد تعرف إلا بالأربعين النووية ، وقد اشتهرت في الآفاق وعم نفعها
الطباق ، وهى عند الكافة مقبولة باتفاق ، لما جمعتها من الأحاديث السنية
التي هى قواعد الملة الحنيفية ، ولما كان لمؤلفها من خلوص النية ، وصفاء
الطوية ، في تحصيل الغاية الرضية ، من الأحاديث النبوية ، التي عبر عنها

(١) كذا أسماها في شرحه على البخارى ص ١١٧ .

(٢) ١٠٠ / ٧ .

(٣) ص ١١٧ .

(٤) ١٥٠ / ٩ .

(٥) ٢٢٦ / ٢ .

(٦) تحفة الطالبين ١ / ١٠ .

(٧) ١ / ٥ .

(٨) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٧٢ .

(٩) مرآة الجنان ٤ / ١٨٢ .

(١٠) المنهاج السوى ١٨ / ب .

(١١) كشف الظنون ١ / ٥٩ .

(١٢) الأعلام ٨ / ١٤٩ .

(١٣) معجم المؤلفين ١٣ / ٢٠٢ .

بقوله : وينبغي لكل راغب في الآخرة ، أن يعرف هذه الأحاديث ، لما اشتملت عليه من المهمات ، واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات . (١)

سبب تأليفها :

وكان الباعث على تأليفها ، هو الاقتداء بالأئمة الأعلام ، من حفاظ الاسلام الذين جمعوا أربعينيات متفرقة ، كعبد الله بن المبارك ، وهو أول من صنف في الأربعينيات ، وابن أسلم الطوسي ، والحسن بن سفيان النسائي ، وأبي بكر الآجري ، وأبي بكر محمد بن ابراهيم الأصفهاني ، والدارقطني ، والحاكم ، وأبي نعيم ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وأبي سعيد الماليني ، وأبي عثمان الصابوني ، وعبد الله بن محمد الأنصاري ، وأبي بكر البيهقي ، وخلائق لا يحصرون من المتقدمين والمتأخرين . (٢) الذين ألفوا في الأربعينيات عملاً بحديث : ((من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها ، بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء)) . (٣)

(١) ص ٦ ط دار القلم بيروت .

(٢) ذكر الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ١٠٢ - ١٠٤ ، كثيراً غير هؤلاء ، وكذا صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد البكري ، ذكر من أشار إليهم النووي هنا وغيرهم ، وجمع كتابه الأربعين من أربعين كتاباً ، كل كتاب يسمى بالأربعين ، عن أربعين من الصحابة ، في أربعين باباً من العلم ، انظر ص ٢٤ - ٢٧ ، وذكر عدداً كبيراً منهم حاجي خليفة في كشف الظنون ٥٢/١ - ٦٢ ، عند ذكره الأربعينيات فعد منها اثنين وسبعين مما بلغه علمه أو وقف عليه .

(٣) ذكر النووي - رحمه الله - أن هذا الحديث يروى عن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ،
===

.....

== = - رضى الله عنهم - من طرق كثيرات ، بروايات متنوعة ، وذكر الحديث السابق . قال : وفي رواية بعثه الله فقيها عالما ، وفي رواية - أبي الدرداء - كنت له يوم القيامة شافعا ، وشهيدا ، وفي رواية ابن مسعود ، قيل له : ادخل الجنة من أى أبواب الجنة شئت ، وفي رواية ابن عمر ، كتب في زمرة العلماء وحشرفي زمرة الشهداء ، قال النووي : وافق الحفاظ على أنه حديث ضعيف ، وإن كثرت طرقه ، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٤٣/١ من حديث أنس بطريقين ، ومن حديث أبي هريرة بطريقين ، ومن حديث ابن عمرو من حديث معاذ ابن جبل ، ومن حديث ابن عباس ، قال : وأحسن اسناد جاء به هذا الحديث هو اسناد حديث ابن عمر ، وهو ما رواه بسنده الى مالك ابن أنس عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((من حفظ على أمي أربعين حديثا من السنة حتى يوءديها اليهم ، كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة)) قال : لكنه غير محفوظ ، ولا معروف من حديث مالك ومن رواه عن مالك فقد أخطأ عليه ، وأضاف ما ليس من روايته عليه ، ثم نقل عن أبي علي بن السكن قوله : ليس يروى هذا الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من وجه ثابت . أه

وأجاب ابن حجر الهيتمي ، في الفتح المبين شرح الأربعين ص ٣٣ ، عن عمل جمع من الأئمة به ، فخرجوا تلك الأربعينيات اعتمادا عليه ، بأن هذا الحديث ليس شديد الضعف كما ادعاه بعضهم . قال : لأنه - أى شديد الضعف - الذى لا يخلو طريق من طرقه عن كذاب أو متهم بالكذب ، قال : وهذا ليس كذلك ، كما دل عليه كلام الأئمة ، قال : ولئن سلمنا ذلك ، فهم لم يعتمدوا في ذلك عليه ، بل على ما سيذكره المصنف من الأحاديث الصحيحة . أه

== =

قال : وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثا ، اقتداء بهؤلاء الأئمة
الأعلام ، وحفاظ الاسلام . قال : وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث
الضعيف في فضائل الأعمال ^(١) ، قال : ومع هذا ، فليس اعتمادى على هذا

=== وهى التي ذكرها بقوله : ومع هذا فليس اعتمادى على هذا الحديث ،
بل على قوله - صلى الله عليه وسلم - في الأحاديث الصحيحة :
((ليلخ الشاهد منكم الغائب)) ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - :
((نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها)) . وعلى
هذا ، فإن لمصنفي الأربعينيات وجهة نظر ، وذلك لأنهم قد تلقوه
بالقبول ، وإذا تلقت الأمة الضعيف بالقبول ، عمل به على الصحيح ،
حتى أنه ينزل منزلة المتواتر ، في أنه ينسخ المقطوع به ، كما قال
الشافعي في حديث ((لوصية لوارث)) ، قال : إن أهل الحديث
لا يثبتونه ، ولكن العامة تلقت بالقبول ، وعملوا به حتى جعلوه ناسخا لآية
الوصية . انظر فتح المغيث ٢٨٨ / ١ ، ورفع الأستار ص ٦٢ .

(١) لأنه ان كان صحيحا في نفس الأمر ، فقد أعطى حقه من العمل به ،
والا لم يترتب على العمل به مفسدة تحليل ولا تحريم ، ولا ضياع حق

للغير ، الفتح المبين ص ٣٦ .
وفي دعوى الاتفاق نظر ، لأنه قد تقدم أن في العمل بالحديث الضعيف
ثلاثة مذاهب : أحدها ، لا يعمل به مطلقا ، وهو ما ادعاه ابن العربي ،
ولعل النووي - رحمه الله - أشار بدعوى الاتفاق الى الرد على هذا
المذهب ، وكأنه لم يعبا بخلافهم .

وهذا ما أفاده في الفتح المبين ، فقال : وأشار المصنف -
رحمه الله تعالى - بحكاية الاجماع على ما ذكره ، الى الرد على من
نازع فيه ، بأن الفضائل إنما تتلقى من الشرع ، فاثباتها بالحديث
الضعيف اختراع عبادة ، وشرع في الدين ، ما لم يأذن به الله .
وهذه حجة ملزمة للمجوزين العمل به ، إلا أن يجيبوا عنها باجابة
===

.....

== شافية ، وقد حاول صاحب الفتح المبين أن يجيب عنها فقال : إن ذلك ليس من باب الاختراع في الشرع ، وإنما هو ابتغاء فضيلة ورجاؤها بأمانة ضعيفة ، من غير ترتيب مشددة عليها ، أ هـ . ص ٣٦ .

وأجاب عنها العلامة الدواني في " أنموذج العلوم " ، ونقلها محمد عبد الحى في " ظفر الأمانى " ص ٩٧ - ١٠٦ فقال بعد حكايته الاجابات لبعضهم عن هذا الاعتراض الملزم بما حاصله :

والذى يصلح للتعويل ، أنه اذا وجد حديث ضعيف ، في فضيلة عمل من الأعمال ، ولم يكن هذا العمل مما يحتمل الحرمة أو الكراهة ، فإنه يجوز العمل به ، ويستحب ، لأنه مأمون الخطر ، ومرجو النفع ، اذ هو دائر بين الاباحة ، والاستحباب ، فالاحتياط العمل به ، رجاء الثواب ، وأما اذا دار بين الحرمة والاستحباب ، فلا وجه لاستحباب العمل به ، وأما اذا دار بين الكراهة والاستحباب ، فمجال النظر فيه واسع ، اذ في العمل ، خشية الوقوع في المكروه ، وفي الترك ، مظنة ترك المستحب ، فلينظر ان كان ترك الكراهة أشد ، بأن تكون الكراهة المحتملة شديدة ، والاستحباب المحتمل ضعيف ، فحينئذ يرجح الترك على العمل ، فلا يستحب العمل به ، وان كان خطر الكراهة أضعف ، بأن تكون الكراهة ضعيفة ، دون مرتبة ترك العمل ، فالاحتياط العمل به . وفي صورة المساواة ، يحتاج الى نظر تام ، والظن أنه يستحب أيضا لأن المباحات تصير بالنية عبادات ، فكيف ما فيه شبهة الاستحباب لأجل الحديث الضعيف .

قال : فجواز العمل ، واستحبابه ، مشروطان :

أما جواز العمل ، فبعدم احتمال الحرمة .

وأما الاستحباب ، فيما ذكرناه مفصلا .

قال : وخلاصة الكلام الرافع للأوهام ، هو أن ثبوت الاستحباب والكراهة التي هي في قوة الاستحباب ، أو الجواز بالحديث الضعيف ، مع الشروط

==

الحديث ، بل على قوله - صلى الله عليه وسلم - في الأحاديث الصحيحة :
 ((ليبلغ الشاهد منكم الغائب)) ^(١) ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - :
 ((نضر الله امرء سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها)) ^(٢) .

ولما كانت أغراض العلماء في جمع الأربعينيات مختلفة ، فمنهم من
 جمع الأربعين في أصول الدين ، وبعضهم في الفروع ، وبعضهم في الجهاد ،
 وبعضهم في الزهد ، وبعضهم في الآداب ، وبعضهم في الخطب .
 لما كان الأمر كذلك ، رأى جمع أربعين أهم من ذلك كله ، فجمع أربعين
 حديثاً في جميع أبواب الدين ، كل حديث منها قاعدة عظيمة من
 قواعد الدين ، وقد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه ، وهو نصف الإسلام ،
 أو ثلثه ، أو نحو ذلك ، كما أفاد في خطبتها .

منهجها فيه :

وأما منهجها فيها ، فقد أشار إليه بقوله :
 والتزم في هذه الأربعين ، أن تكون صحيحة ، ومعظمها في
 صحيح البخاري ، ومسلم ، قال : وأذكرها محذوفة الأسانيد ، ليسهل حفظها ،
 ويعم الانتفاع بها - إن شاء الله تعالى - ثم أتبعها بباب في ضبط خفي
 الفاظها .

=== المتقدمة لا ينافي قولهم : أنه لا يثبت الأحكام الشرعية ، فإن الحكم
 باستحباب شيء ، دال عليه الضعيف أو كراهته ، احتياطي ، والحكم
 بجواز شيء ، دال عليه تأكيد لما ثبت بدلائل آخر ، فلا يلزم منه ثبوت
 شيء من الأحكام في نفس الأمر ، ومن حيث الاعتقاد ، قال : نعم ، ولولم
 تلاحظ الشروط المتقدمة ، لزم الاشكال البتة ، وارجع الى ما سبق ص ٢٨٨
 من الكلام حول هذا الموضوع .

(١) سبق تخريجه ص ٣٢٩

(٢) " " " " ص ٣٢٩

فهذا ما التزم به في هذه الأربعين ، فهل وفى به ؟

لا شك أنّ الذى يطلع على هذا الشرط ، ثم يقرأ الأربعين ، أنّه سيجد أنّ الامام النووى - رحمه الله تعالى - لم يف بهذا الشرط ، ذلك أنّه سيجد المؤلف ، قد ذكر أحاديث ، حكّم عليها بالحسن فقط ، وتلك الأحاديث هي ذوات هذه الأرقام : (١٢ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٩) .
فهذه سبعة أحاديث خرجت عن شرطه ، كما هو ظاهر ابتداء .
فلماذا عدل النووى عن ظاهر كلامه ؟

سيستاءل عن ذلك كل من لم يدرك أنّ له وجهها وجيبها في توجيه كلامه ، وهو الذى فهمه شارحوا هذه الأربعين ، كابن دقيق العيد ، وابن حجر الهيتمي ، والشبرخيتي ، والتفتازاني ، والنبراوى وغيرهم . وذلك حين أدركوا أنّ مثل هذا الصنيع ، سيجرّئ من لا علم له ، على اتهام النووى في التقصير عن التزامه ، فنبهوا على ذلك ليُعلم .

(١) فقال ابن دقيق العيد : قوله : صحيحه ، أى غير ضعيفه ، فتشمل الحسن .
وقال ابن حجر الهيتمي : أنّه اراد المعنى الأعم ، الشامل للحسن ، اذ يطلق عليه أنّه صحيح حقيقة عند بعضهم ، ومجازا عند الباقيين ، لمشابهته له في
(٢) وجوب العمل به .

(٣) وقال الشبرخيتي : المراد بالصحيحة غير الضعيفة فتشمل الحسنة .

وقال التفتازاني ^(٤) والنبراوى ^(٥) نحو قول ابن دقيق العيد والشبرخيتي .

(١) شرحه على الأربعين ص ١١ ط المنيرية .

(٢) الفتح المبين ص ٣٩ .

(٣) الفتوحات الوهبية ص ٣٣ .

(٤) في شرح الأربعين النووية ص ٢٧ .

(٥) " " " " " " ص ٢٧ .

وكذا قال المدابغي في حاشيته على الفتح المبين (١) :

ووجهتهم في ذلك ، أن هذا اصطلاح جرى عليه متقدموا أهل الحديث ، حيث كانوا لا يرون تقسيم الحديث إلا الى قسمين فقط ، مقبول ، ومردود ، فالمقبول ، صحيح ، والمردود ، ضعيف ، فيدرجون الحسن في الصحيح ، لا اشتراكهما في الاحتجاج ، كما ذكره ابن الصلاح في مقدمته ، حيث قال فسي الفرع التاسع من النوع الثاني (٢) : (من أهل الحديث من لا يفرد نوع الحسن ويجعله من درجتي أنواع الصحيح ، لاندراجه في أنواع ما يحتج به ، قال : وهو الظاهر من كلام الحاكم أبي عبد الله في تصرفاته ، وإليه يؤول تسميته كتاب الترمذى بـ "الجامع الصحيح" ، قال : وأطلق الخطيب أبو بكر - أيضا - عليه اسم "الصحيح" ، وعلى كتاب النسائي ، الى أن قال : ثم أن من سمي الحسن صحيحا ، لا ينكر أنه دون الصحيح المقدم المبين أولا ، قال : فهذا إذا اختلف في العبارة دون المعنى . والله أعلم .)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (وأما قسمة الحديث الى صحيح ، وحسن ، وضعيف . فهذا أول ما عرف أنه قسمة الى هذه القسمة ، أبو عيسى الترمذى ، قال : ولم تعرف هذه القسمة عن أحد قبله ، ثم قال : وأما من كان قبل الترمذى ، فما عرف عنهم هذا التقسيم الثلاثي ، لكن كانوا يقسمونه الى صحيح ، وضعيف . (٣)

(٤) ونقل السخاوى عنه ، أنه نقل الاجماع على هذا إلا الترمذى خاصة .

إذا علم هذا ، علم أيضا أن النووى - رحمه الله - قد نحا في هذا

(١) ص ٣٦ .

(٢) المقدمة مع التقييد والايضاح ص ٦٠ .

(٣) علوم الحديث لابن تيمية ص ٢٨ .

(٤) فتح المغيث ١٥ / ١ ، وانظر النكت للحافظ ابن حجر ٤٨٠ / ١ .

الكتاب هذا النحو ، وان لم يتبعه في غيره ، ان لا يلزمه أن يسلك منهجا واحدا في سائر كتبه ، بل له في كل منهج ، فكان منهجه هنا ، أن جعل قسمي الحديث ، الصحيح والحسن ، الذي استقر العمل على تقسيمها بعد أن كانا قسما واحدا ، أن يجعلهما قسما واحدا كما كان عليه الحال قبل ذلك الاستقرار ، وذلك لأنه أراد أن يكون كل حديث من هذه الأحاديث ، من القواعد التي عليها مدار الدين ، كما نبه عليه في المقدمة ، فانتقى من ذلك ما قيل فيه ذلك القول ، وان لم يخرج في الصحيحين ، أو أخذ حكم الصحة عند المتأخرين ، لأنه قد أخذ حكم الصحة بالمعنى الأعم الذي كان عليه العمل عند المتقدمين .

ولا يريد عليه أنه كان بوسعهم أن يأتي بأحاديث بتلك الصفة من الصحيحين ونحوهما ، لأنه أراد من هذه الأحاديث أن يكون كل حديث منها قاعدة من قواعد الدين كما تقدم ذكره ، فانتقى من الأحاديث ما وجدت فيه تلك الصفة ، ولا سبيل الى الزامه في الانتقاء .

ومما يدل على هذا كله ، أنه — رحمه الله — نص على حسن هذه الأحاديث عقب إيراد كل حديث منها ، عملا بما جرى عليه متأخرو أهل الحديث .

وما كان عما التزم به غافلا ، لأن حجم هذه الأربعين لاتعدو وريقات معدودة ، فاحتمال الخفلة والنسيان بعيد لقرب عهده بذكره ، فما كان عمله ذلك إلا مقصودا لأنه يراه سائفا ومتبعا ، والله أعلم .

ولذلك لم ينبه عليه في شرحه اللطيف الذي وضعه لها ، ولا انتقد عليه هذا الصنيع أحد من تلامذته ، الذين تداولوها في حال حياته ، ولا شارحوها من بعده ، بل أوضحوا مقصوده ومنغزاه ، وفسروا صنعه ومرامه ، وكأن الأمر

لدى الكافة معلوم ، وعند أهل العناية واضح ومفهوم .

ورحم الله ابن الدبيح الشيباني اذ يقول فيها :

أيها الطالبون علم حديث هذه أربعون حقا صحيحة
كلها غير سبعة فحسان فاتبعها فأنها لنصيحة (١)

وكان النووي - رحمه الله - قد فرغ من تأليفها ، في ليلة الخميس
التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ثمان وستين وستمئة . (٢)

عناية العلماء بها :

قد علمت أن الأربعينيات كثيرة العدد ، ومختلفة المقصد ، إلا أنه لم
تحظ واحدة من تلك الأربعينيات بالخطوة التي نالتها الأربعين النووية .
ولعل السرفي ذلك ، هو أن هذه الأربعين قد جمعت مقاصد تلك
الأربعينيات ، كما أراد مؤلفها - رحمه الله - فكانت كما قيل: (كل الصيد في
جوف الفري) ، فجذبت هم الراغبين في متفرقات الأربعينيات وحظيت بإقبال الطالبين ،
وعناية المحدثين . أما الطالبون ، فبالحفظ والاستظهار ، وأما المحدثون ،
فبالشرح الصغار والكبار ، والحواشي المتممة لنفعها المدرار .

(٣) وكان أول من فتح لهم الطريق ، هو مؤلفها ذو التحقيق والتدقيق ،
حيث شرحها بشرح موجز ، يتلائم مع صغر حجمها ، مع توضيح معانيها ،
ولاريب ، " فصاحب الدار أدري بالذي فيها " ، ثم توالى عليها الشروح
الكثيرة ذوات العلوم الغزيرة ، والمنافع الجليلة ، وقد عثرت على ذكر شروح
كثيرة ، وما أدري ان كانت لما لم أعلمه قليلة .

فمما علمته من العلماء شرحها ، هم الآتية أسماؤهم :

(١) النور السافر ص ٢١٨ .

(٢) مقدمة الارشاد لعبد الباري فتح الله السلفي ١٦/١ .

(٣) الضهاج السوي ١٨/ب .

- (١)
- ١ - تلميذه أبو العباس أحمد بن فرح الاشبيلي ت سنة ٦٩٩ هـ .
- ٢ - تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد ت سنة ٧٠٢ هـ .
- (٢)
- شرح موجز .
- (٣)
- ٣ - نجم الدين سليمان بن عبد القوى الطوفي ت سنة ٧١٠ هـ .
- ٤ - تاج الدين عمر بن علي اللخمي الفاكهاني ت سنة ٧٣٤ هـ ، يشرح سماه
(٤)
« المنهج المبين » ثم اختصر ذلك الشرح وسماه « مختصر المنهج المبين » .
- ٥ - الشيخ زين الدين سريجا بن محمد المطلي ت سنة ٧٨٨ هـ ، وسماه « نشر
فرائد المربعين المثوية في نشر فوائد الأربعين النووية » يقع في أربعة
(٥)
أجزاء .
- (٦)
- ٦ - سعد الدين التفتازاني ت سنة ٧٩١ هـ .
- (٧)
- ٧ - البدر النزرکشي أبو عبد الله محمد بن بهادر ت سنة ٧٩٤ هـ .
- ٨ - الحافظ زين الدين ابن رجب ، عبد الرحمن بن أحمد ت سنة ٧٩٥ هـ .
- شرحها شرحا حافلا ، مليئا بالفوائد الحديثية والأحكام الفقهية ،

-
- (١) كشف الظنون ٥٩/١ .
- (٢) طبع الطبعة الأولى في المطبعة النصرية ولم يذكر فيها تاريخ ، وطبع
ثانية في بيروت بمؤسسة دار العلوم سنة ١٤٠٠ هـ .
- (٣) كشف الظنون ٥٩/١ .
- (٤) كذا في الأعلام ٥٦/٥ ، وذكر في كشف الظنون ٥٩/١ ، أن وفاته
كانت سنة ٧٣١ هـ ، والكتاب توجد مخطوطته في مكتبة الحرم بـرقم
عام ١٢٤٣ ، ورقم خاص ٤١٢ ، كما يوجد مختصره كذلك بـرقم
عام ١٢٠٠ ، ورقم خاص ٢٥ .
- (٥) كشف الظنون ٦٠/١ .
- (٦) الأعلام ٢١٩/٧ ، وقد طبع الكتاب بالمطبعة العامة سنة ١٣٢٦ هـ .
- (٧) الدرر الكامنة ١٧/٤ .

وخرج أحاديثها من مظانها ، وتتبعها في الكتب المشهورة ، والأجزاء
المنثورة ، فأراح من جاء بعده في تخريج هذه الأحاديث ،
واستدرك على النووي ثمانية أحاديث ، هي من جوامع الكلم ، وقواعد
الدين ، وعليها مداره ، لم يضمنها كتابه ، فأتى بها هو ، وشرحها
وأحسن بذلك من فعال ، إذ تم به الجمال ، وأكمل فيه الخصال ،
وأسماء (جامع العلوم والحكم) وقد طبع عدة طبعات ، منها طبعة
المؤسسة السعيدية بالرياض ، في ثلاث مجلدات متوسطة الحجم ، ونشر
أخيرا تصويرا من دار المعرفة ببيروت في مجلد واحد .

- ٩ - أبو الطاهر الخجندی ، أحمد بن محمد بن محمد الأخوي ت سنة ٨٠٢ هـ .^(١)
- ١٠ - أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد السعودي الحنفی
ت سنة ٨٠٣ هـ ، وسماه (الدر الرصين المستخرج من بحر الأربعين)^(٢) .
- ١١ - الشيخ سراج الدين عمر بن علي بن الملقن ت سنة ٨٠٤ هـ ، وسماه
(المعين على تفهيم الأربعين)^(٣) .
- ١٢ - جمال الدين يوسف بن الحسن التبريزي ت سنة ٨٠٤ هـ .^(٤)
- ١٣ - محمد بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم عز الدين بن جماعة
ت سنة ٨١٩ هـ ، وسماه (التبيين في شرح الأربعين)^(٥) .
- ١٤ - أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي ت ٨٢٦ هـ وسماه (الجواهر
البهية)^(٦) .

-
- (١) الأعلام ٢٢٥/١ .
 - (٢) إيضاح المكنون ٥٥/١ .
 - (٣) كشف الظنون ٦٠/١ ، ومقدمة تحفة المحتاج الى أدلة المنهاج ٩١/١ .
 - (٤) " " ٥٩/١ .
 - (٥) البدر الطالع ١٤٧/٢ - ١٤٨ ، ومعجم المؤلفين ١٢٦/١٠ .
 - (٦) هداية العارفين ١٢٣/١ .

- ١٥ - تقي الدين أبو بكر محمد الحصني ت سنة ٨٢٩ هـ . (١)
- ١٦ - برهان الدين ابراهيم بن أحمد الخجندی المدني الحنفي ت سنة ٨٥١ هـ . (٢)
- ١٧ - أبو حفص البليبي الشافعي ، فرغ منه في ربيع الآخر سنة ٨٥٥ هـ ، وسماه " فيض المعين " . (٣)
- ١٨ - صلاح الدين محمد بن أبي بكر السيوطي الشافعي ت سنة ٨٥٦ هـ . (٤)
- ١٩ - بدر الدين الحسين بن الخواجة شهاب الدين أحمد بن محمد الكيلاني الشافعي المعروف بابن قاوان ، ت بمكة سنة ٨٨٩ هـ . (٥)
- ٢٠ - محمد بن صفى الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد السلام الايجي الملقب بمعين الدين الصفوى الشيرازى ت سنة ٩٠٦ هـ . (٦)
- ٢١ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١ هـ . (٧)
- ٢٢ - محمد بن العز الحجازى ، وسماه (الأفكار النورانية في شرح الأربعين النووية) ، فرغ منه سنة ٩١٢ هـ . (٨)
- ٢٣ - أحمد بن سليمان بن كمال باشا ت سنة ٩٤٠ هـ . (٩)

-
- (١) البدر الطالع ١٦٦/١
- (٢) كشف الظنون ٥٩/١
- (٣) " " ٥٩/١
- (٤) ايضاح المكنون ٥٥/١
- (٥) " " ٥٦/١
- (٦) الضوء اللامع ٣٢/٨ ، وهداية العارفين ٢٢٣/٢ ، ومعجم المؤلفين ١٥٣/١
- (٧) الامام على القارى وأثره في الحديث الشريف ٦٤٣/٢ - رسالة ماجستير في جامعة أم القرى بقسم الكتاب والسنة - لمحمد خليل قوثلاى
- (٨) ايضاح المكنون ٥٦/١
- (٩) توجد مخطوطة في مكتبة الحرم المكي - عمرها الله - برقم عام ٥/١٢٥ مجاميع ، وترجمته في الأعلام ١٣٣/١

٢٤ - الشيخ أحمد بن حنبل المكي ت سنة ٩٢٤ هـ ، وأسماء (١) الفتح المبين (١) وهو شرح ممزوج بالمتن ، وهو شرح نفيس وكبير ، أجاد فيه مؤلفه وأفاد ، وأتى فيه بما يثلج الأكباد من أحكام الفقه وعلوم الاسناد ، وقد طبع الكتاب في مصر عدة مرات ، منها طبعة عيسى الحلبي ، المذيل صفحاتها بحاشية عليه للعلامة حسين المدابغي . (٢)

٢٥ - الشيخ أحمد بن حجازي الفشني ، وأسماء (٣) المجالس السننية في الكلام على الأربعين النووية (٣) وفرغ منه ٩٢٨ هـ .

٢٦ - العلامة مصلح الدين محمد السعدي العبادي ت سنة ٩٢٩ هـ ، قال في كشف الظنون : وهو أفضل ما دونوا في بيانها ، قال : والحق أنه بالنسبة الى سائر الشروح كالأبدان الخالية عن الروح . (٤)

٢٧ - الملا علي بن سلطان بن محمد القاري الهروي المكي الحنفي (٥) ت سنة ١١٠٤ هـ ، وأسماء (٥) المبين المعين لفهم الأربعين (٥) ، وهو شرح موجز مفيد .

٢٨ - الشيخ سالم بن الحسن الشبشتري (٦) الشافعي ، نزيل مصر ت سنة ١٠١٩ هـ .

(١) كشف الظنون ٦٠/١ .

(٢) ولعل أول طبعاته طبعة الميمنية لصاحبها مصطفى الحلبي في عام ١٣١٢ هـ .

(٣) معجم المؤلفين ١٨٨/١ ، وقد طبع في هامش الأربعين نفسها وفي هامش شرح الشبرخيتي الآتي ذكره .

(٤) ٦٠/١ ، وهو مخطوط ، توجد نسخة منه في مكتبة الحرم المكي عمرها الله برقم عام ١٠٦٣ ، وخاص ٦٤٢ حديث .

(٥) كشف الظنون ٦٠/١ ، وقد طبع في المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٨ هـ ، وهي طبعته الاولى .

(٦) أو الشبشري كما اختلفت في ضبطه المراجع التي ذكرته .

- وعلى هذا الشرح حاشية لخليل بن محمد الرشيدى المصرى الشهيد —
بالخضيري ت ١١٨٦ هـ .
- وأخرى لعبد الله بن محمد النبراوى ت سنة ١٢٥٥ هـ وسماه «عروس
الأفراح» (١) .
- ٢٩ - الشيخ ابراهيم بن عطية الشبرخيتي ت سنة ١١٠٦ هـ بشرح سماه «الفتوحات
الوهبية» وهو شرح مفيد جدا .
- ٣٠ - اسماعيل بن عبد الباقي اليازجي ت ١١٢١ هـ وسماه «الجواهر الثمين في
شرح الأربعين» (٣) .
- ٣١ - الشيخ أحمد بن محمد بن علي الحسني القلعاوى المعروف بالسحيمي
ت سنة ١١٢٨ هـ . وأسماه «أزهار الطالبين بشرح الأربعين» يقع في
أربع مجلدات مخطوطة . (٤) وهو كتاب مفيد وشرح مبسوط ، لو وقف عليه
حاجي خليفة ، لرجع عن وصفه لشرح العبادى بذلك الوصف ، ولجعل له
لهذا الشرح لأنه به أجدر ، وهو به أولى .
- ٣٢ - الشيخ محمد بن الحسن بن طالب بن سوده البناني المرى الفاسي

(١) ايضاح المكنون ٦٠/١ ، وهداية الحارفين ٣٨٧/١ ، ومعجم المؤلفين ٢٠٢/٤ .

(٢) هداية الحارفين ٣٦/١ ، وايضاح المكنون ٦٠/١ ، وقد طبع الكتاب في
المطبعة الأزهرية في ٢٢ شوال سنة ١٢٨٠ هـ ، وفي المطبعة
المحمدية سنة ١٣١٦ هـ .

(٣) ايضاح المكنون ٦٠/١ ، ومعجم المؤلفين ٢٧٥/٢ .

(٤) يوجد في مكتبة الحرم الحامدة منه القسم الثالث والرابع في مجلدين ضخمين
برقم عام ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ورقم خاص ٤٠٣ ، قال الزركلي في الاعلام ١/٢٤٣
أنه مخطوط في خزانة الرباط في أول المجموع ١٩٧٠ ، كتاني .

(١) المكي ت سنة ١١٩٤ هـ ، له عليها شرحان .

٣٣ - الشهاب أحمد بن محمد بن أبي بكر الشيرازي الكازروني ت
(٢) شرحه شرحا مزوجا بالمتن وسماه " (الهادي للمسترشدين) " .

٣٤ - الحافظ مسعود بن منصور بن الأمير سيف الدين عبد الله العلوي ، وهو شرح
مزوج أيضا وسماه " (الكافي في شرح أربعين النووي) " . (٣)

(٤) ٣٥ - شرح آخر لم يذكر مؤلفه ، يوجد في مكتبة الحرم المكي عمرها الله تعالى .
٣٦ - آخر أيضا لم يعلم مؤلفه كذلك يوجد فيها . (٥)

فهذه نحو من أربعين شرحا لهذه الأربعين ، وهذا العدد يدل بلا ريب
على أهميتها ، ومبلغ مكانتها عند العلماء ، وقد علمت أن الأربعينيات كثيرة جدا ،
ولكن لم تحظ أربعين بمثل ما حظيت به أربعين النووي - رحمه الله - .

(٦) - كما خرج أحاديثها الحافظ ابن حجر العسقلاني ت سنة ٨٥٢ هـ ،
(٧) - والحافظ السخاوي ت سنة ٩٠٢ هـ .

ولعل ما لم أطلع عليه كثير . والله أعلم .

-
- (١) إيضاح المكنون ٦٠ / ١ .
(٢) كشف الظنون ٥٩ / ١ .
(٣) " " ٦٠ / ١ ، ويوجد مخطوطا في مكتبة الحرم برقم عام ١١٧٢ ،
وخاص ٦٠٣ . ويقع في (٥٦) ورقة .
(٤) برقم عام ٢٧٤٧ ، وخاص ٤٣٩ .
(٥) برقم ١ / ٨٨ مجاميع .
(٦) كشف الظنون ٦٠ / ١ ، والرسالة المستطرفة ص ١٨٧ .
(٧) المقاصد الحسنة ص ٢٣٠ ، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ١ / ٥٢٣ .

(٣) - خلاصة الأحكام من مهمات السنن وقواعد الاسلام :

نسبه اليه اللخمي وقال : وصل فيه الى الزكاة في مجلد ،
 وقال : رأيت به بخط مصنفه ، وأثنى عليه بقوله : وهو كتاب نفيس لا يستغنى المحدث
 عنه خصوصا الفقيه ^(١) ، وابن قاضي شهبه وقال : إنه لخص فيه الأحاديث
 المذكورة في شرح المذهب ^(٢) ، والسخاوي ^(٣) ، والسيوطي ^(٤) ، وابن العماد
 الحنبلي ، وذكر أنه لخص فيه الأحاديث المذكورة في شرح المذهب ^(٥) ،
 وحاجي خليفة ^(٦) ، والبغدادى ^(٧) ، والزركلي ^(٨) وغيرهم .

وهي من أهم كتبه الحديثية ، وأكثرها نفعا كما علم من مقالة اللخمي
 الأنفة الذكر ، وقال ابن الملقن كما نقله السخاوي : رأيتها بخطه ، ولو كملت
 لكانت في بابها عديمة النظير . ^(٩)

ولامية في هذا ، فإن موضوعها من أهم المواضيع التي أولاها علماء
 هذا الشأن ، ولا سيما متأخروهم عناية فائقة ، حيث كان في طليعة المؤلفين
 في أحاديث الأحكام ، هو الامام أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن

-
- (١) ترجمة النووي ١/٣ .
 - (٢) الطبقات ١٥٦/٢ .
 - (٣) في الترجمة ص ١٢ .
 - (٤) في المضاجح السوى ١/١٨ .
 - (٥) الشذرات ٣٥٦/٥ .
 - (٦) كشف الظنون ٧١٧/١ .
 - (٧) في هداية العارفين ٥٢٤/٢ .
 - (٨) في الأعلام ١٤٩/٨ .
 - (٩) الترجمة ص ١٢ .

الأشبيلي المعروف بابن الخراط سنة ٥٨١ هـ ، حيث انبرى لهذا الجانب
وآلف فيه ثلاثة كتب هي : " الأحكام الكبرى

وقد جرده وانتقاه من الأمهات الحديثية ، فجاء أوسع كتاب في
هذا الباب ، ولما رأى ضخامة حجمه ، آلف كتاباً أخصر منه ، وسمّاه
" الأحكام الوسطى " ، ويقع في مجلدين ، وكانت له يكثف بهذا الاختصار ،
فوضع كتاباً ثالثاً أسماه " الأحكام الصغرى " يقع في مجلد . (١)

ثم جاء تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن
سرور المقدسي الحنبلي سنة ٦٠٠ هـ ، وآلف كتاباً أسماه " عمدة الأحكام
عن سيد الأنام " وهو كتاب مطبوع يقع في جزء صغير ، وذكر في الرسالة
المستطرفة (٢) أنه يقع في جزئين . وذكر أيضاً أن له أيضاً
الأحكام في ستة أجزاء .

ثم تتابعت المؤلفات في هذا الجانب من معاصري النوى ومن بعده ،
غير أن النوى - رحمه الله - امتاز عليهم بجودة الأسلوب ، حيث نهج نهجاً
لم ينسج على ضوئه ، ولا عمل أحد على شكله ومثاله .

لأنه قصد أن يجمع غالب الأحاديث التي يستدل بها الفقهاء في
الأحكام الفرعية من صحيح وضميف ، مميزاً الأحاديث الضعيفة بفصل ، عقب
أيراد الأحاديث الصحيحة أو الحسنة المحتج بها ، التي يذكرها تحت
عناوين كتب الفقه وأبوابه .

(١) الرسالة المستطرفة ص ١٢٨ .

(٢) ص ١٨٠ .

سبب تأليفه :

لم يفصح النووي - رحمه الله تعالى - في هذا الكتاب العظيم عن
 الباعث على تأليفه ، غير أن ذلك يفهم من مقدمة الكتاب ، حيث ذكر أنه
 ينبغي لكل أحد أن يتخلق بأخلاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 ويقتدى بأقواله وأفعاله وتقديره ، في الأحكام والآداب ، وسائر معالم
 الاسلام ، وأن يعتمد في ذلك ماصح ، ويتجنب ما ضعف ، ولا يغتر بمخالف
 السنة الصحيحة ، ولا يقلد معتمدى الأحاديث الضعيفة ، امتثالا لقوله تعالى :
 ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى :
 ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ قل ان
 كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ ^(٣) . التي تحث
 على اتباعه - صلى الله عليه وسلم - وتنهى عن الابتداع والاختراع .
 قال : وأمرنا الله سبحانه وتعالى عند التنازع ، بالرجوع الى الله والرسول ،
 أى الكتاب والسنة ، قال : وهذا كله في سنة صحت ، أما ما لم يصح ، فكيف
 يكون سنة ، وكيف يحكم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قاله أو فعله ،
 من غير مسوغ لذلك ؟

قال : ولا يغتر بكثرة المتساهلين في العمل والاحتجاج في الأحكام
 بالأحاديث الضعيفة ، وان كانوا مصنفين وأئمة في الفقه وغيره ،
 قال : وقد أكثروا من ذلك في كتبهم ، ولو سئلوا عن ذلك لأجابوا بأنه
 لا يعتمد في هذا الضعيف ، قال : وإنما أباح العلماء العمل بالضعيف في

(١) سورة الحشر آية ٧ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٣) سورة آل عمران آية ٣١ .

القصص وفوائد الأعمال ، التي ليس فيها مخالف لما تقرر في أصول الشرع ،
مثل فضل التسبيح وسائر الأذكار ، ومكارم الأخلاق ، والزهد في الدنيا ،
وغير ذلك مما أصوله معلومة مقررة ، ثم قال : وقد استخرت الله الكريم الرؤوف
الرحيم ، في جمع مختصر في الأحكام ، أعتمد فيه الصحيح والحسن ،
وأفرد الضعيف في آخر الأبواب ، تبويبها على ضعفه ، لئلا يغتر به ،
(١)

فهذا كل ما ذكره في مقدمة هذا الكتاب ، ومنه يفهم أنه رأى الحاجة
ماسة لاسعاف الناس بكتاب يجمع لهم الأحاديث التي يحتاجون اليها في
الأحكام ، مميّزا فيه الصحيح من الضعيف ، حتى لا يقعوا في الاحتجاج
بالضعيف ، فيما لا يجوز الاحتجاج به ، وهو الأحكام والعقائد والتفسير ،
ولم ير أحدا أسعف الناس بذلك على ذلك النهج ، فرأى أن الواجب عليه
فعل ذلك ، حتى يكون الناس على بصيرة من أمر دينهم .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا الأسلوب من المقدمة لم نعتاده من
الامام النووي - رحمه الله - ، بل أنه عودنا دائما في مقدمات كتبه ، الولوع
بالسجع المحكم الرصين الغير المتكلف ، وغالبا ما تكون فواصله مختومة بجمع
المؤنث السالم ، وهنا ليس في هذه المقدمة شيء من ذلك ، مما قد يجعل
القارئ بادئ ذي بدء ، يرتاب في نسبة هذه المقدمة إليه ، لجريانه على
خلاف المعتاد من نفسه وكلامه ، كما أنه غالبا ما يذكر الحامل له على الاقدام
في تأليفه الذي يتحدث عنه صراحة ، وهو ما ليس بصريح هنا ، الأنبي
أفسر ذلك ، بأن النووي ، قد عدل هنا عن أسلوبه المعتاد في مقدمات
مصنفاته ، بدافع الحماس الذي لحقه من صنيع من ذكر في اعتمادهم على
ضعيف الحديث في غير محله ، ولا سيما ممن يعلمون ذلك ، فجعله ذلك يتخذ

أسلوبا يحمل تقريرا لهم ، وتوبيخا لمخالفتهم أوامر الله في متابعة نبيه سيدنا محمد بن عبد الله - صلوات الله وسلامه عليه - ، فيما بلغ فيه عن ربه تبارك وتعالى ، من أصول الشرع ، وسائر الأحكام ، وهم يعلمون أن ذلك لا يؤخذ فيه إلا بالصحيح من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خشية أن يزداد أو ينقص في شرع الله من غير برهان ثابت ، فكان المقام هنا مقام تنبيه وتحذير ، فلا يناسب فيه إلا هذا الأسلوب ، فإن لكل مقام مقالا .

أما كونه لم ينصح عن الباعث له على تأليفه كما هي عادته ، فذلك لأن المقدمة كانت إشارتها واضحة الى سبب تأليفه لهذه الخلاصة ، وفيها الكفاية للفظن الحاذق ، فإن الحليم تكفيه الإشارة ، كما قيل ، فلعله رأى أن التصريح بذلك مع وضوح الإشارة ضرب من العبث ، فإذا ما كان كذلك فإنه يحمد له فعله هذا . والله أعلم .

منهجه فيه :

أما منهجه في هذا الكتاب ، فقد بينه بقوله : وقد استخرت الله الكريم في جمع مختصر في الأحكام أعتمد فيه الصحيح والحسن ، وأفرد الضعيف في أواخر الأبواب ، تنبيها على ضعفه لئلا يغتر به ، قال : وأذكر فيهِ - ان شاء الله - جملا متكاثرة هي أصول قواعد الأحكام ، وأضيفها الى الكتب المشهورة ، مصرحا بصحيتها وحسنها . وأنبه على خفي بعض معانيها وضبط لفظها . ثم قال مبينا اصطلاحه في العزوالى أهميات السنن : فان كان في صحيحى البخارى ومسلم ، أو أحدهما ، اقتضرت على اضافته إليهما أو اليه ، لحصول المقصود ، وهو بيان صحته فأنهما صحيحان باجماع المسلمين . وما كان في غيرهما ، ذكرت جماعة ممن روه من المشهورين

كأبي داود ، والترمذى ، والنسائي ، والدارقطني ، والحاكم ، والبيهقى وغيرهم .
 من أعلام الحفاظ المتقدمين ، قال : فما كان في صحيحى البخارى ومسلم
 - رحمهما الله - . قلت في آخره متفق عليه ، فان اتفق لفظهما ، اقتضت على
 متفق عليه ، والآ قلت لفظه لفلان وإن زاد أحدهما أو غيرهما زيادة ، نبهت
 عليها ، وما اتفق عليه أبو داود ، والترمذى ، والنسائي ، قلت في آخره :
 رواه الثلاثة ، وما سوى هذا ، أصرح بإضافته . ثم قال :

وقد التزمت في هذا المختصر : أن لأهمل بيان شيء من الأحاديث
 في الصحة والحسن ، والحسن كالصحيح في جواز الاحتجاج به في الأحكام
 وإن كان دونه في القوة .

قال : وأما الضعيف ، فأنبه عليه مختصرا جدا ، وعلى الله الكريم اعتمادى واليه
 تفويضى واستنادى حسبى الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم .
 (١١)

هذا هو المصنف الذى التزمه والذى امتاز به في هذا الكتاب ، وهى
 ميزة عالية أتمت فيها نفسه ، وأراح غيره ، حيث غنى بانتقاء المحتج به من
 الحديث ، فيكون عمدة الفقهاء ، ونبته على ما لا يصلح للحجية ، فلا يغتسروا
 به ، فيكون كتابه هذا ملاذا للفقهاء وعمدة العلماء .

ولكن لم يرد الله له ذلك ، حيث مات عنه مبتورا ، فلم يقع موقعه
 من قلوبهم ، وظلت الفائدة منه محدودة ، وقاصرة على كتاب الصلاة وبعض كتاب
 الزكاة ، ولذلك لم يشتهر اشتها را واسعا كأكثر كتبه .

وما زال الاستغراب يساورني في عدم استفادة العلماء منه غاية الاستفادة
 كما نهلوا وعلّوا من سائر كتبه ، مع أنه قد حوى نحو من ألفى حديث ، بين
 صحيح وضعيف ومرفوع ، وموقوف ، وضخم ما ينيف على عشرين كتابا ، وثلاثمائة
 باب ، وقد كتبت أعدادتها في هذه الرسالة ثم تركتها اختصارا .

مكانة هذا الكتاب :

يعتبر كتابه هذا من أهم الكتب الحديثية التي تبرز الجانب الحديثي من الامام النووي - رحمه الله - ، لأنه قد ضمّه فتنى الحديث رواية ودراية ، بأوضح صورة ، وأحسن أسلوب ، حيث جمع في هذه القطعة جملة كبيرة من أحاديث أحكام تلك الكتب والأبواب ، مبينا الصحيح منها من الضعيف ، متكلماً على كثير من الرواة بما يليق بحالهم جرحاً وتعديلاً ، معتمداً في ذلك على أئمة هذا الشأن وجهابذتهم ، وسالكا في ذلك أعدل الطرق ، وأوسط المناهج ، فبان بذلك كله أنه حافظ من حيث الرواية ، ناقد من حيث الدراية ، أما كونه حافظاً ، فستوضح عندما يُعرض بعد قليل - ان شاء الله - أنموذج يحتوى على جملة من الأحاديث يبين مكانته من حيث الحفظ الذي به استطاع أن يورد تلك الأحاديث في الباب الواحد ، كما يعطي صورة عن مكانته من حيث النقد ، إذ ميز صحيح تلك الأدلة من ضعيفها ، بناء على استقراء لرواتها ، وإن لم تكتمل هذه الصورة في مثل هذا الأنموذج ، فستوضح - ان شاء الله - في باب خاص يفرد لكلامه في النقد .

وهذه نماذج من الكتاب أذكرها ليستدل بها على باقيه .

قال - رحمه الله - : " كتاب الطهارة باب المياه "

- ١ - عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر - على الأصح - من نحو ثلاثين قولاً - رضى الله عنه - ، قال : سأل رجل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، أنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ، أفنتوضأ بماء البحر ؟ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((هو الطهور ماؤه الحل ميتته)) ، رواه مالك والثلاثة ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح ، ورفع

أيضا على وابن عمر وجابر - رضى الله عنهم (١) » (٢)

وعن أبي سعيد - سعد بن مالك بن سنان الأنصارى الخ - رى
- رضى الله عنه - قال : قيل يا رسول الله ، أنتوضأ من بئر بضاعة وهى بئر
يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن ؟ فقال رسول الله -
- صلى الله عليه وسلم - : ((الماء طهور لا ينجسه شيء)) رواه الثلاثة ، وقال
الترمذى : حسن ، وفي بعض النسخ صحيح ، وقال الامام أحمد بن حنبل :

(١) ١/٣ .

(٢) أما مالك ، فرواه في الموطأ في باب الطهور للوضوء ٣٥/١ ، وأما أبو داود
فرواه في باب الوضوء بماء البحر ١٩/١ ، وأما الترمذى ، فرواه في
باب ماجاء في البحر أنه طهور ١٠٠/١ . وأخرجه أيضا النسائي في
باب ماء البحر ٥٠/١ ، وابن ماجه في باب الوضوء بماء البحر ١٣٦/١ ،
ورواه أيضا الشافعى في الام ٣/١ ، وأحمد في المسند ٢٣٧/٢ ،
٣٦١ ، ٣٩٣ ، وابن أبي شيبة ١٣١/١ من المصنف ، والدارمي في
سننه ١٨٥/١ بغير هذا اللفظ تارة وبه أخرى ، وابن خزيمة ٥٩/١ ،
وابن حبان في صحيحه ٢٧٢/٢ الاحسان ، والحاكم في
المستدرک ١٤٠/١ من حديث ابن عباس ، والدارقطني في السنن ٣٦/١ ،
والبيهقي في السنن الكبرى ٢٣/١ ، واليفوى في شرح السنة ٢٧٢/٢ ،
وحديث جابر أخرجه ابن ماجه ١٣٧/١ ، وابن حبان ٢٧٢/٢ ،
والدارقطني ٣٤/١ ، والحاكم ١٤٣/١ .
وأما حديث على - رضى الله عنه - فأخرجه الحاكم في المستدرک ١٤٣/١ ،
والدارقطني في السنن ٣٥/١ ، ولم أجد من أخرجه من رواية ابن عمر ،
وأما جاء من رواية عبد الله بن عمرو فلهله وقع تصحيف عمرو الى عمر ،
وهو من حديثه عند الدارقطني ٣٥/١ ، ٣٧ ، والحاكم في
المستدرک ١٤٣/١ ، وأخرجه الدارقطني أيضا من حديث أبي بكر
الصدیق - رضى الله عنه - ، وأنس ، وابن عباس ٣٤/١ ، ٣٥ ،
والحاكم من حديث ابن عباس ١٤٠/١ .

وانظر تخریج الحديث أيضا في نصب الرایة ٩٥/١ - ٩٩ ، وتلخیص

==

هو صحيح ، وكذا قاله آخرون ، وقولهم مقدم على قول الدارقطني أنه
(١) (٢) غير ثابت .

٣ - وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - وهو يسأل عن الماء يكون في القلاة وما ينويه من السباع
والدواب ، فقال : اذا كان الماء قتلين لم يحمل الخبث ، رواه الثلاثة ،
(٣)

=== الحبير ٩/١ - ١٢ ، والدراية في تخريج أحاديث الهداية ص ٥٣ ،
وارواء الخليل ٤٢/١ ، وتحفة المحتاج ١٣٦/١ ، والمحـرر في
الحديث ٨١/١ ، ونيل الأوطار ١٢/١ ، وسبل السلام ١٩/١ .
(١) ١/٣ .

(٢) أما أبو داود فرواه في باب ماجاء في بئر بضاعة ١٦/١ ، وأما الترمذى ،
فرواه في باب ماجاء أن الماء لا ينجسه شيء ، وذكر ما أشار اليه
النووى من الحسن وقال : قد روى هذا الحديث من غير وجهه عن
أبي سعيد ٩٥/١ ، وأما النسائي فرواه في باب ذكر بئر بضاعة ١٢٤/١ ،
ورواه الدارقطني في السنن ٣٠/١ ، وأبو داود الطيالسي بغير ذكر
كلمة طهور ص ٢٩٢ ، والشافعي في الأم كما في مختصر المزني ٩/١ ،
وأحمد في المسند ٣١/٢ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٤١/١ ،
والبغوى في شرح السنة ٦٠/٢ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ،
والبيهقي ٢٥٧/١ في السنن . قال في تلخيص الحبير ١٣/١ : صححه
أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وأبو محمد بن حزم ، قال : ونقل
ابن الجوزى : أن الدارقطني قال : ليس بثابت ، قال : ولم نرد لك في
العلل له ، ولا في السنن ، وقد ذكر في الحلل الاختلاف فيه على ابن
اسحاق وغيره .

وانظر تخريج الحديث أيضا في تلخيص الحبير ١٣/١ ، ونيل الأوطار ٣٥/١ ،
وتحفة المحتاج ١٣٧/١ ، وارواء الخليل ٤٥/١ .

(٣) أبو داود في باب ما ينجس الماء ١٥/١ ، والترمذى ٩٧/١ ، والنسائي في
===

.....

== باب التوقيت في الماء ١٢٥/١ .

ورواه ابن ماجه في باب مقدار الماء الذي لا ينجس ١٢٢/١ ، وابن خزيمة ٤٩/١ ، والدارقطني ٢١/١ ، وابن حبان كما في الاحسان ٢٢٣/٢ ، ٢٧٥ ، والطحاوي في شرح الآثار ١٥/١ ، والحاكم في المستدرک ١٣٢/١ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا جميعا برواته ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وقال : تركاه للخلاف فيه ثم ساق طرقه ، وساق طرقه كذلك الحاكم ثم قال معقبا عليها : قد صح وثبت بهذه الرواية صحة الحديث .

ورواه أيضا الشافعي في الأم ٤/١ في باب الماء الراكد ، وفي المسند ص ٧ في باب ما خرج من كتاب الوضوء ، والدارمي في السنن ١٨٦/١ ، وأحمد في المسند ٢٧/٢ ، وعبد الرزاق في المصنف ٨٠/١ ، وابن أبي شيبة في سننه ٢٦٠/١ ، والبيهقي في السنن ٢٦٠/١ .

وقال الحافظ في تلخيص الحبير ١٧/١ ، بعد أن نقل عن ابن منده قوله اسناده على شرط مسلم ، قال : مداره على الوليد بن كثير فقبل عنه عن محمد بن جعفر بن الزبير ، وقيل عنه عن محمد بن عباد بن جعفر وفي رواية عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، وفي أخرى عن عبد الله ابن عبد الله بن عمر ، ثم قال : والجواب أن هذا ليس اضطرابا قادحا ، فإنه على تقدير أن يكون الجميع محفوظا انتقال من ثقة الى ثقة ، وعند التحقيق الصواب أنه عن الوليد بن كثير عن محمد بن عباد بن جعفر ، وعن جعفر بن محمد بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله ابن عمر المصغر ، قال : ومن رواه على غير هذا الوجه ، فقد وهم ، وانظر تخريج الحديث ، والكلام عليه أيضا في نصب الراية ١٠٤/١ - ١١٢ ، وتهذيب السنن لابن القيم ٥٦/١ - ٧٤ ، وتعليق الشيخ أحمد شاكر على سنن الترمذي ٩٢/١ - ٩٩ ، وتحفة المحتاج الى أدلة المنهاج ١٤٢/١ ، ورواء الغليل ٦٠/١ .

وهو صحيح صححه الحفاظ ^(١) ، قال الحاكم : صحيح على شرط البخاري
ومسلم ، وفي رواية لأبي داود وغيره : " اذا كان الماء قلتين فإنه لا ينجس " ،
قال يحيى بن معين ^(٢) : اسناده جيد ، وقال الحاكم صحيح ^(٣) .

٤ - عن أم هانئ ؓ فاختة - رضى الله عنها - قالت : اغتسل رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - وميمونة من اناء واحد في قصعة فيها أثر
من العجين ، رواه النسائي وابن ماجه ^(٤) باسناد صحيح .

(١) منهم الشافعي ، وأبو عبيد ، وأحمد ، وإسحاق ، ويحيى بن معين ،
والدارقطني ، والخطابي ، والبيهقي ، وابن حزم . ومن المتأخرين ابن
القيم ، وابن حجر ، والألباني . وضعفه جماعة بدعوى الاضطراب والوقف .
(٢) كما نقله المنذرى في مختصر سنن أبي داود ٥٨/١ .

(٣) ٢/٣ .

(٤) أما النسائي ، فرواه في باب ذكر القصعة التي يعجن فيها ، ١٣١/١ ،
وأما ابن ماجه ، فرواه في باب الرجل والمرأة يغتسلان من اناء
واحد ١٣٤/١ ، ورجال النسائي ثقات ، ورجال ابن ماجه ثقات ،
ألا عبد الله بن عامر الأشعري ، فإنه كما في التقريب ص ٣٠٨ رقم ٣٤٠٢
مقبول . ولعل النووي حكم له بالصحة باعتبار تقويته برواية النسائي ،
والشواهد الواردة له ، منها حديث ابن عمر - رضى الله عنهما -
قال : كان الرجال والنساء يتوضؤون في زمان رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - جميعا ، رواه البخاري ٥٨/١ .

وحديث عائشة - رضى الله عنها - قالت : كنت أغتسل أنا والنبي
- صلى الله عليه وسلم - من اناء واحد من قدح يقال له : الفرق ،
رواه البخاري ٦٩/١ .

وحديث ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وميمونة كانا
يغتسلان من اناء واحد ، رواه البخاري ٧٠/١ ، والشافعي في

===

٥ - عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

((قال : اذا وقع الذباب في اناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فان

(١)

في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء)) رواه البخاري .

(٢) وأبو داود (٣) بأسناد حسن وأنه يتقى بجناحه الذي فيه الداء (٤) .

=== والحديث أخرجه أيضا ابن حبان ٢٧٢/٢ ، من الاحسان ، وأحمد في

المسند ٣٤٢/٦ ، والبيهقي في السنن ٧/١ .

وانظر تخريج الحديث أيضا في ارواء الغليل ٦٤/١ ، وتحفة

المحتاج ١٣٩/١ ، وانظر فتح الباري ٨٥/٢ - ٨٦ ط ك .

(١) في كتاب بدء الخلق ، باب اذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه

فان في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء ١٥٨/٤ ، وفي كتاب

الطب - باب اذا وقع الذباب في الاناء ١٨١/٧ .

(٢) في الأطعمة باب في الذباب يقع في الطعام ٣٢٨/٢ .

(٣) لأن في اسناده محمد بن عجلان وهو صدوق وثقة رجاله ثقات ،

والحديث يروى أيضا من حديث أبي سعيد الخدرى ، وأنس بن مالك ،

وعلى بن أبي طالب - رضى الله عنهم - من نحو خمسين طريقا

غير مكررة ، وقد أفرد الكلام على طرق الحديث هذا والكلام عليها

والكلام على صحته من النواحي الفقهية والطبية - الدكتور / خليل

ابراهيم ملا خاطر - عافاه الله تعالى - ، في كتاب أسماه (الاصابة في

صحة حديث الذبابة) وذكر في مقدمته أن طريقه قد زادت فيما وصل

اليه علمه ، على خمسين طريقا ، باعتبار عدم التكرار قال : وإلا فهي

تزيد على الستين باعتبار التعدد ، ورسم لطرقه من حديث أبي هريرة

وأنس وأبي سعيد الخدرى ، شجرا توضح تلك الطرق ، فليُنظر ذلك

الكتاب فإنه مهم لدحض ترهات المبطلين الجاحدين الجاهليين .

(٤) ١/٣ .

- ٦ - عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : (مرضت ، فعادني النبي - صلى الله عليه وسلم - فوجدني قد أغشى علي ، فتوضأ ثم صب من وضوئه علي فأفقت) متفق عليه . (١)
- ٧ - عن أم عبد الله أسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنهما - قالت : (جاءت امرأة الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : احدانا يصيب ثوبها دم الحيض كيف تصنع به ؟ ، قال : تحته ثم تقرصه بالماء ثم تتوضه ثم تصلي فيه) متفق عليه . (٢) (٣)
- وفي رواية أبي داود باسناد على شرط الصحيحين (٤) (إذا أصاب احداكن الدم من الحيض فلتقرصه ثم لتوضه بالماء ثم لتصل) .

- (١) رواه البخاري في حدة مواضع من صحيحه ، في الوضوء باب صب النبي - صلى الله عليه وسلم - وضوءه على المغشى عليه ٥٨ / ١ ، وفي المرضى باب عيادة المغشى عليه ١٥٠ / ٢ ، وفي الاعتصام باب ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول : لا أدري أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي " ١٢٤ / ٩ .
- وفي كتاب الفرائض ١٨٥ / ٨ .
- ومسلم في كتاب الفرائض ٥٥ / ١١ بشرح النووي .
- (٢) رواه البخاري في الوضوء باب غسل دم الحيض ٨١ / ١ .
- ومسلم في الطهارة باب نجاسة الدم وكيفية غسله ١٩٩ / ٣ بشرح النووي .
- (٣) ٣ / ١ .
- (٤) رواه من طريق عبد الله بن مسلمه ، عن مالك ، عن هشام بن عروة ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنهما - أنها قالت : سألت امرأة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، أرايت احدانا اذا أصاب ثوبها الدم من الحيضة كيف تصنع ؟ الحديث ٨٧ / ١ ، ورجال سنده كلهم ثقات أثبات قد أخرج لهم الشيخان .

- (١) وفي رواية له على شرط البخاري (حتيه ثم اقرصيه ثم انضحيه) .
(٢) ومثلهما رواية الترمذي وقال : حسن صحيح .

-
- (١) رواه من طريق مسدد ثنا حماد ، ح وثنا مسدد ، ثنا عيسى بن يونس ،
ح ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا حماد — يعني بن سلمة — عن هشام ، بهذا
المعنى ، قال : حتيه ثم اقرصيه ثم انضحيه ، ٨٧ / ١ . ورجال —
ثقات الا أن حماد بن سلمة أخرج له البخاري تعليقاً —
وأخرج له مسلم كثيراً والأربعة ، وعليه فقول النووي : ان الحديث —
على شرطه فيه نظر لأن من أخرج لهم تعليقاً ليسوا على شرطه .
(٢) مع اختلاف يسير في الفاظهما . انظر ٤٥٤ / ١ بتحقيق أحمد شاكر .

فصل في ضعيف الباب :

(١) منه حديث عائشة المرفوع ، وأثر عمر في كراهة الماء المشتمس .

(١) أما حديث عائشة ، فأخرجـــــــــــــــــه الدارقطني في سننه ٣٨/١ ، فقال : أخبرنا الحسين بن اسماعيل وآخرون ، قالوا : حدثنا سعدان بن نصر ، نا خالد بن اسماعيل المخزومي ، نا هشام بن عروة ، عن أبيـــــــــــــــــه ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد سخنت ماء في الشمس ، فقال : لا تفعلــــــــــــــــي يا حميراء ، فإنه يورث البرص ، وقال : غريب جداً ، خالد بن اسماعيل متررك .

وأخرج أيضاً من طريق محمد بن الفتح القلانسي ، نا محمد بن الحسين بن سعيد البزاز ، نا عمرو بن محمد الأعمش ، نا فليح ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يتوضأ بالماء المشتمس أو يغتسل به ، وقال : ((أنه يورث البرص)) ، قال : عمرو بن محمد الأعمش منكر الحديث ، ولم يروه عن فليح غيره ، ولا يصح هذا عن الزهري .

وأخرجه من الطريق الأول أيضاً ابن عدي في الكامل ، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/١ ، وأبو نعيم في الطب ، كما قال الحافظ في التلخيص ٢٠/١ ، وذكر له الألباني خمس طرق من رواية هشام بن عروة ، وطريقاً من رواية الزهري عن عروة ، وحكم بوضع الحديث بطرقه كلها . انظر إرواء الخليل ٥٠/١ - ٥٣ .

وذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة بجميع طرقه ٥/٢ - ٦ . وعده في الموضوعات أيضاً الشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٨ ، وابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة ٦٩/٢ ، وأوضح علل طرقه ، فقال : رواه أبو نعيم في الطب وفيه خالد بن اسماعيل المخزومي ، والدارقطني في الأفراد ، وفيه الهيثم بن عــــــــــــــــدي .

وفي السنن وفيه عمرو بن الأعثم ، وابن حبان ، وفيه وهب بن وهب ، قال : وجاء من حديث أنس (لا تغتسلوا بالماء الذي يسخن بالشمس ، فإنه يحدى من البرص) وعزاه للعقيلي من طريق سودة ، ونقل حكمه عليه بالجهالة ، وأن حديثه غير محفوظ ، وأنه ليس في الماء المشمس شيء يصح مسندا ، وإنما يروى فيه شيء من قول عمر — رضي الله عنه — ، فحصل أن حديث عائشة موضوع ، لأن طرقه كلها دائرة على وضاعين ، أو كذابين ، أو متهمين به . انظر تفصيل الكلام على هذا الحديث في تلخيص الحبير ١/ ٢٠ - ٢١ ، وأرواء الغليل ١/ ٥٠ - ٥٣ . وأما الأشعر بن عمر ، فرواه الدارقطني في السنن فقال : أنا أبو سهل بن زياد ، نا إبراهيم بن الحارثي ، نا داود بن رشيد ، نا اسماعيل بن عياش ، حدثني صفوان بن عمرو ، عن حسان بن أزهر ، أن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قال : لا تغتسلوا بالماء المشمس فإنه يورث البرص ، ١/ ٣٩ .

(١) وليس في المشمس شيء ثابت .

=== عن صدقة بن عبد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أن
 عمر كان يكره الاغتسال بالماء المشمس ، وقال : أنه يورث البرص أهـ ٣/١ .
 قال الحافظ : وصدقة ضعيف ، وأكثر أهل الحديث على تضعيف ابن
 أبي يحيى - أي ابن محمد المذكور - قال الحافظ : لكن الشافعي كان
 يقول : أنه صدوق وإن كان مبتدعا . ثم نقل الحافظ كلام النسائي
 وإبراهيم بن سعد ، والعجلي ، وابن عدي ، والساجي بما يقتضي ضعفه ،
 ثم عقب عليهم بقوله : والظاهر من حال الشافعي أنه كان يحتج به
 مطلقا ، قال : وكم من أصل أصله الشافعي لا يوجد إلا من رواية
 إبراهيم ، ثم قال : وفي الجملة ، فإن الشافعي لم يثبت عنده الجرح
 فيه ، فلذلك اعتمده . والله أعلم أهـ . تلخيص الحبير ٢٢/١ .
 (١) يشير بهذا إلى تضعيف كل ما ورد في هذا الباب ، وقد تقدم الحديث
 المروى عن عائشة - رضي الله عنها - بلفظ ((لا تفعل يا حبيب -
 فإنه يورث البرص)) ، وتقدمت الإشارة إلى تضعيف طرقه والحكم عليها
 بالوضح ، فإنه عند الدارقطني والبيهقي من طريق خالد بن اسماعيل
 وقد قال الدارقطني : أنه متروك ، وقال البيهقي فيما رواه عنه ابن
 عدي : أنه يضع الحديث على ثقات المسلمين ، وأنه
 روى هذا الحديث عن هشام بن عروة مع خالد بن وهب ، قال : وهو
 شرمه ، وقال البيهقي في معرفة السنن والآثار ص ٦٥ : لا يثبت
 البتة ، وهو عند ابن عدي وابن حبان من طريق أبي البختري وهب
 ابن وهب . وقد قال عنه ابن الجوزي في الموضوعات أنه كذاب .
 وهو عند الدارقطني في الأفراد من طريق الهيثم بن عدي ، والهيثم
 كذبه يحيى بن معين ، كما في التاريخ ٣/٣٦٣ ، برقم ١٢٦٢ .
 وهو عنده أيضا في غرائب مالك من طريق اسماعيل بن عمرو الكوفي عن
 ابن وهب عن مالك ، ومادون ابن وهب ضعفاء . وأشار إلى هذه الرواية
 البيهقي في سننه ١/٧ ، وقال : اسناد منكر عن ابن وهب عن

===

.....

== مالک عن هشام ولا يصح . وهو عند الطبراني في الأوسط من طريق محمد بن مروان السدي . وهو متروك ، كما قال الحافظ في التلخيص ٢١١/١ ، وفي مجمع الزوائد ٢١٩/١ ، أجمعوا على ضعفه .

فهذه طرقه كلها عن هشام لا تثبت واحدة منها كما ترى .

وأما الطريق الأخرى ، وهي طريق الزهري ، عن عروة فهي أيضا لا تثبت . لأن الدارقطني أخرجها في السنن ٣٨/١ ، من طريق عمرو بن محمد الأعمش ، وقال عنه : هناك منكر الحديث ، ولم يرو عنه عن فليح غيره ، ولا يصح عن الزهري .

وأما الأثر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فهو مما تفرد به حسان ابن أزره ، وقد علم ما فيه ، وما أظنه يتقوى بالشاهد السدي رواه الشافعي ، لأن الشافعي لم يخرج له محتجا به ، وإنما ذكره استشهادا لقوله : ولا أكره الماء المشمس إلا من جهة الطيب ، الأم ٣/١ . فلو أن الحديث كان ثابتا عنده لقال بكرهته ، لأن قول عمر - رضي الله عنه - في أمر من أمور الدين من السنة ، لاسيما إذا لم يجد معارضا من الصحابة ، ثم إن الشافعي - رحمه الله - وان احتج به هو ، فإن غيره قد جرح راويه شيخ الشافعي إبراهيم ابن أبي يحيى قال فيه النسائي : كان يضع الحديث ، وقال إبراهيم ابن سعد : كنا نسميه ونحن نطلب الحديث خرافة ، وقال العجلي : كان قد ربا معتزلا رافضيا كل بدعة فيه ، وكان من أخف الناس ، ولكنه غير ثقة ، وقال الساجي : لم يخرج الشافعي عن إبراهيم حديثا في فرض ، وإنما جعله شاهدا ، كذا قال : وتعقبه الحافظ ، وقال محمد بن سعد : لا أعلم بين الأئمة اختلافا في إبطال الحجة به ، انظر التلخيص ٢٢/١ . وطبقات ابن سعد ٤٢٥/٥ .

فهؤلاء مجرحون ، وقولهم مقدم على من وثق ، لاسيما أن بعضهم قد بين السبب ، وأشار النووي بقوله ذلك إلى بقية ما ورد في الباب .

==

(١) ومنه الحديث المرفوع ، تحت البحر نار وتحت النار بحر الى سبعة .

=== وهو حديث ابن عباس : ((من اغتسل بالشمس فأصابه وضغ فلا يلومن
الآن نفسه)) . قال الحافظ : رويناه في الجزء الخامس من مشيخة
قاضي المرستان ، من طريق عمر بن صبح ، عن مقاتل ، عن الضحاك ،
عنه بهذا ، وقال : عمر بن صبح كذاب ، والضحاك لم يلق ابن عباس ،
قال : وفي الباب عن أنس رواه العقيلي بلفظ : ((لا تغسلوا بالماء
الذي يسخن في الشمس ، فإنه يهدى من البرص)) قال : وفيه سواد
الكوفي وهو مجهول .

قال : ورواه الدارقطني في الأفراد من حديث زكريا بن حكيم ، عن
الشعبي ، عن أنس ، قال : وزكريا ضعيف ، والراوى عنه أيوب بن
سليمان ، وهو مجهول ، قال : وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ،
وقال البيهقي في المعرفة : لا يثبت البتة ، وقال العقيلي : لا يصح
فيه حديث مسند ، وإنما هو شيء روى من قول عمر . أ هـ ، تلخيص
الحبير ٢ / ٢١ ، والتعليق المغني على الدارقطني ١ / ٣٨ .

(١) الحديث رواه أبو داود في الطهارة - باب الوضوء بماء البحر ١ / ٨٩ فقال :
حدثنا سعيد بن منصور ، ثنا اسماعيل بن زكريا ، عن مطرف ، عن بشرابي عبد الله ،
عن بشير بن مسلم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - : ((لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز
في سبيل الله فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا)) .
قال المنذرى : في هذا الحديث اضطراب ، روى عن بشير هكذا ،
وروى عنه أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو ، وروى عنه عن رجـل
عن عبد الله بن عمرو ، وقيل غير ذلك ، قال : وذكره البخاري في
تاريخه ، وذكر له هذا الحديث ، وذكر اضطرابه وقال : لم يصح
حديثه . ثم نقل عن الخطابي قوله : قد ضعفوا اسناد هذا
الحديث أ هـ ٣ / ٣٥٩ ، وفي عون المعبود " ١٦٧ / ٧ " قال أبو داود :
===

والأثر المروى في النهي عن الطهارة بماء زمزم ^(١) ، وحديث الماء طهور ^(٢) لا ينجسه إلا ما غير طعمه أو لونه أو ريحه ، والضعف في الاستثناء فقط .

=== رواه مجهولون ، وذكر الحافظ في التهذيب : (٤٦٢ / ١) الاختلاف على بشير بن مسلم في هذا الحديث ، ثم ذكر ذكرا بن حبان له في الثقات وقال : روى عن رجل عن عبد الله بن عمرو . أ هـ
والحديث في سنن سعيد بن منصور (١٥٢ / ٢) برقم (٢٣٩٣) ، وذكر أيضا أثرا عن مجاهد قال : لا يركب البحر إلا حاجا أو معتمرا أو غازيا في سبيل الله .

(١) هو ما جاء عن العباس - رضي الله عنه - أنه قال وهو عند زمزم : لا أحله لمغتسل ، وهو لشارب حل ويل ، قال في شرح المذهب ٩٩ / ١ : ولم يصح ما ذكره عن العباس ، بل حكى عن أبيه عبد المطلب ، ولو ثبت عن العباس ، لم يجز ترك النصوص به ، قال : فلا يكره الوضوء والغسل به لنصوص الأدلة الصحيحة الصريحة المطلقة في المياه بلا فرق ، ولم يزل المسلمون على الوضوء منه بلا انكار . أ هـ بتصرف .

(٢) رواه الدارقطني في سننه ٢٨ / ١ من حديث ثوبان - رضي الله عنه - ومن حديث أبي أمامة مرفوعا ، وفي سندهما ، رشدين بن سعد ، عن معاوية بن صالح ، عن راشد بن سعد . ورواه مرسل أيضا من حديث راشد بن سعد ٢٩ / ١ .

وقال الدارقطني : لم يرفعه غير رشدين بن سعد عن معاوية بن صالح ، وليس بالقوى . يعني رشدين فإنه ضعيف كما في التقريب ص ٢٠٩ رقم ١٩٤٢ ، وفي تلخيص الحبير ١٥ / ١ متروك ، قال ابن يونس : كان رجلا صالحا لا شك في فضله ، أدركته غفلة الصالحين ، فخلط في الحديث .

قال الحافظ : وهو من حديث أبي أمامة عند ابن ماجه والطبراني ، وفيه رشدين أيضا . قال : ورواه البيهقي بلفظ : إن الماء طاهر إلا أن تغير ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه ، أورده من طريق عطية
===

(١)

وأوله صحيح سبق .

وفيه حديث سلمان مرفوع : كل طعام و شراب وقعت فيه دابة ليس لها

(٢)

دم فمات فهو الحلال أكله وشربه ووضوءه .

وفيه حديث ابن مسعود في الوضوء بالنبيذ ثمرة طيبة وماء طهور ، أجمعوا

(٣)

على ضعفه .

== ابن بقية عن أبيه عن ثور عن رشد بن سعد عن أبي أمية ، قال :

وفيه تعقب على من زعم أن رشد بن سعد تفرد بوضوءه ، ثم نقل عن

الشافعي أنه قال : يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من وجّه

لا يثبت أه .

(١) ص ٣٧١ من حديث أبي سعيد .

(٢) رواه الدارقطني في السنن ٣٧ / ١ ، عن أبي هاشم عبد الغافر بن

سلامة الحمصي ، عن يحيى بن عثمان بن سعيد الحمصي بوجاهة ،

نا بقية بن الوليد ، عن سعيد بن أبي سعيد الزبيدي ، عن بشر بن

منصور على بن زيد ، ورواه من طريق أخرى عنه بسند فيه بقية أيضا ،

ثم قال الدارقطني : لم يروه غير بقية عن سعيد بن أبي سعيد الزبيدي ،

وهو ضعيف ، يعني سعيد بن أبي سعيد ، وكذا قال عنه فـ

التقريب ص ٢٣٨ رقم ٢٣٤٢ ، وزاد ، كان جرير يكذبه .

وفي التلخيص ٢٨ / ١ ، تفرد به بقية وحاله معروف (أي بكثرة التدليس

عن الضعفاء وهو صدوق) (كما في التقريب ص ١٢٦ برقم ٧٣٤) ،

قال : وشيخه سعيد بن أبي سعيد الزبيدي ، مجهول ، وقد ضعف

أيضا ، قال : وافق الحفاظ على أن رواية بقية عن المجهولين واهية ،

قال : وعلي بن زيد بن جدهان ، ضعيف أيضا ، ثم نقل عن الحاكم

أبي أحمد قوله : هذا الحديث غير محفوظ ، أه .

(٣) رواه أبو داود في السنن - باب الوضوء بالنبيذ ٢٠ / ١ ، والترمذي في

==

.....

== السنن — باب ماجاء في الوضوء بالنبيذ ١٤٧/١ ت أحمد شاكر —
وابن ماجه — باب الوضوء بالنبيذ ١٣٥/١ ، جميعهم من حديث ابن
مسعود — رضى الله عنه — من طريق أبي فزارة ، عن أبي زيد مولى عمرو
ابن حريث ، عنه ، أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال ليلة الجن
عندك طهور ؟ قال : لا ، ألا شئ من نبيذ في اداوة ، قال : ثمرة
طيبة وماء طهور ، زاد الترمذى : فتوضأ منه ، وقال : أبو زيد رجل
مجهول ، ورواه أحمد ٤٤٩/١ ، وزاد أيضا : وتوضأ منه وصلى ،
قال الحافظ في الدراية ص ٦٣ : قال ابن أبي حاتم ، عن أبي زرعة :
ليس بصحيح ، وأبو زيد رجل مجهول ، وكذا حكى ابن عدى عن
البخارى ، وقال : هو خلاف القرآن ، وأبو فزارة هو راشد بن
كيسان ، وهو ثقة ، ويقال غيره ، فقال أحمد : هو رجل مجهول ،
وذكر الحافظ جميع طرقه التي تبين أن في الحديث اضطرابا ، وفي
التاريخ جهالة ، وقال المصنف في المجموع ٩٤/١ ، بعد أن ذكر
مذاهب أهل العلم في عدم الوضوء بماء النبيذ ، والروايات في مذهب
أبي حنيفة في العمل بهذا الحديث ، واستقر عليه العمل عندهم
من العمل به ، قال : وأما الجواب عن شبهتهم ، فحديث ابن
مسعود ضعيف باجماع المحدثين ، ثم نقل عن الترمذى وغيره ما تقدم
ذكره ، وقال : وقد ثبت في صحيح مسلم عن علقمة قال : سألت ابن
مسعود ، هل شهد أحد منكم رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
ليلة الجن ؟ قال : لا ، ولكننا كنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
ذات ليلة ، ففقدناه ، فالتمسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا :
استطير واغتيل ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فقال : أتاني داعي
الجن ، فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن ، قال : فانطلق بنا فأرانا
آثارهم ، وآثار نيرانهم . وفي صحيح مسلم أيضا عن علقمة عن
عبد الله قال : لم أكن ليلة الجن مع رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — ووددت أن أكون معه ، قال : فثبت بهذين

==

ومنه حديث أنه توضأ فمسح رأسه بفضل ما في يده ^(١) ، وفي رواية ، مسح رأسه بببلل لحيته ، وفي حديث ، اغتسل فرأى لمعة لم يصيبها الماء فأخذ شعرا من يده عليه ماء فأمره على ذلك الموضع ^(٢) . كلها ضعيفة .

==

مع ما ذكرناه من اتفاق الحفاظ على تضعيف حديث النبذ ، بطالان احتجاجهم ، ثم ذكر أجوبة أصحابه الشافعية الأخرى عن هذا الحديث فانظر ص ٩٤ - ٩٥ ، وانظر مرويات ابن مسعود - رضي الله عنه - لفظة الدكتور / الشريف منصور العبد لي - حفظها الله تعالى - ٣٥٨ / ١ - ٣٧٢ .
(١) رواه أبو داود في باب صفة وضوء النبي - صلى الله عليه وسلم - ٢٩ / ١ ، فقال : حدثنا مسدد ، ثنا عبد الله بن داود ، عن سفيان بن سعيد ، عن ابن عقيل ، عن الربيع ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مسح برأسه من فضل ماء كان في يده .

ورواه الدارقطني (٨٢ / ١) من حديثها أيضا بلفظ : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - توضأ ومسح رأسه بببلل يده ، ورواية أخرى بلفظ : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يأتينا فيتوضأ فمسح رأسه بما فضل في يده من الماء ، وكذا رواه البيهقي ٥٢ / ١ ، من طريق ابن عقيل هذا عن الربيع ، قال : وابن عقيل هذا لم يكن بالحافظ وأهل العلم يختلفون في الاحتجاج به . أ هـ

قال الزيلعي في نصب الراية (١٠٠ / ١) : نقل الترمذي عن البخاري قال : كان أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، والحميدي ، يحتجون بحديثه ، وقال : قال البخاري : وهو مقارب الحديث أ هـ . وفي التقريب ص ٤٩٢ رقم ٦١٤٧ ، صدوق ، حدث من حفظه ، بأحاديث فأخطأ في بعضها ، لكن قال في الدراية ص ٥٥ ، بعد أن ذكر حديث البيهقي بهذين اللفظين ، قال : وإسناده حسن .
(٢) لم أجده بهذا اللفظ ، ولكن جاء في سنن ابن ماجه من حديث مسلم ابن سعيد ، عن أبي علي الرجي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،

==

فهذا باب من أبواب الكتاب ، يعطي صورة واضحة عن باقيه ، ولا مزية بعد هذه الصورة أن الكتاب من أهم كتب أحاديث الأحكام التي يحتاج إليها الفقيه والمتفقه ، لمعرفة أدلة الفقه الفرعية التفصيلية ، وأن مؤلفه قد بذل في جهودا مرضية ، ويعطي صورة واضحة عن مكانة الامام النووي الحديثية ، ولو أنه تم ، لما فتئت الألسن من الدعاء له ، والثناء عليه بكرة وعشية ، ولكن قدر الله وما شاء فعل .

ويقوم الآن مجموعة من الطلاب في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بتحقيق الكتاب ، فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لتحقيقه وإخراجه ونشره على الوجه المطلوب ، حتى تتم منه الفائدة ، أنه ولي ذلك والقادر عليه .

=== أن النبي - صلى الله عليه وسلم - اغتسل من الجنابة فرأى لمعة لم يصبها الماء فقال بحجته : فلبها عليه ، قال اسحاق : في حديثه فعصر شمره عليها ، قال الزيلعي : وأبو علي الرحبي حسين بن قيس يلقب بـ " حنش " ، قال أحمد والنسائي والدارقطني : متروك ، وقال أبو زرعة : ضعيف أه ، نصب الراية ١٠٠ / ١ .

وقال الزيلعي أيضا : روى الأثرم أنه - عليه الصلاة والسلام - مسح بماء بقي من ذراعيه ، وقال البيهقي في السنن ٢٣٧ / ١ : وقد روى (يعني هذا) من حديث علي وابن عباس وابن مسعود وأبي الدرداء ، وعائشة ، وأنس بن مالك ، قال : ذكرناها في الخلافيات ولا يصح منها شيء ، ونقل ذلك عنه الحافظ في الدراية ص ٥٥ وأقره ، وبين الزيلعي - رحمه الله - علل هذه المرويات في نصب الراية ١٠٠ / ١ .

(- رياض الصالحين :

أشار إليه في شرح مسلم ^(١) ، وفي المجموع ^(٢) .
وهو كتاب مشهور ، ونسبته إليه أشهر ، فقد عزاه إليه جل من ترجم له
واستطرد لذكر مصنفاته ، كابن العطار ^(٣) ، واللخمي ^(٤) ، والذهبي ^(٥) ،
وابن كثير ^(٦) ، والياقيني ^(٧) ، وابن قاضي شهبه ^(٨) ، وسائر من تقدّم
ذكره في عزو المؤلفات السابقة .

وهو كتاب حديثي ، جمع فيه طائفة من أحاديث الرقائق ، والزهد ،
وفضائل الأعمال ، بلغ مجموع عددها خمسة وتسعمائة وألف حديث ^(٩) .

سبب تأليفه :

أما الباعث على تأليفه ، فهو المعاونة على البر والتقوى ، ودلالة
على الخير ، طمعا في أن ينال مثل أجر فاعله ، كما أخبر بذلك المصطفى
- صلى الله عليه وسلم - .

وقد أفصح عن هذا في مقدمة الكتاب ، إذ قال فيها بعد الخطبة

(١) ١٨٣/٨ .

(٢) ١٧٩/٣ ، ٣٩٥/٤ ، ٤٨١ .

(٣) تحفة الطالبين ٩/ب .

(٤) في جزء ترجمته ٥/أ وصفه بأنه لا يستغنى عنه .

(٥) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٢ .

(٦) البداية والنهاية ١٣/٢٧٩ .

(٧) مرآة الجنان ٤/١٨٢ .

(٨) الطبقات ٢/١٥٦ .

(٩) هذا هو العدد الدقيق لأحاديث الكتاب ، وهو عدد الشيخ محمد

ناصر الدين الألباني ، وستأتي الإشارة إلى اختلاف عددها .

وبيان حقيقة الدنيا والغاية منها ، مانصه : فاذا كان حالها ما وصفته ،
وحالنا وما خلقنا له ما قدمته ، فحق على المكلف أن يذهب بنفسه مذهب
الآخيار ، ويسلك مسلك أولى النهى والأبصار ، ويتأهب لما أشرت اليه ،
ويهتم بما نبهت عليه . وأصوب طريق له في ذلك ، وأرشد ما يسلكه من المسالك ،
التأدب بما صحَّ عن نبينا سيد الأولين والآخرين ، وأكرم السابقين
واللاحقين ، - صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين - . وقد قال الله
تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ ^(١) ، وقد صحَّ عن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ((والله في عون العبد ما كان العبد في
عون أخيه)) ^(٢) ، وأنه قال : ((من دل على خير فله مثل أجر فاعله)) ^(٣)
وأنه قال : ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه
لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا)) ^(٤) ، وأنه قال لعلى - رضى الله عنه - :
((فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)) ^(٥) .

قال : فرأيت أن أجمع مختصرا من الأحاديث الصحيحة مشتملا على
ما يكون طريقا لملاحقه إلى الآخرة ، ومحصلا لأدابه الباطنة والظاهرة ، جامعا

(١) سورة المائدة آية ٢ .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة ٢١/١٧ بـشرح النووي ،
والترمذى في الحدود ٣٤/٤ ، وأبو داود في الأدب ٥٨٤ / ٢ ،
وأحمد ٢٢٤ / ٢ .

(٣) رواه مسلم في الأمارة ٣٨/١٣ بـشرح النووي

(٤) رواه مسلم ٢٢٢/١٦ بـشرح النووي ، وأبو داود في السنن ٥٠٢/٢ ،
والترمذى في العلم ٤٣/٥ .

(٥) رواه البخارى في فضائل الصحابة - فضائل على بن أبى طالب -
- رضى الله عنه - ٢٣/٥ ، ومسلم في فضائله أيضا ١٧٨/١٥ بـشرح
النسوى .

للتزغيب والترهيب وسائر أنواع آداب السالكين من أحاديث الزهد ، ورياضيات
النفوس ^(١) وتهذيب الأخلاق ^(٢) وطهارات القلوب ^(٣) وعلاجها ^(٤) ، وصيانة
الجوارح ^(٥) وإزالة أعوجاجها ^(٦) وغير ذلك من مقاصد العارفين .

فهذا هو الباعث على تأليف هذا الكتاب ، ومن عبارته يفهم ما كان
يتحلى به من صفة النصيحة للمسلمين والاحلاص لله عز وجل الذين تقدمت
الإشارة إليهما في الترجمة ^(٧) .

ولاجرم أن عملاً يكتنفه هذان الأمران ، لابد أن يلقي أفئدة متقبلة ،
وآذاناً صاغية . وهذا ما حصل لهذا الكتاب النافع المفيد ، إذ انتشر بين
الخاص والعام ، وتداولته الألسن والأقلام ، فالعالم لا يستغني عن الرجوع إليه ،
والخطيب جلّ اعتماده عليه ، والمثقف لا يفتر من النظر إليه ، فالكل ينهل من
معينه ، وينهج على ضوئه ، فتحقق لمؤلفه مرامه .

مذهبه فيه :

أما مذهبه في هذا الكتاب ، فقد رسمه في مقدمته فقال :
وألتزم فيه أن لا أذكر إلا حديثاً صحيحاً من الواضحات ، مضافاً
إلى الكتب الصحيحة المشهورات ، وأصدر الأبواب من القرآن العزيز

(١) أى ما تترأض وتتخلع بمزاويلته عن طبعها الذميم ووصفها القبيح من
المجاهدات وقطع المألوفات والمعتادات من الحظوظ والشهوات .

(٢) أى تقيتها واختيار جيدها من رديتها .

(٣) من أدناسها كالعجب والكبر ونحوهما من الأخلاق المذمومة .

(٤) من أمراضها من نحو الغفلة أو غلبة الاهتمام بشأن الدنيا .

(٥) أى صونها عما لا يجوز لها مزاويلته ومحاويلته من الأعمال .

(٦) وذلك لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله ، وصلاح الظاهر عنوان صلاح
الباطن ، أهـ . دليل الفالحين ٣٢١ / ١ - ٣٣ .

بآيات كريمات ، وأوشح ما يحتاج الى ضبط أو شرح معنى خفى بنفسائس من
التبسيهات ، وإذا قلت في آخر الحديث : متفق عليه ، فمعناه رواه البخاري
(١)
ومسلم .

فهذا هو المنهج الذي خطه للسير في هذا الكتاب ، ويتكون من أربع
نقاط كما هي واضحة ، فهل اقتفى هذا المنهج الذي رسمه ؟
الاجابة الاجمالية عن هذا السؤال هي الجواب بالاجاب .
وأما التفصيلية ، فيتطلب بيانها الى وقفات :

الأولى : عند قوله : وألتزم فيه أن لا أذكر إلا حديثاً صحيحاً من الواضحات ،
وذلك أن المتتبع لأحاديث الكتاب ، ولا سيما المذيلة بتعليق
الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، أو تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط ،
أثابه الله تعالى ، قد يرى أن المؤلف لم يف بشرطه ، حيث تعقب
المؤلف في بعض أحاديث الكتاب بالتضعيف ، فقال الشيخ الألباني :
إنها - أي التزام الصحة - دعوى غالبة وليست مطردة . قال : فأنني منذ
عهد بعيد كنت ألاحظ أنه وقع فيه بعض الأحاديث الضعيفة والمفكرة ،
ثم تبين لي بهذا التحقيق الدقيق أن العدد أكثر مما كنت أظن ، ثم
أشار الى تلك الأحاديث بأرقامها حسب ترقيمها ، وهي هذه : ٢٩٢ ، ٦٧ ،

٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ٣٧٨ ، ٤١٣ ، ٤٨٦ ، ٤٩٠ ، ٥٢٤ ، ٥٨٣ ، ٥٨٩ ،
٦٠١ ، ٧١٧ . قال : وهو مكرر ٣٧٨ ، ٧٣٦ ، ٧٩٤ ، ٨٠٢ ، ٨٣٤ ،
٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٩١٧ ، ٩٥١ ، ٩٥٤ ، ١٠٠٧ ، ١٠٦٧ ،
١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٤٠٢ ، ١٥٠١ ، ١٥٤٧ ، ١٥٧٧ ، ١٥٨٥ ،
١٦٤٩ ، ١٦٥٤ ، ١٦٧٩ ، ١٦٨٦ ، ١٧٣١ ، ١٨٦٣ ، ١٨٨٢ .

وذكر في المقدمة عدداً آخر فاته التبصير عليها في مواطنها من الكتاب

وهي الأحاديث التي تحمل الأرقام التالية : ٢٠١ ، ٤٨٦ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ١١٠٣ ، ١٢٤٣ ، ١٢٥٦ ، ١٤٥٠ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٨ ، ١٥٢٦ ، ١٧٦٥ ، ١٨٤١ .

وحكم في المقدمة أيضا على أربعة أحاديث بالشذوذ ، وهي ذوات هذه الأرقام ١٠٢٨/٢ ، ١١٢٨ ، ١١٠١ ، ١١٨٢ ، وعلى الحديث رقم ١١٦٤ ، بالوقف .

كما ضعف أحاديث أخرى لم ينبّه عليها في المقدمة وإنما أدركتها بالتبّع وهي ذات الأرقام التالية : ٩٤ ، ٣٦٠ ، ٧٦٢ ، ٨٠١ ، ٩٩٠ .
فمجموع هذه الأرقام أربعة وستون رقما دلالة على مثلها من الأحاديث ويلاحظ على هذا العدد ملاحظات :

الأولى : أن بعض هذه الأرقام هي أرقام لأحاديث صحيحة وهي الأرقام التالية : ٤٩٠ ، ١٦٥٤ ، ١٨٦٣ ، فإن الأول لم يضعفه ، وإنما سكت عن تصحيح الترمذي له ، وأضاف أن له شاهدا أيضا ، وأشار إلى موطن ذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

وأما الثاني : فأنه حديث متفق عليه ، والثالث : رواه مسلم .
الملاحظة الثانية : أن بعض هذه الأرقام متداخلة ، فالحديث رقم ٧١٧ هو الحديث المتقدم برقم ٣٧٨ ، وقد نبّه على هذا أثناء الرقم التسلسلي ، والحديث رقم ٧٩٤ ، هو الحديث المتقدم برقم ٥٢٤ .

الملاحظة الثالثة : أن الرقم ٩٥٤ لا يشير إلى حديث ضعيف ، وإنما يشير إلى تعقبه على المؤلف في عزوه قولاً للشافعي استبعد نسبته إليه .

الملاحظة الرابعة : أشار إلى تضعيف أحاديث وأحال بيان ضعفها إلى تعليقه على مشكاة المصابيح ، غير أنه لم يبين ذلك عند ذكرها هناك ، وهما ذوات

الأرقام التالية : ١٠٠٧ ، ١٥٤٧ ، ١٥٨٥ ، ولعلها مما فاتت هذه الطبعة التي بين يدي ، وهي الطبعة الثالثة . فאלله أعلم .

فهذه ستة أرقام ، خرجت من مجموع الأرقام السابقة ، فكان الباقي ثمانية وخمسون حديثاً حكم عليها بالضعف .

الوقف الثانية : أن الشيخ شعيب الأرناؤوط حقق الكتاب ونفى بتخريج أحاديثه والحكم عليها بما أداه إليه اجتهاده ، وكان حاصل عمله من حيث الحكم على الأحاديث أن وافق الألباني في معظم تلك الأحاديث المنتقدة ، وخالفه في البعض الآخر ، فالأحاديث ذوات الأرقام ٨٠٢ ، ٧٣٦ ، ٥٨٩ ، ١٣٩٣ ، ١٤٥٠ ، ١٤٩٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٨٥ ، ١٦٤٩ ، ١٨٤١ ، التي ضعفها الشيخ ناصر الألباني ، حسنهما الشيخ شعيب . نظراً للمتابعات والشواهد التي احتقت بها ، وهي عنده بهذه الأرقام ٧٩٨ ، ٧٣٢ ، ٥٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٤٤٢ ، ١٤٨٧ ، ١٥١٨ ، ١٥٢٧ ، ١٦٤١ ، ١٨٣٢ . وسكت عن أحاديث آخر كالأحاديث ذوات هذه الأرقام عنده ٨١٦ ، ٩١١ ، ٩٤٤ ، ١١٠٣ ، ١٢٣٥ ، ١٢٤٨ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٨ ، ١٧٥٦ ، فلم يفصح عن رأيه فيها .

وضعف أحاديث أخرى سكت عنها الألباني كالأحاديث التي تحمل هذه الأرقام : ٤٨٤ ، ٦٤٢ ، وهما عند الألباني برقمي ٤٨٨ ، ٦٤٧ . فكان مجموع ما وافق الألباني فيه تسعة وثلاثين حديثاً ، وخالفه في عشرة أحاديث ، وانفرد بتضعيف حديثين .

وقد حمل مسلسل الأحاديث الضعيفة عنده إشارة إلى أحاديث متفق عليها أو حكم عليها بالصحة أو الحسن وهي هذه الأرقام ١٢٣٢ ، ١٢٤٣ ، ١٤٤٠ ، ١٥٨٢ ، ١٧٤٦ ، ١٨٥٤ .

الوقفة الثالثة : في مراد الامام النووى من هذا الالتزام .

فان واضح الدلالة منه أن يتقيد بما صحَّح من الحديث ، وبذلك ما سواه ،
كما استقر عليه الاصطلاح في المراد من مدلول الصحة .

غير أن هذا ليس مرادا للنووى - رحمه الله - لأنه لم يكن ليخلف
ما التزم به اذا غناه بكلامه ذلك .

وانما عني بذلك الاصطلاح القديم الذى يجعل المقبول من الحديث قسمًا
واحداً ، وهو قسم الصحيح .

هذا ما فهمه عنه الشيخ الألباني وغيره . فقال الألباني : عني بقوله :
الصحيحة ، الحديث القوى الذى يشمل الحسن وما فوقه على الاصطلاح
القديم الذى كان عليه علماء الحديث قبل أن يشهر الترمذى تبعاً لشيخه
البخارى ، تقسيم الحديث المقبول الى صحيح وحسن . قال : وذلك استعمال
جائز لا غبار عليه ، وقد جريت عليه في كثير من مصنفاتي ، مثل كتابي صحيح
الجامع الصغير وزيادته ، ورسالتي صحيح الكلم الطيب ، وصحيح أبى داود ،
وسلسلة الأحاديث الصحيحة وغيرها ، قال : إلا أن تقسيم الترمذى أصح وأدق .
وقال قبله العلامة ابن علان : مراده من الصحيحة المقبولة ، فتشمل الحسن
ولو لغيره ، والضعيف المقبول في موطنه ^(٢) ، أى في فضائل الأعمال بشروطه
المتقدمة ، فاذا تبين هذا ، علم أنه - رحمه الله - لم يخالف ما التزم به ،
اللهم ! إلا أن يقال ذلك في الأحاديث الضعيفة ، ولكن قد علمت مقالة ابن
علان الآنفة ، من أن كلامه شامل للضعيف المقبول في موطنه أيضاً ، فهى
لم تخرج عن دائرة القبول ، لأنها في فضائل الأعمال ، فمثلا الحديث

(١) مقدمة رياض الصالحين ص ٥ - ٦ .

(٢) دليل القالحين ٢٢/١ .

رقم ٦٦ ، ٦٨ ، هما في مراقبة الله جلّ وعلا ، والحديث رقم ٩٣ في المبادرة الى الخيرات ، ورقم ١٩٦ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورقم ٢٨٦ في حقوق الزوج على المرأة ، ورقم ٣٤٣ في بر أصدقاء الأب والأم ، ورقم ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، في توقيير أولى الفضل وانزال الناس منازلهم ، وهكذا بقية العدد (١) . ويتوفر فيها شروط قبول الضعيف ، فهي أحاديث لم يشتد ضعفها ، ولو فرض ذلك ، فله حكم النادر ، وهي أيضا مندرجة تحت أصل معمول به ، فالأبواب التي أشرت اليها كلها ، ذات أصول من الكتاب أو السنة تدعو الى مثل ما دعت اليه تلك الأحاديث من الفضائل ، ناهيك عن أن تلك الأحاديث قد صححها أو حسنها من هو أجل شأنا وأعظم منزلة في هذا الثن من النورى وغيره من المتأخرين ، كالترمذى ، وأبي داود ، والحاكم وغيرهم . فهو لاء من أساطين هذا الفن وأركانه بلا ريب ، مع ما لهم من تقدم في الزمن ، ولا شك بأنه يستأنس بقولهم في ذلك ، ان لم أقل يقتدى بهم ، ولا أثبت لهم الكمال ، فأنه لله وحده ، ولكن صوابهم أكثر من صواب غيرهم ، وخطأهم أقل من خطأ غيرهم من المتأخرين ، لقرب عهدهم بعصر الرواة ، بل لا مقارنة بين أولئك وغيرهم من المتأخرين عند أهل هذا الشأن .

فهذا الترمذى الذى كانت جل هذه الأحاديث المنتقدة من تصحيحه وتحسينه ، يقول في أول علقه : جميع ما في هذا الكتاب من الحديث معمول به وقد أخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين ، ثم ذكرهما (٢) ، قال : وقد

(١) هذه الأرقام بحسب ترقيم شعيب الأرنؤوط .

(٢) العلل بشرحها لابن رجب ص ٣٥ ط ثانية نشر عالم الكتب ، والحديثان

هما حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى -

- صلى الله عليه وسلم - جمع بين الظهر والعصر بالمدينة من غير خوف

بينا علة الحديثين في هذا الكتاب ^(١) ، وأبو داود يقول في بيان منهجه في كتابه : ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، وما كان فيهم من شديد بينته وما لم أذكر فيه شيء ، فهو صالح ، وبعضها أصح من بعض ، وقال أيضا عندما سأله أهل مكة عن أحاديث سننه : فانكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب السنن أهى أصح ما عرفت في الباب ؟ ، ووقفت على جميع ما ذكرتم ، فاعلموا أنه كذلك كله إلا أن يكون قد روى من وجهين صحيحين ، فأحدهما أقوم اسنادا ، والآخر صاحبه أقدم في الحفظ ، فرما كتبت ذلك ، ولا أرى في كتابي من هذا عشرة أحاديث .

ثم قال : وليس في كتاب السنن الذي صنفته عن رجل متروك الحديث شيء ^(٢) ،

== ولا مطر ، أخرجه الترمذى ٣٥٤/١ ، رقم ١٨٢ . تحقيق أحمد شاكر ، ومسلم ٢١٥/٥ بشرح النووى ، والنسائي ٢٩٠/١ ، ومالك فـ في الموطأ ١٢٣/١ . وحديث من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد في الرابعة فاقتلوه ، أخرجه الترمذى في الحدود ٤٨/٤ عن معاوية بن صالح مرسلا ، والامام أحمد في المسند ١٤٦/٢ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، بتحقيق أحمد شاكر ، وأبو داود في الحدود من حديث معاوية بن أبي سفيان ، وأبي هريرة ٤٧٣/٢ ، والنسائي في الأشربة من حديث ابن عمر ، وأبي هريرة ٣١٣/٨ ، وابن ماجه في الحدود من حديث أبي هريرة ، ومعاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنهما - ٨٥٩/٢ .

(١) قال ابن رجب : إنما بين ما قد يستدل به للنسخ ، إلا أنه بين ضعفهما ،

شرح العلل ص ٣٦ .

(٢) لعل العبارة التي نقلها عنه المنذرى وابن الصلاح وغيرهما ، أن محمد

ابن اسحاق بن منده الحافظ حكى عن أبي داود أنه قال : ما ذكرت

في كتابي حديثا اجتمع الناس على تركه ، أدق من العبارة التي ذكرتها

لورود بعض المتروكين في السنن . أ هـ ، تعليق الصباغ على الرسالة

المذكورة ص ٢٥ .

وإذا كان فيه حديث منكر ، بيّنت أنّه منكر . (١)

وقال الحافظ ابن رجب في شرح العلل^(٢) : وأعلم أنّ الترمذى - رحمه الله - خرج في كتابه الحديث الصحيح والحديث الحسن ، وهو ما نزل عن درجة الصحيح وكان فيه بعض ضعف ، والحديث الغريب ، قال : والفرائب التى خرجها فيها بعض المفاكير ولا سيما في كتاب الفضائل^(٣) ، ولكنّه بين ذلك غالبا ولا يسكت عليه ، ولا أعلمه خرج حديثا مختلفا في اسناده ، وفي بعض طرقه متهم ، ثم قال : نعم قد يخرج عن سىء الحفظ ، وعن غلب على حديثه الوهم ، ويبيّن ذلك غالبا ولا يسكت عنه . قال : وقد شاركه أبوداود في التخريج عن كثير من هذه الطبقة مع السكوت على حديثهم كاسحاق بن أبي فروة وغيره . وقد قال أبوداود في رسالته الى أهل مكة : ليس في كتاب السنن الذى صنفته عن رجل متروك الحديث شيء ، وإذا كان فيه حديث منكر ، بيّنت أنّه منكر ، قال : ومراده أنّه لم يخرج لمتروك الحديث عنده على ما ظهر له ، أو لمتروك متفق على تركه ، فانه قد خرج لمن قيل أنّه متروك ، ومن قيل أنّه متهم بالكذب . (٤)

قال : وقد كان أحمد بن صالح المصرى وغيره لا يتركون إلا حديث من اجتمع الناس على ترك حديثه ، قال : وحكى مثله عن النسائي .
ثم قال : والترمذى يخرج حديث الثقة الضابط ومن يهمل قليلا .

(١) انظر الرسالة المذكورة ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ .

(٢) ص ٢٢٩ تحقيق السامرائي ط الثانية نشر عالم الكتب .

(٣) وفي الترمذى كتابان في الفضائل أحدهما في فضائل الجهاد ، والآخر في فضائل القرآن .

(٤) انظر مبحث سكوت أبي داود من هذه الرسالة ص ٥٩٦-٦٠٤

ومن يهيم كثيرا ، أو من يغلب عليه الوهم يخرج حديثه نادرا ، ويبين ذلك ولا يسكت عنه ، أهـ

فعلم بهذا أن ما كان من ضعيف في رياض الصالحين ، أنه لا يخرج
عن دائرة القبول فيما صنف الكتاب من أجله ، فأنه كتاب زهد ورفائق وحث
على السابقة في الخيرات ، فهي لم تخرج عما التزم به ، ولو سلم خروجها
فهي قليلة جدا بالنسبة للأحاديث الصحيحة والحسنة ، فالحكم يكون
إذاً على الأعم الأغلب ، ولهذا يقول الشيخ شعيب الأرنؤوط ، عقب إيراده لأرقام
تلك الأحاديث الضعيفة : ومهما يكن من شيء ، فإن وجود هذه الأحاديث
الضعيفة وعددها ستة وأربعون حديثاً ، لا تغني من قيمة هذا الكتاب العظيم ،
ولا تحط من شأنه ، فأنها لا تكاد تذكر بجانب ذلك العدد الضخم من
الأحاديث الصحيحة التي اشتمل عليها ، وهي (١٨٤٨) حديثاً . (١)

ثم إن الامام النووي - رحمه الله - لم يكن منهجه مع أهل الحديث من
أصحاب السنن والسانيد ونحوها ، هو التسليم بأقوالهم والاحتجاج بمروياتهم
من غير دراسة ولا تمحيص ، حتى لا يوثق بقوله ولا بموافقاته ، بل أن المنهج
الغالب عليه ، هو منهج الاستقراء ، والنقد ، لكل ما لا يرى موافقته للصواب ،
لا يضعه من ذلك جلالة صاحب القول ، ولا من ذهب إلى قوله ، يفعل ذلك
بدافع تبين الحق ، وتثبت منه .

فتراه يقول مثلاً في حديث ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - :
أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((إذا نعس أحدكم في مجلسه يوم
الجمعة فليتحول إلى غيره)) . يقول : رواه أبو داود ، والترمذي ،
(٢) (٣)

-
- (١) مقدمة رياض الصالحين ص ١٠ .
(٢) في الصلاة ، باب الرجل ينعس والامام يخطب ٢٥٦ / ١ .
(٣) في الصلاة ، باب ما جاء فيمن نعس يوم الجمعة أن يتحول من مجلسه ٤٠٤ / ٢ .

وآخرون ^(١) . بأسانيدهم عن محمد بن اسحاق صاحب المغازي ، عن نافع عن ابن عمر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال الترمذي : وهو حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم : هو حديث صحيح على شرط مسلم ^(٢) ، ثم نقل انكار البيهقي رفع هذا الحديث وحكمه عليه بالوقف ، وصوب حكم البيهقي هذا ، ثم قال : وأما تصحيح الترمذي والحاكم ، فغير مقبول ، لأن مداره على محمد بن اسحاق ، وهما إنما روياه من روايته وهو مدلس ، معروف بذلك عند أهل الحديث ، وقد قال في روايته : عن نافع بلفظ (عن) وقد أجمع العلماء من المحدثين والفقهاء والأصوليين أن المدلس إذا قال : عن ، لا يحتج بروايته ، ثم قال : والحاكم متساهل في التصحيح ، معروف عند العلماء بذلك ، والترمذي ذهل عن ذلك ^(٣) .

ويقول في حديث علي - رضي الله تعالى عنه - : من السنة أن تخرج إلى العيد ماشياً ، وأن تأكل شيئاً قبل أن تخرج ، قال : رواه الترمذي ^(٤) ، وقال : حديث حسن ، وليس هو حسناً ، ولا يقبل قول الترمذي في هذا ، فإن مداره على الحارث الأعور ، واتفق العلماء على تضعيفه ، وقال الشعبي وغيره : كان الحارث كذاباً ^(٥) .

ويقول في حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - : ((من غسل ميتاً فليغتسل ومن حمله فليترضاً ، قال : رواه أبو داود ^(٦) ، والترمذي ^(٧) ،

(١) أحمد في المسند ٢٢/٢ ، ٣٢ .

(٢) المستدرک ٢٩١/١ ، وأقره الذهبي .

(٣) المجموع ٥٤٦/٤ .

(٤) في الصلاة ، أبواب العيدين - باب ماجاء في المشي يوم العيد ٤١٠/٢ .

(٥) المجموع ١٠/٥ .

(٦) في الجنائز ١٢٩/٢ ، واللفظ له .

(٧) في الجنائز ، باب ماجاء في الغسل من غسل الميت ٣٠٩/٣ .

وقال الترمذى : حديث حسن ، قال : وقد ينكر عليه قوله : حسن ، بل هو
ضعيف ، قد بين البيهقي وغيره ضعفه ، ثم نقل قول البيهقي فيه (١) :
الروايات المرفوعة في هذا الباب ، عن أبي هريرة ، غير قوية لجهالة بعض
رواتها ، وضعف بعضهم ، والصحيح عن أبي هريرة من قوله : موقوفاً غير
مرفوع . (٢)

ويقول في حديث ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - : أن النبى
- صلى الله عليه وسلم - دخل قبراً ليلاً فأسرج له سراج (٣) ، الخ . قال
فيه : حديث ضعيف ، ثم قال : فإن قيل قد قال فيه الترمذى : حديث
حسن ، قال النووى : قلنا : لا يقبل قول الترمذى في هذا ، لأنهم من
رواية الحجاج بن أرطاة ، وهو ضعيف عند المحدثين ، قال : ويحتمل
أنه اعتضد عند الترمذى بغيره فصار حسناً . (٤)

ويقول في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن امرأة أتت
النبى - صلى الله عليه وسلم - ومعها ابنة لها ، وفي يد ابنتها مسكتان
غليظتان من ذهب ، فقال لها : ((أتعطين زكاة هذا ؟)) قالت : لا ، قال :
((أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار ؟)) ، فخلعتهما ،
فألقتهما الى النبى - صلى الله عليه وسلم - وقالت : هما لله ورسوله .
قال فيه : رواه أبو داود (٥) ، وغيره عن أبي كامل الجحدري ، عن خالد
ابن الحرب ، عن حسين المعلم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ،

(١) السنن الكبرى ٣٠٣/١ .

(٢) المجموع ١٨٥ / ٥ .

(٣) رواه الترمذى في الجنايز ، باب ما جاء في الدفن بالليل ٣٦٣/٣ .

(٤) المجموع ٣٠٢/٥ .

(٥) في الزكاة ، باب زكاة الحلوى ٣٥٨/١ .

(٦) أحمد في المسند ٤٥٤/٦ ، ٤٥٥ ، ٤٦٠ .

قال : وهذا اسناد حسن ، ورواه الترمذى ^(١) من رواية ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده . (أن امرأتين فذكرنا بنحوه ، ثم قال الترمذى : هذا الحديث رواه المثنى بن الصباح ، عن عمرو بن شعيب ، والمثنى وابن لهيعة يضعفان ^{والمثنى قال} : ولا يصح في هذا الباب عن النبي — صلى الله عليه وسلم — شيء .

قال النووي : وهذا التضعيف الذي ضعفه الترمذى ، بناء على انفراد ابن لهيعة والمثنى بن الصباح به ، وليس هو مفردا ، بل رواه أبو داود وغيره ، من رواية حسين بن المعلم كما ذكرنا ، عن عمرو بن شعيب ، قال : وحسين ثقة بلا خلاف ، روى له البخارى ومسلم ، ورواه النسائي ^(٢) من رواية خالد ابن الحارث مرفوعا ، كما سبق ، ومن رواية معتمر بن سليمان مرسلا . ثم قال : خالد بن الحارث أثبت عندنا من معتمر ، وحديث معتمر أولى بالصواب . والله تعالى أعلم . ^(٣)

فهذه النماذج وغيرها ^(٤) ، تدل على أن الامام النووي لم يكن مجرد ناقل ، بل وناقد ، فانه لا يعفي ما ينقله عن النقد اذا احتيج الأمر لذلك ، وأما ما يسكت عنه ، فانه وان أوهم الاشكال في الظاهر ، إلا أن له وجهها وجيبها للمتأمل .

وهذا ما فهمه الامام جلال الدين السيوطي من حال الامام النووي ، — رحمهما الله تعالى — فأفتى بالاعتماد على كتب النووي الحديثة ،

(١) في الزكاة ، باب ما جاء في زكاة الحلبي ٢١/٣ .

(٢) في الزكاة ، باب زكاة الحلبي ٣٨/٥ .

(٣) المجموع ٣٣/٦ .

(٤) كما في المجموع ٢٢٤/١ ، ٤٢٤ ، ٥١٢ ، ٤٢/٤ ، ٤٥٤٥ ، ٤٠٢/٦ ، ٥/٧ ، ٦٤ ، ١٥٥ ، ٣١٥ ، ٦٦٦/٨ ، ٤٢٨ ، ٤٩١ ، ١٢٢/٩ .

٢١٦/٧ ، ١٦٣/٦ ، ٣٦٢ .

وذلك عندما سئل عن كتب فيها أحاديث عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليست في الموطأ ولا في الصحيحين ، فأجاب : بأنهم لا يروون منها إلا ما ثبت وروده ، والآ وقفوا عن روايتها حتى يسألوه عنها ، وقال : وإذا علمتم أن الحديث في سائر الكتب الستة ، أو سند الإمام أحمد ، فارووه مطمئنين ، وكذلك ما كان مذكورا في تصانيف الشيخ محيي الدين النووي ، أو المنذرى صاحب الترغيب والترهيب ، قال : فارووه مطمئنين .^(١) أما النقاط الأخرى من نقاط منهجه في هذا الكتاب فهي :

- إضافة الأحاديث إلى الكتب الصحيحة .
- وتصدير الأبواب بآيات كريمات من القرآن العزيز .
- وتوشيح الأحاديث بضبط ما يحتاج إلى ضبط أو شرح معنى خفي .
- فقد وقى بها غاية الإيفاء ، فلا متعقب عليه في ذلك ، ولا منازع ، وهي واضحة جلية في الكتاب كله ، فوضحها وكثرتها يغنيان عن التبصير عليها ، أو الدلالة على مواطنها .

غير أنه لا يفوتني أن أشير إلى بعض نقاط كانت له في هذا الكتاب ، كمنهج ولم ينبّه عليها لقلتها ، وذلك مثل غايته بإيضاح المعنى المراد من الحديث إذا رأى أن عدم إيضاحه قد يوقع في اللبس ، كما في الأحاديث ذوات هذه الأرقام : ٢٢ ، ٩٩ ، ١١٢ ، ١٨٨ ، ٢٣٠ ، ٣٢٨ .^(٢) وكذلك تمهيدا للباب الذي يريد إيراد الأحاديث فيه ، إذا كان الباب يفتقر إلى ذلك ، كما فعل في باب التوبة^(٣) ، حيث ذكر حكمها

(١) الحاوي للفتاوى ٢٩٣ / ١ ، وهذا تساهل من الجلال — رحمه الله — فإنه قد وردت أحاديث كثيرة شديدة الضعف في بعض الكتب المذكورة لا تطمئن النفس بروايتها .

(٢) هذه أرقام النسخة التي حققها شعيب الأرنؤوط ، وهكذا سائر الأرقام في هذا الكتاب وإن كان رقم غيره نبهت عليه .

(٣) ص ٤١ .

وشروطها ، ثم اورد الحديث فيها ، وهذا منه في غاية السداد ، لأنه لو لم يبين ذلك ، لربما لم يظن من يقف على ذلك الباب الى حكمها ولا شروطها ، ولربما ذهب يعالج التوبة عن غير هداية ودراية ، فيفتتر بتوبته ، وهو لا يشعر أنه لم يوفق لها ، لاسيما وأن الكتاب متداول عند من لا يستبعد منهم مثل هذا .

وكاشارته الى الروايات الأخرى للحديث والتي يختلف لفظها عن لفظ الحديث الذي أورده ، وهذا الجانب كثير في هذا الكتاب ، وذلك كما في الأحاديث ذوات الأرقام التالية : ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ .

كما أنه اذا كان الحديث مرويا في كتب السنة ، واقتصر على لفظ أحد تلك الكتب ، نبه على ذلك . كما في الأحاديث التي تحت هذه الأرقام : ٢ ، ٩٨ ، ١٩٦ .

كما أنه قد يقتصر في بعض الأبواب على آيات من كتاب الله للدلالة على مضمون الباب ، دون أن يذكر أحاديث ، وإنما يشير اليها اذا هي قد سبقت ، كما فعل في باب التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى (١) .

كما أنه اذا كان المعنى المراد من الحديث يتوقف على معرفة الاعراب ، أعربه ، كما في الأحاديث ذوات هذه الأرقام : ١٤٥ ، ٣١٦ .

أبحاث الكتاب ومحتوياته :

لقد حرص الامام النووي - رحمه الله - على أن يكون كتابه شاملا لأبواب الخير ، وسراجا الى درب الهداية . ومعلوم أن أبواب الخير كثيرة جدا

ولكن ، لهذه الأبواب مفاتيح ، اذا ملكت استطاع مالكمها بتوفيق الله ، أن
يلج أي باب منها ، وكأني بالنووي - رحمه الله - بحرصه البالغ في نفع
المسلمين ، أراد أن يدلهم على هذه الطرق ، فوضع أيديهم على تلك المفاتيح ،
وذلك بوضعه هذا الكتاب الحسن التصنيف ، البديع الترصيف ، الحاوي لكل
فضل منيف ، إذ جمع فيه جل الفضائل ، الهادية إلى أشرف المنازل ، وحذر
فيه من كل الرذائل ، المؤدية إلى أدنى المنازل .

فقد رتبته على تسعة عشر كتابا ، مسبوقه بثلاثة وثمانين بابا في فضائل
شتى ، لا تدخل تحت كتاب من الكتب التي تليها ، وذلك كالاخلاص ،
والتوبة ، والصبر ، والصدق ، والمراقبة ، والتقوى ، واليقين ، والتوكل ،
والاستقامة ، والتفكير في عظيم مخلوقات الله ، والمبادرة إلى الخيرات ،
والمجاهدة ، والحث على الزيادة من الخير في أواخر العمر ، وبيان كثرة
طرق الخير ، والاقتصاد في الطاعة ، والمحافظة على الأعمال ، والأمر
بالمحافظة على السنة وأدائها . ونحو هذه الأبواب التي من تحلى بها
فهو بلا ريب زكي الفعال ، قد اقتدى بأرباب الكمال ، وهذب النفس من
رعونات الخصال ، وتحلى بصفات الجمال ، وشريف الخلال ، وسار على
سنة من كان كماله أكمل من كل كمال - صلى عليه الله وعلى صحابته وآله .

وذلك لأن هذه الأبواب قد احتوت على ما به يصلح المرء نفسه
وسلوكة مع الله تبارك وتعالى ، ومع اخوانه المسلمين ، ومعلوم أنه اذا صلح
منه هذا الجانب ، فإنه قد استقام خلقه ، ونبل قدره ، وكان استعداد
لبقية الفضائل كبيرا ، وتطبيقها عليه يسيرا . فكان تقديم المؤلف
- رحمه الله - لهذه الأبواب ، ناشئا عن دقة نظر ، وخبرة كاملة ، ولا غرو
فهو ممن قد تحققت فيه تلك الخلال ، بل وبرز فيها .

وقد أخذت هذه الأبواب نحو ثلث الكتاب ، إذ بلغت أحاديثها
خمس وثمانين وستمائة حديث .

ثم بعد ذلك ، رتبته على كتب ، مشتملة على أبواب ، فذكر تسعة عشر
كتابا وهي :

- ١ - كتاب الأدب .
- ٢ - " أدب الطعام .
- ٣ - " اللباس .
- ٤ - " آداب النوم والاضطجاع .
- ٥ - " السلام .
- ٦ - " عيادة المريض وتشجيع الميت .
- ٧ - " آداب السفر .
- ٨ - " الفضائل .
- ٩ - " الاعتكاف .
- ١٠ - " الحج .
- ١١ - " الجهاد .
- ١٢ - " العلم .
- ١٣ - " حمد الله وشكره .
- ١٤ - " الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
- ١٥ - " الأذكار .
- ١٦ - " الدعوات .
- ١٧ - " الأمور المنهي عنها .
- ١٨ - " المنفورات والملح .
- ١٩ - " الاستغفار .

فهذه تسعة عشر كتابا ، تحتوى على تسعة وثمانين ومائتى باب ،
متضمنة لعشرين ومائتين وألف حديث (١٢٢٠) اضافة الى الثلاثة والثمانين
بابا السابقة ، والتي احتوت على خمسة وثمانين وستمائة حديث .

مكانة الكتاب وعناية العلماء به :

لعل الحديث عن مكانة هذا الكتاب بين كتب الحديث ، وفي أفئدة
الناس غير خاف ، ذلك لأنه قد شاع خبره وذاع ووصل الى جلّ الأسماع ،
أنه كتاب هداية وارشاد ، قد جمع ما يحتاج اليه المسلم في سائر الأحوال ،
واشتمل على ما ينبغي التخلق به من الأخلاق ، والتمسك به من الأقوال
والأفعال ، مغترفا له من عباب الكتاب والسنة النبوية ، ناقلا لتلك الجواهر
من معادنها السنية . (١)

ولاريب في أنّ هذه الأخلاق هي أمنية كل مؤمن ، لأن ايمانه يدفعه
الى التحلى بها والتعلق بذيلها ، كما قال جلّ ذكره : ﴿ ان السّذين
آمنوا وعملوا الصّالحات يهّديهم ربّهم بإيمانهم ﴾ (٢) ، وقال في ذم اليهود
الذين كانوا يزعمون الايمان وجوارحهم تترجم عن العصيان ﴿ قل بشمّا
يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين ﴾ (٣) .

ولما كان ايمان المؤمن يدفعه الى التحلى بالفضائل ، فإن نفسه
تشرّب الى بيانها ، وتستشرف الى تفصيلها ، واذا ما تعلقت نفسه بذلك ،
ثم ألقي بغيته مجموعة في هذا الكتاب ، وبذلك الأسلوب الواضح ، فإن
منزلته عنده ستكون عظيمة بحق ، وهذا هو الواقع الذي يعيشه هذا الكتاب

(١) دليل الفالحين ١٤ / ١ .

(٢) سورة يونس آية ٩ .

(٣) سورة البقرة آية ٩٣ .

في أفئدة الناس ، وهي ملموسة عند الجميع ، ولا سيما عند المبتدئين في طلب العلم .

أما العناية به عند علماء الاسلام ، فقد وفق لها جماعة من الأعيان ، بعد تعاقب الأزمان ، ومرور الأساطين والأركان ، من علماء أهل هذا الشأن ، على الرغم من انتشاره بين بنى الانسان ، فكان أول من اعتنى به ، هو فضيلة الشيخ محمد بن علان الصديقي المكي سنة ١٠٥٢ هـ . فعمل عليه شرحا نفيسا جامعا مليئا بالتحقيقات العلمية والنفايس الحديثية ، وسماه " دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين " . ويقع في أربع مجلدات ضخام ، وذكر أن الباعث له على ذلك الشرح ، أنه لم يقف على كتابة عليه تكمون كالدليل للسالك اليه .

وقد طبع هذا الشرح عدة طبعات ، آخرها عام ١٣٩٢ هـ بمطبعة مصطفى البابي الحلبي . بتصحيح وتعليق الأستاذ محمود حسن ربيع . ومنذ ذلك الحين ، ظل أيضا بعيدا عما يستحقه من العناية ، رواية ودراية ، حتى عصرنا هذا ، فتوجهت هم كثير من أهل العلم اليه ، تحقيقا وتعليقا وتخريجا واختصارا .

فاختصره الشيخ يوسف النبهاني سنة ١٣٥٠ هـ ، وسماه " مختصر رياض الصالحين " ورتبه ترتيبا منهجيا ، حيث جعله في أربعة وعشرين بابا ، متضمنة لمائة وعشرين درسا ، وقد طبع هذا المختصر في بيروت عام ١٤٠٥ هـ ، نشره مؤسسة الكتب الثقافية .

كما أقدم الدكتور صبحي الصالح ، على عمل شرح للكتاب فوفق لذلك ، وأسمى شرحه ذلك " سهل الواردين " ويقع في مجلدين ، اقتصر فيه على شرح الغريب بعبارات واضحة بسيطة ، ولم يعن نفسه بتحرير المباحث العلمية

والايمان بالفوائد الحديثية ، فهو بمثابة تعليق لطيف لما تدعوا اليه الحاجة في نظره ، والكتاب مطبوع متداول .

كما قام بتحقيقه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه ، كل من الشيخين الفاضلين محمد ناصر الدين الألباني ، وشعيب الأرنؤوط . استقل كل واحد منهما بعمله ، ونشره بمفرده ، ولم يشر أحدهما الى عمل الآخر ، على الرغم من وحدة الهدف ، وتقارب العمل . ولقد أسديا خدمة جليلة لهذا الكتاب النافع ، وكان كل عمل^٣ منهما مكملًا للآخر .

أما الشيخ الألباني ، فقد قام بتحقيقه تلبية لرغبة زهير الشاويش صاحب المكتب الاسلامي ، ولم يشر الى النسخ الخطية التي اعتمد عليها ، إلا ما كان من زهير الشاويش ، الذي نبه في تذييله على لوحتين من مخطوطات الكتاب ، بأنهما نسختان مختلفتان رجع اليهما الشيخ عند التحقيق ، وقد وفق في اخراج الكتاب تخريجا علميا ، وتنبه لبعض الأخطاء التي خفيت على طابعي الكتاب في طباعته الكثيرة ، كما أشار الى ذلك في مقدمة تحقيقه^(١) .

ورقم الأحاديث ترقيما دقيقا ، على قواعد أهل الحديث ، اذ عدّ في الترقيم الأحاديث التي كان يشير اليها النووي من رواية صحابي غير الصحابي الذي ذكر النووي حديثه ، كما نفي الأحاديث ذوات الأرقام : ٥ ، ١٠٠ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣٨٦ ، ٥ .

وقد غفل عن ذلك الأستاذ الأرنؤوط وغيره ، فلم يجعلوا لمثل ما ذكررقما خاصا ، بل جعلوه تحت الرقم السابق ، وهذا هو السبب في اختلافهم في عدد أحاديث الكتاب ، فقد أوصلها الألباني الى ١٩٠٥ حديث ، بينما ترقيمه لم يصل عند الأرنؤوط إلا الى ١٨٩٦ حديث . كما علق عليه

تعليقا لطيفا ، لتوضيح بعض الألفاظ اللغوية ، أو المعاني الحديثية ،
والدراسة النقدية لبعض الأحاديث النبوية ، والحكم على الأحاديث على
ضوء السلسلة الاسنادية ، فأفاد وأجاد ، ونفع العباد .

وأما الشيخ الأرئوط ، فقد لفت نظره ما للكتاب من قيمة علمية ،
وعلى الرغم من تلك القيمة ، فإنه لم يحظ بالعناية اللائقة به في طبعاته
المختلفة ، التي توالى على إخراجها ، فرأى من النصفة لهذا الكتاب ، أن
يقوم بنشره نشرة صحيحة دقيقة .

فقام بذلك العمل ، معتمدا على نسختين خطيتين ، حصل عليهما من
دار الكتب الظاهرية ، الأولى منهما برقم ٣٢٦٩ ، والثانية برقم ٦٦٢٨ ،
ولم يقتصر في التحقيق على هاتين النسختين ، بل رجع إلى المصادر التي نقل
عنها المؤلف وقابل الأحاديث عليها ، فجاء تحقيقه أدق ، وعمله أتقن .
وقد قام إلى جانب التحقيق ، بتخريج الأحاديث ، وكان ذلك أبرز عمله في
هذا الكتاب على ما فيه من قصور ، إذ لم يكلف نفسه تخريج الأحاديث تخريجا
كاملا ، بل رجع إلى الأمهات التي عزا إليها المؤلف وبعض الكتب الأخرى .

كما قام بالاضافة إلى التخريج ، بتعليق على بعض المفردات اللغوية
والمدلولات الحديثية ، فأحسن في وضعه - جزاه الله خيرا - .

وقد قام أيضا محيي الدين الجراح ، بتحقيق الكتاب كما أفاد ذلك
في طرة الكتاب ، وقد راجع عمله ذلك فضيلة الشيخ محمد علي الصابونى ،
ونشر الكتاب بهذا التحقيق على نفقة شركة الراجحي للصرافة والتجارة ،
ووزع مجانا .

وقد كان للدكتور صالح أحمد رضا جهد يشكر عليه ، ويدعى له بسببه
في خدمة السنة النبوية عموما ، وهذا الكتاب خصوصا ، حيث قام بدراسة

بعض أحاديث الكتاب دراسة علمية منهجية مرضية في كتاب أسماه " قطوف من رياض السنة " ، ووضح العنوان بقوله : دراسة تحليلية لأحاديث مختارة من كتاب رياض الصالحين ، وبين يدي من هذا الكتاب القسم الأول ، وكان منهجه فيه أن يذكر توطئة لكل حديث بما يسهل الدخول عليه ، ثم يذكر النص ويتبع ذلك بتعريف الصحابي راوي الحديث ، ثم بيان مفردات الحديث وما فيه من وجوه الاعراب والبلاغة ، ثم يشرح الحديث شرحا تفصيليا ، ثم يرشد الطالب الى مكان وجود الحديث مشروحا اذا أراد المزيد ، كما كان يعنى بتخريج الأحاديث تخريجا جيدا ، جاعلا ذلك في هامش الصفحة .

فجزاه الله خيرا .

ومن اختصر هذا الكتاب أيضا الأستاذ محمد عبد الحميد مرداد ، وسمى مختصره هذا " اتحاف المسلمين في تسهيل اختصار رياض الصالحين " وأضاف الى اختصاره ذلك تفسير الآيات القرآنية التي ترد في الأبواب ، وشرحا موجزا للأحاديث التي يوردها ، وقد طبع هذا المختصر ، وطبعته الثانية بمصر سنة ١٣٨٤ هـ .

كما أن الدكتور / الحسين عبد المجيد هاشم ، عمل عليه شرحا نافعا مفيدا وأسماه " شرح رياض الصالحين " ويقع في مجلدين ضخمين ، وقد طبع هذا الشرح بمطبعة الكيلاني بمصر عام ١٣٩٠ هـ ، وهو من أحسن شروحه الحديثة ، حيث إنه يشرح غريب الحديث ، ثم يوضح المعنى ، ثم يذكر المستفادات الحديثية بطريقة تربوية مفيدة .

كما قام لفيف من الأساتذة بعمل شرح لهذا الكتاب ، وأسماوا ذلك الشرح " نزهة المتقين شرح رياض الصالحين " والاساتذة أولئك هم : الدكتور / مصطفى سعيد الخن ، والدكتور / مصطفى البغا ، والأستاذ محيي الدين مستو ، والأستاذ علي الشرجي ، والأستاذ محمد أمين لطفي . وقد طبع هذا الشرح في بيروت سنة ١٣٩٧ هـ . ويقع في مجلدين .

الفصل الثاني

في بيان أثره في علم الحديث درايةً

وفيه خمسة مباحث :

- ١- في بيان مؤلفاته في هذا العلم .
- ٢- في بيان اجتهاداته فيه وموازينها بآراء المحدثين الآخرين وفي بيان زياداته فيه على ابن الصلاح .
- ٣- في بيان اجتهاداته في فقه الحديث .
- ٤- في كلامه في نقد الرجال ونقد المتن .
- ٥- في ذكر نماذج من أحكامه على الأحاديث .

المبحث الأول : في مؤلفاته في هذا العلم .

وهي نوعان :

مؤلفات في شرح الحديث ، ومؤلفات في علومه .

النوع الأول : مؤلفات في شروحه . وهي :

١ - شرح البخاري .

٢ - شرح مسلم .

(٢) - التلخيص شرح البخاري :

(١) أشار إليه في تهذيب الأسماء ، وفي بستان العارفين . (٢)
ونسبه إليه ابن الخطار (٣) ، والرخمي (٤) ، والذهبي (٥) ، وابن قاضي
شبهه (٦) ، والسيوطي (٧) ، والبغدادى (٨) ، وبروكلمان (٩) . وغيرهم .
وهو من أواخر مؤلفاته التي حالت دون إتمامها منيته ، والذي كانت
تطمح إلى إتمامه رغبته ، كما تفيد كثرة أحواله إلى ما سيأتي من مباحثه في
مظانها . (١٠)

غير أن الله لم يرد له ذلك ، فعاجلته الضية بعد أن شرع في هذا
العمل المبارك ، وقد كتب فيه على باب بدء الوحي وكتاب الإيمان (١١) ، بشرح
مفيد بين الإيجاز والاطناب ، نال إعجاب العلماء ، وقد طبعت هذه القطعة
في مصر مذيلة بإرشاد السارى وعن البارى ، على تلك الأحاديث التي شرحها

(١) ٢٥ / ١ .

(٢) ص ٢٨ ، ٩٩ .

(٣) تحفة الطالبين ١٠ / أ .

(٤) في ترجمته ص ٦ / ب .

(٥) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٢٢ .

(٦) في الطبقات ٢ / ١٥٧ .

(٧) في الضهاج السوى ١٢ / ب .

(٨) في هداية العارفين ٢ / ٥٢٤ .

(٩) تاريخ الأدب العربي ٣ / ١٦٧ .

(١٠) انظر مثلاً الاحالات في الصفحات التالية : ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٦ ،

١١٧ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٤٥ .

(١١) وعدد أحاديثها سبعة وخمسون حديثاً .

النووي ، وصور أخيرا في بيروت من غير تاريخ ، ويقع في ٢٨٠ صفحة .

سبب تأليفه له :

وقد أبان - رحمه الله - عن الباعث له على تأليفه ، فقال بعد أن نوه بعلم الحديث وشرف حامله : اعلم أن هذا الفضل الذي ذكرناه ، والحث الذي أسلفناه ، إنما هو في الاشتغال بالحديث على الوجه الذي قدمناه ، لا بمجرد كتابته وسماعه من غير اعتناء بما بيناه ، قال : ثم إن أصح مصنف في الحديث بل في العلم مطلقا ، الصحيحان للإمامين القدوتين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، وأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري - رضي الله عنهما - ، فليس لهما نظير في المصنفات ، فينبغي أن يعتنى بشرحهما ، وتشاع فوائدهما ، ويتلطف في استخراج دقائق العلوم من متونهما وأسانيدهما ، لما ذكرنا من الحجج الظاهرات ، وأنواع الأدلة المتظاهرات ، قال : فأما صحيح مسلم ، فقد جمعت في شرحه جملا مستكثرات ، على أنواع من النفائس بعبارات واضحة ، وأنا مستمر في تكميله ، راج من الله الكريم الرؤوف الرحيم .

وأما صحيح البخاري ، فهنا أنا أشرع في جمع كتاب في شرحه متوسط بين المختصرات والمبسوطات ، لا من المختصرات المخلات ، ولا من المبسوطات المملات ، ولولا ضعف الهمم ، وقلة الراغبين في المبسوط ، لبلغت به ما يزيد على مائة من المجلدات ، مع اجتناب التكرير والزيادات العاطلات ، بل ذلك لكثرة فوائده ، وعظم عوائده الخفيات والبارزات ، قال : لكنني أقصر على المتوسط ، وأحرص على ترك الاطلاات ، وأوثر الاختصار في كثير من الحالات .
فهذا ما حدا به الى الشروع في هذا الشرح ، لاسيما وأن صحيح

(٤٠٥)

البخارى لم يعط حقه وقتئذ من العناية ، من أهل الفن والدراسة ، اذ لم يكن قد كتب عنه الا القليل كالخطابي سنة ٣٨٦ هـ ، في كتابه " اعلام السنن " ، أو ابن بطلال سنة ٤٤٩ هـ في شرحه عليه ، أو محمد بن سعيد بن يحيى الديلمي الواسطي سنة ٦٢٧ هـ حيث شرح مشكله .^(١)

وهذه كلها وغيرها لم تف بحق البخارى كما ينبغي ، اذ الأول لا يعدو أن يكون شرحا لمفرداته اللغوية ، والأخير قاصر على المشكلات الحديثية ، والوسط وان جاء على وفق الأمنية ، الا أنه ترك لغيره بقية ، فكان على النووى أن يأتي بها ، فينال المزية ، لاسيما وأن ابن بطلال عني في غالب هذا الشرح بفقده الامام مالك ، من غير تعرض لموضوع الكتاب .

فعندئذ شمر النووى عن ساعد الجد ، وشرع في هذا الشرح الذى لو ساعده القدر على انجازه ، لحاز قصب السبق بين شروحه التي كثرت من بعده ، ولكان أبا لسائر الشروح التي أتت بعده ، بل لربما أغنى أربابها عن محاولة الشرح اكتفاء به واعتمادا عليه ، ولا ريب في ذلك ، فان هذه القطعة التي كتبها فيها كفاية للمقتصدين ، وغنية للباحثين ، وإن اطلعت على منهجه الذى التزمه ، نستعلم ذلك حقا ،

منهجه فيه :

قد أفصح - رحمه الله - عن بيان منهجه في هذا الكتاب ، فقال :
ها أنا أشرع في جمع كتاب في شرحه متوسط بين المختصرات والمبسوطات ، لا من المختصرات المختلات ، ولا من المبسوطات المملات ، ولولا ضعف الهمم ، وقلة

(١) انظر تاريخ التراث العربى ٢٢٩/١ ، وتاريخ الأدب العربى ١٦٢/٣ ،

وكشف الظنون ٥٤٥/١ .

الراغبين في المبسوطات ، لبلغت به ما يزيد على مائة من المجلدات ، مع اجتناب التكرير والزيادات العاطلات ، بل ذلك لكثرة فوائده ، وعظم عوائده الخفيات والبارزات ، قال : لكنني أقتصر على المتوسط ، وأحرص على ترك الاطالات ، وأوثر الاختصار في كثير من الحالات ، قال : فأذكر - ان شاء الله تعالى - جملا من علومه الزاهرات ، من أحكام الأصول والفروع ، والآداب ، والاشعارات الزهديات ، وبيان نفائس من أصول القواعد الشرعية ، وايضاح معاني الألفاظ اللغوية ، وأسماء الرجال ، وضبط المشكلات ، وبيان أسماء ذوى الكنى ، وأسماء ذوى الآباء والمبهمات ، والتبويه على لطيفة من حال بعض الرواة ، وغيرهم من المذكورين في بعض الأوقات ، واستخراج لطائف من خفيات علم الحديث في المتن والأسانيد المستفادات ، وضبط جمل من الأسماء الموءتلفات والمختلفات ، والجمع بين الأحاديث التي تختلف ظاهرا ، ويظن من لا يحقق الحديث والفقه كونها من المتعارضات ، وأنبه على ما في الحديث من المسائل العملية فأقول : في هذا الحديث من المسائل كذا وكذا بالعبارات المهدبات ، وأحرص في كل ذلك على الإيجاز وايضاح العبارات ، واذنا تكرر الحديث ، أو الاسم ، أو اللفظة من اللغة ، ونحوها ، بسطت مقصوده في أول مواضعه ، فان وصلت الموضوع الآخر ، ذكرت أنه تقدم شرحه في الباب الفلاني من الأبواب السابقة ، قال : وقد أعيد الكلام في بعضه ، لارتباط كلام أو غيره من المقاصد الصالحات ، وأقدم في أول الكتاب ، جملا من المقدمات ، مما يرجى الانتفاع به ، ويحتاج اليه طالبوا التحقيقات .^(١) هـ

فهذا هو المذهج الذي التزم السير عليه فيه ، وفيه دلالة على أنه كان ينوئ أن يعطي الصحيح حقه ، شرحا وبيانا ، بحيث يشفي ويكفي ، ولقد تلمست تطبيق هذا المذهج في هذه القطعة ، فألفيته قد طبقه في هذه القطعة الوجيزة ، أو كاد .

فانه قد ذكر فيها جملا من العلوم من أحكام الأصول ^(١) ، والفروع ^(٢) ،
 ونفائس من أصول القواعد الشرعية ^(٣) ، وأوضح معاني الألفاظ اللغوية ^(٤) ،
 وأسماء الرجال ، وضبط المشكلات ^(٥) ، وبين أسماء ذوى الكنى وأسماء ذوى الآباء ^(٦)
 والمبهمات ، ونبه على لطائف من حال بعض الرواة وغيرهم من المذكورين ^(٧)
 في بعض الأوقات ، واستخرج لطائف من خفيات علم الحديث في المتنون ^(٨)
 والأسانيد ، وضبط جملا من الأسماء الموءتلفات والمختلفات ^(٩) ، وجمع

(١) أى أصول الفقه وأصول الدين ، وانظر لمعرفة ذلك الصفحات التالية :

١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ،
 ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٩١ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٢ ، ٢٥٠ .

(٢) أى الفروع الفقهية التي لها علاقة بالألفاظ الحديثية كما

في ص ٣٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ .

(٣) وانظر التمثيل لذلك ص ٨٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٧٤ .

(٤) وهى كثيرة جدا ، ان لا يكاد يأتي على كلمة حديثية الا ويبين معناها

اللغوية في فصل خاص يعقده للغات الحديث ، وانظر مثلا هذه الصفحات

١٧ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٢٣٠ .

(٥) وانظر مثلا مقدمة الكتاب ص ١٥ ، حيث عقد فصلا لبيان ذلك اضافة

الى ما قد يورده أثناء الشرح .

(٦) وذلك عند ما يبين سند الحديث ويترجم لرجاله .

(٧) وعنى بهذا الجانب عناية فائقة فلم يترك أحدا من الأسماء بغير بيان

لما ذكره ، وبلغ مجموع من ترجم لهم في هذه القطعة خمسا وستين

ومائة علم .

(٨) وانظر الأمثلة على ذلك في الصفحات التالية : ٢٧ ، ٥١ ، ٥٥ ،

٥٩ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ١٠٩ ، ١٧٣ ، ٢١٦ .

(٩) وذلك عند بيان الأسماء التي ترد عليه عرضا أو التي يترجم لها

وانظر ان شئت أى ترجمة تجد فيها ذلك .

بين الأحاديث التي تختلف ظاهراً ، ويظن من لا يحقق الحديث والفقه كونها من المتعارضات ^(١) ، ونبه على ما في الحديث من المسائل العملية ، فيقول في هذا الحديث من الفوائد كذا وكذا ، بالعبارات المبهذبات ^(٢) ، وحرص في كل ذلك على الإيجاز وإيضاح العبارات ، وإذا تكرر الحديث أو الاسم ، أو اللفظة من اللثة ونحوها ، بسط مقصوده في أول مواضعه ، فإذا وصل إلى الموضع الآخر ، أحال على ما تقدم من الأبواب السابقة ، وربما أعاد الكلام في بعضه ، لارتباط كلام أو غيره من المقاصد الصالحة . كما التزم كل ذلك في المقدمة .

وقدّم في أول الكتاب ، جملاً من المقدمات مما يرجى الانتفاع بها ، ويحتاج إليها طالبوا التحقيقات ، فذكر أن نسبة الصحيح إلى البخاري ثابتة بالتواتر ، وأنه في بلاد الشام ، يروى من طريق أبي الوقت عن الداودي عن الحموي عن الفربري عن البخاري .

وذكر نبذة عن البخاري ، وأحواله ، وطرف أخباره ، ذكرها بغیر اسناد وهي عنده من المسندات ، وأشار كذلك إلى بعض شيوخه والآخذين عنه ، والمنتسبين إليه والمستفيدين منه ، وذكر اسم الجامع الصحيح ، وبين مكانته بين كتب السنة ، وهي أنه أول كتاب صنف في الصحيح المجرد ، ثم بين حكم حديثه ، وهو أنه يفيد الظن إلا ما تواتر ، وأشار إلى الخلاف في ذلك ، ثم ذكر سبب تصنيفه ، وكيفية تأليفه ، وجملة الأحاديث التي احتوى عليها ، وعددها ، مبيناً عدد أحاديث كل باب ، وذكر السر من تكرير البخاري

(١) وقد عني بهذا الجانب غاية تامة ، فلا يدع في نفس القارئ مجالاً للتساؤل حول ما قد يخطر بباله عن هذا الجانب ، إلا ونبه عليه ، وذلك كما في الصفحات الآتية : ١٢٩ ، ١٦٩ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٤ . ولعل الوقت يسمح لي بإبراز هذا الجانب فيما يأتي من المباحث الحديثية - ان شاء الله - .
(٢) وانظر الأمثلة على ذلك في الصفحات التالية : ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ .

للأحاديث في الأبواب ، وقسم تبعاً للمقدسي مشايخ البخاري الى خمس طبقات ،
لثلاث يقع من لا معرفة عنده في ليس ، واتهام البخاري في الاختلاط ، وختتم
حديثه في هذا الضمار ، بذكر حكاية تدل على مكانة البخاري وعظم منزلته
(١) ومبلغ علمه .

ثم ترجم للرواة الذين هم بينه وبين البخاري ، بإضافة الزبيدي الذي
يروى عن أبي الوقت ، وأبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ،
أحد مشايخه ، الذين يروى عنهم هذا الصحيح وغيره . (٢)

ثم ذكر جملاً من قواعد علوم الحديث ، التي يحتاج اليها قارئ هذا
الكتاب وغيره من المصنفات الحديثية . (٣)

ثم ختم هذه المقدمات ، بفصل ، هو من أهم الفصول ، وأكثر مقاصد شرحه
هذا وهو ضبط جملة من الأسماء المتكررة في الصحيحين وهي مشتبهة ، كآبي ،
والبراء ، ويزيد ، وعدّ نحواً من ٢٨ اسماً ، فإن الأول كله بضم الهمزة
إلا آبي اللحم بالمد ، لأنه كان لا يأكله ، وقيل لا يأكل ما ذبح لصنم .
والثاني ، كله بتخفيف الراء ، إلا أبا معشر البراء فبالتشديد ، وكله ممدود ،
وقيل المخفف يجوز قصره .

والثالث ، كله بالمشاة تحت ، والزاي ، إلا ثلاثة بريد بن عبد الله بن أبي بردة ،
والثاني ، محمد بن عروة بن البرند ، بموحدة وراء مكسورتين ، وقيل : يقال :
بفتح الراء ثم نون ، والثالث ، على بن هاشم بن البريد ، بموحدة مفتوحة
وراء مكسورة ثم مشاة تحت . (٤)

(١) من ص ٤ - ١٠ .

(٢) من ص ١٠ - ١١ .

(٣) من ص ١١ - ١٥ .

(٤) من ص ١٥ - ١٦ .

وذكر أيضا طائفة من الأنساب ، كالإيلي ، والأبلي ، والبصري ، وذكر
نحو تسع نسب ، فالأول كله بفتح الهمزة وبالمثناة ، والثاني بضم الهمزة
والموحدة ، والثالث كله بالموحدة مفتوحة ومكسورة نسبة إلى البصرة ، إلا مالك بن
أوس بن الحدثان النصري ، وسالما مولى النصريين ، فبالنون . (١)

وقد انتزع الأستاذ علي حسن علي عبد الحميد ، هذه المقدمة ، من
الكتاب وأخرجها مستقلة عن باقيه ، وأسماه " ماتم إلى حاجة القارى لصحيح
البخارى " ولم يتيسر له في إخراجه ذلك مخطوطات الكتاب ، مع معرفته
بمواطنها وإشارته إليها ، فاعتمد على النسخة المطبوعة ، وأسمى إخراجها
ذاك " تحقيقا "

(- منهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج :

- (٢) أشار إليه في تهذيب الأسماء^(١) ، وفي شرح البخاري^(٢) ،
 وفي بستان العارفين^(٣) .
 وعزاه إليه غالب من ترجم له ، كابن العطار^(٤) ، واللخمي^(٥) ،
 والذهبي^(٦) ، وابن كثير^(٧) ، والياضي^(٨) ، وابن قاضي شهبه^(٩) وغيرهم
 ممن تقدم ذكرهم ، عدا السيوطي والزركلي .

واشتهر باسم شرح مسلم فقط ، وحكاه بهذه التسمية المشهورة كثير
 ممن عُدّ مصنفات النووي ، ووردت تسميته بما اعتمد هنا عند ابن قاضي شهبه ،
 والسخاوي ، وابن العماد في الشذرات ، وسزكين في تاريخ التراث^(١٠) ، وذكر
 له بروكلمان اضافة الى هذا الاسم اسما آخر ، هو " منهاج المحدثين وسبيل
 تلبية المحققين " ^(١١) ، ولعل هذا هو اسمه الكامل ، غير أن من ذكروه في
 مؤلفات النووي مالوا الى اختصار التسمية فكانوا بين مغل ، ومتوسط ،

-
- (١) ٩٨/١ ، ٩٠/٢ .
 (٢) ص ١١٢ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ .
 (٣) ص ١٢٩ .
 (٤) تحفة الطالبين ١/١٠ .
 (٥) في ترجمته ١/٥ .
 (٦) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٢ .
 (٧) البداية والنهاية ١٣/٢٧٩ .
 (٨) مرآة الجنان ٤/١٨٢ .
 (٩) الطبقات ٢/١٥٦ .
 (١٠) ٢١٢/١ - ٢١٥ .
 (١١) تاريخ الأدب العربي ٣/١٨١ .

أما من أخل في الاختصار فذكره بالضمون وهو " شرح مسلم " .
وأما من توسّط ، فذكره باسم " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج " . ولعل
هذا الفريق رأى أنّ هذه التسمية هي أدل على المقصود ، فلذلك ملت الى
اعتمادها .

سبب تأليفه :

أما الباحث له على وضع هذا الشرح العظيم ، فهو المشاركة في العناية
بعلم الحديث الشريف ، لأنه من أهم أنواع العلوم وأجلّها ، وأفضل أنواع
الخير وأكدها ، لكون الشرع المطهر مبنى على الكتاب العزيز ، والسنة
المشرقة ، وعلى السنة مدار أكثر الأحكام الفقهية ، لأن أكثر الآيات مجملات ،
وبيانها في السنن المحكمات ، وقد اتفق العلماء على أنّ من شرط المجتهد
من القاضي والمفتي ، أن يكون عالماً بأحاديث الأحكام ، ولما كان الصحيحان
أصحّ مصنّف في الحديث ، بل في العلم مطلقاً ، رأى أنّه ينبغي أن
يعتنى بشرحهما ، وتشاع فوائدهما ، ويتلطف في استخراج دقائق العلوم
من متونهما وأسانيدهما ، وبإدراكها إلى فعل ذلك ، فشرع في شرح صحيح
البخاري ، ثم شرع في شرح صحيح مسلم ، وقد أفصح عن هذا كله في
مقدمة هذا الكتاب ، فقال بعد خطبة طويلة نفيسة عصماء ، ما نصّه :
أما بعد ، فإن الاشتغال بالعلم من أفضل القرب وأجل الطاعات ،
وأهم أنواع الخير ، وأكد العبادات ، وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات ،
وشرفي إدراكه والتمكن فيه أصحاب الأنفس الزكيات ، وبإدراكها إلى الاهتمام به
المسارعون إلى الخيرات ، وسابق إلى التحلي به مستبقوا المكرمات ، وقد
تظاهر على ما ذكرته جمل من الآيات ، والأحاديث الصحيحة المشهورات ،

وأقوال السلف - رضى الله عنهم - النيرات ، ولا ضرورة الى ذكرها ، لكونها
من الواضحات الجليات ، ومن أهم أنواع العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبوية ،
أغنى معرفة متونها وصحيحها ، وضعيفها ، متصلها ومرسلها ، منقطعها ،
ومعضلها ، ومقلوبها ، ومشهورها ، وغريبها ، وعزيزها ، متواترها ،
وآحادها ، وأفرادها ، معروفة ، وشاذها ، ومنكرها ، ومعللها ،
وموضوعها ، ومدرجها ، وناسخها ، ومنسوخها ، وخاصها ، وعامها ،
ومجملها ، ومبينها ، ومختلفها ، وغير ذلك من أنواعها المعروفة ،
ومعرفة علم الأسانيد ، أغنى معرفة حال رجالها ، وصفاتهم المعتبرة ،
وضبط اسمائهم وأنسابهم ، ومواليدهم ، ووفياتهم ، وغير ذلك من الصفات ،
ومعرفة التدليس والمدلسين ، وطرق الاعتبار والمتابعات ، ومعرفة حكم
اختلاف الرواة في الأسانيد ، والمتون ، والوصل ، والارسال ، والوقف ، والرفع ،
والقطع ، والانقطاع ، وزيادات الثقات ، ومعرفة الصحابة والتابعين ،
وأتباعهم وأتباع أتباعهم ، ومن بعدهم - رضى الله عنهم - وعن سائر المؤمنين
والمؤمنات ، وغير ما ذكرته من علومها المشهورات .

ثم دلل على ما ذكره بأن الشرع الحنيف مبناه على الكتاب والسنة ،
وأن السنة عليها مدار أكثر الأحكام الفقهية ، لأن أكثر الآيات الفرعية
مجملات ، وبيانها في السنن المحكمات ، وباتفاق العلماء على أن من شرط
المجتهد من القاضي والمفتي أن يكون عالما بالأحاديث الحكمية .
ثم قال : فينبغي الاعتناء بعلم الحديث ، والتحريض عليه ، لما ذكرنا من
الدلالات ، ولكونه أيضا من النصيحة لله تعالى وكتابه ورسوله
- صلى الله عليه وسلم - ولأئمة المسلمين والمسلمات . قال : وذلك هو
الدين كما صح عن سيد البريات - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه
وذريته وأزواجه الطاهرات .

فكان هذا هو الباعث له على تأليف هذا الشرح ، ثم مضى بعون
الله في تأليفه حتى أتمه ، ماشيا فيه على منهج رسمه لنفسه في مقدمة
كتابه ، سار على ضوئه وتقيّد به ، .

منهجه فيه :

أما منهجه فيه ، فقد عبّر عنه بقوله : وأما صحيح مسلم - رحمه الله -
فقد استخرت الله تعالى الكريم الرؤوف الرحيم في جمع كتاب في شرحه
متوسط ، بين المختصرات ، والمبسوطات ، لا من المختصرات المختللات ،
ولا من المطولات المملات . قال : ولولا ضعف الهمم ، وقلة الراغبين ، وخوف
عدم انتشار الكتاب ، لقلة الطالبين للمطولات ، لبسطته ، فبلغت به
ما يزيد على مائة من المجلدات ، من غير تكرار ولا زيادات عاطلات ، بل ذلك
لكثرة فوائده ، وعظم عوائده الخفيات والبارزات ، قال : وهو جدير بذلك
فأنه كلام أفصح المخلوقات - صلى الله عليه وسلم صلوات دائمت ، قال :
لكني أقتصر على التوسط ، وأحرص على ترك الاطلاات ، وأوثر الاختصار في
كثير من الحالات . فأذكر فيه - ان شاء الله - جملا من علومه الزاهرات ،
من أحكام الأصول والفروع ، والأداب ، والاشارات الزهديات ، وبيان نفائس
من أصول القواعد الشرعية ، وإيضاح معاني الألفاظ اللغوية ، وأسماء
الرجال ، وضبط المشكلات ، وبيان أسماء ذوى الكنى وأسماء آباء الأبناء ،
والمبهمات ، والتبويه على لطيفة من حال بعض الرواة ، وغيرهم من المذكورين
في بعض الأوقات ، واستخرج لطائف من خفيات علم الحديث من المتن
والأسانيد المستفادات ، وضبط جمل من الأسماء الموءتلفات والمختلفات ،
والجمع بين الأحاديث التي تختلف ظاهرا ويظن من لا يحقق صناعتى
الحديث والفقهاء وأصوله كونها متعارضات ، وأنبه على ما يحضرني في

الحال في الحديث من المسائل العملية ، وأشير إلى الأدلة في كل ذلك
إشارات ، إلا في مواطن الحاجة إلى البسط للضرورات .

قال : وأحرص في جميع ذلك على الإيجاز وإيضاح العبارات .
ثم قال : وحيث أنقل شيئا من أسماء الرجال واللغة وضبط المشكل والأحكام ،
والمعاني وغيرها من المنقولات ، فإن كان مشهورا لا أضيفه إلى قائله ،
إلا أن أذهل عنه في بعض المواطن لطول الكلام أو كونه مما تقدم بيانه في
الأبواب الماضية .

قال : وإذا تكرّر الحديث أو الاسم أو اللفظة من اللغة ونحوها ، بسطت
المقصود منه في أول مواضعه ، وإذا مررت على الموضع الآخر ، ذكرت أنه
تقدم شرحه وبيانه في الباب الفلاني من الأبواب السابقة ، قال : وقد
أقتصر على بيان تقدمه من غير إضافة ، أو أعيد الكلام فيه لبعده الموضع
الأول ، أو ارتباط كلام أو نحوه ، أو غير ذلك من المصالح المطلوبة ،
وأقدم في أول الكتاب جملا من المقدمات مما يعظم النفع به إن شاء الله
تعالى ، ويحتاج إليه طالبوا التحقيقات . قال : وأرتب ذلك في فصول
متابعات ، ليكون أسهل في مطالعته وأبعد من السآمت .

ثم قال : وأنا مستمد المعونة والصيانة واللفظ والرعاية من الله الكريم رب
الأرضين والسموات ، مبتهلا إليه سبحانه وتعالى أن يوفقني ووالدي ومشايخي
وسائر أقاربي وأحبائي ومن أحسن إلينا بحسن النيات ، وأن ييسر لنا الطاعات ،
وأن يهدينا لها دائما في ازدياد حتى المعات .

فهذا هو الضهح الذي رسمه لاتباعه ، وإذا ما ألفت عليه نظرة
استقرائية ، لوجد أنه قد أتى على ذلك بالتمام ، ووفقى بجميع ما التزمه
من علوم وآداب وأحكام ، وهي من الوضوح والجلال بالمحل البارز مكانه ،

الصادق برهانه ، المغنى عن أن يوضع لمبتغيه عنوانه .

غير أن مكانة هذا الشرح العظيمة ، تستدعي أن يبسط فيه المقال ،
ويؤتى منه بالنماذج والأمثال ، لكي يعرف أن هذا الكتاب تشد الى مثله
الرجال ، بخير نزاع ولا جدال .

ولما كانت معارفه كثيرة ، كما يللمسها أهل البصيرة ، استدعى ذلك أن
يذكر أنموذج من هذا الشرح ، ثم تذكر نماذج من أبرز العلوم التي احتوى
عليها في الحديث وعلومه ، وفقهه ، وحل مشكله ، والجمع بين متعارضه ،
ودقيق استنباطه ، واستدلالة ، ومعرفته لأسرار الكتاب ومؤلفه ، وأبرز مؤاخذته
عليه ، ونهايته بالضبط وبالأصول والفقه وغير ذلك مما تكرر ذكره وبرز وجوده .

نماذج من شرح مسلم :

١ - قال الامام مسلم - رحمه الله - : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني ، حدثنا أبو خالد يعني سليمان بن حيان الأحمر ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن سعد بن عبيدة ، عن ابن عمر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((بنى الاسلام على خمسة ، على أن يوحد الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج ، فقال رجل : الحج وصيام رمضان . قال : لا . صيام رمضان ، والحج ، هكذا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وحدثنا سهل بن عثمان العسكري ، حدثنا يحيى بن زكرياء ، حدثنا سعد بن طارق ، قال : حدثني سعد بن عبيدة السلمي ، عن ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((بنى الاسلام على خمس ، على أن يعبد الله ، ويكفر بما دونه ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان)) .

الشرح :

قال الامام النووي - رحمه الله - معنونا لهذه الأحاديث :

" باب بيان أركان الاسلام ودعائمه العظام " وساق هذين الحديثين ، ثم قال : أما الاسناد الأول المذكور هنا ، فكله كوفيون ، إلا عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فإنه مكي مدني ، وأما الهمداني ، فباسكان المييم وبالرجال المهمة ، وضبط هذا للاحتياط وكمال الايضاح ، والافه مشهور معروف ، وأيضا فقد قدمت في آخر الفصول ، أن جميع ما في الصحيحين فهو همداني بالاسكان والمهمة ، وأما حيان ، فبالمشاة ، وتقدم أيضا في الفصول بيان هذه الصورة ، وأما أبو مالك الأشجعي ، فهو سعد بن طارق المسمى

في الرواية الثانية ، وأبوه صحابي .

وأما ضبط المتن ، فوقع في الأصول ، بنى الاسلام على خمسة في الطريق الأول والرابع ، بالهاء فيها ، وفي الثاني والثالث خمس بلاهاء ، وفي بعض الأصول المعتمدة في الرابع بلاهاء ، وكلاهما صحيح ، والمراد برواية الهاء خمسة أركان أو أشياء ، أو نحو ذلك ، وبرواية حذف الهاء ، خمس خصال أو دعائم أو قواعد أو نحو ذلك . والله أعلم .

وأما تقديم الحج وتأخير ، ففي الرواية الأولى ، والرابعة ، تقديم الصيام ، وفي الثانية والثالثة تقديم الحج ، ثم اختلف العلماء في انكار ابن عمر على الرجل الذي قدم الحج ، مع أن ابن عمر رواه كذلك كما وقع في الطريقين المذكورين ، والأظهر - والله أعلم - أنه يحتمل أن ابن عمر سمعه من النبي - صلى الله عليه وسلم - مرتين ، مرة بتقديم الحج ، ومرة بتقديم الصوم ، فرواه أيضا على الوجهين في وقتين ، فلما رد عليه الرجل ، وقدم الحج ، قال ابن عمر : لا ترد على ما لا علم لك به ، ولا تعترض بما لا تعرفه ، ولا تقدح فيما لا تتحققه ، بل هو بتقديم الصوم هكذا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وليس في هذا نفى لسماعه على الوجه الآخر ، ويحتمل أن ابن عمر كان سمعه مرتين ، بالوجهين كما ذكرنا ، ثم لما رد عليه الرجل ، نسي الوجه الذي رده ، فأنكره ، فهذان الاحتمالان هما المختاران في هذا .

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح - رحمه الله تعالى - : محافظة ابن عمر - رضي الله عنهما - على ما سمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونهيه عن عكسه تصلح حجة ، لكون الواو تقتضي الترتيب ، وهو مذهب كثير من الفقهاء الشافعيين ، وشدود من النحويين ، ومن قال : لا تقتضي الترتيب ،

وهو المختار وقول الجمهور ، فله أن يقول : لم يكن ذلك لكونها تقتضي الترتيب ، بل أن فرض صوم رمضان نزل في السنة الثانية من الهجرة ، ونزلت فريضة الحج سنة ست وقيل سنة تسع بالتآء المشاة فوق ، ومن حق الأول أن يقدم في الذكر على الثاني ، فمحافظة ابن عمر - رضي الله عنهما - لهذا وأما رواية تقديم الحج ، فكأنه وقع ممن كان يرى الرواية بالمعنى ، ويرى أن تأخير الأول أو الأهم في الذكر سائغ في اللسان ، فتصرف فيه بالتقديم والتأخير لذلك ، مع كونه لم يسمع نهى ابن عمر - رضي الله عنهما - عن ذلك ، فأفهم ذلك فأنه من المشكل الذي لم أرهم بينوه ، هذا آخر كلام الشيخ أبي عمرو بن الصلاح . (١)
قال النووي :

وهذا الذي قاله : ضعيف من وجهين :

أحدهما : أن الروایتين قد ثبتتا في الصحيح وهما صحيحتان في المعنى لاتنافي بينهما كما قدمنا إيضاحه ، فلا يجوز إبطال إحداهما .

الثاني : أن فتح باب احتمال التقديم والتأخير في مثل هذا ، قدح في الرواة والروايات ، فأنه لو فتح باب ذلك ، لم يبق لنا وثوق بشيء من الروايات إلا القليل ، ولا يخفى بطلان هذا وما يترتب عليه من المفاسد ، وتعلق من يتعلق به ممن في قلبه مرض ، والله أعلم .

ثم أعلم أنه وقع في رواية أبي عوانة الاسفراييني في كتابه " المخرج على صحيح مسلم وشرطه ، عكس ما وقع في مسلم ، من قول الرجل لابن عمر قدم الحج فوقع فيه أن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : اجعل صيام رمضان آخرهن ، كما سمعت من في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ،

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : - رحمه الله - لا تقاوم هذه الرواية -
 ما رواه مسلم ، قال النووي : قلت : وهذا محتمل أيضا صحته ويكون قد
 جرت القضية أيضا مرتين لرجلين . والله أعلم .

وأما اقتصاره في الرواية الرابعة على إحدى الشهادات ، فهو إما
 تقصير من الراوي في حذف الشهادة الأخرى التي أثبت بها غيره من الحفاظ ،
 وإما أن يكون وقعت الرواية من أصلها هكذا ، ويكون من الحذف للاكتفاء
 بأحد القرينتين ودلالته على الآخر المحذوف . والله أعلم .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - على أن يوحد الله ، هو بضم الياء
 المشاة من تحت وفتح الحاء مبني لما لم يسم فاعله .

أما اسم الرجل الذي ردّ عليه ابن عمر - رضي الله عنهما - تقديم
 الحج ، فهو يزيد بن بشر السكسكي ، ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب
 البغدادي في كتابه الأسماء المبهمة ، وأما قوله : ألا تغزو ، فهو بالتاء
 المشاة فوق للخطاب ، ويجوز أن يكتب تغزوا بالالف وحذفها ، فالأول قول
 الكتاب المتقدمين ، والثاني قول بعض المتأخرين ، وهو الأصح ، حكاهما
 ابن قتيبة في أدب الكاتب .

وأما جواب ابن عمر له بحديث بني الاسلام على خمس ، فالظاهر أن
 معناه ليس الغزو بل لازم على الأعيان ، فإن الاسلام بني على خمس ليس الغزو
 منها ، والله أعلم .

ثم إن هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين وعليه اعتماده ،
 (١) وقد جمع أركانه ، والله أعلم .

٢ - وقال مسلم - رحمه الله - : حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر المكي ،
 وبشر بن الحكم ، قالا : حدثنا عبد العزيز ، وهو ابن محمد الدراوردي ،
 عن يزيد بن المهدي ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن
 العباس بن عبد المطلب ، أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 يقول : ((ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ، وبالاسلام ديناً ،
 وبمحمد رسولا)) .

الشرح :

قال الامام النووي - رحمه الله - : " باب الدليل على أن من رضى بالله
 رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - رسولا ، فهو مؤمن " وان
 ارتكب المعاصي الكبائر " .

قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((ذاق طعم الايمان من رضى بالله
 رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - رسولا)) . قال صاحب
 التحرير ^(١) - رحمه الله - : معنى رضيت بالشئ قنعت به واكتفيت به ولم
 أطلب معه غيره ، فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في
 غير طريق الاسلام ولم يسلك الا ما يوافق شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم -
 ولا شك في أن من كانت هذه صفته ، فقد خلصت خلاوة الايمان الى قلبه
 وذاق طعمه ، وقال القاضي عياض - رحمه الله - : معنى الحديث ، صح
 ايمانه واطمأننت به نفسه وخامر باطنه ، لأن رضاه بالمذكورات ، دليل لثبوت
 معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشة قلبه ، لأن من رضى أمراً ، سهل عليه
 فكذا المؤمن اذا دخل قلبه الايمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت
 له ، والله أعلم .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني
 الشافعي . كما نص على ذلك النووي في هذا الشرح في ١ / ١٤٦ .

وفي الاسناد الدراوردي ، وقد تقدم بيانه في المقدمة ، وفيه
يزيد بن عبد الله الهادي ، هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي ، هكذا
يقول المحدثون ، الهادي ، من غيريآء ، والمختار عند أهل العربية فيه
وفي نظائره باليآء كالعاصي ، وابن أبي الموالي ، والله أعلم .

(١)
وهذا الحديث من أفراد مسلم لم يروه البخاري - رحمه الله - في صحيحه .

فهذه صورة واضحة لما احتوى عليه هذا الشرح المبارك القريب
المنال ، الكثير النوال ، تكسب المطلع عليها علما يقينيا أنّ الامام النووي
- رحمه الله - لم يكن ناقلا فقط كما يزعم البعض ، بل لو سلم ذلك ، لما كانت
عليه غصاصة فيه ، لأنه ان نقل فلا ينقل الا عن يركن اليه ، ونقله عنه يعد
تقوية له ، ولكن لبیان الحقيقة يلزم القول بأنه - رحمه الله - لا ينقل
الا حين يجد أنه قد سبق الى ذلك القول ، وحينئذ فان كامل ديانتهم
وعلو أمانته ، وصدق لهجته ، ودقة ورعه ، توجب عليه عزو ذلك الى قائله ،
اعترافا بفضله ، وتأدية لحقه ، وهذا أمر يحرص عليه من هو أقل شأنا من
النووي ، فكيف به ؟ ، على أنّ نقل النووي - رحمه الله - لقول ، يكسبه
شهرة ذائعة ، لأنه رجل يعول عليه ، لكونه اذا نقل عن غيره لا يعدو أحد
حاليين ، حال يوافق فيه على ذلك المقول فيسكت عنه أو يشنى عليه ، وحال
أخرى لا يوافق عليه ، فيتعقبه بالتزيف والتضعيف ، والتبويه على الصواب في
ذلك ، وهذا الحال بالنظر للحال الأول يكاد أن يكون مكافئا له من

(١) شرح مسلم ٢/٢ ، وانظر اضافة الى هذين الأنموذجين نماذج أخرى
من الشرح المذكور ، كباب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان ٢/٢١ ،
وباب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا اله الا الله ١٠٢ - ٩٨/٢ .

حيث النسبة ، ويدل على ذلك أن تعقباته على القاضي عياض ، والمازري ، وابن الصلاح في هذا الشرح بلغت نحو المائة ، ^(١) وهؤلاء هم الذين ينسب النووى اليهم في كثرة الاعتماد والنقل ، ناهيك عن تعقباته الأخرى لسائر من سبقه ، اذ لا يكاد يسلم أحد ممن رجع الى كتبهم من نقده الأديب وتعقبه الرصين ، وسيوضح ذلك حينما ترد بعض نماذج لتلك التعقبات ، ان شاء الله تعالى .

(١) انظرها ان شئت في الأجزاء والصفحات الآتية من شرح مسلم :

- ٢٢٠ ، ١٠٧/١
- ٢٣١ ، ٢٠١ ، ١٩٠/٢
- ١٣٤ ، ١٣٢ ، ٣٨ ، ٣٠ ، ٢٢/٣
- ١٣٦ ، ٧٧ ، ٥/٤
- ٢٣٣ ، ٢١٢ ، ١٨٦ ، ١٦٤ ، ٤١ ، ٢٩/٥
- ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٤٧ ، ١٣٦ ، ١١٧ ، ٤٦ ، ٢٢ ، ١٩/٦
- ٢٣٨ ، ٢٠٧ ، ١٩٥ ، ١٩١ ، ١٧٥ ، ١٧٤
- ٢٣٠ ، ١٥٦ ، ١١٢ ، ٨٦ ، ٧٧ ، ٥٧/٧
- ٢٢١ ، ٢١٤ ، ١٩١ ، ١٦٤ ، ١٣٢ ، ١١١ ، ٩٨ ، ٢٧/٨
- ١٥٤ ، ٢٦ ، ٣/٩
- ٥٨ ، ٣٤ ، ١٦ ، ١٥/١٠
- ١٦٨ ، ٨٣/١١
- ٢٣٥ ، ٢٠١ ، ١٥١ ، ١٢٩ ، ٤٩/١٢
- ١٩٥ ، ١٩٣/١٣
- ١٧٣ ، ١٥٣ ، ٩٧ ، ٧٥ ، ٤٢ ، ٣/١٤
- ١٩٩ ، ١٩٦ ، ١١١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٦٢ ، ٥٦ ، ٣٠ ، ٢٥/١٥
- ٢١٠
- ٢٢٠ ، ١٢٠ ، ١١٧ ، ١١٤ ، ٣٥/١٦
- ١٧٧ ، ٢١/١٧
- ١٤٨ ، ٨٠ ، ٦٧ ، ٢١/١٨

أما النماذج العلمية الأخرى الذي سبق الوعد باتيان طرف منها ،
فقد حان أوان انجازه ، ولكن يسبقه إشارة الى أن النماذج الآتية ، بعضها
هي ترجيحات واختيارات له في تلك العلوم ، اخترت التمثيل بها ، لأنها
تعد أبرز أرائه ، وأوثق معلوماته ، وأصدق في الدلالة على علوكعبه في العلوم .
ولما اختير ذلك ، وكان له في فقه الحديث اختيارات وترجيحات
كثيرة نافت على المائة ، أفردت الحديث عنها في باب مستقل ، سيأتي
— ان شاء الله تعالى — .

وكذا ما كان له من ذلك في علوم الحديث ، فأنني أفردته أيضا في باب
آخر ، لكونه أنسب لخطة الرسالة ، وأفضل من حيث جمع المعلومات
المتناسقة ، فاستحق التأخير ، أما ما عدا هذين الأمرين ، فأنني مورد من
ذلك ما شاء الله ، في الصفحات الآتية .

غير أنني أقدم من ذلك ماله علاقة بالكتاب وهو مدافعتة عن مسلم
— رحمه الله — . فيما استدرك عليه وعلى البخاري ، الامام الدارقطني
— رحمه الله — . لأن ذكر ذلك هنا أنسب وأولى .

قال في مقدمة شرح مسلم : فصل ، قد استدرك جماعة على البخاري ،
ومسلم ، أحاديث أخلا بشرطهما فيها ، ونزلت عن درجة ما التزاما ، وقد ألف
الامام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في بيان ذلك كتابه
المسمى " بالاستدراكات والتتبع " ^(١) وذلك في مائتي حديث ، مما في
الكتابين ، قال : ولأبي مسعود الدمشقي أيضا عليهما استدراك ، ولأبي علي

(١) هكذا وردت تسميته هنا ، وتسميته في طرّة الكتاب المطبوع بتحقيق مقبل
ابن هادي الوادعي " الالتزامات والتتبع " .

الفساني الجيانسي ، في كتابه تقييد المهمل في جزء العلل منه استدراك ،
أكثره على الرواة عنهما ، وفيه ما يلزمهما ، وقد أجيب عن كل ذلك ، أو أكثره ،
وستراه . في مواضعه ، ان شاء الله .

وعند استقراء تلك الاستدراكات ، يعلم أنه قد أجاب عن بعضها وسكت
عن البعض كالمقرر ، وأهمل بعضها آخر .

ومن صور اجاباته عنها قوله عند قول الدارقطني في حديث مسلم
الذي رواه من حديث عبد الله الأشجعي ، عن مالك بن مغول ، عن طلحة
ابن مصرف ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : (كنا
مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في مسير ، فنفت أزواد القوم حتى هم
بنحرب بعض حمائلهم) . الحديث . (١)

وفي الرواية الأخرى عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أو عن
أبي سعيد ، شك الأعمش قال : (لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ،
قالوا : يا رسول الله ، لو أذنت لنا فنحربنا نواضحنا فأكلنا وادھنا ، فقال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((افعلوا)) قال : فجاء عمر) . الحديث .

فقال الدارقطني في الأول بعد أن ذكر أنه عند مسلم من حديث
الأشجعي قال : تابعه مسروق عن أبيه ، عن مالك ، عن طلحة ، عن أبي صالح
مرسلا ، وأخرجه أيضا من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة

(١) تمامه ، فقال عمر : يا رسول الله ، لو جمعت ما بقى من أزواد القوم ،
فدعوت الله عليها ، قال : ففعل ، قال : فجاء ذو البربره ، وذو النمر
بتمره ، قال : وقال مجاهد : وذو النواة بنواه ، قلت : وما كانوا يصنعون
بالنوى ؟ قال : كانوا يعضونه ويشربون عليه الماء ، قال : فدعا
عليها ، قال : حتى ملأ القوم أزودتهم ، قال : فقال عند ذلك : أشهد
ان لا اله الا الله واني رسول الله ، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك
فيهما الا دخل الجنة . (مسلم بشرح النووي ١/ ٢٢١-٢٢٤) .

أو أبي سعيد ، واختلف فيه على الأعمش ، وقيل عن أبي صالح ، عن جابر —
أيضا ، وكان الأعمش يشك فيه ^(١) .

نقل النووى — رحمه الله — حاصل هذا الاستدراك ، ثم نقل عن
الشيخ أبي عمرو بن الصلاح قوله : هذان الاستدراكان من الدارقطني مع أكثر
استدراكاته على البخارى ومسلم ، قدح في أسانيدهما ، غير مخرج لمتون
الأحاديث من حيز الصحة ، وقد ذكر في هذا الحديث أبو مسعود ابراهيم
ابن محمد الدمشقي الحافظ فيما أجاب الدارقطني عن استدراكاته على مسلم
— رحمه الله — أن الأشجعي ثقة مجود ، فإذا جود ما قصر فيه غيره حكم
له به ، ومع ذلك ، فالحديث له أصل ثابت عن رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — برواية الأعمش له مسندا ، ورواية يزيد بن أبي عبيد
واياس بن سلمة بن الأكوع عن سلمة ، قال الشيخ : رواه البخارى عن سلمة عن
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وأما شك الأعمش ، فهو غير قادح في متن الحديث ، فإنه شك في عين
الصحابي الراوى له ، وذلك غير قادح ، لأن الصحابة — رضى الله عنهم —
كلهم عدول ، قال : هذا آخر كلام الشيخ أبي عمرو — رحمه الله — ^(٣)
ثم قال : قلت : وهذان الاستدراكان لا يستقيم واحد منهما ، أما الأول ،
فلأننا قدمنا في الفصول السابقة أن الحديث الذى رواه بعض الثقات موصولا
وبعضهم مرسلا ، فالصحيح الذى قاله الفقهاء ، وأصحاب الأصول والمحققون
من المحدثين ، أن الحكم لرواية الوصل سواء كان راويها أقل عددا من

(١) الالتزامات والتتبع ص ١٤١ — ١٤٢ .

(٢) في الشركة ٣ / ١٨٠ .

(٣) صيانة صحيح مسلم ص ١٧٧ .

رواية الارسال ، أو مساويا ، لأنها زيادة ثقة ، قال : فهذا موجود هنا ،
وهو كما قال الحافظ أبو مسعود الدمشقي جود وحفظ ما قصر فيه غيره .
وأما الثاني ، فلأنهم قالوا : اذا قال الراوى : حدثني فلان أو فلان ،
وهما ثقتان ، احتج به بلا خلاف ، لأن المقصود ، الرواية عن ثقة مسمى ،
وقد حصل ، قال : وهذه قاعدة ذكرها الخطيب البغدادي في الكفاية (١)
وذكرها غيره ، وهذا في غير الصحابة ، ففي الصحابة أولى ، فانهم كلهم
عدول ، فلا غرض في تعيين الراوى منهم (٢) والله أعلم .

(١) ص ٤١٤ ط دار الكتاب العربي الأولى .

(٢) شرح مسلم ٢٢١/١ - ٢٢٢ .

٢ - قال مسلم - رحمه الله - : حدثنا اسحاق بن ابراهيم ، وعبد بن حميد ،
 قالوا : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، ح ، وحدثنا اسحاق بن
 موسى الأنصارى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، ح ، وحدثنا
 محمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا ابن جريج جميعا عن
 الزهرى بهذا الاسناد . (١)

قال النووى - رحمه الله - :

هكذا وقع هذا الاسناد فى رواية الجلودى ، قال القاضي عياض : ولم يقع
 هذا الاسناد عند ابن مهران - يعنى رفيق الجلودى - قال القاضي : قال
 أبو مسعود الدمشقي : هذا ليس بمعروف عن الوليد بهذا الاسناد عن عطاء
 ابن يزيد عن عبيد الله ، قال : وفيه خلاف على الوليد ، وعلى الأوزاعي ،
 قال : وقد بين الدارقطني فى كتاب العلل الخلاف فيه ، وذكر أن الأوزاعي
 يرويه عن ابراهيم بن مرة ، واختلف عنه . فرواه أبو اسحاق الفزارى ، ومحمد
 ابن شعيب ، ومحمد بن حميد ، والوليد بن مزير عن الأوزاعي عن ابراهيم بن مرة ، عن
 الزهرى ، عن عبيد الله بن الخيار ، عن المقداد لم يذكروا فيه عطاء بن
 يزيد . واختلف عن الوليد بن مسلم ، فرواه الوليد القرشي عن الوليد
 الأوزاعي ، والليث بن سعد ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن الخيار ، عن
 المقداد لم يذكر فيه عطاء ، وأسقط ابراهيم بن مرة ، وخالفه عيسى بن مساور ،
 فرواه عن الوليد عن الأوزاعي ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن عبيد الله
 ابن الخيار ، عن المقداد ، لم يذكر فيه ابراهيم بن مرة ، وجعل مكان
 عطاء بن يزيد حميد بن عبد الرحمن ، ورواه الفريابي عن الأوزاعي عن ابراهيم

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٩٨ / ٢ ، والحديث هو سؤال المقداد

- رضى الله عنه - النبى - صلى الله عليه وسلم - عن رجل قاتله . . .

فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم - : ((لا تقتله)) . . . الحديث .

ابن مرة عن الزهرى مرسلا عن المقداد .

قال أبو علي الجبائي : الصحيح في اسناد هذا الحديث ، ما ذكره مسلم أولا من رواية الليث ، ومعمر ، ويونس ، وابن جريج ، وتابعهم صالح بن كيسان ، هذا آخر كلام القاضي عياض - رحمه الله - .

قال النووي - رحمه الله - : قلت : وحاصل هذا الخلاف والاضطراب إنما هو في رواية الوليد بن مسلم عن الأوزاعي ، وأما رواية الليث ومعمر ويونس وابن جريج ، فلا شك في صحتها ، وهذه الروايات هي المستقلة بالعمل وعليها الاعتماد ، وأما رواية الأوزاعي ، فذكرها متبعة ، وقد تقرر عندهم أن المتابعات يحتمل فيها ما فيه نوع ضعف ، لكونها لا اعتماد عليها ، وإنما هي لمجرد الاستئناس . فالحاصل ، أن هذا الاضطراب الذي في رواية الوليد عن الأوزاعي لا يقدح في صحة أصل هذا الحديث ، فلا خلاف في صحته ، قال : وقد قدما أن أكثر استدراكات الدارقطني من هذا النحو ، ولا يؤثر ذلك في صحة المتن ، وقدما أيضا في الفصول ، اعتذار مسلم - رحمه الله - عن نحو هذا بأنه ليس الاعتماد عليه . والله أعلم . (١)

٣ - وروى مسلم في صحيحه أيضا ، من حديث إسحاق بن منصور ، حدثنا
 حبان بن هلال ، حدثنا أبان ، حدثنا يحيى ، أن زيدا حدثه ،
 أن أبا سلام حدثه ، عن أبي مالك الأشعرى ، قال : قال رسول الله
 - صلى الله عليه وسلم - : ((الطهور شرط الايمان والحمد لله تملأ
 الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ أو تملأ ما بين السموات
 والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن
 حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها)) (١)

قال النووي - رحمه الله - :

هذا الحديث مما تكلم فيه الدارقطني (٢) وغيره ، فقالوا : سقط فيه
 رجل بين أبي سلام وأبي مالك ، قال : والساقط عبد الرحمن بن غنم ، قالوا :
 والدليل على سقوطه ، أن معاوية بن سلام ، رواه عن أخيه زيد بن سلام ،
 عن جده أبي سلام ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن أبي مالك الأشعرى ،
 وهكذا أخرجه النسائي وابن ماجه (٣) وغيرهما (٤)

قال : ويمكن أن يجاب لمسلم عن هذا ، بأن الظاهر من حال مسلم ، أنه
 علم سماع أبي سلام لهذا الحديث من أبي مالك ، فيكون أبو سلام سمعه من
 أبي مالك ، وسمعه أيضا من عبد الرحمن بن غنم ، عن أبي مالك ، فرواه مرة
 عنه ، ومرة عن عبد الرحمن ، قال : وكيف كان ، فالمتن صحيح لا مطعن فيه
 والله أعلم .

فهذه نماذج لأجاباته عن استدراك الدارقطني ، وهى كثيرة وستأتى

الإشارة الى مواطنها .

(١) مسلم بشرح النووي ٩٩/٣

(٢) الالتزامات والتتبع ص ١٦١

(٣) ١٠٢/١ بلفظ الوضوء شرط الايمان

(٤) أحمد في المسند ٣٤٢/٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤

وأما ما سكت عنه :

١ - فمضه ما أورده الدارقطني على حديث مسلم الذي يرويه من حديث قتيبة بن سعيد ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب واللفظ لقتيبة
وأبي بكر . قالوا : حدثنا وكيع عن سفيان ، عن أبي النضر ، عن أبي أنس
أن عثمان توضأ بالمقاعد فقال : ألا أريكم وضوء رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — ثم توضأ ثلاثا ثلاثا . (١)

قال النووي — رحمه الله — :

هذا الاسناد من جملة ما استدركه الدارقطني وغيره .

ثم نقل عن أبي علي الفسائي الجبائي قوله :

مذكور أن وكيع بن الجراح وهم في اسناد هذا الحديث في قوله عن أبي أنس ،
وأما يرويه أبو النضر عن بشر بن سعيد عن عثمان بن عفان ، روي هذا عن
أحمد بن حنبل وغيره ، قال : وهكذا قال الدارقطني (٢) : هذا مما وهم فيه
وكيع بن الجراح على الثوري .

وقد خالفه أصحاب الثوري الحفاظ ، منهم عبيد الله الأشجعي ، وعبد الله
ابن الوليد ، ويزيد بن أبي حكيم العدناني ، والفريابي ، ومعاوية بن هشام ،
وأبو حذيفة وغيرهم . فرووه عن الثوري عن أبي النضر عن بشر بن سعيد ، عن
عثمان ، وهو الصواب . قال : هذا آخر كلام أبي علي .

(١) مسلم بشرح النووي ١١٣/٣ .

(٢) الالتزامات والتتبع ص ٣١٢ ، وانظر الحاشية في ص ٢٢٩ — ٢٨١ منه .

٢ - ومنه ما رواه مسلم من حديث عبد بن حميد ، أخبرنا عبيد الله بن موسى ،
حدثنا اسراييل عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس
- رضي الله عنهما - قال : كان مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
رجل فوقصته ناقته ، فمات ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - :
((اغسلوه ولا تقربوه طيبا ولا تغطوا وجهه فإنه يبعث يلبي))^(١) .

قال النووي - رحمه الله - :

^(٢) قال القاضي عياشي : هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم .
وقال : إنما سمعه منصور ، من الحكم ، وكذا أخرجه البخاري عن منصور عن
الحكم عن سعيد . وهو الصواب ، وقيل عن منصور عن سلمة ولا يصح .
والله أعلم .

(١) مسلم ١٣٠/٨ مع النووي .

(٢) الالتزامات والتتبع ص ٣٣٨ .

٣ - ومنه ما رواه مسلم من حديث محمد بن عباد ، حدثنا عبد العزيز بن محمد

عن حميد عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال : ان لم يثمرها الله فيم يستحل أحدكم مال أخيه . (١)

فقال النووي - رحمه الله - :

قال الدارقطني (٢) : هذا وهم من محمد بن عباد أو من عبد العزيز في

حال إسماعه محمدا ، لأن إبراهيم بن حمزة سمعه من عبد العزيز مفصّـولا ،

مبيناً أنه من كلام أنس ، وهو الصواب ، وليس من كلام النبي -

- صلى الله عليه وسلم - ، فأسقط محمد بن عباد كلام النبي -

- صلى الله عليه وسلم - وأتى بكلام أنس وجعله مرفوعا . وهو خطأ .

(١) مسلم بشرح النووي ٢١٢/١٠ ، والحديث وارد في بيع الثمار .

(٢) الإلزامات والتتبع ص ٣٦١ .

وأما ما أهمل ذكره فمنه :

- ١ - ما أخرجه مسلم من حديث محمد بن عبد الله بن نمير ، حدثنا أبو أسامة ، عن حبيب بن الشهيد ، قال : سمعت عطاء يحدث عن أبي هريرة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لا صلاة إلا بقراءة ، قال أبو هريرة : فما أعلن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعلناء لكم ، وما أخفاه أخفيناه لكم .^(١)
- قال الدارقطني في التتبع^(٢) : لم يرفع أوله إلا أبو أسامة ، وخالفه يحيى القطان ، وسعيد بن أبي عروبة ، وأبو عبيدة الحداد .
- وغيرهم روه عن حبيب بن الشهيد ، عن عطاء ، عن أبي هريرة قال : في كل صلاة قراءة ، فما أسمعناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسمعناكم . جعلوا أول الحديث من قول أبي هريرة . وهو الصواب ، قال : وكذلك رواه قتادة ، وأيوب ، وحبيب بن المعلم ، وابن جريج .

(١) ١٠٤/٤ بفتح النوى .

(٢) ص ١٤٣ برقم (٢٠) .

٢ - ما أخرجه من حديث أبي بكر بن أبي شيبة ، وإسحاق بن إبراهيم واللفظ لأبي بكر ، قال إسحاق : أخبرنا وقال أبو بكر : حدثنا زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث النجرائي ، قال : حدثني جندب قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يموت بخمس وهو يقول : ((أنتي أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من آمتي خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ،^(١) أنتي أنهاكم عن ذلك .^(٢)

قال الدارقطني في التتبع : بعد أن ذكره عند مسلم من حديث زكريا بن عدي . الخ . قال : خالفه أبو عبد الرحيم ، قال فيه ، عن حميد النجرائي ، عن حريث ، رجل مجهول ، قال : والحديث صحيح من رواية ابن سعيد وابن مسعود . أهـ

(١) مسلم بشرح النووي ١٣/٥ .

(٢) ص ١٢٩ برقم ٥٦ .

٣ - ما أخرجه مسلم متابعة ^(١) من حديث القاسم بن زكريا ، حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن اسماعيل ، عن محمد بن سعد ، عن أبيه —
 - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((الشهر هكذا ، وهكذا ، وهكذا ، عشرا ، وعشرا ، وتسعا مرة .
 قال الدارقطني في التتبع : ^(٢) بعد حكايته عن مسلم من حديث اسماعيل قال :
 وأرسله يحيى ووكيع عن اسماعيل .

فهذه صورة واضحة لمضافته عما تلقت الأمة بالقبول من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن خلالها تعلم الطريقة التي سلكها خذآء تلك الانتقادات .

ومجمل طريقته تلك أنه قسم استدراكات الدارقطني الى ثلاثة أقسام :
 قسم رأى فيه أن الانتقادات تلك ليست وجيهة ، فحاول أن يدفعها ، وكان له في دفعها طريقتان : الأولى تكاد أن تكون عامة ، وهي اعادة تلك الانتقادات الى مباحث تعارض الوصل والارسال والرفع والوقف وزيادة الثقات ، ورأيه في هذه الثلاث المسائل ، هو تقديم الوصل والرفع ، على الارسال والوقف ، بناء على ما يراه من أن الواصل والرافع معهما زيادة علم ، اذا كانا ثقتين كما هو الحال في رجال مسلم ، فهي زيادة ثقة ، وزيادة الثقة عنده مقبولة مطلقا كما يراه جمهور الأصوليين والفقهاء ، وسيأتي بحث هذه المسألة في مسائل علوم الحديث - ان شاء الله تعالى .

وأما الطريقة الثانية - في هذا القسم : وهي أقل من الأولى ، وهي طريقة النظر الى المتن ، فإنه قد يرى أن المتن صحيح بمجيئه من طريق أو طرق أخرى صحيحة أخرجهما مسلم في الأصول ، وأخرجه في المتابعات من الطرق التي فيها

(١) في الصيام ١٩٧/٧ .

(٢) ص ١٩٣ برقم ٦٣ .

مقال ليشير الى كثرة طرقه بعد معرفة صحته ، فيرى النووي - رحمه الله -
 أن تلك الانتقادات لا تتجه ، لأنه يفتقر في المتابعات ما لا يغتفر في الأصول ، لأن
 المتابعات ، إنما هي للتأكيد على الأصول ، أو هي للتبويه على فائدة لم ترد في
 الأصول ، وهذا ما أفاده في النموذج الثاني بأن أكثر استدراكات الدارقطني
 من هذا النحو ، لا سيما وأن النووي - رحمه الله - قد أجاب نقلاً عن ابن
 الصلاح عن الرواة المتكلم فيهم عند مسلم بثلاثة أجوبة :

١ - أن يكون ذلك فيمن هو ثقة عنده ضعيف عند غيره ، ولم يثبت عنده مقتضى لضعفه .

٢ - أن يكون ذلك واقعا في المتابعات والشواهد لافي الأصول .

٣ - أن يكون ضعف الضعيف الذي احتج به طراً بعد أخذه عنه فهو غير قاض فيما رواه قبله .^(١)

على أن هناك اجابات أخرى قد تخرج عن هذين الطريقتين ، وهى ما مثلت لها بالانموذج الثالث .

ولا استقصاء اجاباته تنظر تحت هذه الأرقام ١/٢٤٧٤/٢٠٥١٠٥٣/٢٠١٤

6 181 6 78 6 01 6 29/7 6 90 6 01/0 6 200 6 191 6 109/8

6 181 6 113/11 6 83/10 6 174 6 109 6 37/9 6 72 6 80/7

6 23 / 18 6 149 6 177 / 14 6 22 6 40 / 14 6 42 / 12 6 18. 6 172

• 177 6 2Y

القسم الثاني حكى فيه الانتقاد ولم يعقب عليه كالمقر له ، ولعل ذلك

لما يراه من وجهة الانتقاد ، وهو ما أشار إليه في المقدمة وتقدم نقله بأن فيه

— أى الانتقاد — ما يلزمهما ، كما في الحديث الأول ، فإن الامم

(١) مقدمة شرح مسلم ص ٢٤ - ٢٥ ، وانظر صيانة صحيح مسلم ص ٩٤ - ٩٩ .

مسلم - رحمه الله - قد رواه متابعة من حديث أبي النضر ، عن أبي أنس عن عثمان ،
ووهم هذه الرواية الدارقطني ، وصوب رواية من روى الحديث من طريق بشر
ابن سعيد عن عثمان ، وقال ما تقدم حكايته عنه .

وأخرجه من الطريق التي رجحها ، الامام أحمد في المسند ^(١) ، والبيهقي
في السنن ^(٢) . غير أن أبا زرعة وأبا حاتم رجحا الطريق الأخرى التي أخرجها
منه مسلم ، وهى طريق أبي النضر عن أبي أنس عن عثمان ، وحكاه على الطريق
التي رجحها الدارقطني بالوهم ^(٣) .

فلعل الامام النووي اطلع على اختلافهم في ذلك ، فرأى أن انتقـاـد
الدارقطني وجيه ، لاسيما وأنه قد جمع طرق الحديث في العلل وفي التتبع ،
وبين أن الذين روه من حديث بشر ، أكثر عدداً ، وأن الذين روه من حديث
أبي النضر ، أقل ، ثم هم مختلفون في وصله وإرساله ، فيزيد بن أبي حبيب يرويه
مرسلاً عن عثمان ، ووکیع بن الجراح ، وأبو أحمد الزبيرى يرويان موصلاً .

والحديث الثاني ، رأى النووي فيه وجهة التعقب في حكم الدارقطني
على إسرائيل بالوهم ، لأنه قد خالفه الثقات مثل جرير كما عند البخارى ^(٤) .
فإنه رواه عن منصور عن الحكم عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس ، وشيخان كما
عند الامام أحمد ^(٥) ، رواه كذلك عن منصور ، عن الحكم ، وعبيدة بن حميد ،

(١) ٦٢ / ١ .

(٢) ٢٩ / ١ .

(٣) انظر العلل لأبي حاتم ٥٥ / ١ - ٥٦ ، والعلل للدارقطني ١٧ / ٣ - ١٩ ،

والالزامات والتتبع ص ٢٢٩ - ٢٨١ ، ص ٣١٢ .

(٤) في الحج - باب ما ينهى من الطيب للمحرم ١٩ / ٣ .

(٥) في المسند ٢٦٦ / ١ .

كما عند ابن الجارود ^(١) ، رواه كذلك عن منصور عن الحكم ، وهو الذي رجحه البيهقي في السنن ^(٢) ، حيث قال في الطريق المنتقدة : هو وهم من بعض رواته في الاسناد والمتن جميعا ، قال : والصحيح ما أخبرناه أبو عبد الله الحافظ ، ثم ذكر بسنده من حديث جرير ، عن منصور ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : وقصت برجل محرم ناقته فقتلته ، فاتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ((اغسلوه وكفّوه ولا تغطوا رأسه ولا تقربوه طيبا فانه يبعث يهمل)) ، ثم قال : هذا هو الصحيح ، منصور عن الحكم عن سعيد ، وفي متنه ((ولا تغطوا رأسه)) ، قال : ورواية الجماعة في الرأس وحده ، وذكر الوجه فيه غريب .

فلعل النووي - رحمه الله - اطلع على كلام هؤلاء الأئمة وغيرهم فيه ، فترجح لديه ، ورأى أن الامام مسلما - رحمه الله - إنما رواه متبعة لبيتين علمته وكان القاضي عياض - رحمه الله - قد سكت على هذا التعقب أيضا .

والحديث الثالث ، هو أيضا مما رأى فيه النووي - رحمه الله - وجاهة الانتقاد ، فسكت عنه ، ويدعم ذلك أيضا ، أن أبا زرعة وأبا حاتم ، قد وافقا الدارقطني في انتقاده ذاك ، فروى ابن أبي حاتم في العلل ^(٣) . قال : سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه محمد بن عهاد ، عن عبد العزيز الدراوردي ، عن حميد ، عن أنس . وذكر الحديث ، فقالا : هذا خطأ ، إنما هو كلام أنس ، قال أبو زرعة : كذا يرويه الدراوردي ومالك بن أنس مرفوعا ، والناس يروونه موقوفًا من كلام أنس .

(١) ص ١٢٤ رقم ٥٠٧

(٢) السنن ٣/٣٩٣ .

(٣) ١/٣٧٨ .

فهذا القسم كان سكوت النووى - رحمه الله - عليه اقرارا وموافقة على تلك
الانتقادات ، على أنها لاتمس مكانة الصحيح ، فان الامام مسلماً
- رحمه الله - إنما رواها متابعة ، وقد ذكر في المقدمة الاجابة الشافية عن
ذلك وتقدم ذكرها .

وللوقوف على بقية الأحاديث التي سكت عنها ، تنظر الأرقام التالية من
شرح مسلم : ٢٢٥ / ١٠ ، ٢٢٢ / ١١ ، ٢٣٧ ، ١٢٨ / ١٣ ، ١٢٠ / ١٤ ، ٢٢ / ١٥ ، ١٠٨ ، ١٨٥ ، ١٦٦ / ١٥ .

وأما القسم الثالث ، وهو ما أهمل ذكره ، فإنه لا يخرج عن نهجه
الذى سلكه في الاجابات ، وقد تقدمت الاشارة اليه .

فالحديث الأول مثلاً ، يجيب عن مثله عادة بأنه زيادة ثقة
(١) لأن أبا أسامة وهو حماد بن أسامة القرشي مولا هم ، ثقة ثبت ، ربما دلس ،
فاذا رفع ما لم يرفعه غيره ، كان من قسم زيادة الثقات عنده ، وقد علم أنه
يقبلها مطلقاً ، فلعل سكوته عن الاجابة عن مثل هذا الحديث ، اتكالا على
ما تقدم له من النظائر .

والحديث الثاني ، يجيب عن مثله بما تقدمت الاشارة اليه ، من نظره
الى المتن ، فاذا رأى المتن صحيحاً من طريق غير الطرق المنتقدة ، لم يلتفت
الى الطريق المنتقدة لقبول مثلها في المتابعات ، أو لما ذكره في المقدمة ،
من احتمال أنه لم يصرح جرح راويه عند مسلم ، لاسيما وأن الدارقطني هنا قد
اشار الى تصحيح الحديث ، فلعله أغفل ذكر ذلك التعقب لمعرفة جوابه
مما تقدم له من نظائر .

والحديث الثالث : هو أيضاً من النوع الذى يجيب عنه دائماً بتقديم
الوصل على الارسال ، فترك الاجابة عنه لما هو معلوم . والله اعلم .

وأما حلّه للاشكالات المحدثة من حيث المعاني أو من حيث تعارض الروايات :

فقد كانت له اليد الطولى في رفعها في هذا الكتاب ، بل وفي سائر كتبه ،
عند شوره على شيء من ذلك .

وهاك نماذج على ذلك من هذا الكتاب .

١ - فمن ذلك ، حديث سهوه - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة وكلامه في
ذلك قبل أن يعود إلى الصلاة .

روى الامام مسلم - رحمه الله - بسنده إلى عبد الله بن مسعود -
رضي الله عنه - قال : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمسا ،
فقلنا : يا رسول الله ، أزيد في الصلاة ؟ قال : ((وما ذاك ؟)) قالوا : صليت
خمسا ، قال : ((انما أنا بشر مثلكم ، أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون)) ،
ثم سجد سجدة السهو .

وروى بسنده إليه أيضا قال : - صلى الله عليه وسلم - فزاد أو نقص ،
قال ابراهيم : والوهم مني ، فقليل يا رسول الله ، أزيد في الصلاة شيء ؟
(١)

فقال : ((انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فاذا أنسى أحدكم سجدة سجدتين
وهو جالس)) ، ثم تحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسجد سجدة .
(٢)

قال النووي - رحمه الله - : هذا الحديث مما يستشكل ظاهره ، لأن ظاهره
أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لهم هذا الكلام ، بعد أن ذكر أنه زاد
أو نقص ، قبل أن يسجد للسهو ، ثم بعد أن قاله سجد للسهو ، ومتى ذكر
ذلك ، فالحكم أنه يسجد ولا يتكلم ولا يأتي بمناف للصلاة .

قال : ويجاب عن هذا الاشكال بثلاثة أجوبة :

(١) الراوى عن علقمة هذا الحديث .

(٢) صحيح مسلم ٦٦/٥ بشرح النووي .

أحدها :

أن " ثم " هنا ليست لحقيقة الترتيب ، وإنما هي لعطف جملة على جملة ، وليس معناها ، أن التحول والسجود كانا بعد الكلام ، بل إنما كانا قبله ، ومما يؤيد هذا التأويل ، أنه قد سبق في أول هذا الباب ، في أول طرق حديث ابن مسعود - رضى الله عنه - بهذا الاسناد قال : صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فزاد أو نقص ، فلما سلم قيل له : يا رسول الله ، أحدث في الصلاة شيء ، قال : ((وماذا ؟)) ، قالوا : صليت كذا وكذا ، فثنى رجله واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : ((أنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به ، ولكن إنما أنا بشر)) . أنسى كما تتسبون ، فإذا نسيت فذكروني ، وإذا شك أحدكم في صلاته ، فليتحرر الصواب ، فليتم عليه ، ثم ليسجد سجدتين)) .

قال : فهذه الرواية صريحة في أن التحول والسجود قبل الكلام ، فتحمل الثانية عليها جمعا بين الروایتين ، وحمل الثانية على الأولى ، أولى من عكسه ، لأن الأولى على وفق القواعد .

الجواب الثاني :

أن يكون هذا قبل تحريم الكلام في الصلاة .

الثالث :

أنه وإن تكلم عامدا بعد السلام ، لا يفسره ذلك ، ويسجد بعده للسهم ، قال : وهذا على أحد الوجهين لأصحابنا ، أنه إذا سجد ، لا يكون بالسجود عائد إلى الصلاة ، حتى لو أحدث فيه لا تبطل صلاته ، بل قد مضت على الصحة ، والوجه الثاني ، وهو الأصح عند أصحابنا ، أنه يكون عائدا ، وتبطل صلاته بالحدث والكلام ، وسائر المنافيات للصلاة ، والله أعلم .
(١)

٢- روى مسلم عن أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)) (١) .
قال الامام النووي :

هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه ، فالقول الصحيح الذى قاله المحققون : أن معناه : لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الايمان ، قال : وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ، ويراد نفي كماله ومختاراه ، كما يقال : لا علم الا مانع ، ولا مال الا ابل ، ولا عيش الا عيش الآخرة ، قال : وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره : ((من قال لا اله الا الله دخل الجنة ، وان زنى وان سرق)) (٢) ، وحديث عبادة بن الصامت ، الصحيح المشهور أنهم بايعوه - صلى الله عليه وسلم - على أن لا يسرقوا ولا يزناوا ، ولا يعصوا ، الخ . ثم قال لهم - صلى الله عليه وسلم - : ((فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن فعل شيئا من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارتاه ، ومن فعل ولم يعاقب فهو الى الله تعالى ، ان شاء عفى عنه ، وان شاء عذبه)) (٣) ، قال : فهذان الحديثان مع نظائرها في الصحيح مع قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤) مع اجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب

(١) صحيح مسلم ٤١/٢ بشرح النووي .

(٢) أخرجه البخارى في الجنايز ٨٩/٢ ، ومسلم في الايمان ٩٤/٢ بشرح

النووى .

(٣) أخرجه البخارى في الايمان ١٢/١ ، ومسلم في الحدود ٢٢٢/١١ ،

بشرح النووي .

(٤) سورة النساء آية ٤٨ .

الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك ، بل هم مؤمنون ناقصو الايمان ، ان تابوا سقطت عقوبتهم وان ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة ، فان شاء الله تعالى عفا عنهم ، وأدخلهم الجنة أولاً ، وان شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة ، قال : وكل هذه الأدلة تضطرننا الى تأويل هذا الحديث وشبهه .

قال : ثم ان هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة ، يستعمل فيها كثير .

واذا ورد حديثان مختلفان ظاهراً وجب الجمع بينهما ، وقد ورد هنا

فيجب الجمع وقد جمعنا^(١) أ هـ ، ثم حكى أقوالاً أخرى في معناه قال انتهى

محتملة ، ثم قال : وقيل في معناه غير ما ذكرته مما ليس بظاهر بل بعضها

غلط فتركها ، قال : والصحيح في معنى الحديث ما قدمناه^(٢) .

(١) شرح مسلم ٤١/٢ .

(٢) وانظر الأقوال في معنى هذا الحديث في فتح الباري ١٩٥-١٩٠/٢٥

ط ك ، اضافة الى شرح مسلم للنووي ٤٢/٢ .

٣ - وفي حديث عبد الله بن الزبير عن أبيه - رضى الله عنهما - في صفة جلوس النبي - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذا قعد في الصلاة ، جعل قدمه اليسرى بين فخذيه وساقه ، وفرش قدمه اليمنى ، ووضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ، ووضع يده اليمنى على فخذيه اليمنى ، وأشار بأصبعه . (١)

قال النووي - رحمه الله - بعد أن اشار الى الروايات كلها في الباب : هذا الذى ذكره من صفة القعود هو التورك ، لكن قوله : وفرش قدمه اليمنى ، مشكل ، لأن السنة في القدم اليمنى ، أن تكون منصوبة باتفاق العلماء ، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على ذلك في صحيح البخارى وغيره ، قال القاضي عياض - رضى الله عنه - : قال الفقيه أبو محمد الخشنى : صوابه ، وفرش قدمه اليسرى ، ثم أنكر القاضي قوله ، لأنه قد ذكر في هذه الرواية ما يفعل باليسرى ، وأنه جعلها بين فخذيه وساقه ، قال : ولعل صوابه ، ونصب قدمه اليمنى ، قال : وقد تكون الرواية صحيحة في اليمنى ، ويكون معنى فرشها أنه لم ينصبها على أطراف أصابعه في هذه المرة ، ولا فتح أصابعها كما كان يفعل في غالب الأحوال ، قال : هذا كلام القاضي ، وهذا التأويل الأخير الذى ذكره هو المختار ، ويكون فعل هذا لبيان الجواز ، وأن وضع أطراف الأصابع على الأرض ، وإن كان مستحباً ، يجوز تركه . قال : وهذا التأويل له نظائر كثيرة ، لاسيما في باب الصلاة ، وهو أولى من تغليب رواية ثابتة في الصحيح ، واتفق عليها جميع نسخ مسلم . (٢)

(١) مسلم بشرح النووي ٧٩/٥ .

(٢) شرح مسلم ٨٠/٥ .

٤ - وفي حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة - رضي الله عنه -
 حدّثهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((من صام رمضان
 إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)) (١)
 قال - رحمه الله - :

هذا مع الحديث المتقدم ، من قام رمضان ، قد يقال : أن أحدهما
 يغني عن الآخر .

وجوابه : أن يقال : قيام رمضان من غير موافقة ليلة القدر ومعرفتها ، سبب
 لغفران الذنوب ، وقيام ليلة القدر لمن وافقها وعرفها ، سبب للغفران وإن لم يقم
 غيرها . (٢)

فهذه صورة لجهد في هذا السبيل ، وهناك صور أخرى في هذا
 الكتاب يهتدى إليها من خلال هذه الأرقام : ٤٦/٢ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ٦٤/٦ ، ٢١٥ ،
 ٢١٧ ، ١٢٤/٧ ، ٢٢/١١ ، ٢١٢ ، ٧٢/١٨ ، ٨٠ ، ١٤٩ .
 وفي شرح المذهب ٣٥١/٣ ، ٥٠٥ ، ٣٨/٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٤٥ ،
 ٢٦١ ، ٤٦/٥ ، ٤٨/٦ ، ١٥٩/٧ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ٢٥١ ، ٢٨٩ ، ٣٢٦ ،
 ٣٢٧ ، ١١٩/٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤٠/٦ .

(٢) شرح مسلم ٤١/٦ .

دقة معرفته بدلالات الألفاظ الحديثية :

استباط الأحكام الشرعية من الأدلة ، غير يسير على كل أحد ، إذ أن ملكة الاستباط لا تحصل إلا لمن تبحر في العلوم وأتقن الفنون ، فعندئذ يكتشف الأحكام الشرعية من الأدلة القرآنية والنبوية والقياسية ، ولذلك كان كثير من المحدثين المعتمدين بالحفظ فقط ، يلجئون إلى الفقهاء ، يسألونهم عن الأحكام ومواطن الاستدلال . (١)

ولما كان الإمام النووي ممن جمع بين الفقه والحديث ، وكانت ملكته في الاستباط كاملة ، ومعرفته لمواطن الدلالات محكمة ، عني كثيرا بتبيين المستفادات الحديثية من الأحكام والآداب الشرعية ، وبتعقب من يستدل في غير موضع الدليل .

أما تبيينه للمستفادات الحديثية ، فكثيرة بحيث تغني كثرتها عن التمثيل لها .

وأما تعقبه على من استدل من الحديث على أمر لا دلالة فيه ، فإنه وإن كان كثيرا ، إلا أنه لتباعد مواطنه يصعب تتبعه ، وتيسير البيان أذكر بعض الأمثلة على ذلك :

فمن ذلك حديث المسيء وضوءه الذي رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رجلا توضأ ، فترك موضع ظفر على قدمه ، فأبصره النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : ((ارجع فاحسن وضوءك)) ، فرجع ثم صلى . (٢)

(١) كما قال الشعبي : أنا لسنا بالفقهاء ، ولكننا سمعنا الحديث فروينا ،

الفقيه من إذا علم عمل ، أ هـ . تذكرة الحفاظ ١ / ٨٥ .

وانظر الفقيه والمتفقه ٢ / ٨٢ - ٨٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ١٣١ .

فقال النووي - رحمه الله - بعد أن ذكر المسائل التي دل عليها الحديث قال :
 واستدل القاضي عياض - رحمه الله - وغيره بهذا الحديث على وجوب
 الموالاة في الوضوء ، لقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((أحسن وضوءك)) ، ولم
 يقل : أغسل الموضع الذي تركته ، قال : وهذا الاستدلال ضعيف أو باطل ،
 فإن قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((أحسن وضوءك)) محتمل للتتميم
 والاستئناف ، وليس حملة على أحدهما أولى من الآخر . والله أعلم .^(١)

وفي قصة رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته يركبون البحر كالمطوك
 على الأسرة ، وسؤال أم حرام - رضي الله عنها - النبي -
 - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو الله ليجعلها منهم ، وقول النبي -
 - صلى الله عليه وسلم - لها : ((أنت منهم)) ، وحدوث ذلك لها فعلا ،
 وموتها فيه^(٢) ، يقول رحمه الله - بعد شرح الحديث : استدل بعض
 العلماء بهذا الحديث على أن القتال في سبيل الله تعالى والموت فيه سواء
 في الأجر ، لأن أم حرام ماتت ولم تقتل ، قال : ولادلالة فيه لذلك ، لأنه
 - صلى الله عليه وسلم - لم يقل : أنهم شهداء ، إنما قال : ((يغزون في
 سبيل الله)) .

قال : ولكن قد ذكر مسلم في الحديث الذي بعد هذا بقليل ، حديث زهير^(٣)
 ابن حرب ، من رواية أبي هريرة : ((من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن
 مات في سبيل الله فهو شهيد)) ، قال : وهو موافق لمعنى قول الله تعالى :
 * ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره
 على الله *^(٤) .

(١) شرح مسلم ١٣٢/٣ .

(٢) رواه مسلم ٥٢/١٣ بشرح النووي .

(٣) ٦٢/١٣ .

(٤) شرح مسلم ٦٠/١٣ ، والآية في سورة النساء رقم ١٠٠ .

وفي حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - أن رسول الله -
 - صلى الله عليه وسلم - قال له : ((فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف
 (١) والرابع للشيطان)) .

يقول - رحمه الله - بعد أن بين معنى الحديث :
 واستدل بعضهم بهذا على أنه لا يلزمه النوم مع امرأته وأن له الانفرد
 عنها بفراش ، قال : والاستدلال به في هذا ضعيف ، لأن المراد بهذا ، وقت
 الحاجة ، كالعرض وغيره كما ذكرنا ، وإن كان النوم مع الزوجة ليس واجبا ، لكنه
 (٢) بدليل آخر .

فهذه قطوف استدلالية على دقة استنباطاته وقوة مدركه في استنباط
 الأدلة وتحديد مواضع الاستدلال من غيرها ، وهناك أمثلة كثيرة تعرف في الأجزاء
 والصفحات المشار إليها بهذه الأرقام : ١٣٣/٥ ، ٢٣٣ ، ١٤٢/٦ ، ١٦٤ ،
 ١٨١ ، ١٦٧/٧ ، ٢٣١ ، ١٤٧/٨ ، ١٣/١١ ، ٢٣ ، ٨/١٢ .

-
- (١) رواه مسلم ٥٩/١٤ بشرح النووي .
 (٢) شرح مسلم ٦٠/١٤ ، ثم بين حكم النوم مع الزوجة ، فقال : والصواب في
 النوم مع الزوجة ، أنه إذا لم يكن لواحد منهما عذر في الانفرد ،
 فاجتماعهما في فراش واحد أفضل ، وهو ظاهر فعل رسول الله -
 - صلى الله عليه وسلم - الذي واظب عليه مع مواظبته - صلى الله عليه وسلم -
 على قيام الليل ، فينام معها ، فإذا أراد القيام لوظيفته ، قام وتركها
 فيجمع بين وظيفته وقضاء حقها المندوب ، وعشرتها بالمعروف ، لاسيما
 أن عرف من حالها حرصها على هذا . قال : ثم إنه لا يلزم من النوم معها
 الجماع . والله أعلم .

لم يكن الامام النووي ، الورع ، سيؤهل نفسه لشرح هذا الكتاب مع معرفته
بغزير علمه وكثير خباياه ، لولا أنه يرى من نفسه كامل الأهلية لذلك .

فلذا أقدم على شرحه وهو يعلم أسرار ولطائفه ، وكثرة فوائده وعظيم
عوائده . حتى قال في مقدمة هذا الشرح : ^(١) لولا ضعف الهم وقلة الراغبين وخوف
عدم انتشار الكتاب لقلة الطالبين للمطولات لبسطته ، فبلغت به ما يزيد
على مائة من المجلدات من غير تكرار ولا زيادات عاطلات ، بل ذلك لكثرة
فوائده وعظيم عوائده الخفيات والبارزات .

ولذلك أولى هذا الجانب عنايته ، فنقب عن مخدرات الفوائد وأنسى
منها بالشارد والوارد .

ولبيان ذلك ، أذكر طرفا من تلك اللطائف ليعلم جهده في هذا السبيل :

فاصغ الى قوله عند قول مسلم - رحمه الله - : حدثني أبو خيثمة زهير
ابن حرب ، حدثنا وكيع ، عن كهس ، عن عبد الله بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر ،
ح ، وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري ، وهذا حديثه ، حدثنا أبي ، حدثنا
كهس ، عن ابن بريدة ، عن يحيى بن يعمر ، قال : كان أول من قال بالقدر
بالبصرة معبد الجهني . الحديث . ^(٢)

فقال النووي - رحمه الله - :

اعلم أن مسلما - رحمه الله - سلك في هذا الكتاب طريقة في الاتقان
والاحتياط والتدقيق والتحقيق ، مع الاختصار البليغ والايجاز التام ، في نهاية
من الحسن مصرحة بغزارة علومه ، ودقة نظره وحقه ، وذلك يظهر في

الاسناد تارة ، وفي المتن تارة ، وفيهما تارة ، فينبغي للناظر في كتابه أن يتتبع لما ذكرته ، فانه يجد عجائب من النفائس والدقائق ، تقر بأحاديث أفرادها عينه ، وينشرح لها صدره ، وتتشطه بالانشغال بهذا العلم ، واعلم أنه لا يعلم أحد شارك مسلما في هذه النفائس التي يشير اليها من دقيق علم الاسناد ، وكتاب البخاري ، وان كان أصح وأجل ، وأكثر فوائد في الأحكام والمعاني ، فكتاب مسلم يمتاز بزوائد من صنعة الاسناد ، قال : وسترى مما أنبه على ذلك ، مما ينشرح له صدرك ، ويزداد به الكتاب ومصفه في قلبك جلالة - ان شاء الله تعالى .

قال : فاذا تقرر ما قلته ، ففي هذه الأحرف التي ذكرها من الاسناد أنواع مما ذكرته ، فمن ذلك أنه قال أولا : حدثني أبو خيثمة ، ثم قال في الطريق الآخر : وحدثنا عبيد الله بن معاذ ، ففرق بين حدثي وحدثنا ، قال : وهذا تنبيه على القاعدة المعروفة عند أهل الصنعة ، وهي أنه يقول فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ : حدثني ، وفيما سمعه مع غيره من لفظ الشيخ : حدثنا ، وفيما قرأه وحده على الشيخ : أخبرني ، وفيما قرأه بحضرته في جماعة على الشيخ : أخبرنا .

قال : وهذا اصطلاح معروف عندهم ، وهو مستحب عندهم ، ولو تركه وأبدل حرفا من ذلك بآخر ، صح السماع ولكن ترك الأولى ، والله أعلم .

قال : ومن ذلك ، أنه قال في الطريق الأولى : حدثنا وكيع عن كهس ، عن عبد الله بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر ، ثم في الطريق الثاني ، أعاد الرواية عن كهس ، عن ابن بريدة ، عن يحيى . فقد يقال : هذا تطويل لا يليق باتقان مسلم واختصاره ، فكان ينبغي أن يقف بالطريق الأول على وكيع ، ويجتمع معاذ ووكيع في الرواية عن كهس عن ابن بريدة . قال : وهذا الاعتراض فاسد لا يصدر

الآ من شديد الجهالة بهذا الفن ، فإن مسلماً — رحمه الله — يسلك الاختصار ، لكن بحيث لا يحصل خلل ولا يفوت به مقصود ، وهذا الموضع يحصل في الاختصار فيه خلل ويفوت به مقصود ، وذلك لأن وكيعاً قال : عن كهس ، ومعاذ قال : حدثنا كهس ، وقد علم مما قدمناه في باب المعنعن ، أن العلماء اختلفوا في الاحتجاج بالمعنعن ، ولم يختلفوا في المتصل بحدثنا ، فأتى مسلم بالروايتين كما سمعنا ليعرف المتفق عليه من المختلف فيه ، وليكون راوياً باللفظ الذي سمعه ، قال : ولهذا نظائر في مسلم سترها مع التبيه عليها — ان شاء الله تعالى — . وان كانت مثل هذا ظاهر لمن له أدنى اعتناء بهذا الفن ، ألا أتى أنبه عليه لغيرهم ، ول بعضهم ممن قد يغفل ، ولكلهم من جهة أخرى ، وهو أنه يسقط عنهم النظر وتحريير عبارة عن المقصود ، وهنا مقصود آخر ، وهو أن في رواية وكيع قال : عن عبد الله بن بريدة ، وفي رواية معاذ قال : عن ابن بريدة ، فلو أتى بأحد اللفظين حصل خلل ، فإنه ان قال : ابن بريدة ، لم ندر ما اسمه ، وهل هو عبد الله هذا ، أو أخوه سليمان بن بريدة ، وان قال : عبد الله بن بريدة ، كان كاذباً على معاذ ، فإنه ليس في روايته عبد الله ، والله أعلم .

قال : وأما قوله في الرواية الأولى : عن يحيى بن يعمر ، فلا يظهر لذكره أولاً فائدة ، وعادة مسلم وغيره في مثل هذا ، أن لا يذكروا يحيى بن يعمر ، لأن الطريقين اجتمعتا في ابن بريدة ، ولفظهما عنه بصيغة واحدة ، قال : ألا أتى رأيت في بعض النسخ في الطريق الأولى عن يحيى فحسب ، وليس فيها ابن يعمر ، فان صح هذا ، فهو مزيل للانكار الذي ذكرناه ، فإنه يكون فيه فائدة كما قررناه في ابن بريدة ، والله أعلم .

قال : ومن ذلك قوله : حدثنا عبيد الله بن معاذ وهذا حديثه ، فهذه عادة لمسلم — رحمه الله — قد أكثر منها ، وقد استعملها غيره قليلاً ، وهي مصرية

بما ذكرته ، من تحقيقه وورعه واحتياطه . ومقصوده أن الراويين اتفقا في المعنى ،
واختلفا في بعض الألفاظ ، وهذا لفظ فلان ، والآخر بمعناه . والله أعلم .

قال : وأما قوله : " ح " بعد يحيى بن يعمر في الرواية الأولى ، فهي حاء التحويل
من اسناد الى اسناد ، فيقول القارئ إذا انتهى اليها : " ح " قال : وحدثنا
فلان ، هذا هو المختار .

قال : وقد تقدمت في الفصول السابقة بيانها والخلاف فيها ، والله أعلم .
قال : فهذا ما حضرني في الحال في التنبيه على دقائق هذا الاسناد ، وهو
تنبيه على ما سواه ، وأرجو أن يتفطن به ماعداه ، ولا ينبغي للناظر في هذا الشرح
أن يسأم من شيء من ذلك يجده مبسوطا واضحا ، فإني إنما أقصد بذلك —
إن شاء الله الكريم — الايضاح والتيسير ، والنصيحة لمطالعته واعانته وإغنائه عن
مراجعة غيره في بيانه ، قال : وهذا مقصود الشرح ، فمن استطال شيئا من
هذا وشبهه ، فهو بعيد من الاتقان ، مباعد للفلاح في هذا الشأن ، فليعز
نفسه لسوء حاله ، وليرجع عما ارتكبه من قبيح فعاله ، ولا ينبغي لطالب التحقيق
والتقيق والاتقان والتدقيق ، أن يلتفت الى كراهة أو سامة ذوى البطالة ،
وأصحاب الغباوة والمهانة والملالة ، بل يفرح بما يجده من العلم مبسوطا ،
وما يصادفه من القواعد والمشكلات واضحا مبسوطا ، ويحمد الله الكريم على
تيسيره ويدعو لجامعه الساعي في تنقيحه وایضاحه وتقديره ، وفقنا الله الكريم
لمعالي الأمور ، وجنبنا بفضله جميع أنواع الشرور ، وجمع بيننا وبين أحبائنا في
دار الحبور والسرور . والله أعلم .

فهذا أنموذج جلیّ لعنايته بتبيان هذه الدقائق اللطيفة الظرفية .
وهو وإن طال ، إلا أن عذرى فيه ما اعتذربه هو ، وأيضا ليغنيني عن إيراد
الأمثلة المختلفة ، لكون هذا الأنموذج حوى كثيرا من تلك الأسرار ، فبحسبي
الآن أن أشير بالأرقام الى طائفة أخرى فقط ، ليقف عليها من أراد المزيد .

فأقول : ينظر في ذلك أيضا ٤٠/٢ ، ٦٠/٣ ، ٧٦ ، ١٠/٤ ، ٦٢ ،

١٨١/٦ ، ٥٨/١٢ .

ولما كان من معرفة أسرار مسلم وتحقيق دقائقه بتلك المكانة ، لم يتحير
كما تحير غيره عند الاشكالات التي قد تعترى قارئه ، بل قد كان يحل مشكله ، ويفسر
غامضه ، ويجلو مبهمه ، ويقوى حجة مؤلفه - رحمه الله - . وانظر لمثل ذلك
ما قاله عند ما وزن مسلم - رحمه الله - بين عطاء بن السائب ويزيد بن
أبي زياد ، وليث بن أبي سليم ، وبين منصور بن المعتمر ، وسليمان الأعمش ،
واسماعيل بن أبي خالد ، في اتقان الحديث . (١)

فقال النووي - رحمه الله - :

هذا كله ، قد ينكر على مسلم فيه ، ويقال : عادة أهل العلم اذا ذكروا
جماعة في مثل هذا السياق ، قدموا أجملهم مرتبة ، فيقدمون الصحابي على
التابعي ، والتابعي على تابعه ، والفاضل على من دونه ، قال : فاذا تقرّر
هذا ، فاسماعيل بن أبي خالد تابعي مشهور ، رأى أنس بن مالك وسلمة بن
الأكوع ، وسمع عبد الله بن أبي أوفى ، وعمرو بن حريث ، وقيس بن عائد ،
وأبا كاهل ، وأبا جحيفة ، وهؤلاء كلهم صحابة - رضي الله عنهم - ، واسم
أبي خالد هرمز ، وقيل : سعد ، وقيل : كثير ، وأما الأعمش ، فرأى أنس بن
مالك فحسب ، وأما منصور بن المعتمر فليس بتابعي ، وإنما هو من أتباع
التابعين ، قال : فكان ينبغي أن يقول : اذا وازنتهم باسماعيل والأعمش
ومنصور .

وجوابه : أنه ليس المراد هنا التبيين على مراتبهم ، فلا حرج في عدم ترتيبهم .

ويحتمل أن مسلماً قدّم منصوراً لرجحانه في ديانتته وعبادته ، فقد كان أرجحهم في ذلك ، وإن كان الثلاثة راجحين على غيرهم ، مع كمال حفظ لمنصور واتقان وثبت .^(١)

وكقوله عند قول مسلم في حديث أبي قتادة - رضى الله عنه - : بينما نحن نصلّى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسمع جلبة فقال : ((ما شأنكم؟ قالوا : استعجلنا الى الصلاة ، قال : فلا تفعلوا ، اذا أتيتم فعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما سبقكم فأتموه)) ، الذى رواه من حديث اسحاق بن منصور أخبرنا محمد بن المبارك الصورى ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن يحيى بن أبي كثير ، أخبرني عبد الله بن أبي قتادة . الحديث . ثم رواه من حديث أبي بكر بن أبي شيبة ، حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا شيان بهذا الاسناد .^(٢) فقال النووي - رحمه الله - :

يعني حدثنا شيان عن يحيى بن أبي كثير باسناد المتقدم . قال : وكان ينبغي لمسلم أن يقول : عن يحيى ، لأن شيان لم يتقدم له ذكر وعادة مسلم وغيره في مثل هذا ، أن يذكروا في الطريق الثاني رجلاً ممن سبق في الطريق الأول ، ويقولوا : بهذا الاسناد ، حتى يعرف . ثم قال : وكأن مسلماً - رحمه الله تعالى - اقتصر على شيان للعلم بأنه في درجة معاوية بن سلام السابق ، وأنه يروى عن يحيى بن أبي كثير والله أعلم . فهذا طرف من ادراكاته تلك التي قد تخفى على غيره ، وهناك أمثلة

أخرى يمكن الرجوع اليها من خلال هذه الأرقام ١٠٤/١ ، ٣٤/٣ ، ١١١/٤٦ ،

٢٢٠/٦ ، ٤٢/٧ .

(١) شرح مسلم ٥٢/١ - ٥٣ .

(٢) مسلم بشرح النووي ١٠٠/٥ .

أبرز مؤاخذاته على مسلم :

مع ما فهم عنه من تعظيمه لمسلم وكتابه الصحيح وغير ذلك مما لم أذكره من إشارات المتكررة إلى تفخيمه ^(١) ، مع ذلك كله ، فإنه لم يعف إلا ما مسلم من المؤاخذات العلمية التي لا يسلم بشرع من مثلها ، وذلك منه نصحا ، لهذا الدين وإحقاقا للحق المبين .

فمن هذا الوازع ، كان له على مسلم مؤاخذات ومناقشات ، حينما رأى أن الصواب كان في غير ما حرره ، وذلك كقوله عندما ذكر مسلم حديث عبد الله ابن السائب قال : صلى لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمن حتى جاء ذكر موسى وهارون ، أخذت النبي - صلى الله عليه وسلم - سعة فركع . ذكره بسنده إلى محمد بن عباد بن جعفر يقول : أخبرني أبو سلمة بن سفيان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن المسيب العابد ، عن عبد الله بن السائب ^(٢) .

فقال النووي - رحمه الله - :

قال الحفاظ : قوله : ابن العاص غلط ، والصواب حذفه ، وليس هذا عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي ، بل هو عبد الله بن عمرو الحجازي ، قال : كذا ذكره البخاري في تاريخه ، وابن أبي حاتم ، وخلائق من الحفاظ المتقدمين والمتأخرين ^(٣) .

وكقوله في حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : كان من دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((اللهم اني أعوذ بك من زوال

(١) كما في ٩٤/٢ ، ١٦٩/١٢ .

(٢) مسلم بشرح النووي ١٧٧/٤ .

(٣) شرح مسلم ١٧٧/٤ .

نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمك وجميع سخطك)) الذي رواه مسلم من حديث أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم في الأحاديث التي ذكرها في فتنة النساء . (١)

فقال النووي - رحمه الله - :

هذا الحديث أدخله مسلم بين أحاديث النساء ، وكان ينبغي أن يقدمه عليها كلها .

ومع تعقبه عليه أحيانا ، إلا أنه كان كثيرا ما يبرئ ساحته منه ، ويجعل ذلك على الرواة الذين نقل عنهم الصحيح ، ونسخه المختلفة . (٢)
بل وقد يلتبس له العذر ، ويبحث له عن اجابة كما تقدمت له الإشارة (٣)

(١) مسلم ٥٤/١٢ بشرح النووي .

(٢) وانظر لمعرفة ذلك ، الأجزاء والصفحات التالية : ١٦٠/١٠٥ ٧٣/٩

١١/١٤ ، ١١١ ، ٤٤/١٥ .

(٣) في المبحث السابق ص ٤٥٥ وما بعدها .

اعتناؤه بالضبط :

لقد عني المحدثون بالضبط غاية فائقة ، لما له من أثر عظيم في حفظ السنة وصحة الاستنباط ، لأن التصحيف والتحريف ان لم يصبها وابل من سمة الكذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فطل ، لكون فاعل ذلك قد نسب الى النبي - صلى الله عليه وسلم - ما لم يقله ، ولما يترتب عليه من فساد المعاني وخطأ الاستنباط ، ولذلك قال ابن الصلاح - رحمه الله - في النوع الخامس والثلاثين : هو فن جليل ، انما ينهض بأعباء الحدّاق من الحفاظ ، قال :
(١) والد ارقطني منهم ، وله فيه تصنيف مفيد .

والامام النووي - رحمه الله - وان لم يفرد بتأليف على ذلك النحو ، الا أنه قد كان له في هذا الجانب يد طويلة على طلاب العلم بكتاب تهذيب الأسماء واللغات ، الذي خصص القسم الأول منه للأسماء وضبطها ، والثاني لضبط اللغة وفقها إضافة إلى كتبه الأخرى المشحونة بالضبط ، فلا يعد أن يكون من الذين تشطبهم عبارة ابن الصلاح السابقة ، ولتقريب هذا عيسنك ، أورد بعض الأمثلة على بيان ذلك في متون الأحاديث وفي الاعلام واللغات .

أما في المتن ، فكقوله في حديث عائشة - رضى الله عنها - الذي جاء فيه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال الى الله ، ما دووم عليه وإن قل)) .^(٢) فقال - رحمه الله - هكذا ضبطناه : دووم عليه ، وكذا

(١) المقدمة مع التقييد والايضاح ص ٢٨٢ ، والكتاب الذي أشار اليه ، لعله

المؤتلف والمختلف .

(٢) مسلم بشرح النووي ٢١/٦ .

هو في معظم النسخ ، دووم بواوين ، ووقع في بعضها ، دووم بواو واحدة ،
والصواب الأول .

وقال في حديث عمرو بن عَبَّسَةَ ، في قصة اسلامه عندما كان النبي
— صلى الله عليه وسلم — مستخفيا من سفهاء قومه ، الذي جاء فيه : ((فسمعت
برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فاذا رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — مستخفيا جرأ عليه قومه)) ^(١) الحديث .

فقال النووي — رحمه الله — : هكذا هو في جميع الأصول جرأ بالجيم المضمومة
جمع جرى بالهمز من الجرأة وهي الاقدام والتسلط ، قال : وذكره
الحميدى في الجمع بين الصحيحين ، جرأ بالحاء المهملة المكسورة ، قال :
ومعناه غصاب ذو غم ، قيل عيل صبرهم به حتى أضر في أجسامهم ، من قولهم :
حرى جسمه يحرى كضرب يضرب ، اذا نقص من ألم وغيره ، قال : والصحيح أنه
بالجيم .

وقال في حديث ميمونة أم المؤمنين — رضى الله عنها — في قصة عتقها
لوليدة لها في زمنه — صلى الله عليه وسلم — فذكرت ذلك لرسول الله
— صلى الله عليه وسلم — فقال : ((لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك)) ^(٢) .
قال — رحمه الله — : هكذا وقعت هذه اللفظة في صحيح مسلم "أخوالك" باللام ،
ووقعت في رواية غير الأصيلي في البخارى ، وفي رواية الأصيلي "أخواتك" ،
قال : قال القاضي : ولعله أصح بدليل رواية مالك في الموطأ "أعطيتها
أختك" ، ثم قال النووي : قلت : الجمع صحيح ولا تعارض ، وقد قال
— صلى الله عليه وسلم — : ذلك كله . ^(٣)

- (١) مسلم بشرح النووي ١١٤/٦ .
(٢) مسلم بشرح النووي ٨٥/٧ — ٨٦ .
(٣) شرح النووي ٨٦/٧ .

ومن ذلك قوله في حديث ابن عباس - رضى الله عنه - : ((فاضطجعت

في عرض الوسادة واضطجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهله في طولها)) .
الحديث . (١)

حيث قال - رحمه الله - : هكذا ضبطناه عرض بفتح العين ، وهكذا نطقه القاضي عياض
عن رواية الأكثرين ، قال : ورواه الدراوردي بالضم ، وهو الجانب ، والصحيح ،
(٢) الفتح .

وكقوله في دعاء الاستسقاء المروى من حديث أنس - رضى الله عنه - وفيه
(ولما توسطت " أى السحاب " انتشرت ثم أمطرت) الحديث (٣) ، فقال النسوى
- رحمه الله - : هكذا هو في النسخ ، وكذا جاء في البخارى : أمطرت بالالف ،
وهو صحيح ، وهو دليل للمذهب المختار الذى عليه الأكثرين ، والمحققون من
أهل اللغة أنه يقال : مطرت وأمطرت لغتان في المطر وقال بعض أهل اللغة :
لا يقال : أمطرت بالالف إلا في العذاب ، كقوله تعالى : ﴿ وأمطرنا عليهم
حجارة ﴾ (٤) ، والمشهور الأول . قال : ولفظة " أمطرت " تطلق في الخير
والشر ، وتعرف بالقرينة ، قال الله تعالى : ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ (٥) ،
وهذا من أمطر ، والمراد به المطر في الخير ، لأنهم ظنوه خيرا ، فقلنا
الله تعالى : ﴿ بل هو ما استعجلتم به ﴾ (٦) . أهـ (٧)

(١) رواه مسلم ٤٥/٦ بشرح النووى .

(٢) شرح مسلم ٤٥/٦ .

(٣) رواه مسلم ٤٥/٦ بشرح النووى .

(٤) سورة الحجر آية رقم ٢٤ .

(٥) " الأحقاف " ٢٤ .

(٦) الجزء الثاني من الآية السابقة ، وتامها (ريح فيها عذاب أليم) .

(٧) شرح مسلم ١٩٢/٦ .

وكقوله في حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أنه سمع النبي
 - صلى الله عليه وسلم - قال : ((فيما سقت الأنهار والغيم العصور ، وفيما سقى
 (١)
 بالسانية نصف العشر))
 فقال النورى - رحمه الله - :

ضبطنا العصور ، بضم العين جمع عشر ، وقال القاضي عياض : ضبطناه عن
 عامة شيوخنا بفتح العين جمع وهو للمخرج من ذلك ، وقال صاحب مطالع الأنوار :
 أكثر الشيوخ يقولونه بالضم ، وصوابه الفتح ، قال : وهذا الذى ادعاه ممن
الصواب ، ليس بصحيح ، وقد اعترف بأن أكثر الرواة رواه بالضم ، وهو الصواب ،
 (٢)
 جمع عشر ، ولا فرق بين اللفظين .

فهذا غيضى من فيض ، وقليل من كثير ، والآ فقد كانت غايته بهذا الجانب
 فائقة ، ويكفي تدليلاً على ذلك الرجوع الى ترجيحاته في هذا الجانب في
 الأجزاء والصفحات التالية من هذا الشرح : ١١٢/٦ ، ٢٢٢ ، ٨٠/٧ ،
 ١١٢ ، ١٥١ ، ٢٢٥ ، ٢٩/٨ ، ١٠٨ ، ٧٩/٩ ، ١٦١/١٠ ، ١٧٢ ،
 ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢٨ ، ١٧/١١ ، ٨٢ ، ١٣٣ ، ١٩٨ ، ٦٦ ، ٦٢/١٢ ،
 ٨٩ ، ٩٢ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ، ٢٣١/١٢ ، ٢٣٨ ، ١٤٤ ، ٤٢/١٣ ،
 ١٤٦ ، ١٨٢ ، ٢٧/١٤ ، ٣٣ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ١٩٩ ، ٢١٨ ، ٢٠٦/١٥ ،
 وغير هذا كثير (٣) بالاضافة الى كتبه الحافلة في ذلك ، كتحرير التبيين
 وتهذيب الأسماء واللغات . والله أعلم .

(١) رواه مسلم ٥٤/٧ بشرح النورى .

(٢) شرح مسلم ٤٥/٧ .

(٣) انظر أيضاً ٢/٧٥ ، ٢١٤/٤ ، ١٥٩/٥ ، ١٦٥/٦ ، ٧٢/٧ ، ٩٠/٧ ،

١٢٥ ، ١٢٨ ، ٦٤/١٣ ، ٨٢ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ٢١٢ ، ١٥٣/١٤ ،

٢٠٦/١٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، وغيرها .

وأما في ضبط الأعلام :

فكقوله في قول ابن عباس في شأن التيمم : أقبلت أنا وعبد الرحمن بن يسار مولى ميمونة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى دخلنا على أبي الجهم ابن الحارث بن الصمة الأنصاري . . الحديث .^(١)

قال النووي - رحمه الله - :

أبو الجهم ، بفتح الجيم وبعدها هاء ساكنة ، هكذا هو في مسلم وهو غلط ، وصوابه ما وقع في البخاري وغيره ، أبو الجهم بضم الجيم وفتح الهاء وزيادة ياء ، قال : هذا هو المشهور في كتب الأسماء ، وكذا ذكره مسلم في كتابه في أسماء الرجال ، والبخاري في تاريخه ، وأبو داود ، والنسائي ، وغيرهم ، وكل من ذكره من المصنفين في الأسماء والكنى وغيرهم . ثم قال : واسم أبي جهيم ، عبد الله ، وكذا سماه مسلم في كتابه الكنى ، وكذا سماه أيضا غيره . والله أعلم .^(٢)

وقوله عند قول مسلم - رحمه الله - : حارثة بن وهب الخزاعي ، هو

أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لأمه .

قال النووي - رحمه الله - هكذا ضبطناه ، وأخو عبيد الله ، بضم العين مصغر ، ووقع في بعض الأصول ، أخو عبد الله ، بفتح العين مكبر ، وهو خطأ ، والصواب الأول ، وكذا نقله القاضي - رحمه الله تعالى - من أكثر رواة صحيح مسلم ، وكذا ذكره البخاري في تاريخه ، وابن أبي حاتم ، وابن عبد البر ، وخلائق لا يحصون ، كلهم يقولون بأنه أخو عبيد الله مصغرا ، وأمه مليكة بنت جرول الخزاعي ، تزوجها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأولدها ابنه عبيد الله وأما عبد الله بن عمر ، وأخته حفصة ، فأمهما زينب بنت ضمعون .^(٣)

(١) مسلم ٦٣/٤ بشرح النووي .

(٢) شرح مسلم ٦٣/٤ - ٦٤ .

(٣) شرح مسلم ٢٠٥/٥ .

وكقوله في شيخ ابن وهب " جابر بن اسماعيل " الوارد في سند مسلم
 لحديث أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((اذا عجل
 عليه السفر يؤخر الظهر الى أول وقت العصر ، فيجمع بينهما ، ويؤخر المغرب
 حتى يجمع بينهما وبين العشاء حين يغيب الشفق ^(١) .
فقال النووي - رحمه الله - :

جابر بن اسماعيل ، هكذا ضبطناه ، ووقع في روايتنا وروايات أهل بلادنا
 جابر بن اسماعيل ، بالجيم والباء الموحدة ، قال : ووقع في بعض نسخ
 بلادنا " حاتم بن اسماعيل " وكذا وقع لبعض رواة المغاربة ، وهو غلط ،
 والصواب باتفاقهم ، جابر بالجيم ، قال : وهو جابر بن اسماعيل الحضرمي
 المصري ^(٢) .

فهذا طرف من غايته بضبط الأعلام ، والآ فان غايته بهذا الجانب كبير
 كما يعلم من سائر كتبه ومن الرجوع الى هذه الاحالات من شرح مسلم ٨٧/١ ،
 ٩١/٥ ، ٢١٩ ، ٣٤/٦ ، ١٦٧ ، ٢٢/٧ ، ١٤٨/٩ ، ١٠٤/١٠ ،
 ٢٢٠/١١ ، ١٨٠/١٣ ، ٢٠٢ ، ١٧٣/١٤ .

(١) مسلم ٢١٥/٥ بشرح النووي .

(٢) شرح مسلم ٢١٥/٥ .

غايته بأصول الفقه :

أما غايته بالمسائل الأصولية ، فهي لا تقل أهمية عن غايته بسائر الجوانب الأخرى التي تقدمت الإشارة الى بعضها ، ولم تكن غايته بهذا الجانب غايصة تبعية فقط ، بل قد كان له في مسأله اختيارات وترجيحات ، كأبرز امام في هذا الفن ، واليك بعض النماذج الموضحة لهذا الجانب :

روى مسلم - رحمه الله - حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)) . (١)

قال النووي - رحمه الله - :

فيه دليل على أن السواك ليس بواجب ، قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : لركان واجبا لأمرهم به ، شق أولم يشق ، ثم قال : قال جماعات من العلماء من الطوائف : فيه دليل على أن الأمر للوجوب ، وهو مذهب أكثر الفقهاء ، وجماعات من المتكلمين ، وأصحاب الأصول ، قالوا : وجه الدلالة أنه مسنون بالاتفاق ، فدل على أن المتروك إيجابه ، قال : وهذا الاستدلال يحتاج في تمامه الى دليل على أن السواك كان مسنونا حالة قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم)) ، ثم قال : وقال جماعة أيضا : فيه دليل على أن المندوب ليس مأمورا به ، قال : وهذا فيه خلاف لأصحاب الأصول ، ويقال في هذا الاستدلال : ما قدمناه في الاستدلال على الوجوب . والله أعلم . ثم قال أيضا :

وفيه دليل على جواز الاجتهاد للنبي - صلى الله عليه وسلم - فيما لم يرد فيه نص من الله تعالى . قال : وهذا مذهب أكثر الفقهاء وأصحاب الأصول

(١) وهو الصحيح المختار .

وروى مسلم - رحمه الله - أيضا حديث عائشة - رضى الله عنها - عندما سئلت عن صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان يصلي ثلاث عشرة ركعة ثم يوتر ثم يصلي ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فركع ثم يصلي ركعتين بين النداء والاقامة من صلاة الصبح . (٢)

قال النووي - رحمه الله - :

هذا الحديث أخذ بظاهره الأوزاعي وأحمد ، فيما حكاه القاضي غنما ، فأباحا ركعتين بعد الوتر جالسا ، وقال أحمد : لا أفعله ، ولا أضع من فعله ، قال : وأنكره مالك ، ثم قال : قلت : الصواب أن هاتين الركعتين فعلهم - صلى الله عليه وسلم - بعد الوتر جالسا ليبان جواز الصلاة بعد الوتر ، وبيان جواز النفل جالسا ، ولم يواظب على ذلك ، بل فعله مرة أو مرتين أو مرات قليلة ، ثم قال : ولا تغتر بقولها : كان يصلي ، فإن المختار الذي عليه الأكثرون والمحققون من الأصوليين ، أن لفظة " كان " لا يلزم منها الدوام ولا التكرار ، وإنما هي فعل ماض يدل على وقوعه مرة ، فإن دل دليل على التكرار ، عمل به ، والآ فلا تقتضيه بوضعها ، وقد قالت عائشة - رضى الله عنها - : (كنت أطيّب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحله قبل أن يطوف) قال : ومعلوم أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يحج بعد أن صحبتته عائشة - رضى الله عنها - إلا حجة واحدة ، وهي حجة الوداع ، فاستعملت " كان " في مرة واحدة ، ولا يقال : لعلها طيبته في إحرامه بعمره ، لأن المعتمر لا يحل له الطيب قبل الطواف بالاجماع . فثبت أنها استعملت " كان " في مرة واحدة كما قاله

(١) شرح مسلم ١٤٣/٣ - ١٤٤ .

(٢) ١٨/٦ .

(٣) رواه البخارى في الحج ١٦٨/٤ .

الأصوليون^(١) . أه المراد منه .

وقال - رحمه الله - في حديث يعلى بن أمية في قصة الرجل الذي سأل
النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو بالجعرانة : كيف يصنع في عمرته ؟ وأنزل على
النبي - صلى الله عليه وسلم - الوحي . الحديث .^(٢)

قال بعد أن شرح الحديث وتبين مستفاداته : وقد يستدل به من يقول من
أهل الأصول : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن له الاجتهاد ، وإنما كان
يحكم بوحي ، قال : ولا دلالة فيه ، لأنه يحتمل أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يظهر
له بالاجتهاد حكم ذلك ، أو أن الوحي بדרه قبل تمام الاجتهاد^(٣) ، والله أعلم .

فبحسبك هذه الإشارة^(٤) الى غايته بالجانب الأصولي في هذا الكتاب

وليس بغريب عنه هذا ، فإنه مجتهد المذهب ، ولا يتاهل لهذه المكانة الا من برز
في فن الأصول . وقد ترجم له المراغي في الفتح المبين في طبقات الأصوليين .^(٥)

(١) شرح مسلم ٢١/٦ .

(٢) رواه مسلم ٢٧/٨ بشرح النووي .

(٣) شرح مسلم ٢٨/٧ .

(٤) وآل فهناك صور أخرى كثيرة منها ما تدل عليها هذه الأرقام ٦٠/٤ ، ٦٠/٦ ، ٢٢٠/٦ ،

٤٥/٧ ، ٩٢ ، ٦٩/٩ ، ١٠١ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ٨١/١١ ، ٢٠٨ ،

١٢/١٢ .

(٥) ٨١/٢ .

أما غايته بالفروع الفقهية : فقد تقدمت الإشارة الى مداها ، وأنها من الكثرة بالمحل الذي يخفي عن التمثيل لها ، وحيث كان أمرها مذكور ، فلا أقل من أن أنبه الى بعض الفروع الفقهية التي كان له رأى فيها اختيار أو ترجيح ، تبعاً لقوة الدليل ودقة الاستنباط ، لتعطي قارئها صورة عن ترجيحاته المبنية على الدليل ، وإن كان في ذلك مخالفة لمذهبه .

فمن ذلك ، مسألة مباشرة الحائض فيما بين السرة والركبة في غير القبيل والدبر ، قال : فيها ثلاثة أوجه لأصحابنا ، أصحها عند جماهيرهم وأشهرها في المذهب أنها حرام .

والثاني : أنها ليست بحرام ، ولكنها مكروهة كراهة تنزيه . قال : وهذا الوجه أقوى من حيث الدليل وهو المختار .

والوجه الثالث : أن كان المباشر يضبط نفسه عن الفرج ، ويثق من نفسه باجتنابه ، أما لضعف شهوته ، وأما لشدة ورعه ، جاز وإلا فلا . قال : وهذا الوجه حسن ، قاله أبو العباس البصري من أصحابنا .

ثم قال : ومن ذهب الى الوجه الأول ، وهو التحريم مطلقاً مالك وأبو حنيفة ، وهو قول أكثر العلماء ، منهم سعيد بن المسيب ، وشريح ، وطاوس ، وعطاء ، وسليمان بن يسار ، وقتادة ، .

ومن ذهب الى الجواز ، عكرمة ، ومجاهد ، والشعبي ، والنخعي ، والحكم ، والثوري ، والأوزاعي ، وأحمد بن حنبل ، ومحمد بن الحسن ، وأصبغ ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور ، وابن المنذر ، وداود .

قال : وقد قدما أن هذا المذهب أقوى دليلاً ، واحتجوا بحديث أنس : ((اصنعوا كل شيء إلا النكاح ^(١))) قالوا : وأما اقتصار النبي - صلى الله عليه وسلم - في مباشرته على ما فوق الأزار ، فمحمول على الاستحياء . والله أعلم . ^(٢)

(١) رواه مسلم في النكاح ٢١١/٣ بشرح النووي ، وأبو داود في النكاح باب في إتيان الحائض ومباشرتها ٤٩٩/١ .
(٢) شرح مسلم ٢٠٥/٣ ، والمجموع ٣٦٣/٢ .

٢ - وفي مسألة الوضوء من أكل لحوم الابل يقول :

اختلف العلماء في أكل لحوم الجزور ، فذهب الأكثرون الى أنه

لا ينقض الوضوء ، ومن ذهب اليه الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن سعود وأبي بن كعب ، وابن عباس ، وأبو الدرداء ، وأبو طلحة ، وعامر بن ربيعة ، وأبو أمامة ، وجماهير التابعين ، ومالك ، وأبو حنيفة ، والشافعي وأصحابهم .
وذهب الى انتقاض الوضوء به أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية ،
 ويحيى بن يحيى ، وأبو بكر بن المنذر ، وابن خزيمة ، واختاره أبو بكر البيهقي ،
 وحكى عن أصحاب الحديث مطلقا ، وحكى عن جماعة من الصحابة
 - رضي الله عنهم أجمعين - قال : واحتج هؤلاء بحديث الباب (يعني
حديث جابر بن سمرة - رضي الله عنه - أن رجلا سأل رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - أتوضأ من لحوم الغنم ؟ قال : ((ان شئت فتوضأ
وان شئت فلا تتوضأ)) قال : أتوضأ من لحوم الابل ؟ قال : ((نعم)) فتوضأ
(١)
 من لحوم الابل .

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال : سئل النبي
 - صلى الله عليه وسلم - عن الوضوء من لحوم الابل فأمر به .
 (٢)

ثم نقل عن الامام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية - رحمهم الله -
 قولهما : صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا حديثان ، حديث
 جابر ، وحديث البراء ، ثم قال النووي - رحمه الله - : وهذا المذهب أقوى دليلا .
وان كان الجمهور على خلافه ، قال : وقد أجاب الجمهور عن هذا الحديث

(١) رواه مسلم ٤٨/٤ بشرح النووي .

(٢) رواه أبو داود في الطهارة ٤١/١ ، والترمذي في الطهارة ١٢٢/١ ،

ونقل تصحيحه عن إسحاق وأحمد بن حنبل .

بحديث جابر كان آخر الأمرين من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترك الوضوء
مما مسّت النار ^(١) ، قال : ولكن هذا الحديث عام ، وحديث الوضوء من لحوم
الابل خاص ، والخاص مقدم على العام ^(٢) . والله أعلم .

-
- (١) رواه أبوداود في الطهارة ٤٣/١ ، والنسائي في الطهارة ١٠٨/١ ،
وصححه الشيخ أحمد شاكر في حاشيته على سنن الترمذى ١٢١/١ .
- (٢) شرح مسلم ٤٩/٤ ، والمجموع ٥٢/٢ .

٣ - وفي مسألة إعادة الصلاة لفاقد الطهورين يقول :

هذه المسألة فيها خلاف للسلف والخلف ، وفيها أربعة أقوال للشافعي :

أصحابها عند أصحابنا أنه يجب عليه أن يصلي ويجب عليه أن يعيد الصلاة ،
أما الصلاة ، فلقلوه - صلى الله عليه وسلم - : ((فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه
ما استطعتم))^(١) ، وأما الإعادة ، فلأنه عذر نادر ، فصار كما لو نسي عضواً من
أعضاء طهارته وصلى ، فإنه يجب عليه الإعادة .

والقول الثاني ، لا يجب عليه الصلاة ، ولكن يستحب ويجب القضاء سواء صلى أم لم يصل .

الثالث : يحرم عليه الصلاة لكونه محدثاً ويجب الإعادة .

الرابع : يجب الصلاة ولا يجب الإعادة ، قال : وهذا مذهب المزني . وهو أقوى
الأقوال دليلاً . ويحضره هذا الحديث ، (يعني حديث عائشة ، أنه -

استعارت من أسماء - رضي الله عنهما - قلادة فهلكت ، فأرسل رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - ناساً من أصحابه في طلبها ، فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير

وضوء . الحديث . . .)^(٢) وأشباهه ، فإنه لم ينقل عن النبي -

- صلى الله عليه وسلم - إيجاب إعادة مثل هذه الصلاة ، قال : والمختار أن

القضاء إنما يجب بأمر جديد ، ولم يثبت الأمر فلا يجب . قال : وهكذا يقول

المزني في كل صلاة وجبت في الوقت على نوع من الخل لا يجب أعادتها .

ثم قال : وللقائلين بوجوب الإعادة أن يجيبوا عن هذا الحديث ، بأن الإعادة ،

ليست على الفور ، ويجوز تأخير البيان إلى وقت الحاجة على المختار^(٣) ، والله أعلم .

(١) رواه البخاري في الاعتصام ١١٢/٩ .

(٢) رواه مسلم في التيمم ٥٩/٤ .

(٣) شرح مسلم ٦٠/٤ .

٤ - وفي مسألة الجمع بين الصلاتين لعذر المريض يقول - رحمه الله - :

وأما المريض ، فالمشهور من مذهب الشافعي والأكثرين ، أنه لا يجوز له ، وجوزه أحمد والجماعة من أصحاب الشافعي ، قال : وهو قوى في الدليل كما سننبه عليه في شرح حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن شاء الله تعالى . أهـ ^(١) (يعني حديث جمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر ، قال وكيع لابن عباس : لم فعل ذلك ؟ قال : كي لا يخرج أمته) ^(٢) وهناك قال عندما ذكر تأويلات أهل العلم لهذا الحديث : ومنهم من قال : هو محمول على الجمع بعذر المرض أو نحوه مما هو في معناه من الأعداء ، قال : وهذا قول أحمد بن حنبل ، والقاضي حسين من أصحابنا ، وهو المختار في تأويله ، لظاهر الحديث ، ولفعل ابن عباس وموافقة أبي هريرة ، ولأن المشقة فيه أشد من المطر ، وقال في المجموع بعد أن نقل هذا القول عن الخطابي والقاضي حسين والرويانسي ^(٣) واستحسنه : قلت : وهذا القول قوى جدا ، ثم استدل بحديث ابن عباس هذا ، قال : ووجه الدلالة منه ، أن هذا الجمع إما أن يكون بالمرض ، وإما بخيره مما في معناه أو دونه ، ولأن حاجة المريض أكد من المطور والخائف - يعني الذي تقل جواز الجمع لهما عن القاضي حسين والمتولى - .

(١) شرح مسلم ٢١٣/٥ .

(٢) رواه مسلم ٢١٦/٥ بشرح النووي .

(٣) ٣٨٣/٤ .

٥ - وفي مسألة إقامة حد الخمر على من تقاها .

يقول عند قول أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضى الله عنه - في شأن الوليد حينما شهد عليه رجلان ، أحدهما أنه شرب الخمر ، والآخر أنه رأى يتقياً ، فقال عثمان - رضى الله عنه - : أنه لم يتقياً حتى شربها ، ثم أمر بجلده ، فقال النوى - رحمه الله - :

هذا دليل لما لك وموافقيه في أن من تقياً الخمر يحد حد الشارب ، وهذا هبنا أنه لا يحد بمجرد ذلك ، لاحتمال أنه شربها جاهلاً كونها خمرًا ، أو مكرها عليها ، أو غير ذلك من الأعذار المسقطة للحدود ، قال : ودليل مالك هنا قوى ، لأن الصحابة اتفقوا على جلد الوليد بن عقبة المذكور في هذا الحديث ، قال : وقد يجيب أصحابنا عن هذا ، بأن عثمان - رضى الله عنه - علم شرب الوليد ، نقضى بعلمه في الحدود .

قال : وهذا تأويل ضعيف ، وظاهر كلام عثمان يرد على هذا التأويل .^(٢) والله أعلم .

فهذه بضع مسائل من الفروع الفقهية ، نحاف فيها منحنى يخالف المذهب ^(٣) أو الراجح فيه تبعاً للدليل .

وقد رأيت بأنه لم يترك لي مجالاً لمزيد بيان حول تلك المسائل ، لذكره القول الراجح في المسألة ، وإشارته إلى اختلاف أهل العلم فيها ، وبيان أدلتهم ووجهة استدلالهم ، بحيث ينجلي رأيه في المسألة بوضوح ، فلم أجد للتعليق عليها مسلكاً .

(١) رواه مسلم ٢١٦/١١ بشرح النوى .

(٢) شرح مسلم ٢١٨/١١ .

(٣) وهناك مسائل أخرى تنظر في ٦٠/٤ ، ٥٦/٥ ، ٨٢/١٤ ، من شرح

مسلم المتحدث عنه .

وأما تعقباته العلمية لمن استفاد منهم في هذا الشرح ، فهي لا تقل من حيث الكثرة على ما اعتمده من كلامهم ، بحيث يسوغ القول : كونه ناقد ، أكثر منه ناقص ، فقد نافذت تعقباته لأقوال أهل العلم - غير القاضي عياض والمازري - على الثمانين ، كل ذلك بأسلوب علمي دقيق أديب ، يوضح فيه ما يرى صوابه وينبّه على ما يرى خطأه ، أيا كان قائله ، طالما وأنّ الحجة يراها في غير ما رآه ، ولبيان ذلك ، أذكر نماذج لتلك التعقبات :

- ١ - قال الامام مسلم - رحمه الله تعالى - : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو اسحاق ، (ح) ، قال : وحدثنا يحيى بن يحيى ، أخبرنا أبو خيثمة ، عن أبي اسحاق ، عن عبد الله بن يزيد قال : حدثني البراء وهو غير كذب .^(١)
- فندل النووي - رحمه الله - هنا كلام يحيى بن معين في القائل ، وهو غير كذب ، فقال : قال يحيى بن معين : القائل وهو غير كذب ، هو أبو اسحاق ، قال : ومراده ، أن عبد الله بن يزيد غير كذب ، وليس المراد أن البراء غير كذب ، لأن البراء صحابي لا يحتاج الى التزكية ، ولا يحسن فيه هذا القول ، قال النووي - رحمه الله - : وهذا الذي قاله ابن معين خطأ عند العلماء ، بل الصواب ، أن القائل وهو غير كذب ، هو عبد الله بن يزيد ، ومراده أن البراء غير كذب ، ومعناه تقوية الحديث وتخفيفه والمبالغة في تمكينه من النفس ، لا التزكية التي تكون في مشكوك فيه ، ونظيره قول ابن عباس - رضي الله عنه - حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق

(١) مسلم ١٩٠ / ٤ بشرح النووي ، ومتن الحديث هو ((أنهم كانوا يصلون خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا رفع رأسه من الركوع لم أر أحدا يحني ظهره حتى يضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبهته على الأرض ثم يخبر من وراءه سجدا)) .

وعن أبي هريرة مثله ، وفي صحيح مسلم عن أبي مسلم الخولاني ، حدثني الحبيب
الأمين عوف بن مالك الأشجعي ، ونظائره كثيرة ، قال : فمعنى الكلام ، حدثني
البراء ، وهو غير متهم كما علمتم فثقفوا بما أخبركم عنه ، قالوا : وقول ابن معين :
أن البراء صحابي فينزه عن هذا الكلام ، لا وجه له ، لأن عبد الله بن يزيد
صحابي أيضا معدود في الصحابة . أ هـ (١)

وفي قصة حمل النبي - صلى الله عليه وسلم - لإمامة بنت أبي العاص وهو يومئذ ^(١) الناس يقول :

هذا يدل لمذهب الشافعي - رحمه الله تعالى - ومن وافقه أنه يجوز حمل الصبي والصبية وغيرهما من الحيوان الطاهر في صلاة الفرض وصلاة النفل - ويجوز ذلك للإمام والمفرد ، قال : وحمله أصحاب مالك - رضي الله عنه - على النافلة ، وضعوا جواز ذلك في الفريضة ، قال : وهذا تأويل فاسد ، لأن قوله : يومئذ الناس صريح أو كالصريح ، في أنه كان في الفريضة ، قال : وادعى بعض المالكية أنه منسوخ ، وبعضهم أنه خاص بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وبعضهم أنه كان لضرورة ، قال : وكل هذه الدعاوى باطلة ومردودة ، فأنه لا دليل عليها ، ولا ضرورة اليها ، بل الحديث صحيح صريح في جواز ذلك ، وليس فيه ما يخالف قواعد الشرع ، لأن الآدمي طاهر ، وما في جوفه من النجاسة مغفوق عنه ، لكونه في معدته ، وثياب الأطفال وأجسادهم على الطهارة ، ودلائل الشرع متظاهرة على هذا ، والأفعال في الصلاة لا تبطلها إذا قلت ، أو تفرقت ، وفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا بيانا للجواز ، وتبنيها به على هذه القواعد التي ذكرتها .

ثم قال : وهذا يرد ما ادعاه الإمام أبو سليمان الخطابي ، أن هذا الفعل يشبه أن يكون ، بغير تعمد ، فحملها في الصلاة لكونها كانت تتعلق به - صلى الله عليه وسلم - فلم يدفعها ، فإذا قام بقيت معه ، قال : ولا يتوهم أنه حملها ووضعها مرة بعد أخرى عمدا ، لأنه عمل كثير ، ويشغل القلب ، وإذا كانت الخميصة شغلته ، فكيف لا يشغله هذا ؟ .

(١) رواه مسلم في الصلاة ٣١/٥ بشرح النووي .

قال النووي : هذا كلام الخطابي - رحمه الله تعالى - وهو باطل ودعوى مجردة ، ومما يردّها قوله في صحيح مسلم : فإذا قام حملها ، وقوله : فإذا رفع من السجود أعادها ، وقوله في رواية غير مسلم : خرج علينا حاملاً أمانة فصلّى ، فذكر الحديث .

قال : وأما قضية الخميصة ، فلأنّها تشغل القلب بلا فائدة . وحمل أمانة لانسلم أنّه يشغل القلب ، وإن شغله ، فيترتب عليه فوائد ، وبيان قواعد ممّا ذكرناه وغيره ، فأحل ذلك الشغل لهذه الفوائد بخلاف الخميصة .

فالصواب الذي لا معدّل عنه ، أنّ الحديث كان لبيان الجواز ، والتبسيه على هذه الفوائد ، فهو جائز لنا وشرع مستمر للمسلمين الى يوم الدين .
(١) والله أعلم .

وقال مسلم - رحمه الله - : حدثنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك عن عمرو بن يحيى المازني ، عن سعيد بن يسار ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : ((رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي على حمار وهو موجه الى خير)) (١)

نقل النووي هنا كلام الدارقطني في هذا الحديث فقال : قال الدارقطني وغيره : هذا غلط من عمرو بن يحيى المازني ، قالوا : إنما المعروف في صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - على راحلته أو على البعير ، والصواب ، أن الصلاة على الحمار من فعل أنس كما ذكره مسلم بعد هذا ، ولهذا لم يذكر البخاري حديث عمرو ، هذا كلام الدارقطني وموافقوه .

ثم قال النووي : وفي الحكم بتغليط رواية عمرو نظر ، لأنه ثقة نقل شيئاً محتملاً ، فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة أو مرات ، قال : لكن قد يقال : إنه شاذ ، فإنه مخالف لرواية الجمهور في البعير والراحلة ، والشاذ مردود ، وهو مخالف للجماعة ، والله أعلم . (٢)

فهذا طرف من تعقباته العلمية لمن سبقه ، المبنية على دقة فهمه ، وقوة مدركه ، ووضوح حجته ، وهي كثيرة جداً ، ان أريد استقصاؤها ، ولكن بحسبك ما تقدم . (٣)

(١) صحيح مسلم ٢١١/٥ بشرح النووي .

(٢) شرح مسلم ٢١١/٥ ، ٢١٢ .

(٣) وعليك بهذه الاحالات ان أردت المزيد : ١/٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١١٦ ،

١١٩ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ، ٩/٣ ، ١٢١/٤ ، ١٢٣ ، ٥/٦ ، ١٨٢/٤ ،

٢١٦ ، ٢٢٢/٤ ، ١٢٦/٥ ، ١٣٣/٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١١ ،

٢٢٣ ، ١٥/٦ ، ٤٧ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٥/٦ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨١ ،

٢١٧ ، ٢٥/٧ ، ٥٥ ، ٦١ ، ١٦٢ ، ٢٣١ ، ١٤/٨ ، ٢٦ ، ٣٥ ،

٨١ ، ٨٢ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٦٦ ، ١٧٨ ، ١٠٥/٩ ، ١١١ ،

وبعد ، فهذه نماذج مختارة من هذا الكتاب ، اقتضى الحال أن أورد لها ،
وان كانت شهرة الكتاب وتداوله بين الناس يغنيان عنها ، إلا أن هذه الشهرة ،
وذلك التداول قد يعكر عليها ما يسمع بين الحين والآخر ممن لم يعرف قيمة الكتاب ،
أو لم يسرح نظره في سائره ، ولا اعتمد عليه في بحوثه ومسائله . كما قال ابن قاضي
شهبه في الطبقات ^(١) ، عند ذكر شرح ابن الصلاح لصحيح مسلم مانصه :
" وشرح قطعة من صحيح مسلم اعتمدها النووي في شرحه وعند فراغها
قل عمله " . إذ تفيد هذه الكلمة أن النووي - رحمه الله - سلك مسلك التبعية
الكاملة لابن الصلاح في هذا الشرح ، وأن تبعيته تلك هي العامل في توسعه
في الشرح وعدمه . ولما كانت هذه الكلمة ليست حقيقية للدعوى المذكورة ، مع
تقدير زاعمها ، كان لزاما على الحقيقة أن تظهر للجميع وان كانت غير خافية على
أهل الخبرة .

وكان عليّ أن أشير الى هذه الحقيقة الناصعة البرهان ، المحكمة
البيان ، مع ما أنا فيه من القصور ، وكثرة النسيان ، فأقول : إن اعتماد أهل
العلم لأقوال بعضهم أمر مشهور وعمل متداول بغير تكبر ، بل على الضد من ذلك ،
مادام أن الغاية واحدة ، وهي خدمة الدين ، والنصح للمؤمنين ، فهي ضالة
علماء الدين ولا سيما المحدثين . وهذا بناء على تسليم الدعوى جدلا ،
غير أنها ليست مسلمة من حيث الواقع ، وحسب مبتغي الحقيقة أن يطلع على
شرح ابن الصلاح ، وهو مطبوع ، واسمه " صيانة صحيح مسلم من الاخلال والغلط
وحمايته من الاسقاط والسقط " ، ولعله من هذا العنوان يدرك البون بين الكتابين

== ١٦٨ ، ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٦/١٠ ، ٣٠ ، ٣٨/١٠ ، ١٤٠ ، ٢٣٤ ،

٥/١١ ، ١٠٠ ، ١٥٩ ، ١٧٦ ، ٢١٨ ، ٣/١٢ ، ٨ ، ٢٣٢ ،

١٣/١٣ ، ٢١١ ، ٨٢/١٤ ، ٨٢ ، ٢١٤ ، ٥٢/١٥ ، ٥٥ ، ٦٦ ،

١٠٠ ، ١٢٢ ، ٩٤/١٦ ، ٢٠٥ ، ١٧٦ .

(١) ١١٥/٢ .

وحسبه ذلك اجابة ان أراد الاختصار ، أما ان أراد الوضوح والاستكثار ، فعليه بعقد موازنة يتضح فيها المقال ، وينحسم بها الجدل ، ولتذليل تلك الموازنة ، أضع يده على لمسات تنير له الطريق ، ويسهل بعدها التحقيق .

فأقول : إن كتاب ابن الصلاح كثير الفوائد ، عظيم العوائد ، مرجع لكل باحث وناقد ، غير أنه لم يكن شرحا كسائر الشروح ، وإنما هو اجابة عن بعض الاشكالات الواردة على صحيح مسلم ، عمله تلبية لطالبيه ، كما أشار الى ذلك في المقدمة (١) فمنها له كشفا لكثير من الفاظه ، قدم له بمقدمات نفيسة ، ضمنها الامام النووي ، مقدماته عازيا ما أخذه منه اليه .

ولم يقتصر النووي على مقدماته ، بل زاد فصولا أخرى كثيرة لم يتعرض لها ابن الصلاح ، ثم إن ابن الصلاح - رحمه الله - لم يتكلم على خطبة مسلم النفيسة بشيء ، اللهم إلا ضبط كلمة "عُزِمَ" ، من قول مسلم - رحمه الله - : " لو عُزِمَ عليه " ، وضبط اسم " مُحَرَّر " والد عبد الله بن محرر ، بينما استغفر ذكرها عند النووي سبع عشرة صفحة مع المتن ، ثم إن مسلما - رحمه الله - أورد أحاديث النهي عن الكذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يتكلم عليها ابن الصلاح بشيء ، اللهم إلا ما كان من ضبط حديث : ((من حدث غنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)) الذي ذكره مسلم قبل ذلك بغير اسناد ، ثم ساق اسناده في الأحاديث التالية ، وقد أخذت هذه الأحاديث شرحا وافيا في شرح النووي ، استغرق قريبا من عشر صفحات ، وعنون لها بهذا العنوان " باب تغليظ الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم " .

ثم ذكر مسلم آثارا في النهي عن الحديث بكل ماسمع المرء ، لم يتكلم عليها ابن الصلاح إلا ما كان من ضبط " كَلِفَتْ " بينما استغرقت في شرح النووي خمس

صفحات ، وذكر شرحه ذاك تحت عنوان " باب النهي عن الحديث بكل ماسمع " .
وهكذا قل في بقية مقدمة مسلم التي بلغت صفحاتها مع شرح النووى بعدد
الباب المذكور ثمان وستين صفحة ، وغالبا ماكان الشرح بقدر ثلثي الصفحة
أو صفحة كاملة ، بينما لم يتجاوز كلام ابن الصلاح لهذا القدر أكثر من تسع صفحات ،
نصفها حواشي المحقق - عافاه الله تعالى - .

وبالجملة ، فإن مقدمة مسلم الكبيرة المعروفة المفردة بالتأليف لم يتكلم عليها
ابن الصلاح إلا في نحو ثلاث عشرة صفحة من كتابه المحقق ، واستغرقت في شرح
النووى مائة صفحة ، لم ينقل فيها عن ابن الصلاح شيئا .

ورجع الى كتابه بعد ذلك في نحو ثلاثين موضعا في ضبط لفظ ، أو تلخيص
خلاف ، بحيث لم يكن يتجاوز قدر الكلام الذى كان ينقله النووى عنه أسطرا قليلة
أو كلمات معدودة . وأبرز موضع رجع فيه الى كلام الشيخ ابن الصلاح هو كلامه على
حديث أبي مسعود البدرى عقبه بن عمرو الأنصارى ، وحديث أبي هريرة في تفاضل
أهل الايمان ، ورجحات أهل اليمن ، حيث نقل تنقيحه واختصاره لأقوال أهل
العلم في ذلك واعتمد كلامه فيه ، وقال : فيه كفاية فلا نطول بزيادة عليه .^(١)

فهذا خلاصة القول في الموازنة بين الكتابين ، ومن أراد الأمثلة
أو زيادة البيان ، فليسرح نظره في الكتابين وسيبضح له عندئذ أن دعوى ابن قاضي
شعبه ، لعلمها كانت زلة عالم ، أو سبق لسان ، أو لعله نظر الى كثرة نقول
النووى عنه في المقدمة التى سبقت الإشارة الى أن النووى - رحمه الله - ضمن
مقدماته مقدمة ابن الصلاح ، فظن ابن قاضي شعبه أن بقية تلك القطعة من شرح
ابن الصلاح مودعة في شرح النووى من غير أن يسبق تلك الدعوى تحريلا موازنة .

(١) شرح مسلم ٣٢/٢ - ٣٤ ، وهو في صيانة صحيح مسلم ص ٢١٢ - ٢١٤ .

أو لعله رأى كثرة رجوع النووى الى كلام الشيخ ابن الصلاح وتبعه في سائر
المواطن ، ومنها في هذا الشرح ، فظن أنه قد اعتمد جملته في شرحه ، ولمّا
انتهت قطعة الشيخ ابن الصلاح ، قل عمل الشيخ النووى .

ولعله لم ينتبه لمنهج النووى المرسوم في المقدمة الذى جاء فيه أن شرحه
هذا وسط بين المختصرات والمبسوطات ، لامن المختصرات المخلات ، ولا من
المبسوطات المملات ، ثم لم ينتبه الى أن النووى — رحمه الله — قد طبق هذا
المنهج ، اللهم إلا في الربع الأخير منه .

ولعله كان قد شعر بدنو أجله وخشى انقطاع عمله ، حيث كان تأليفه لهذا
الشرح أواخر سنى حياته ، كما أشار الى ذلك في الجزء الثاني عشر في الصفحة
السابعة والخمسين ، فسلك سبيل الإيجاز ، ولأن غالب المباحث الحديثية
المتعلقة بتلك الأحاديث كانت قد تقدمت فيما مضى له من شرح .

أو لعل ابن قاضي شهبه رأى أن النووى قد كان له نوع بسط في بداية
الشرح ، ثم أحس بقلّة ذلك البسط بعدئذ ، فسوغ لنفسه أن يقول ذلك . ولو أنه
سرح نظره في سائر الكتاب لعلم أن منهج النووى لم يختلف ، وأن ذلك النوع
من البسط الذى كان في البداية ، إنما كان لمقتضى الحال ، ولم يختلف عن
مثله عند وجود ذلك المقتضى ، والله أعلم . (١)

(١) والأمثلة على ذلك كثيرة منها : ١٠١/٢ — ١٠٢ ، ١١٤ — ١١٨ ، ١٢٥ —

١٢٧ ، ١٤٩ — ١٥٢ ، ١٨٣ — ١٨٦ ، ٢٣٣ — ٢٣٦ ، ٣/٤ — ٦ ،

٩٩ — ١١٠ ، ١٥٣ — ١٥٨ ، ١٨٤ — ١٨٦ ، ١٩٧ — ١٩٩ ، ٢٠٢ —

٢٠٦ ، ٢١٨ — ٢١٩ ، ٢٢٨ — ٢٣٠ ، ١٧/٤ — ٢٢ ، ٥٤ — ٥٨ ،

٨٦ — ٨٩ ، ٩٥ — ٩٧ ، ١٧٣ — ١٧٦ ، ٢١٣ — ٢١٦ ، وهكذا في

بقية الكتاب .

بعد أن علمت هذه الموازنة الموجزة بين هذا الشرح ، وصيانة صحيح مسلم
 لابن الصلاح ، كان من المتعين أن تعقد نحوها بينه وبين شرح المازري والقاضي
 عياض ، لكونه رجع إليهما كثيرا في هذا الشرح ولسبقهما إلى شرح الصحيح ، حتى
 يعلم مدى اعتماده عليهما ، وتعلم طريقة هذين الكتابين .

وحسبك أيها القارئ أن تعلم صورة مقتضبة عنهما لتهتدي بهم —————
 إلى الموازنة بين شرح النووي ، وهذه الشروح .

المعلم للمازرى :

أما المعلم للامام المازرى سنة ٥٣٦ هـ ، فهو كتاب لطيف الحجم ، محدود الفائدة ، يقع في ١٨٢ ورقة في بعض مخطوطاته ، وهو يشبه الى حد كبير صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح الذى تقدم الحديث عنه ، لكونه غنى بشرح الألفاظ اللغوية أكثر من غايته بشرح المعاني الحديثية .

وذلك لأن المازرى - رحمه الله - لم يحرر هذا الكتاب ليكون شرحا لصحيح مسلم ، وإنما هو شرح كان يلقيه أثناء تدريسه للصحيح ، فيكتبه الطلاب عنه حتى جُمع من كلامه نحو مجلد ، فأطلق عليه بعد جمعه اسم " المعلم " ، كما دل على ذلك ما جاء في مقدمة الكتاب ، وهو قوله بعد الحمد لـ : هذا كتاب قصد فيه الى تعليق ماجرى في مجالس الفقيه الامام أبى عبد الله محمد بن على المازرى - رضى الله عنه - حين القراءة عليه لكتاب مسلم بن الحجاج - رحمه الله - في شهر رمضان المعظم من سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، منقولاً ذلك بعضه بحكاية لفظ الفقيه الامام وأكثره بمعناه . (١)

ثم انتشر في البلاد واعتمده أهل العلم والسادات ، لجلالة الامام المازرى وثقة الناس بعلمه .

وكان أول مسائله العلمية في هذا الكتاب ، هى قوله : كتاب مسلم هذا من أصح كتب الحديث ، فإن مؤلفه قال : انتقيته من نحو ثلاثمائة ألف حديث ، وقال بعض الناس : ماتحت أديم السماء أصح منه يريد في كتب الحديث وكان مسلم من جلة أصحاب البخارى ، لما ورد البخارى في نيسابور ، ولما امتحن

(١) المعلم ١/٢ بمعهد احياء التراث بجامعة أم القرى برقم :

البخارى بالسألة المشهورة ، نفعه أصحابه الآ مسلم ، فانه لزمه ، وتوفى مسلم
(١) في العشر الاواخر من رجب من سنة احدى وستين ومائتين .

فهو في هذه الكلمة الموجزة قد نوه بقدر صحيح مسلم ، ثم بقدر مؤلفه ،
وهي كلمة مع وجازتها ، تؤدى الغرض المقصود المطلوب من مثله في مثل هذا المقام ،
وقد أحسن في ذلك ، حيث جعلها في مستهل حديثه في الشرح ، وقد فقدت مثل
هذه الكلمة الجامعة من بعض الشروح الأخرى ، كشرح أبي العباس أحمد بن
ابراهيم القرطبي سنة ٦٥٦ هـ ، وقد لاحظ النووى أهمية هذه الكلمة فذكرها
(٢) بأوسع مما ذكر المازرى وأجزل .

ثم أخذ المازرى بعد هذه الكلمة يفسر غريبه ويشرح غامضه ، فقال عند قول
مسلم لو عزم لي عليه ، وقضى لي بتمامه مانصه : لا يظن بمسلم أنه أراد لو عزم
الله لي عليه ، لأن إرادة الباري سبحانه وتعالى لا تسمى عزمًا ، ولعله أراد ، سهّل
لي سبيل العزم أو خلق فيّ قدرة عليه . (٣)

ثم تكلم على بعض عبارات مسلم في الخطبة على هذا النحو من الإيجاز
بقدر صفحة ونصف ، شرع بعدها في كتاب الايمان ، فقال عند ذكر حديث يحيى
ابن يعمر مخاطبا ابن عمر - رضى الله عنهما - في أمر أول من قال بالقدر ،
والذى جاء فيه : أنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتفقرون العلم ، فقال (٤)
الامام المازرى - رحمه الله - : يقال : تفقرت شيئا اذا قفوت ، قال أبو عمر :
يقال : قفوت اذا اتبعت أثره واقتفوت الأثر تبعته ، ثم نقل عن أئمة اللغة
أقوالهم المؤيدة له في تفسيره ذلك اللفظ ، وانتقل بعده الى حديث جبريل في

(١) المعلم ١/٢ .

(٢) انظر مقدمة شرح مسلم ص ١٠ .

(٣) المعلم ١/٢ .

(٤) مسلم بشرح النووى ١٥٠/١ .

سواء له النبي - صلى الله عليه وسلم - عن شرائع الاسلام الذي استدل به ابن عمر - رضى الله عنهما - على كفر النافين للقدر في هذه القصة ، ففسر فيه لفظين فقط ، أحدهما : قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((تلد الأمة ربتها)) فذكر فيه قولين لأهل العلم فقال : قيل : معناه أن يكثر استيلاء السراى حتى تكون الأم كأنها أمة لا بنتها لما كانت ملكاً لأبيها ، وقيل : يحمل على أنه يكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان حتى يملك المشتري أمه ، وهو لا يعلم لكثرة الأماء ، قال : وفي بعض طرق الحديث تلد الأمة بعلمها ، قال : وهو من هذا المعنى لأنه إذا كثر بيعهن قد يقع الإنسان في تزويج أمه وهو لا يعلم الموضع.

الموضع الثاني :

قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((وترى العالة رعاء الشاة يتناولون في البنيان)) فقال : قال الهروي : العالة الفقراء ، وفي حديث آخر : ((خير من أن تتركهم عالة)) أى فقراء ، والعائل الفقير ، والعيلة الفقر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ ^(١) . يقال : عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر ، وقال غيره : وأعال الرجل كثر عياله ^(٢) .

فهذا أنموذج من شرح المازرى على مسلم ، وهو صورة واضحة لما تقدم ذكره عن هذا الكتاب ، من أنه شرح لطيف على بعض ألفاظه وغوامض معانيه ، وبإمكانك بعد هذه الصورة أن تقول : أن اسم الحاشية أصدق عليه من اسم الشرح ، وليس هذا بضائره في مكانته العلمية ، فإن مكانته سامية كما تقدمت الإشارة إليه ، وحسبك دلالة على ذلك أن كل من أتى بعده ليشرح صحيح مسلم جعله من أوثق مراجعه ، غير أن مقام الموازنة يقتضي أن تعلم

(١) التوبة آية ٢٨ .

(٢) المعلم ١/٤ .

أن شرح النووى أكثر فائدة وأحسن جمعا ، وأوسع مباحث وأهنأ ريسا ،
فإن مقدمة مسلم التي شغلت من شرح المازرى صفحة ونصفا ، شغلت من شرح
النووى نحو مائة صفحة ، وكتاب الايمان الذى شغل في شرح المازرى نحو
خمس وعشرين صفحة ، شغل من شرح النووى نحو من جزأين أى سبعة
وعشرين وأربعمئة صفحة مصدره بالمتن بنحو ثلث أو أقل أو أكثر ^(١) .

وإذا ما نظرت الى الحديث الذى تقدمت الاشارة اليه عند المازرى ،
في شرح النووى ، تجلت الحقيقة عيانا ، فأنك سترى فيها ما يشفى العليل ،
ويروى الغليل ، من المباحث العلمية ^(٢) والنكات الخفية ، واللطائف
الاسنادية في ^(٣) نحو ست عشرة صفحة ، والله أعلم .

(١) من ١٤٤/١ الى ٩٩/٣ .

(٢) كما في ١٤٤/١ - ١٥٠ .

(٣) كما في ١٥١/١ - ١٥٤ .

اكمال المعلم للقاضي عياض :

ولما كان شرح المازرى بطلب المكانة عند أهل العلم ، وهو من حيث
الايجاز كما علمت ، كان من حقه أن يبسط موجزه ، وتحل رموزه ، ويوضح مجمله ،
وكان ذلك دينا في رقاب العلماء ، أداه عنهم القاضي عياض سنة ٥٤٤ هـ ،
في كتابه " اكمال المعلم بفوائد مسلم " وذلك حينما وقف عليه عند ارادته
شرح مسلم ، فرأى أن الحاجة الى اتمامه أدعى ، والسير على منواله أفضل ،
وأولى ، وقد عبر عن هذا في مقدمة كتابه هذا ، فقال : مبينا سبب تأليفه :
فإن كتاب المعلم لم يجز تأليفا استجمع له مؤلفه ، وإنما هو تعليق
ما تضبطه الطلبة من مجالسه وتلقفه ، وكذا كتاب " تقييد المهمـل " (١)
حال بين الشيخ وبين استيفاء غرضه ، مادهم من مزمن مرضه ، فكشـرت
الرغبات في تعليق ما بقى من تلك الزيادات ، والتبسيهات ، يضم نشرها
ويجمع ، والقواطع عن الاجابة تقطع ، وشغل المحنة التي طوقت غشـق
الانسان تضع ، والرجاء لوقت فراغ ذلك يسوف ويطمع ، إلى أن من الله سبحانه
بحل تلك القلادة وزوالها ، وتفرغ البال من عهودها القادحة وأشغالها ،
فتوجه الأمر وانقطع العذر وانبعثت همة العبد الفقير بمعونة مولاه وتوفيقه
الى الاجابة رغبة لمولاه جل اسمه في المعونة وتوخى الاصابة . قال : ثم
ترددت في عملي ورأيت أن افراد كتاب لذلك . . . عن الكتاب المعلم
وما ضمنه غير موف بالعرض ، وأن تأليف كتاب جامع لشرحه لا معنى له مع
ما قد تقرر في المعلم من فوائد جمة ، لا تضاهي ، ونكت متقنة ، وقف عندها

(١) لأبي على الحسين بن محمد الخسائي الجبائي سنة ٤٢٧ هـ ، ضبط
فيه كل لفظ يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين ، كشف الظنون ١ / ٤٧٠ .

حسن التأليف ، وتناهى ، فيأتي الكلام في ذلك ثانية غير مفاد ، أو كالحديث المعاد ، فاستتب الرأي بعد استخارة الله تعالى ، سلوك سبيل العدل والانصاف ، أن يكون ما يذكر من ذلك كالنذير لتمامه ، والصلة لاكمال كماله ، فنبدأ بما قاله - رضى الله عنه - ونضيف اليه ما استتب وتوالى ، وإذا جاءت الزيادة ، فصلناها بالاضافة اليها الى أن ينتهى منتهاه ، ثم عطفنا على سوق ما يليه من قوله ، ويتطارد الكلام بيننا نوابا بقوة الله وحوله . قال : وكان في المعلم تقديم وتأخير عن ترتيب كتاب مسلم ، فسقناه مساق الأصل ، ونظمنا فصوله على مواله فصلا بعد فصل ، الخ .^(١)

ثم مضى القاضي - رحمه الله - على النحو الذى التزمه ، فأتي فى شرحه بالعجب العجائب ، والعلم المستطاب ، فوسع المباحث العلمية ، واهتم ببيان النكات الخفية ، واللطائف الحديشية ، فكان كتابه من أجل الشروح الحديشية ، لكونه أروى فيه الهمم العلمية ، والأنفس الزكية ، التي شرقت في شرح المازرى .

ولا ريب في هذا ، فانك اذا نظرت الى الأمثلة التي تقدم ذكرها من المعلم ، ثم نظرت لاكمالها ، لا تضح لك الأمر جلها .

ولقد نقل عبارته السابقة عند قول مسلم : لو عزم لي الامر ، ثم قال : قد جاء هذا اللفظ في الكتاب من كلام أم سلمة في كتاب الجنائز ، قالت : ثم عزم الله لي فقلت لها ، قال : وأصل العزم القوة ، ويكون بمعنى الصبر وتوطن النفس وحملها على الشيء ، والمعنى متقارب ، ومنه قوله : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾^(٢) أهـ .^(٣)

(١) اكمال المعلم ١/١ .

(٢) الأحقاف آية ٣٥ .

(٣) اكمال المعلم ٣/ب .

ونقل كلامه في تفسير قول يحيى بن يعمر : ويتفقرون العلم ، ثم قال :
 أكثر روايتنا عن شيوخنا في هذا الحرف في الأم ، يتفقرون بتقديم الفاء ،
 كما ذكر أولا ، وكذا رويناه في كتاب أبي داود ، من طريق ابن داسم ،
 ورويناه في الأم من بعض طرق ابن ماهان ، يتفقرون بتقديم الفاء ،
 ورويناه من طريق ابن الأعرابي في المصنف يتفقون بلا راء ، وكل صحيح
 متقارب المعنى ، قال : وقد فسر الشارحون : الهروى ، والخطابي ،
 وغيرهما ، الرواية الأولى بما حكاه الامام ، أى يطلبونه ويتبعونه ، ومنه حديث
 شريح (انما اقتفر الاثر اتبعه) ومثله رواية من روى يتفقون . قال الهروى :
 قفوته وتقفيته اتبعته أثره ، ومنه سمي القافه ، قال الله تعالى : ﴿ وقفينا
 على آثارهم ﴾ ^(١) ، ثم قال : وحكى ابن دريد في الجهرة التفسير جمعك
 الشيء قفرته تقفيرا ، فمعناه على هذا يجمعونه . وأما من رواه يتفقرون ،
 بتقديم الفاء فصحيح أيضا ، وهو غندى أشبه لبساط الحديث ونظم الكلام ،
 ومراده ، أنهم يخرجون غامضه ويبحثون عن أسرارها ، ويفتحون مغلقه ،
 ثم ذكر نظائر لهذه الكلمة . ^(٢)

وحكى تفسير المازرى لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((أن تلد
 الأمة ربها)) ، ثم قال : وبيانه ، أن الرجل الحسيب ، اذا أولد أمة كان
 ابنها منه بمنزلة ابنه من مولاتها ، وقيل : المراد به فشوا الحقوق ، وأن يكون
 الولد في الصول على أمه وقلة بره بها ، كأنه مولاها ، كما قال في الحديث
 الآخر ، ويكون الولد غيضا ، قال : لكن لا معنى اذا لتخصيص أولاد الاماء
 بهذا ، إلا أن يقال : لأن نسبة الأموية أقرب الى استدعاء الحقوق

(١) المائدة آية ٤٦ .

(٢) اكمال المعلم ١/١٢ .

والاستحقاق ، وقيل : هو تنبيهه على فشوا النعمة آخر الزمان ، وكثرة السبي ، كما قال في بقية الحديث عن تطاول رعاء الشاء في البنيان ، وقيل : المراد به ارتفاع أسافل الناس ، وأن الأماء والسبايا يلدن من ساداتهن أمثالهم ، فشرفن بسببهم كما قال في الحديث الآخر (حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع) ^(١) ، قال : وقال الحربي : معناه أن يلد الأماء الملوك ، فيصير لها رباً كما قال : * اذكرني عند ربك * ^(٢) ، أي الملك ، ثم نقل عن الخطابي قوله في الاحتجاج بهذا الحديث على بيع أمهات الأولاد ، ثم دفعه بقوله : ولا حجة له في هذا ، إذ ليس في الحديث شيء يدل عليه ، بل قد نوزع في استدلاله ، وقال أبو زيد المروزي : وهو رد على من يرى بيعهن ، لانكار النبي - صلى الله عليه وسلم - أن تلد الأمة من يملكها ، وجعله ذلك من أشرار الساعة ، ومعناه عنده أن يبيع أمه آخر الزمان ، قال القاضي : وليس ما قال بشيء ، لأن ليس كل ما أخبر عنه أنه من أشرار الساعة لاتباعه الشريعة ، ألا ترى أن تطاول الرعاء في البنيان ليس بحرام ، ولأن يكون اللكع أسعد الناس بالدنيا ليس مما تحرمها عليه ، ولا فشوا المال جملة مما تحرمه ، ولا أن يكون لجماعة النساء القيم الواحد مما يحرم ذلك ، قال : وليس في الكلام دليل على انكار النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك كما زعم ، ولا فيه غير اخبار عن حال يكون ، قال : وأما قوله : أن يبيع الولد أمه آخر الزمان ، فليس فيه دليل على منع بيعها قبل ملك ابنها ، إذ من يجوز بيعها من أهل الظاهر ، يوافق الجماعة في أنها لا تباع مادامت حاملاً ، ولا إذا تصيرت ملكاً

(١) رواه الترمذى في الفتن من حديث حذيفة بن اليمان ٤ / ٤٩٤ ، وقال :

حسن غريب ، ورواه أحمد في المسند في مسند حذيفة

— رضى الله عنه . — ٣٨٩ / ٥ .

(٢) سورة يوسف آية ٤٢ .

(١) لا ينهها بميراث أو غيره .

فبهذا علمت أن الكتابين عبارة عن كتاب واحد كمل أحدهما الآخر ،
فاذا وازنتهما بكتاب النووى ، اتضحت لك ميزته عليهما .

فأنك اذا رجعت الى هذه المواضع مثلا في شرح النووى ، والتي تقدم
التمثيل بها عند المازرى ، والقاضى عياض ، لعلمت أن شرحه أوفى الشروح .
لأنه قد اطلع على كلامهم ، واستفاد من ابحاثهم وتقريراتهم ، فهذب ونقح ،
ووسع البحث وأوضح ، وهذا مشاهد بالعيان ولا يمتري فيه اثنان .

فتراه يقول مثلا في قول مسلم : (لو عزم لى عليه) الذى تقدم تفسيره
عند المازرى والقاضى : يقول : وقوله : عزم هو بضم العين ، وهذا اللفظ
مما اعتنى بشرحه ، من حيث أنه لا يجوز أن يراد بالعزم حقيقة المتبادرة
الى الأفهام ، وهو حصول خاطر في الذهن لم يكن ، فإن هذا محال في
حق الله تعالى ، قال : واختلف في المراد به هنا ، ف قيل : معناه
لو سهل لى سبيل العزم ، أو خلق في قدرة عليه ، وقيل : العزم هنا بمعنى
الارادة ، فإن القصد والعزم والارادة والنية ، متقاربات ، فيقام بعضها
مقام بعض . قال : فعلى هذا ، معناه لو أراد الله ذلك لى ، قال : وقد
نقل الأزهري وجماعة أن العرب تقول : نواك الله بحفظه ، قالوا :
وتفسيره قصدك الله بحفظه ، وقيل معناه : لو ألزمت ذلك فإن العزيمة
بمعنى اللزوم ، ومنه قول أم عطية - رضى الله عنها - (نهينا عن اتباع الجنائز ،
ولم يعزم علينا)^(٢) ، أى لم تلزم الترك ، وفي الحديث الآخر : (يرغبنا في

(١) اكمال المعلم ١/١٣ .

(٢) رواه البخارى في الجنائز باب اتباع النساء الجنائز ٩٩/٢ ، ومسلم في

الجنائز ٢/٢ شرح النووى .

قيام رمضان من غير عزيمة^(١) ، أى من غير الزام . ومثله قول الفقهاء : ترك الصلاة في زمن الحيض عزيمة أى واجب على المرأة لازم لها . والله أعلم .^(٢)

ولما أتى على الموضع الثاني الذى تقدم التمثيل به ، وهو تفسير يتفقون ، فسرّه من غير ايجاز ولا اسهاب ، بل أتى بحاصل تفسيره بحيث كفى وشفى ، فهو يقول : هو بتقديم القاف على الفاء ، ومعناه يطلبونه ويتبعونه هذا هو المشهور ، وقيل : معناه يجمعونه ، ورواه بعض شيوخ المغاربة من طريق ابن مهران ، يتفقون بتقديم الفاء وهو صحيح أيضا ، معناه يبحثون عن غامضه ويستخرجون خفيه ، وروى في غير مسلم يتفقون بتقديم القاف وحذف الراء وهو صحيح أيضا ، ومعناه أيضا يتبعون ، ثم نقل عن القاضي قوله : ورأيت بعضهم قال فيه : يتقعرّون بالعين ، وفسرّه بأنهم يطلبون قعره ، أى غامضه وخفيه ، ومنه تقعر في كلامه اذا جاء بالغريب منه ، قال : وفي رواية أبي يعلى الموصلى ، (يتفقون) بزيادة الهاء ، وهو ظاهر .^(٣)

وفي تفسير قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((أن تلد الأمة ربتها)) يقول : وفي الرواية الأخرى : " ربّها " على التذكير ، وفي الأخرى بعلمها ، وقال : يعني السرارى ، قال النووى : ومعنى ربّها وربتها سيدها ومالكها وسيدتها ومالكها ، قال الأكثرون من العلماء : هو اخبار عن كثرة السرارى وأولادهن ، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها ، لأن مال الانسان ، صائر الى ولده ، وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين ، أما بتصريح

(١) رواه مسلم في المسافرين ٤٠/٦ . بشرح النووى .

(٢) شرح مسلم ٤٦/١ .

(٣) " " ١٥٦/١ .

أبيه له بالاذن ، وأما بما يعلمه بقرينة الحال أو عرف الاستعمال ، وقيل :
 معناه : أن الأماء يلدن الملوك ، فتكون أمه من جملة رعيته وهو سيدها وسيد
 غيرها من رعيته . قال : وهذا قول إبراهيم الحربي ، وقيل معناه : أنه
 تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان ، فيكثر ترددها
 في أيدي المشتريين حتى يشتريها ابنها ولا يدرى ، قال : ويحتمل على
 هذا القول ، أن لا يختص بأمهات الأولاد ، فإنه مقصور في غيرهن ، فإن
 الأمة تلد ولدا حرا من غير سيدها بشبهة ، أو ولدا رقيقا بنكاح أو زنا ، ثم
 تباع الأمة في صورتين بيما صحيحا ، وتدور في الأيدي حتى يشتريها
 ولدها . قال : وهذا أكثر وأعم من تقديره في أمهات الأولاد ، وقيل في
 معناه غير ما ذكرناه ، ولكنهما أقوال ضعيفة جدا أو فاسدة فتركتهما ،
 ثم ذكر شرحه لبقية ألفاظ الحديث .^(١)

فإذا وازنت كلامه بكلامهم في هذه الصور الموجزة ، اتضحت لك
 ميزته ، وأدركت مكانته ، لما رأيت في كلامه من سلاسة الأسلوب ، ووضوح
 الدلالة ، وشمول الشرح ، ولعل هذه الأمور لم توجد مجتمعة فيما ذكر
 من الشروح . ناهيك عما تميز به شرح النووي من مقدمات نفيسة ، خللت عنها
 الشروح الأخرى ، إلا ما كان لابن الصلاح في بعضها ، ومن تحقيقات دقيقة
 في المسائل الحديثية والفروع الفقهية ، والمسائل الخلافية ، تمثلت
 بترجيحاته واختياراته في تلك المسائل ، فكانت فيصلا عند النزاع ، كما أن
 شرحه موسوعة لمعرفة الاجماع ، إضافة إلى أمرهم تميز به في هذا الشرح ،
 وهو تراجمه التي وضعها لهذا الجامع الصحيح بأسلوب مليح ، ضاهى بها
 تراجم البخاري في كتابه الصحيح . وذلك أن الامام مسلما - رحمه الله -
 ألف كتابه الصحيح مرتبا لأحاديثه كترتيب الجوامع ، فابتدأه بعد المقدمة ،

التي عنيت ببعض مسائل المصطلح ، بأحاديث الايمان ثم أحاديث الطهارة
ثم أحاديث الحيض ، ثم أحاديث الصلاة ، وهلم جرا .

غير أنه لم يضع لها عناوين تفيد ذلك ، فكان على الشارحين أن يفعلوا
ذلك ، ليحصل الفصل بين أنواع المسائل ليسهل على الناظر الوقوف على
الأحاديث في مظانها ، ولينشط الطالب عند قراءته الكتاب ، لأنه كلما قرأ كتابا
أو بابا نشط الى قراءة غيره فتحصل له الفائدة الكاملة . (١)

فتحمل الشارحون هذا العبء ، فوضعوا له تراجم بحسب مشاربهم ،
واختلاف مداركهم ، فالمازرى مثلا ، وتبعه القاضي عياض ، لم يزيدها على ذكر
تراجم لكتب الجامع ، فوضع لأحاديث الايمان (اسم كتاب) وكذا لأحاديث
الطهارة والصلاة ، الخ .

فقالا : كتاب الايمان ، كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة . الخ . مقتصرين على
هذه العناوين العامة التي يندرج تحتها أبواب كثيرة ومسائل عديدة .

أما أبو العباس أحمد بن ابراهيم القرطبي سنة ٦٥٦ هـ ، فقد عنى
في شرحه على مختصره لصحيح مسلم ، المسمى " بالمفهم لما أشكل من تلخيص
كتاب مسلم " ، بوضع عناوين لكتب الجامع وأبوابه ، وسردها في مقدمة كتابه
كالفهرست ، فلما شرع في الشرح غير أسلوب ذكرها ، فيقول : ومن باب وجوب
الأخذ عن الثقات ، والتحذير من الكذب عن رسول الله —
— صلى الله عليه وسلم — ، ويشرح ما يرى شرحه . وهكذا . (٢)

وهنا تجد ر الإشارة الى أن النووي — رحمه الله — لم يستفد من كتاب
المفهم للقرطبي في شرحه هذا البتة ، حيث لم يرجع اليه ولا في موطن واحد
من شرحه مع كثرة مراجعه ومصادره في هذا الشرح العظيم ، التي يعجزو
النقول اليها أو الى مؤلفيها ، ولعل الفرصة تتاح لي لبيان تلك المصادر

(١) انظر شرح الأبي ٤٨ / ١ بتصرف .

(٢) المفهم ٩ / ١ .

في مستقبل أيامي ، حيث فاتني تدوينها عند قراءتي الأولى لهذا الشرح ، ثم تلافت الأمر في القراءة الثانية ، ولم أفرغ منها بعد . فالله المستعان .
ثم أعود الى ما كتبت في صدد بيانه فأقول :

أما الامام النووي - رحمه الله - فانه أولى هذا الجانب عنايته
الفائقة ، ووضع له تراجم دقيقة ، وذلك بعد أن وقف على تراجم سابقيه ،
ولم يربها الاكتفاء ، ولا فيها للطالب شفاء . وقال : قد ترجم جماعة أبوابه
بتراجم بعضها جيد ، وبعضها ليس بجيد ، اما لقصور في عبارة الترجمة ،
وأما لركاكة لفظها ، وأما لغير ذلك . قال : وأنا ان شاء الله تعالى ،
أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها في مواطنها . (١)

ثم أخذ يشرح ويترجم بما يتناسب مع سياق الامام مسلم للأحاديث
بأسلوبه السلس العبارة ، والواضح الدلالة .

وانك لتقرأ تراجمه في الصحيح ، فتتهدى بها الى المقصود ، وتعرف
مضمون الباب على الوجه الكامل المحمود ، وهذا الجانب لوضوحه وانتشاره
في سائر الكتاب غني عن التمثيل ، أو ذكر الشاهد والدليل .

وقد اعتمد هذه التراجم ، كل من غنى بفهرست الصحيح ، كالأستاذ
محمد فؤاد عبد الباقي ، وواضعوا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .
غير أن الذين طبعوا الشرح مع الصحيح أضافوا له تراجم موضوعية في
أعالي الصفحات ، لتعين القارئ على ادراك محتويات الباب من الأحاديث
المختلفة الدلالة ، ولم يعز ذلك العمل لأحد ، وهو عمل جيد أثناب الله
واضعه .

مكانة هذا الكتاب وشأن العلماء عليه وغايتهم به :

لقد نال شرح مسلم للإمام النووي - رحمه الله -

مكانته من العناية والرعاية عند العلماء ، إذ توالى الأقلام والمحابر على نسخه ، ومجالس العلماء على قراءته ودرسه ، ومكتباتهم على اقتنائه وحجسه ، ولا أدل على ذلك أكبر من كثرة مخطوطاته في مختلف البلدان كما دلته على ذلك الكتب المعنية بهذا الشأن . (١)

ولا غرو ، فقد قال السخاوى : أنه عظيم البركة . (٢)

وقال العلامة الحسين بن عبد الله الطيبي سنة ٧٤٣ هـ في كتابه " الكاشف عن حقائق السنن " (٣) ، الذي اعتمد فيه على هذا الشرح اعتمادا كبيرا ، قال ما نصه : وكان اعتمادى وغاية اهتمامي بشرح مسلم للإمام المتقــــــــــــن محبى الدين النووي ، لأنه كان أجمعها - أى الكتب التي اعتمد عليها في شرحه ذاك - فوائده وأكثرها عوائد ، وأضبطها للشوارد والأوابد . (٤)

وكما نال عناية العلماء ، فإنه قد نال عناية المطابع أيضا منذ بزوغ فجرها ، فقد طبع لأول مرة في القاهرة سنة ١٢٢١ هـ في أربع مجلدات ، ثم طبع سنة ١٢٨٣ هـ في خمس مجلدات ، ثم طبع في لكتوبالهنــــــــــــد سنة ١٢٨٥ هـ ، ثم في دلهي سنة ١٣٠٤ هـ ، ثم طبع على هــــــــــــامش

(١) كتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ٢١٢/١ - ٢١٤ ، حيث ارشد

الى مكان وجوده في أكثر من ثلاثين مكانا في العالم ، وفعل نحو ذلك

بروكلمان في تاريخ الأدب العربى ١٨١/٣ .

(٢) السخاوى ص ١٢ .

(٣) توجد منه نسخة في معهد احياء التراث بالجامعة برقم ٨٣٥ ميكروفيلم .

(٤) الكاشف عن حقائق السنن ٢/ب .

ارشاد السارى للقسطلاني في عام ١٣٠٥ هـ ، ثم طبع على هامشه أيضا في القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ في المطبعة الأميرية ، ثم طبع بمصر بالمطبعة المصرية في ثمانية عشر جزءاً مع المتن وذلك عام ١٣٤٩ هـ . وهي الطبعة الجيدة التي راجت وانتشرت وصور منها عدة مرات ، وما زالت تتوالى طباعته بين الحين والآخر في مطابع كثيرة .

وهذا دليل على مبلغ العناية به عند أهل العلم ، وعظم منزلته عندهم ، وكمال الثقة به وسموه له .

ولما كان هذا الشرح بهذه المثابة عند أهل العلم ، صرف اليه ثلة من العلماء أنظارهم ، فاختر منه عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن ناصر الأنصارى ت سنة ٧٢٤ هـ ما رأى اختياره ^(١) ، ووضع العلامة أحمد بن لؤلؤ بن النقيب ت سنة ٧٦٩ هـ نكتا عليه ^(٢) .

واختصره الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف القنوى الخنفى ت سنة ٧٨٨ هـ ^(٣) .

كما اختصره العلامة صديق بن حسن خان القنوجي ت سنة ١٣٣٢ هـ ، في كتابه " السراج الوهاج " ، الذى اختصر فيه صحيح مسلم وشرحه للقنوى ، وهو مطبوع .

كما ضمنه العلامة عيسى بن مسعود الزواوى المالكي ت سنة ٧٤٤ هـ ، كتابه " اكمال الاكمال " . وفعل نحوه الامام محمد بن خليفة بن عمر الوستاني الأبي التونسى ت سنة ٨٢٢ هـ ^(٤) .

(١) تاريخ التراث ١/ ٢١٤ .

(٢) " " " " .

(٣) كشف الظنون ١/ ٥٥٢ .

(٤) " " ٥/ ٥٥٧ ، ٥٥٨ .

وكان قد فعل نحو ذلك قبلهما العلامة الحسين بن عبد الله الطيبي
سنة ٧٤٣ هـ في كتابه " الكاشف عن حقائق السنن " ، كما تقدمت الإشارة
اليه .

ولا بدع في أن ينال هذه العناية ويحتل تلك المكانة ، لأنه شرح لثاني
الصحيحين ، وصاحبه امام في هذا الفن بلا شك ولا مین ، والعلوم إنما تشرف
بشرف متعلقها ، وكذا الكتب ، إنما تعظم بعظمة مؤلفيها ، ولانزاع في أن
حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو أشرف العلوم وأجلها بعد
القرآن العظيم . كما قال الناظم :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة . . . إلا الحديث والآل الفقه في الدين
كما أنه لامراء في مكانة صحيح مسلم بأنها عظيمة ، لما تضمنه من صحة
الاحاديث ، وبراعة التأليف ، فلذلك لفت الامام النووي - رحمه الله -
نظره الى علم الحديث بوجه عام ، وصرف له نفائس الأوقات ، وخدمه خدمة ،
أغنت أولى الرغبات ، وأراحت أولى الهمم العاليات ، ونظر الى صحيح مسلم
بوجه خاص ، فخدمه بهذا الشرح الكبير الذي ظل باب الجامع الصحيح
مشرعاً لأهل هذا الفن ، ليبيّنوا مجمله ، ويحلوا مشكله ، ويرفعوا تعارضه ،
ويقيّدوا مطلقه ، ويبينوا رواته ، ويفسّروا رموزه ، ويوضّحوا دقائقه . . .
على النحو الأكمل ، والنهج القويم الأعدل ، مازال فاتحاً بابه لذلك ،
حتى جاء الامام النووي ، فلبى طلبه ، وسدّ حاجته .

ولا يذهبن الى وهلك ، أن حاجة الصحيح الى ما ذكر قد سدّها من
قبله كالمازرى ، والقاضي عياض ، والقرطبي ، وابن الصلاح . فأتى أقول : لا .
فإن أولئك ، وإن كان لهم فضل السبق ، غير أنهم فاتهم الكثير ، ولا غربة . فقد
قيل : كم ترك الأول للآخر ! ، فهم وإن غنوا بشرحه وايضاحه ، واهتموا
بابراز مكنونه ودقائق الفاظه ، إلا أن عملهم ذلك كسائر الأعمال الأولية التي

تفتقر الى التهديب والتدقيق ، والزيادة والنقص ، وغير ذلك مما تحتاج اليه
أعمال البشر التي لا تكمل الا بتضافر الجهود .

والامام النووي - رحمه الله - قد وقف على تلك الشروح ، فلم يريها
الاكتفاء ، فأراد أن يتم ذلك العمل بروح الاخلاص لله الأجل ، فأقدم على
هذا الشرح خدمة للسنة ، ونصحا للأمة .

وما أظن هذا يخفى على القارئ هذا بعد أن يطلع على الموازنة التي
عقدت في هذه الرسالة ، بين هذا الشرح وتلك الشروح ، وقد مرت بك قريباً ،
والله الهادي الى سواء السبيل .